روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل
سري جداً!!

109

الدوَّامة

د. نبيل فاروق

١ - انفجار..

« من الدورية السابعة إلى القاعدة القمرية المصرية .. بلغنا حدود المجال الفضائي القصوى ، وكل شيء على ما يرام .. نطلب الإذن بالعودة إلى القاعدة ... » .

أطلقت المركبة الفضائية الصغيرة هذا النداء ، عبر الفضاء السرمدي ، إلى القاعدة المصرية الجديدة ، التي تمت إقامتها على سطح القمر ، في نفس الموضع الذي كان يحتله سجن القمر في السابق(*) ؛ لمراقبة الحدود الفضائية الأرضية ، وتأمينها بصفة دورية ، وتلقت القاعدة النداء ، كما تتلقى نداءات المركبات الأخرى لأسطول المراقبة الفضائي ، وأجابت بتلقائية نمطية :

- من القاعدة القمرية إلى الدورية السابعة .. حصلت على إذن العودة .. اتجها مباشرة إلى القاعدة .

تنفس قائد الدورية السابعة الصعداء ، وهو يستمع إلى العبارة ، والتفت إلى مساعده ، قائلاً :

- أخيرًا .. لقد سئمت التجوال في الفضاء طوال الوقت .

(*) راجع قصتي (سجن القمر) ، و (الإمبراطور) .. المغامرتين رقمي (٤٨) ، و (٨٦) .

ابتسم مساعده ، قائلاً :

– طوال الوقت ؟! .. ألا يبدو لك القول مبالغًا يا سيدى .. لقد غادرنا القاعدة منذ ساعتين فحسب .

هزَّ القائد كتفيه ، وقال :

– ولكننا نفعل هذا يوميًا ، وعلى نحو رتيب مثير للضجر ، حتى أننى أتساءل فى بعض الأحيان : ما جدوى هذه الدوريات المنتظمة ؟

ارتفع حاجبا المساعد فى دهشة ، وهو يقول :

– ما جدواها ؟! .. هل نسيت ما تعلمناه فى معهد الملاحة الفضائية يا سيدى ؟! .. لقد تطوّر كل شىء ، حتى بات من الأفضل أن تؤمّن الأرض حدودها الفضائية ، بدلاً من أن يفاجئها غزو آخر ، دون أن تستعد لمواجهته ، كما حدث فى السابق(*) .

مطَّ القائد شفتيه ، وقال وهو يدور بالمركبة ، استعدادًا للعودة :

– افتراض نظرى بحت .. هل تعتقد أن مركبة فضائية بسيطة كهذه ، يمكنها أن تتصدّى لمحاولة غزو فضائية ؟!

أجابه مساعده فى شىء من الحزم ، لا يتناسب مع فارق الرتب بينهما :

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

– هذه ليست مركبة فضائية بسيطة يا سيدى .. إنها مقاتلة فضائية من أحدث الطرز المعروفة ، يمكنها أن تنطلق بسرعات مذهلة عبر الفضاء ، ومزوّدة بمدفعى ليزر ، وقاذف صاروخى ، وتمتلك قدرة مدهشة على المناورة ، مع أجهزة رادار ورصد متطوّرة ، و ..

قاطعه القائد فى ضجر :

– أعلم هذا يا رجل .. أعلمه وأحفظه عن ظهر قلب ، ولكننى مازلت أصرّ على أنها لا تصلح للتصدّى لأية محاولات غزو من حضارة أخرى ، لو أن تلك الحضارة تفوق حضارتنا علمًا وتقنية ، ولست أدرى فى الواقع كيف تستنكر أمرًا منطقيًا كهذا ، فلو أننى أحد الغزاة من كوكب آخر ، يستهدف الأرض ، وأدركت أن مركبة كمركبتنا قد رصدت مسارى ، لن أتردد لحظة واحدة فى نسفها نسفًا ، وسحقها فى لحظات ، دون أدنى تردد ، وثق بأن هذا لن يكون صعبًا أبدًا ، بالنسبة لأسطول غزو يسعى نحو كوكب متقدم ككوكبنا ، فهو سيحمل حتمًا أسلحة لا قبل لنا بها ، و ...

بتر عبارته بغتة ، مع أزيز مباغت ، انطلق من أحد أجهزة الرصد فى المركبة الفضائية ، فالتفت مع

مساعده إلى شاشته فى ان واحد ، وحدقا معًا فى المشهد الذى حملته ، قبل ان يغمغم القائد فى ذهول يمتزج بعصبية :

- ما هذا الشىء بالضبط ؟!

ازدرد مساعده لعابه فى توتر ، وهو يتطلع إلى الجسم الذى رصده الرادار ، والذى بدا اشبه بقرص كامل الاستدارة ، يبرز منه شىء كمقدمة صاروخ قديم ، يسبح فى الفضاء فى خط مستقيم ، وكانما يتجه إلى هدف ثابت ، ثم غمغم بدوره :

- يبدو لى كمركبة فضائية مجهولة الهوية .

قال القائد فى عصبية :

- ماذا تعنى بمركبة فضائية مجهولة الهوية ؟! .. المفترض اننا الجهة الوحيدة ، التى تؤمّن الحدود الفضائية ، ثم إن هذه المركبة لا تشبه ايًا من المركبات الفضائية ، التى انتجتها الدول الأخرى ، و ...

قاطعه مساعده ، وهو يقول فى توتر شديد :

- إنها مركبة فضائية غير ارضية .

انتفض جسد القائد فى شدة ، على الرغم من ان الجواب لم يخالف ما شعر به فى اعماقه ، منذ اللحظة الأولى ، التى وقع بصره فيها على المركبة ، وتمتم بصوت يموج بالرهبة :

- غير ارضية ؟! ..

مضت ثوان اخرى ، وهو يحدّق مع مساعده فى شاشة الراصد ، التى نقلت صورة المركبة ، وهى تواصل الانطلاق فى مسارها ، فى حين راح الكمبيوتر المتصل بالراصد يرسم تصميمًا اوليًا للمركبة ، من واقع ما يحصل عليه من بيانات أولاً فأولاً ، ويحدّد مسارها وهدفها ، ثم لم يلبث ان اطلق صوتًا خاصًا ، جذب إليه انتباه الرجلين ، ليهتف المساعد فى ارتياع :

- رباه !.. إنها تتجه إلى الأرض مباشرة .

ضغط القائد زرّ جهاز الاتصال فى سرعة ، وهو يهتف :

- من الدورية السابعة إلى القاعدة القمرية المصرية .. تم رصد جسم فضائى مجهول الهوية ، يتجه إلى الأرض مباشرة .. نطلب الإذن بالاقتراب منه ، وجمع معلومات اكثر دقة عنه .

ولو ان قنبلة انفجرت فى قاعدة القمر ، لما كان لها ذلك التأثير ، الذى احدثته عبارة قائد الدورية السابعة ، عندما تم استقبالها ، فقد انتفضت اجساد الجميع ، وخفقت قلوبهم فى عنف ، واطلّت من عيونهم نظرة تجمع ما بين الارتياع والهلع والتوتر ،

وراحوا يتبادلون تلك النظرات المضطربة الخائفة ، في حين ازدرد قائد القاعدة لعابه في صعوبة ، قبل أن يقول بصوت مبحوح :

– من القاعدة إلى الدورية السابعة .. حدّد ما تعنيه بجسم فضائي مجهول الهوية .. أهو نيزك(*) ، أم ..

قاطعه قائد الدورية السابعة في توتر شديد :

– إنه مركبة فضائية غير أرضية .. مركبة تتجه إلى الأرض مباشرة .

انطلقت شهقات عنيفة من الحلوق ، في القاعدة الفضائية ، وامتقعت كل الوجوه ، وارتفعت همهمات متوترة ، والكل يستعيد ذكريات الاحتلال البغيضة ، واتسعت عينا قائد القاعدة لحظة ، قبل أن يقول في حزم :

– لا تقترب الآن يا قائد الدورية السابعة .. حاول أن تحدّد حجم المركبة وقوتها أولاً ..

أتاه الجواب على الفور :

(*) النيزك : شهاب غير تام الاحتراق ، يمكن أن تصل أجزاؤه إلى الأرض ، بعد اختراقها الغلاف الجوي ، وبعضها يخترق سطح الأرض ، ويختفي في داخلها ، أو يُحدث فيها فجوة كبيرة ، ويعتقد أن النيازك والشهب هي بقايا كواكب قديمة انفجرت .

– إنها ليست مركبة ضخمة .. إنها تماثل حجم مركبتنا تقريبًا ، أو أقلّ قليلاً ، كما يشير الكمبيوتر ، والتحليل الطيفي لمادتها يشير إلى أنها مصنوعة من معدن غير معروف في أرضنا(*) .. ويبدو ، طبقًا للتحليلات الأوّلية ، أنها تحوي بعض الأسلحة القتالية ، من طراز مجهول .

ضاعف جوابه من حدة التوتر في القاعدة ، وغمغم نائب القائد في قلق مشوب بالحيرة :

– مركبة فضائية صغيرة من كوكب آخر ؟! .. تُرى ما الذي يمكن أن تمثله من خطر لأرضنا ؟!

أجابه القائد في صرامة :

– من يدري ؟! .. إننا نجهل طبيعة وقوة ما تحمله من أسلحة ، ومدى ما يمكن أن تفعله بالأرض .

ثم ضغط زر الاتصال ، مستطردًا في حزم :

– من القاعدة إلى الدورية السابعة .. اكتف مؤقتًا

(*) التحليل الطيفي : هو تحليل للضوء المنبعث ، أو المنعكس عن أية مادة ، بواسطة جهاز خاص ، يطلق عليه اسم مقياس الطيف (الاسبكتروسكوب) ، ولكل مادة طيفها المميز ، الذي لا يطابق أية مادة أخرى ، ويمكن تعرفها عن طريق خطوط سوداء تظهر في أماكن محدودة من مقياس الطيف ، والطيف ينشأ أساسًا من مرور الضوء في منشور زجاجي .

بتعقُّب تلك المركبة ، ولا تحاول استثارتها بأى حال من الأحوال .

نقلت إليه أجهزة الاتصالات شهقة مكتومة ، قبل أن يهتف قائد الدورية السابعة :

- أعتقد أنه فات أوان هذا التحذير يا سادة .. إنها تهاجمنا بالفعل .

كانت المركبة المجهولة قد عدلت مسارها بغتة ، وبزاوية شبه قائمة ، ثم انطلقت نحو مركبة الدورية السابعة مباشرة ، وكأنها تنقضّ عليها ، فغمغم مساعد القائد فى ذعر :

- رباه ! .. إنها تهاجمنا !

أجابه القائد ، وهو يتجه بأصابعه إلى أزرار التحكُّم فى الأسلحة القتالية لمركبته :

- ياللعبقرية ! .. هل أدركت هذا وحدك ؟!

ثم انحرف بالمركبة فجأة ، وصوت قائد القاعدة القمرية ينطلق عبر جهاز الاتصال صائحًا :

- لا تشتبك معها يا رجل .. تراجع على الفور .. اهرب .. اهرب فورًا .

ومع صيحته ، انطلق خيط من الضوء الأزرق ، من المركبة الفضائية المجهولة ، وكاد يصيب مركبة الدورية السابعة ، لولا المناورة البارعة التى قام بها قائدها ، وهو يقول فى حدة لمساعده :

- أهرب منها ؟! .. ألم أقل لك : إن حديثهم كله نظرى يا هذا .

ثم مال بالمركبة ثانية ، وانقضّ على المركبة الفضائية المجهولة ، وهو يطلق نحوها مدفعى الليزر ..

كانت المركبتان تنطلقان بسرعة خرافية ، عبر الفضاء والفراغ ، وكلتاهما تقوم بمناورات مدهشة لتفادى أسلحة الأخرى ، والانقضاض عليها من زاوية جديدة ، دون أن تفلح واحدة منهما فى الظفر بالأخرى ..

وفى القاعدة القمرية ، نجحت أجهزة الرصد العملاقة أخيرًا فى التقاط مشهد القتال ، واتسعت العيون فى هلع وانبهار ، مع تلك المناورات العنيفة ، وغمغم قائد القاعدة فى توتر بالغ ، وهو يراقب شاشة الرصد الضخمة :

- رباه ! .. إنها مركبة مقاتلة .. تُرى لماذا كانت تنطلق نحو الأرض ؟! .. وما هدفها بالضبط ؟!

وفى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان قائد الدورية السابعة ينطلق فى الفضاء ، متفاديًا أشعة المركبة المجهولة ، ثم يدور بمركبته حول نفسها ، وهو يهتف بمساعده المبهور :

- الأوغاد الفضائيون ، الذين يقودون تلك

الشىء ، بارعـون بحق ، ولكننى سـاثبت لهم اننا افضل مقاتلين عرفهم الكون .

قال مساعده فى توتر بالغ :

- سيّدى .. اعترف لك بالبراعة والمهارة ، ولكننا مازلنا نجهل كل ما ...

قاطعه القائد ، وهو ينطلق بمركبته فجاة نحو المركبة المجهولة ، صائحًا :

- كفى يا رجل .. لا اريد اية عبارات محبطة ، فى هذه اللحظة بالذات .

كان يقوم بمناورة مذهلة ، دار خلالها حول المركبة المجهولة ، ثم انقضّ عليها مباشرة ، على نحو خفق له قلب مساعده فى قوة ، وانحبست معه الكلمات فى حلقه ، واتسعت عيناه فى ارتياع ..

واطلقت المركبة المجهولة شعاعها الأزرق ..

وفى نفس اللحظة بالضبط ، ضغط قائد الدورية السابعة زر القاذف الصاروخى ، وانحرف بمركبته فى مهارة ، وهو يهتف :

- خذوها منى ايها الأوغاد .

تفادت مـركـبـتـه الشـعـاع الأزرق فى اللحظة الأخيرة ، فى نفس الوقت الذى انطلق فيه صاروخه نحو المركبة المجهولة مباشرة ..

وكـانت تلك المناورة المزدوجة مـبـاغـتـة بحق ، بالنسبة للمركبة المجهولة ، التى حاولت تفادى الصاروخ الصغير ، الذى انطلق نحوها بسرعة خرافية ، و ...

واصاب منتصفها مباشرة ..

وحدث الانفجار ..

وياله من انفجار !!..

فعلى الرغم من صمته(*) ، اضاء كشمس صغيرة ، اشرقت فجاة فى قلب الفضاء ، وتمدّدت لمساحة واسعة للغاية ، مع موجة تضاغطية ارتجاجية رهيبة ، جعلت مساعد قائد الدورية السابعة يصرخ فى رعب ، والمركبة تهتز به وبقائده فى عنف ، كريشة فى مهب رياح عاتية :

- رباه ! .. ما الذى كان يحويه هذا الشىء بالضبط ؟

ومع اخر حروف كلماته ، لحق ذلك الضوء المتمدّد بالمركبة ، مع حرارة هائلة ، سحقتها سحقًا فى لمح البصر ، امام اعين المراقبين ، فى القاعدة القمرية ، الذين صرخوا فى رعب ، وهتف احدهم ، وهو يحدّق فى شاشة كبيرة ، ترصد تاثير الانفجار :

(*) الصوت لا ينتقل قط عبر الفراغ والفضاء ..

- رباه !.. إنه أبشع انفجار رأيته فى حياتى كلها .. إنه يفوق انفجار عشر قنابل نووية فى آن واحد .

وصرخت زميلته ، وهى تقفز من مقعدها :

- إنه يتجه نحونا .

انطلقت الصرخات فى كل مكان ، وتخلَّى الجميع عن مواقعهم ، وانطلقوا يعدون فى كل اتجاه ، كما لو أنهم يحاولون الفرار من خطر مجهول ، وقائدهم يصرخ بهم :

- لا تغادروا مواقعكم .. لا تتركوا أجهزتكم .. لا ..

اختنقت الكلمات الأخيرة فى حلقه ، واتسعت عيناه فى رعب هائل بلا حدود ، وهو يحدِّق فى شاشة الرصدالضخمة ، التى تمدَّدت فوقها رقعة الانفجار ، وبدا وكأنها ستحتلَّها كلها ، وتأثيرها يقترب بسرعة مخيفة ، عبر آلاف الكيلو مترات فى الفضاء ، من القمر ، وقاعدته التى سادها اضطراب وهرج ومرج شديدين ، والجميع يجرون فى كل مكان بلا هدف ، وقد بدا لهم أن نهايتهم قد حانت ..

ثم انقضت موجة الضوء والحرارة على القاعدة القمرية ..

وتحولت الصرخات المحدودة إلى صرخة واحدة

هائلة ، حملت عذاب كل العاملين هناك ، كما لو أن أحد أبواب الجحيم قد انفتح على مصراعيه ، وانقضَّت عليهم لفحاته بلا هوادة ..

وذابت القبة الزجاجية المحيطة بالقاعدة ، مع الحرارة الهائلة ..

وانفجرت أجهزة الرصد ، والمقاتلات الفضائية الرابضة فى مواقعها ، والأسلحة القتالية والدفاعية ..

ولقى عشرات الأرضيين العاملين فى القاعدة مصرعهم ..

أو انسحقوا سحقًا ، لو توخَّينا الدقة ..

وتزلزل كيان القمر كله لحظات معدودة ، والموجة تتجاوزه ببضعة كيلو مترات ، كما لو أنها تتجه نحو الأرض ، لتكمل مهمتها البشعة الرهيبة ..

ثم انتهى كل شىء بغتة ..

انحسرت الموجة المخيفة ، وتراجعت إلى مركز الانفجار الهائل ، الذى رصدته كل أجهزة الأرض ، والذى بدا لها كأبشع كارثة رصدتها فى تاريخها كله ..

وعاد إلى الفضاء صمته وسكونه ..

ذلك الصمت الذى بدا أشبه بهدوء رهيب ، خيم

على ساحة شهدت مذبحة بشعة وحشية ، قضت على كل مظاهر الحياة والحركة ، ولم تخلف وراءها سوى الموت ..

الموت وحده ..

ولكن هذا الانحسار لم يكن نهاية المأساة ..

لقد كان البداية ..

بداية لأخطر ظاهرة فضائية واجهت كوكب الأرض ، فى تاريخه كله ..

أخطرها على الإطلاق .

* * *



٢- شمس الليل ..

هبط الليل بسرعة مدهشة ،وبدت السماء شديدة الإظلام ، على نحو عجيب ، وخلت تمامًا من النجوم ، واختفى القمر ، على الرغم من عدم وجود اية غيوم لتحجبه ، وشعرت (سلوى) بتوتر لا مثيل له ، وهى تتحسس طريقها وسط الظلام الدامس ، وخفق قلبها فى قوة ، وهى تهتف :

- (نور) .. اين انت يا (نور) ؟

كانت تبحث عن زوجها ، فى قلب الظلام المحيط بها ، كما يبحث المرء عن شعاع من الأمل فى بحر اليأس ، ولكن صوتها راح يتردد مع صداه فى المكان ، دون مجيب ، فهتفت والخوف يملأ نفسها :

- (نور) .. لماذا لا تجيب ؟!.. انا (سلوى) ؟!.. انا ..

اختنق حلقها بالكلمة بغتة ، وانتفض جسدها كله فى عنف ، عندما شعرت بانفاس حارة خلفها ، وهتفت :

- اهذا انت يا (نور) ؟

لفحت الأنفاس الحارة عنقها ، مع همهمة جمدت الدم فى عروقها ، فتراجعت فى رعب زلزل كيانها ، وهى تصرخ :

- رباه !.. ما هذا ؟ .. ما هذا ؟!

لم تنجح عيناها فى اختراق حجب الظلام ، على الرغم من إحساسها القوى بوجود مخلوق حى على مقربة منها ، فظلت تتراجع ..

وتتراجع ..

وتتراجع ..

ثم فجأة ، برز ذلك المخلوق من قلب الظلمة ..

أو أضاء ..

نعم .. هذا هو المصطلح الصحيح ..

لقد أضاء بغتة بضوء خافت ، فيروزى اللون ، أبرز تقاسيمه ، وسط الظلام والصمت ..

وشهقت (سلوى) فى رعب هائل ..

إنه هو ..

إنه ذلك المخلوق البشع ، الذى أذاقهم الرعب داخل مكوك الفضاء(*) ..

ذلك المخلوق الطفيلى ، الذى احتلّ جسد حفيدها (محمود) الصغير ..

وصرخت (سلوى) :

- كيف أتيت إلى هنا ؟.. ماذا تريد منا ؟!

كشّر المخلوق الضئيل عن أنيابه ، وسال من بين

(*) راجع قصة (لعنة الدم) المغامرة رقم (١٠٧) ..

شدقيه ذلك السائل الأخضر المقزّز ، وهو يقترب منها بعينين يطلّ منهما الشر ، و ...

وعلى حين غرة ، أشرقت شمس صغيرة وسط الظلام ..

شمس تألقت بغتة ، وغمرت المكان كله بضوئها ، فالتفتت إليها (سلوى) ، هاتفة فى أمل :

- (نور) .

لمحت فى وضوح ذلك الشخص ، الذى يقف أمام دائرة الضوء ، ويتقدّم نحوها ، قائلاً بصوت هادئ عميق :

- لا تخافى يا (سلوى) .. هذا الوحش مجرّد وهم .. لن يمكنه إيذاؤك قط .

أدهشها الصوت ، الذى بدا مألوفًا للغاية ، واستدارت تتطلّع إلى الوحش ، ورأت جسده يتموّج ، كصورة منعكسة على سطح بحيرة ، ألقى بعضهم فوقها حجرًا صغيرًا ..

ثم راح الجسد يتلاشى فى بطء ، حتى اختفى ، وصاحب الصوت الهادئ العميق يقول :

- أرأيت .. إنه مجرّد وهم ..

التفتت مرة أخرى إلى صاحب الصوت ، ورأته يقترب أكثر ، وأكثر ، ودائرة الضوء من خلفه تحجب ملامحه عنها ، فغمغمت :



التفتت مرة أخرى إلى صاحب الصوت ، ورأته يقترب أكثر ، وأكثر ، ودائرة الضوء تخلفه تحجب ملامحه ..

- أنت لست (نور) .

أجابها في بساطة :

- بالطبع أنا لست (نور) يا (سلوى) .. ألا تذكرينني ؟

شهقت في قوة ، وهي تهتف :

- رباه !.. (محمود) .. ولكن هذا مستحيل !.. أنت .. أنت ..

قاطعها في هدوء عميق :

- ميت .. أليس كذلك ؟!.. كلا يا (سلوى) .. أنا لم أمت بعد .. صحيح أنني لم أعد أنتمي إلى عالمكم ، ولكنني لم أمت بعد .. الموت أمر مختلف تمامًا .

هتفت في لهفة :

- أين أنت إذن يا (محمود) ؟!.. أعني ما نوع الحياة التي تحياها ؟!.. رباه !.. ماذا أقول ؟!.. إنك هنا .. أنت أمامي ، وأنا أراك .. أليس كذلك ؟!

تسلل حزن عميق إلى صوته ، وهو يقول :

- أنا أيضًا مجرد وهم يا (سلوى) .. إنك لا ترين جسدي كما يبدو لك . إنها مجرد فكرة ، أمكنني أن أتسلل بوساطتها إلى عقلك ، كجزء من أحلامك ، حتى تصلك رسالتي .

بكت في حرارة ، وهي تهتف :

- وهل يمكننا ان نستعيدك يا (محمود) ؟!.. قل لى كيف ؟!.. كيف يمكننا ان نعاونك على العودة إلى عالمنا ؟!

هزَّ راسه فى اسى قائلاً :

- لست اعتقد انه توجد وسيلة لهذا .

ثم استدرك بسرعة :

- إلا إذا ..

بتر عبارته بغتة ، فهتفت به :

- إلا إذا ماذا ؟!

همَّ بإجابة سؤالها ، لولا ان تضاعف بغتة حجم القرص المضىء خلفه ، وراح يتضخَّم ، ويتضخَّم ، فالتفت إليه (محمود) وهتف :

- رباه ! .. ياله من خطر .. احترسى يا (سلوى) .. حذِّرى (نور) والآخرين .. هناك خطر داهم يهدِّد الأرض .. خطر قد يبتلع الكوكب كله يا (سلوى) .. خطر رهيب .. رهيب .. خطر الشمس الجديدة .

ردَّد الجملة الأخيرة مرات ومرات ، وجسده ينسحب متراجعًا نحو الضوء ، الذى احتلَّ المشهد كله ، وغمر احلامها عن آخرها ، فصرخت :

- لا يا (محمود) .. لا ترحل قبل ان تخبرنى كيف .. لا ترحل يا (محمود) .. لا ترحل ..

« (سلوى) .. استيقظى يا (سلوى) .. » ..

انتفض جسدها فى عنف ، مع صوت زوجها (نور) القلق الحنون ، واستيقظت من نومها ، لتحدِّق فى وجهه بذعر ، قبل ان تلقى نفسها بين ذراعيه ، وتنفجر بالبكاء ، هاتفة :

- إنه (محمود) يا (نور) .. (محمود) .. للمرة الثالثة اراه فى احلامى ، منذ عودتنا إلى الأرض .. إنه بحاجة إلى مساعدتنا يا (نور) .. يحتاج إلى من يعيده إلى عالمنا .

تنهَّد فى عمق ، وهو يضمها إلى صدره فى حنان ، ويربِّت على كتفها ، مغمغمًا :

- إنه مجرَّد حلم يا عزيزتى .

انتزعت نفسها من بين ذراعيه ، هاتفة :

- كلاَّ .. إنه ليس مجرَّد حلم .. إنها رؤيا يا (نور) .. (محمود) يحاول الاتصال بنا بوسيلة ما .. لا ينبغى ان نتخلَّى عنه يا (نور) .. لابد ان نبذل قصارى جهدنا من اجله .

تنهَّد مرة اخرى ، قبل ان يقول :

- اتتصوَّرين اننى لم احاول ؟!.. لقد شرحت كل ماحدث للدكتور (ناظم) ، فور عودتنا إلى الأرض ، وحاولنا البحث عن تفسير منطقى له ، ودرسنا كل

الاحتمالات الممكنة ، وكل التحليلات العلمية للموقف ، ولكن كل هذا قادنا إلى طريق مسدود .

هتفت معترضة :

- ومن قال : إن الحقيقة تكمن فى العلم وحده ؟!.. الم نواجه عشرات المواقف ، التى حطمت كل قواعد العلم ، واثبتت لنا ان الكون يحوى من الاسرار وغوامض الطبيعة ، ما يعجز العلم كله عن تفسيره ؟!

هزّ راسه فى اسف ، ثم تطلّع إلى عينيها مباشرة ، قائلاً :

- وما الذى يمكننا ان نفعله فى رأيك ؟!

اجابت فى سرعة :

- ان نبذل قصارى جهدنا لاستعادته .

سالها فى هدوء حزين :

- كيف ؟!

ارتبكت واضطربت ، وهى تبحث عن جواب ، قبل ان تنفجر باكية ، وتهتف :

- هناك وسيلة حتمًا .

هزّ كتفيه ، قائلاً :

- ربما .. ولكننا عجزنا تمامًا عن التوصّل إليها .

حدّقت فى وجهه لحظة ، بعينين تسبحان فى بحر من الدموع ، ثم لم تلبث ان القت نفسها بين ذراعيه ثانية ، وهى تبكى هاتفة :

- ياللمسكين !.. إنه وحيد هناك .. ياللمسكين !.

ضمّها إليه ثانية فى رفق ، وهمس :

- لا احد يدرى يا حبيبتى .. لا احد يدرى .. صحيح ان احلامنا جميعًا قد اتفقت فى الاونة الاخيرة ، على ان (محمود) يحاول الاتصال بنا لسبب ما ، ولكن حتى هذا لا يعنى انه على قيد الحياة بالفعل .. لقد وضع (رمزى) تفسيرًا علميًا لهذا ، واكّد لى انه من المحتمل ان يكون هذا مجرّد هلوسة جماعية .. شخص يحلم بـ (محمود) فى وقت يمر فيه الكل بازمة مشتركة ، ويروى حلمه للآخرين ، ثم يربطه بالامل فى الخروج من الأزمة ، فتنغرس الفكرة فى الأذهان ، ويحلم الكل بالحلم نفسه ، كلٌّ على طريقته وباسلوبه ، ثم نتصوّر بعد هذا ان ما يحدث حقيقى ، لمجرّد اننا مررنا به جميعًا .

تمتمت من وسط دموعها :

- اتعنى اننا نبنى صرحًا من الوهم ، ثم نحاول الاحتماء به ، وكانه حقيقة ؟!

ربّت عليها فى حنان ، مجيبًا :

- بالضبط .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انبعث ضوء قوى بغتة ، عبر نوافذ المنزل ، كما لو أن النهار قد طلع فجأة ، على نحو جعل (نور) يقفز من فراشه ، هاتفًا فى توتر :

- يا إلهى !.. ماذا حدث ؟!

لحقت به (سلوى) ، وهو يفتح النافذة ، وحدّق كلاهما فى بقعة الضوء القوى فى السماء ، والتى بدت اشبه بشمس إضافية ، اضاءت ذلك الجزء من الأرض كله ، ثم تراجعت (سلوى) ، مرتدّة فى توتر بالغ ، وبصوت شديد التهدّج :

- رباه !.. (محمود) .. (محمود) .

التفت إليها (نور) ، يسألها فى دهشة :

- وما صلة (محمود) بهذا ؟

اشارت إلى بقعة الضوء الكبيرة ، وهى تجيب بصوت مرتجف :

- لقد حذّرنى منها .. حذّرنى من تلك الشمس الجديدة ، التى تهدّد الأرض كلها بخطر رهيب .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يحدّق فى وجهها ، ثم عاد يتطلّع إلى تلك البقعة المضيئة ، وكلماتها تتردّد فى ذهنه بدوى هائل !.

خطر رهيب يتهدّد الأرض كلها ، بسبب تلك الشمس العجيبة ..

خطر رهيب ..

رهيب ..

وعلى الرغم من رفض العلم الشديد للفكرة ، امتلأت نفس (نور) بيقين تام بان ما رآه الجميع فى احلامهم لم يكن وهمًا ..

إنه (محمود) ، يسعى للاتصال بهم من عالم ما ..

ولتحذيرهم من خطر يتهدّد الأرض ..

خطر الشمس الجديدة ..

القاتلة ..

* * *

لوّحت (مشيرة) بذراعها كله ، وهى تهتف بزوجها (اكرم) فى انفعال :

- ظاهرة مدهشة بحق !.. لقد نجح فريقى فى تسجيلها لحظة فلحظة ، على الرغم من انبهار الجميع واضطرابهم امامها .. هل تتصوّر ان المصورين الضوئيين كان بإمكانهم التقاط صور واضحة ، بافلام ذات حساسية عادية ، دون الاستعانة بمصابيح إضاءة معاونة ، فى منتصف الليل ، كما لو كانوا فى وضح النهار ؟!.. لقد اكّد لى

أحد العلماء أن هذه الظاهرة لم تحدث سوى فى حادثة (سيبيريا) ، فى أوائل القرن الماضى(*) .

ثم توقفت عن الاستطراد ، وانعقد حاجباها فى شىء من الضيق ، قبل أن تكمل :

– (أكرم) .. هل سمعت كلمة مما قلت ؟!

كان (أكرم) يقف صامتًا ، أمام النافذة الكبيرة فى ردهة المنزل ، متطلعًا إلى السماء ، التى اختفت منها تلك الشمس المؤقتة ، وإن حملت وهجًا مستمرًا ، كما لو أن نيرانًا هائلة قد اندلعت عند أطراف الكون ، وعندما نطقت (مشيرة) عبارتها الأخيرة لم يحرك ساكنًا لبضع لحظات ، وكأنه لم يسمعها ، ثم لم يلبث أن تمتم ، دون أن يلتفت إليها :

– نعم يا (مشيرة) .. سمعتك جيدًا .

وصمت لحظة أخرى ، ثم أضاف فى شىء من الحنق :

(*) فى الساعة السابعة عشرة ، والدقيقة السابعة عشرة من صباح يوم ٣٠ يونيو ١٩٠٨ ، دوى انفجار هائل فى منطقة وادى نهر (تنجسقا) ، فى (سيبيريا) ، وشهد البعض كرة من النار تهوى على الأرض ، قبيل هذا بثوان معدودة ، ولقد أدت تلك الكارثة إلى دمار هائل ، لم يعرف العالم الحديث مثيلاً له ، فى كل الظواهر الطبيعية المسجلة ، ورجّح البعض أن الانفجار قد نشأ من نيزك ما ، أو من سفينة فضاء مجهولة .

– ولكن هذه الظاهرة تقلقنى بحق ، وتثير فى أعماقى مخاوف مبهمة ، تضاعف من عصبيتى وتوترى .

اقتربت منه فى بطء ، ووضعت يدها على كتفه ، قائلة :

– إنها ظاهرة عجيبة بالفعل ، وتثير اهتمام الجميع وقلقهم ، ولكنها تنحسر بسرعة كبيرة ، مما يبث فى النفوس بعض الطمأنينة ، ويبشّر الكلّ بأن الخطر محدود .

تمتم فى توتر ملحوظ :

– من يدرى ؟!

تطلّعت إليه فى قلق ، وهى تسأله :

– قل لى يا (أكرم) : ما الذى يقلقك إلى هذا الحد ؟

تنهّد فى عمق ، ثم هزّ رأسه ، متمتمًا :

– لست أدرى بالتحديد .. إنه مزيج من عدم الارتياح ، والقلق ، وشعور مبهم بالخطر .

ثم ابتسم فى سخرية ، وهو يستطرد :

– نفس غريزة الشعور بالخطر ، الكامنة فى أعماق الحيوانات البدائية ، وهذا يناسب طبيعتى الهمجية بالتأكيد .

انعقد حاجباها ، وهى تقول :

– الن تغفر لى هذا القول ابدًا ؟!.. انت تعلم اننى نطقته فى ظروف شديدة التوتر ، ولا يمكنك ان تحاسب شخصًا على ما تفوّه به فى أزمة طاحنة .

صمت لحظة ، ثم اجاب فى شىء من المرارة :

– المرء ينطق فى الأزمات بما يخفيه فى نفسه ، فى اوقات السلم .

اعتصر الألم صدرها ، وآلمها ان غرست فى اعماقه كل هذا القدر من المرارة ، فربّتت على ظهره ، متمتمة :

– (اكرم) .. لقد اعتذرت لك بالفعل عما قلته .

تمتم فى خفوت شديد :

– نعم .. اذكر هذا .

ثم انطلقت من اعمق اعماقه زفرة حارة ، وهو يستطرد فى عصبية مباغتة :

– يالحرارة الطقس .. من يصدّق ان ترتفع درجات الحرارة إلى اربعين درجة مئوية ، فى منتصف الشتاء ؟!

ادركت انه ينتزع نفسه من المناقشة بهذا القول ، ولم تشا إعادته إليها على الرغم منه ، فغمغمت فى ضيق :

– إنه ارتفاع غير طبيعى كما تعلم .. اقترن بتلك الظاهرة العجيبة

تمتم في شىء من العصبية :

– اتعشَم ان تكون الشىء غير الطبيعى الوحيد ، الذى يقترن بها .

انعقد حاجباها فى شدة هذه المرة ، وهى تساله :

– (اكرم) .. ما الذى يدور فى ذهنك بالضبط ؟

لاذ بالصمت لحظات جديدة ، وهو يتطلّع إلى الوهج فى الافق ، ثم همّ بقول شىء ما ، عندما ارتفع فجاة ازيز متقطّع ، من ساعة يده ، فتالقت عيناه فى انفعال عجيب ، ودبّ نشاط جمّ فى جسده ، وهو يعتدل ، قائلاً فى حماس :

– إن ساعة العمل قد دقّت يا عزيزتى .

وانحنى يطبع قبلة على وجنتها ، ثم اختطف سترته ، واندفع يغادر المنزل ، فهتفت به فى توتر :

– ابلغنى بكل ما تعرفه .

صاح ، وهو يعبر باب المنزل فى حماس شديد :

– مستحيل !

ثم وثب داخل سيارته ، وانطلق بها على الفور ، مستطردًا :

– هذا يخالف تعليمات العمل .

كان يتمنى الانطلاق باقصى سرعة ، متجاوزًا كل إشارات وقواعد المرور ، ليصل إلى مقر قيادة

المخابرات العلمية في لمح البصر ، إلا ان الأوامر المشددة ، التي يلتزم بها كل العاملين في هذا الجهاز الأمني ، البالغ الحساسية والخطورة ، كانت تمنعه من هذا ، وتحتم عليه طاعة اوامر وتعليمات الأمن العام ، باعتباره قدوة لكل مواطن صالح ، مما اضطره إلى الاحتمال والصبر ، طوال عشرين دقيقة كاملة ، حتى بلغ المقر ، وهناك استقبله رئيس الأمن ، وهو يقول في لهفة :

- مرحبًا يا سيِّد (اكرم) .. ارجو ان تعاوننا في إنهاء إجراءات الأمن بسرعة كافية ، فالقائد الأعلى ينتظرك مع المقدَّم (نور) على احرّ من الجمر .

بُهِتَ (اكرم) للعبارة ، وحدَّقَ في وجه رئيس الأمن في دهشة ، قائلاً :

- هل تعني انني سالتقي بالقائد الأعلى هذه المرة ؟

دفعه رئيس الأمن نحو جهاز الفحص الأمني ، وهو يقول :

- بالتاكيد يا سيِّد (اكرم) .. إنهما ينتظرانك بالفعل منذ ما يقرب من نصف الساعة ، ومن الواضح ان الأمر عاجل وهام وخطير .

وحمل صوته حزم رجل خبر هذا النوع من العمل وهو يضيف :

- خطير للغاية ..

* * *

التقط القائد الأعلى نفسًا عميقًا ، ملأ به صدره ، ثم اطلقه كزفرة حارة ملتهبة ، قبل ان يتطلَّع إلى (نور) و (اكرم) ، قائلاً :

- الأمر بالنسبة للعامة لا يعدو حدوث ظاهرة طبيعية ، اضاءت السماء في قلب الليل ، واطلقت موجة حارة محدودة ، ثم راحت تنحسر في سرعة ، لتعود الأمور كلها إلى طبيعتها الأولى ، اما بالنسبة لنا ، فالأمر يختلف تمامًا ، إذ إن هذه الظاهرة تسبَّبَت في تدمير قاعدة القمر عن آخرها ، بكل من عليها وما عليها ، وكادت تخرج القمر نفسه عن مداره الطبيعي ، وتدفعه نحو الأرض ، لولا رحمة الخالق (عزَّ وجلَّ) .. ولقد قدَّر الخبراء قوة ذلك الانفجار بما يعادل ستة آلاف قنبلة نووية(*) من

(*) القنبلة النووية : سلاح ينفجر عن طريق تفاعل نووى انشطارى متسلسل ، تم استخدام تجاربه الأولى في الحرب العالمية الثانية في (هيروشيما) ، في السادس من أغسطس عام ١٩٤٥ م ، وهو يعطي طاقة هائلة ، وموجة تضاغط رهيبة ، بحيث تكفي القنبلة الواحدة لتدمير ثلثي مدينة مثل (القاهرة) في دقائق معدودة .

الطراز المعدَّل ، الذى يفوق مثيله من القنابل النووية فى القرن العشرين بعشر مرات تقريبًا ، ولا أحد يدرى من اين ولا كيف حدث انفجار هائل كهذا ، دون إنذار مسبق ، ولا ريب عندنا فى ان السر كله يكمن فى أعماق واطلال قاعدة القمر ، التى تلقَّت القسم الأكبر من الصدمة التضاغطية له .

ساله (نور) فى اهتمام :

- الم ترسل قاعدة القمر اية رسائل او إشارات إلى القاعدة الأرضية الرئيسية ، قبل حدوث الانفجار ؟

هزَّ القائد الأعلى راسه نفيًا ، وهو يجيب :

- مطلقًا .. يبدو ان الامور قد تطوَّرت بسرعة ، حتى انهم لم يجدوا وقتًا لإبلاغ القاعدة الأرضية ، او انهم لم يتوقَّعوا ان تتطوَّر الأمور إلى هذا الحد ..

مط (أكرم) شفتيه ، وقال :

- ولماذا لا نفترض ان الانفجار قد باغتهم كما باغتنا ؟!.. اعنى انهم لم ينتبهوا إلى حدوث اى امر عجيب ، حتى حدث الانفجار .

صمت القائد الأعلى لحظات مفكرًا ، ثم اجاب فى حزم :

- كلاَّ .. يمكنك استبعاد هذا الاحتمال تمامًا ،

فالمهمة الرئيسية لقاعدة القمر ، هى حماية الحدود الفضائية للارض ، ومراقبة اية تغيرات غير طبيعية ، تحدث فى نطاق هذه الحدود ، والأجهزة التى زوِّدت بها القاعدة تكفى ، مع الدوريات الفضائية ، لكشف اى جسم يعبر الحدود الفضائية ، حتى لو كان فى حجم مركبة صغيرة ، وهو اقل حجم يمكن ان يحوى مادة شديدة الانفجار ، كتلك التى احدثت الظاهرة ، التى اطلقنا عليها اسم (ظاهرة الشمس الغامضة) ، وهذا يعنى ان قاعدة القمر قد انتبهت إلى وجود جسم ما ، داخل النطاق الفضائى الذى تراقبه ، وانها قد حاولت التعامل معه مباشرة ، او من خلال إحدى دورياتها الفضائية ، وهذا هو الأرجح ، نظرًا لبعد مركز الانفجار عن القاعدة ، ويعتقد خبراؤنا ان التعامل قد تمَّ بين الدورية السابعة وذلك الجسم ، وان الانفجار قد حدث كنتيجة لهذا التعامل ، ولكن كل هذا مجرَّد افتراضات منطقية ، لا تستند إلى دليل مادى واحد .

غمغم (اكرم) فى شىء من الحماس :

- اعتقد ان مهمتنا هى البحث عن هذا الدليل المادى .

رمقه القائد الأعلى بنظرة صارمة ، دون ان يعلِّق

على عبارته ، ثم تابع فى حزم :

– المشكلة الحقيقة ، التى تواجهنا الآن هى معرفة السبب الحقيقى لمثل هذا الانفجار ، الذى لم ترصد اجهزتنا مثله قط ، فى تلك المنطقة القريبة نسبيًا من الأرض ، وتحديد العوامل التى ادّت إلى حدوثه ، حتى يمكننا معرفة ما قد يحمله لنا المستقبل ، كنتيجة لما حدث ..

اعتدل (نور) ، وهو يساله :

– وما الذى يتوقعه الخبراء يا سيّدى ؟

التفت إليه القائد الأعلى ، مجيبًا فى توتر :

– بل قل : ما الذى يخشونه يا (نور) ؟!

وعاد يلتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يتابع :

– الواقع ان اكثر ما يخشاه العلماء او يقلقهم بشدة ، هو احتمال ان يكون ذلك الانفجار الهائل قد حدث قبل موعده ، او قبل أن يبلغ هدفه الرئيسى .

انعقد حاجبا (اكرم) فى شدة ، وهو يسال فى حذر :

– وما هدفه الرئيسى بالضبط ؟

كان يعلم الجواب مسبقًا ، قبل حتى أن ينطق سؤاله ، إلا انه ، وعلى الرغم من هذا ، انتفض فى عنف ، عندما أجابه القائد الأعلى فى حزم :

– الأرض .

سرت قشعريرة باردة فى جسد (نور) ، وانعقد حاجباه بدوره ، وهو يقول فى انفعال :

– رباه !.. لو أن هذا الافتراض صحيح ، فالأمر بالغ الخطورة بالفعل .

اوما القائد الأعلى براسه موافقًا ، وهو يقول :

– بالتاكيد يا (نور) ، فلو ان ذلك الانفجار حدث عند ارتطام الجسم المسبّب له بالأرض ، لكان كفيلاً بنسفها عن آخرها ، وحذفها من المجموعة الشمسية إلى الأبد(*) .. وهذا يثير فى قلوبنا سؤالاً آخر .. اهذا هو الانفجار الأخير ؟!.. أو بمعنى ادق .. من يضمن لنا أن الذين ارسلوا إلينا تلك القنبلة المدمِّرة لن يبادروا بإرسال اخرى ، بعد فشل محاولتهم الأولى ؟

سال (اكرم) فى توتر بالغ ، وقد ادرك مدى خطورة الأمر :

– وكيف يمكن حسم هذا الأمر ؟!

(*) المجموعة الشمسية : تتكوّن من الشمس ، وما يدور فى فلكها وحولها من كواكب وكويكبات واقمار ومذنبات وشهب ، ومجموعتنا الشمسية تضمّ : (عطارد) ، و (الزهرة) ، و (الأرض) ، و (المريخ) ، و (المشترى) ، و (زحل) ، و (اورانوس) ، و (نبتون) ، و (بلوتو) ، بترتيب بُعد الكواكب عن الأرض .

اجابه القائد الأعلى فى سرعة :

- بمعرفة ما حدث بالضبط .. وما الذى سجّلته القاعدة القمرية .

هزّ (اكرم) راســـه ، وهو يقــول فى شىء من العصبية :

- وكيف السبيل إلى هذا ؟ .. لقد اخبرتنا منذ قليل ان الانفجار نسف القاعدة القمرية نسفًا ، بكل من عليها وما عليها !!

اشار القائد الأعلى بسبّابته ، قائلاً :

- فيما عدا كرة المعلومات .

ردّد (اكرم) فى حيرة وتساؤل :

- كرة المعلومات ؟!..

اجابه القائد الأعلى :

- نعم يا (اكرم) .. إنها كرة صغيرة ، فى حجم الكرة المستخدمة فى لعبة التنس(*) ، وهى اشبه بالصندوق الأسود ، الذى كانت تحمله الطائرات فى الماضى ، ولها نفس مهمته ، الا وهى تسجيل كل

(*) التنس : رياضة واسعة الانتشار تصلح للجنسين ، ولمختلف الأعمار ، وتمارس على ملعب صغير ، ارضيته مدكوكة او جامدة او خشبية ، او مزروعة بالنجيل ، وذلك فى الهواء الطلق ، او داخل جدران ، ولقد تم إدراج اللعبة فى بعض الدورات الأوليمبية ، ثم حذفت منها بعد دورة (باريس) ١٩٢٤م

ما تمرّ به القاعدة القمرية دقيقة بدقيقة ، وتخزينه على أسطوانات كمبيوتر مدمجة صغيرة ، يمكن العودة إليها فى اية لحظة ، لمعرفة اتصالات القاعدة ، وتحركاتها ، وكل ما صدر داخلها من اوامر ، فى اى وقت من الأوقات ، وكرة المعلومات هذه مثل الصندوق الأسود ، مصنوعة من مادة شديدة المقاومة للانفجارات ، بحيث تبقى سليمة ، حتى ولو تعرّض المكان كله لكارثة طبيعية او صناعية ، حتى يمكننا معرفة الأسباب التى ادّت إلى ماحدث .

هتف (اكرم) :

- هل تعنى ان كرة المعلومات هذه قد بقيت فى قاعدة القمر ، بعد ان تم تدميرها بالكامل ؟!

اشار القائد الأعلى بسبّابته مرة ثانية ، قائلاً :

- بالضبط .. إنها مصمّمة بحيث يحتاج الأمر إلى انفجار نووى مباشر لانتزاعها من مكانها ، وهذا يعنى انها مازالت فى موقعها بنسبة تسعة وتسعين فى المائة ، وكل المطلوب هو ان ينطلق البعض إلى القمر لاستعادتها .

قال (نور) فى عزم :

- ايعنى هذا ان الاختيار قد وقع علينا ، (اكرم) وانا ، للقيام بهذه المهمة ؟!

أوما القائد الأعلى برأسه إيجابًا ، وقال :

- بالضبط .. ولكنكما لن تكونا وحدكما فى هذا الأمر ، فالمهمة ليست أبدًا بالبسيطة ، إذ إننا نجهل تمامًا ما حدث هناك ، وما يمكن أن تتطوّر إليه الأمور فيما بعد ، لذا فقد عقد مجلس التعاون الفضائى اجتماعًا طارئًا فجر اليوم ، واتخذ قراره بإرسال فريق خاص لبحث الأمر ، مع كل الاستعدادات اللازمة للتصدّى لأى تطوّر محتمل ، وبناء على ما اتخذه المجلس من قرارات ، تم إسناد قيادة هذه الحملة لك يا (نور) ، كما أصبح (أكرم) مسئول الأمن الخاص للفريق .

بدا مزيج من التوتر والاهتمام والجدية على وجه (نور) ، فى حين امتلأت نفس أكرم بالفخر والزهو ، وقال فى حماس :

- سنبذل قصارى جهدنا يا سيّدى .

أوما القائد الأعلى برأسه متفهمًا ، وقال :

- هذا ما أتوقّعه منكما ، وما ينبئ به تاريخكما ، ولكننى أريد أن تدركا أن هذه المهمة ستحمل الكثير من التعقيدات ، وخاصة لأن فريقكما سيضمّ اثنين من الروس ، ومثلهما من الأمريكيين ، بالإضافة إلى ضابط ألمانى ، وثلاثة من الأشقاء العرب ، ثم إن

النتائج التى ستسفر عنها المهمة قد يتوقّف عليها مصيرنا جميعًا .. بل مصير الأرض كلها .

دوّت العبارة فى آذان (نور) و (أكرم) ، وشعر كل منهما بمسئولية هائلة تثقل كاهله ..

مسئولية تعنى مصير كوكب الأرض بكل ما عليه ..

ومن عليه .

* * *



٣ - القمر..

« من مكوك الفضـــاء (القــاهرة - ٢٠٠٠) إلى القاعدة الأرضية .. وصلنا إلى مدار القمر ، ونستعد للهبوط على سطحه بعد ست عشرة دقيقة من الآن .. » .

تردد ذلك النداء داخل حجرة الاجتماعات الخاصة في المكوك ، في نفس اللحظة التي تم بثه فيها إلى الأرض ، واستمع إليه المجتمعون في صمت ، قبل ان يقول (نور) في حزم :

- كما سمعتم أيها السادة .. سنهبط على سطح القمر (بإذن الله) ، بعد ست عشرة دقيقة ، وعندئذ تبدأ مهمتنا ، ولقد اجتمعت بكم الآن ؛ لتحديد أهداف هذه الحملة بالضبط .. لقد أتينا إلى هنا لعدد من الأسباب .. أهمها استعادة كرة المعلومات ، ومعرفة ما حدث بالضبط ، وما أدى إلى حدوث هذه الكارثة الفضائية الرهيبة ، التي تعدّ الأولى من نوعها ، منذ بدأ عصر الفضاء في القرن الماضي(*) ، وعلينا أيضًا أن ندرس ما أصاب القاعدة القمرية ، وأن نجمع كل

(*) يقدّر بعض العلماء بداية عصر الفضاء برحلة السوفيتي (جاجارين) ، الذي كان أول بشري يصعد إلى الفضاء ، بالسفينة (فوستوك - ١) في (١٢ أبريل ١٩٦١ م) ، ولقد استغرقت رحلته ساعة و ٤٨ دقيقة بالضبط .

ما يمكننا من معلومات وعينات ، ليعاد فحصها ودراستها في معامل الأبحاث الأرضية ، ومن هنا أيضًا ، وفي الجانب المظلم من القمر بالتحديد ، وهو الجانب الذي لا تراه الأرض قط(*) ، سنبدأ عملية رصد للظاهرة ، نظرًا لأن مركز الانفجار مازال غامضًا لا يبعث أي نوع من النشاط الإشعاعي مما يثير اهتمام علمائنا وقلقهم ..

ومن الطبيعي أيضًا أننا سنطلق مركبة فضائية لفحص ذلك المركز عن قرب ، مع اتخاذ كل الاحتياطات الخاصة بتأمينها هناك .. أما آخر سبب لوجودنا هنا ، فهو البحث عن احتمالات وجود أحياء بين حطام القاعدة القمرية ، و ...

قاطعه صوت أجش ، يقول بالروسية :

- هراء .

التفت الجميع إلى الروسي (فيدور نازسكي) ، الذي مطّ شفتيه ، مستطردًا :

- بعد كارثة كهذه ، أعتقد أنه من السخرية أن نأمل في وجود أحياء هنا .

(*) بسبب دوران القمر حول الأرض ، ومساره المحدود ، فإنه يواجه الأرض دائمًا بأحد نصفيه ، في حين يظل النصف الآخر مختفيًا باستمرار .

قال (اكرم) فى صرامة :
- لا يمكننا إهمال هذا الاحتمال .
اجابه (نازسكى) فى غلظة قاسية :
- بل ينبغى أن نتجاهله تمامًا ، فلو افترضنا جدلاً ، وهذا افتراض مضحك فى رأيى ، أن بعضهم قد نجا من كارثة رهيبة ، سحقت القاعدة سحقًا ، فكيف نتوقع ان يظلّ هذا البعض على قيد الحياة ، بعد ثلاثة ايام من حدوثها ؟!
تبادل الجميع نظرة متوترة ، وكأنما احدث قوله فعله فى نفوسهم ، ولكن (نور) اجاب فى حزم :
- إنه مجرّد احتمال ، ولن نتجاهله ، لأنه جزء اساسى من برنامج الرحلة .
مطّ (نازسكى) شفتيه ، وقال :
- فليكن .. ارهقوا انتم انفسكم فى دراسة هذا الاحتمال السخيف ، اما انا فساكتفى بالبحث عن كرة المعلومات وحدها .. هذا هو الهدف الرئيسى فى رايى .
انعقد حاجبا (نور) فى صرامة شديدة ، وهو يقول :
- مهلاً يا سيّد (نازسكى) .. من الواضح انك لم تفهم او تستوعب بعد موقعك فى هذه الحملة .. إنك

هنا ، ومهما بلغت رتبتك فى موطنك ، مجرّد جندى ، عليك أن تطيع كل مايصدر إليك من اوامر ، وأن تؤدّى كل ما يسند إليك من مهام .. هل يمكنك استيعاب هذا ؟
التقى حاجبا (نازسكى) الكثين ، ومطّ شفتيه فى امتعاض ، وهو يشيح بوجهه غاضبًا ، دون ان يعلّق على عبارة (نور) ، فى حين اندفع الأمريكى (ستيف واتسن) يقول :
- انا ايضًا لدىّ اعتراض .
ساله (اكرم) فى شىء من الضجر :
- على النقطة نفسها .
اجابه (واتسن) فى حدة :
- كلاً ، ولكن على استئثار المصريين بكل المراكز القيادية هنا .. إنكم تراسون الحملة ، وتتولون مسئولية الأمن ، وقيادة المكوك ، فما الذى تبقّى لنا ؟
احتقن وجه (اكرم) ، وهمّ بقول عبارة عصبية ، لولا ان سبقه (نور) ، وهو يقول فى صرامة :
- كم يدهشنى قولك هذا يا سيّد (واتسن) ؟!.. هل نسيت أن قاعدة القمر ، التى دُمّرت عن آخرها ، كانت بكل ما عليها ومن عليها ، مصرية خالصة ؟!
هزّ (واتسن) كتفيه ، قائلاً :

- ولكن الكارثة عالمية .
اجابه (اكرم) فى حدة :
- والمجلس الذى اقرّ هذه المناصب واعتمدها عالمى ايضًا ..
قال (واتسن) فى حدة مماثلة :
- ربما ، ولكنه وضع فى اعتباره ..
قاطعه (نور) بإشارة صارمة ، وهو يقول :
- مهلاً إيها السادة .. لسنا هنا لمناقشة امور تم إقرارها بالفعل .. إننا هنا لتنفيذ ما لدينا من مهام فحسب ، وبناء على هذا ، فسنغلق باب المناقشة فى هذا الموضوع ، وسنستعد جميعًا لبدء المهمة ، فور هبوطنا على سطح القمر .
ثم اشار بسبّابته مستطردًا :
- سننقسم إلى ثلاث فرق بحث ، وفرقة لإعداد مركبة الفضاء ، التى ستنطلق إلى مركز الانفجار وحراسة المكوك .. وستتكوّن الفرقة الأخيرة من اربعة رجال .. (غسان) و (سليم) ، والامريكى (بل كيندرمان) ، والألمانى (فردريش اوتو) .. اما فرق البحث الثلاث ، فستتكوّن كل منها من اثنين .. (ناتاشا كوربوف) و (فيدور نازسكى) فى الفرقة الاولى ، و (خالد) و (ستيف واتسن) فى الفرقة الثانية ، و (اكرم) وانا فى الفرقة الثالثة ..

وسنبدا عملية البحث فى ثلاث محاور فى آن واحد ، وسنلتقى مرة ثانية عند المكوك ، بعد ساعتين من الآن .
وشدّ قامته ، وهو يعتدل مضيفًا فى حزم :
- وليعلم الجميع ان التآزر وطاعة الأوامر امر حتمى ، منذ هذه اللحظة ، وإلا فقد تصبح النتائج وخيمة للغاية .
اطلق (نازسكى) ضحكة ساخرة مبتورة ، قبل ان يقول :
- ومن ادراك ان النتائج لن تصبح وخيمة ، دون ان يكون لنا شان فى هذا ؟!
سالته زميلته (ناتاشا) فى قلق :
- ماذا تعنى بالضبط ؟!
اشار بيده إلى اعلى ، قائلاً فى حدة :
- اعنى من ادراكم اننا لن نذهب بدورنا ضحية كارثة جديدة ؟!
هبط قوله على الجميع كالصاعقة ، فتبادلوا نظرات ملؤها التوتر والقلق ، وتفجّر فى رءوسهم السؤال نفسه ..
نعم .. من يدرى ان كارثة جديدة لن تحدث ؟!..
من ؟!..

* * *

التقى حاجبا القائد الأعلى فى توتر بالغ ، وهو يراجع الصور التى قدمها له الدكتور ناظم ، قبل ان يرفع عينيه إلى هذا الأخير ، متسائلاً :

– ولماذا تقلقكم هذه الصور بالضبط يا دكتور (ناظم) ؟!.. إنها تبدو لى مجرد صور فلكية لمركز ذلك الانفجار الغامض !!

اشار الدكتور (ناظم) إلى الصور ، قائلاً :

– هذا صحيح يا سيدى ، ولكن إلى اى مواقع تلك الصخور الفضائية حول المركز ؟ إنها تتغير فى كل لقطة عن الأخرى ، ثم إن بعضها قد اختفى فى اللقطات الأخيرة .

راجع القائد الأعلى الصور مرة اخرى ، قبل ان يسال فى حذر قلق :

– وما الذى يمكن ان يعنيه هذا ؟.. اليس من الطبيعى ان يتغير موضع تلك الأحجار الفضائية باستمرار ؟!.. إنها مجرد شظايا متناثرة ، لا يستقر لها مقام قط ، وهى لا تمثل خطرًا كبيرًا للملاحة الفضائية فى الواقع .

لوح الدكتور (ناظم) بيده ، قائلاً :

– ولكن كيف اتت إلى هذا الموقع بالذات ؟!.. المفترض ان الانفجار قد ادى إلى موجة تضاغطية

عنيفة ، كادت تخرج القمر نفسه عن مساره ، فكيف لم تلق تلك الصخور والشظايا الصغيرة بعيدًا ؟!

انعقد حاجبا القائد الأعلى فى شدة ، وهو يغمغم :

– حقًا ! .. كيف لم يحدث هذا ؟!

التقط الدكتور (ناظم) نفسًا عميقًا ، وقال :

– لقد درسنا هذا الأمر ، وتوصل احد علمائنا إلى ان التفسير الوحيد لوجود الصخور والشظايا الصغيرة فى هذه المنطقة ، هو انها قد انجذبت إلى هناك ، من خلال موجة تخلخل قوية ، اعقبت موجة التضاغط ، التى احدثها الانفجار .

قال القائد الأعلى فى بطء :

– وهل بدا هذا التفسير منطقيًا ؟!

اوما الدكتور (ناظم) براسه إيجابًا ، قبل ان يقول فى انفعال :

– فى البداية فحسب ، وحتى اعاد عالم اخر دراسة الصور ، ثم خرج بتفسير اخر ..

وارتجف صوته ، وهو يضيف :

– تفسير مخيف للغاية .

ردد القائد الأعلى ، وقد تضاعف توتره :

– مخيف ؟!

اجابه الدكتور (ناظم) :

- وللغاية أيها القائد الأعلى ..

قالها ، وأخرج من حقيبته جهاز عرض للشرائح المصوَّرة ، وأوصله بالكمبيوتر ، ثم ضغط زرًا ، فظهرت الصور الفلكية على شاشة الكمبيوتر ، وهو يقول :

- لقد رتَّب العالم هذه الصور ، وعرضها فى تتابع منتظم على هذا النحو .

راحت الصور تتعاقب على الشاشة ، فى تتابع منتظم ، فبدا تغير مواضع الصخور الفضائية والشظايا الصغيرة واضحًا ، مما جعل القائد الأعلى يغمغم :

- إنها تغير مواضعها بالفعل .

أشار إليه الدكتور (ناظم) ، قائلاً :

- ليس هذا فحسب .. انتظر حتى يتم عرض الصور بنفس التتابع ، ولكن بسرعة أكبر .

وبضغطة زر أخرى ، بدأ الكمبيوتر يعرض الصور بالسرعة الزائدة ، و ...

واتسعت عينا القائد الأعلى فى ارتياع ..

فأمام عينيه ،على شاشة الكمبيوتر ، بدا مشهد واضح لدوَّامة قوية ، فى قلب الفضاء ، تجذب إليها الصخور والشظايا الصغيرة ، نحو بقعة شديدة

السواد ، ثم تبتلعها تمامًا ..

وفى ذعر ، هتف القائد الأعلى :

- ما هذا بالضبط ؟!

أجابه الدكتور (ناظم) بصوت مرتجف ، من فرط الانفعال :

- دوَّامة أيها القائد الأعلى .. دوَّامة تنشأ فى مركز الانفجار ، وتجذب إليها كل ما حولها من أجسام صغيرة .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

- كمرحلة أولى .

تراجع القائد الأعلى بمقعده فى توتر بالغ ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يشير إلى شاشة الكمبيوتر ، قائلاً :

- أتعنى أن هذا الشىء يمكن أن يتطوَّر ؟

أومأ الدكتور (ناظم) برأسه إيجابًا ، وقال :

- أكثر من سبعين فى المائة من علمائنا رجَّحوا هذا .. لقد تسبَّب الانفجار الهائل فى حدوث فجوة ما ، فى أعماق الفضاء ، وكما يحدث عندما تنتزع سدادة الحوض ، فقد أدى حدوث هذه الفجوة إلى تكوَّن دوَّامة فضائية ، آخذة فى الاتساع ، وستتضاعف قوة جذبها لما حولها بالتدريج ، حتى

انها ستصبح قادرة على ابتلاع القمر نفسه بعد فترة وجيزة ، ثم ..

بتر عبارته بغتة ، وحملت ملامحه توترًا بالغًا ، جعل القائد الأعلى يتمتم :

– ثم ماذا ؟!

ارتجف صوت الدكتور (ناظم) فى شدة ، وهو يجيب :

– ثم يأتى دور الأرض .

وفي هذه المرة ، ارتجفت كل ذرة فى كيان القائد الأعلى ..

ارتجفت بحق ..

* * *

« هذا الأمر لا يروق لى .. »

غمغم (اكرم) بالعبارة فى حنق ، وهو يعبر مع (نور) احد الممرات نصف المتهدّمة ، فى أطلال قاعدة القمر ، ولوّح بذراعه فى بطء ، داخل زيه الفضائى ، مستطردًا :

– كان ينبغى أن نحضر وحدنا إلى هنا ، بدون هؤلاء المزعجين ، الذين يشعلون قضايا تافهة ، فى ظروف كهذه .

تجاوز (نور) قطعة من الحطام ، وهو يقول :

– لم يكن من الممكن ان نفعل ، فمجلس التعاون الفضائي لا يضمنا وحدنا ، بل يضمّ الروس والأمريكيين والأوروبيين ايضًا ، وكان من المحتم ان ينضمّ إلى حملتنا ممثلون لكل فئة .

مطّ (اكرم) شفتيه ، متمتمًا :

– ولكننى لا اشعر بالارتياح ، إلا عندما نتولى الأمر وحدنا .

هزّ (نور) كتفيه ، قائلاً :

– للضرورة احكام .

عاد (اكرم) يمطّ شفتيه ، واضاء مصباحه اليدوى الصغير ، عبر تلك المنطقة المظلمة من الممر ، وهو يسأل (نور) :

– انت واثق من اننا نتخذ الطريق الصحيح ، الذى يقودنا إلى تلك الكرة ؟

اومأ (نور) برأسه ، قائلاً :

– بالطبع .. إننى احفظ موقعها عن ظهر قلب .

سأله فى حيرة :

– لماذا لا يعلم به الآخرون إذن ؟!

ابتسم (نور) ، وهو يجيب :

– لأن هذا الموقع سرى للغاية يا صديقى .. لا يجوز ابدًا ان يعرف اى مخلوق موقع كرة

المعلومات .. حتى العاملون فى القاعدة يجهلون هذا الموقع ، إلا اصحاب الرتب الكبيرة منهم ؛ لأن تلك الكرة تحوى فى المعتاد ادق اسرار القاعدة ، وكل تفاصيل اتصالاتها ورسائلها ، وحتى تحركاتها ، ومن الخطر .. كل الخطر ، أن يحصل اى شخص علي تلك المعلومات .

انعقد حاجبا (اكرم) ، وهو يقول :

- لماذا اصطحبنا هؤلاء معنا إذن ؟!

تنهّد (نور) ، مجيبًا :

- أخبرتك أن هذا حتمى ، وأن ..

قاطعته شهقة مكتومة من (اكرم) ، نقلتها اجهزة الاتصال المحدودة ، فالتفت إليه فى سرعة ، هاتفًا :

- ماذا هناك ؟

اشار (اكرم) إلى جثة أحد العاملين بالمحطة ، وهو يجيب فى عصبية :

- لا تقلق نفسك .. إنه مجرّد انفعال بدائى .. يبدو اننى لن اعتاد ابدًا مرأى جثث هؤلاء المساكين ، المتناثرة فى كل مكان هنا .

اشاح (نور) بوجهه فى مرارة ، قائلاً :

- كانت كارثة رهيبة بحق .

تمتم (اكرم) :

- هذا يبدو واضحًا .

كان من الواضح انهما قد تأثرا كثيرًا بذلك المشهد ، فقد لاذا بالصمت لفترة بعده ، وهما يقطعان الممر الطويل ، وينحرفان منه إلى ممر آخر ، ثم يهبطان بضع درجات فى سلم قصير ، قبل ان يتوقفا امام باب معدنى كبير ، اشار إليه (نور) مغمغمًا :

- ها هى ذى !

ساله (اكرم) فى لهفة واهتمام :

- الكرة هنا ؟!.. اين هى ؟

اجابه (نور) ، وهو يقترب من ذلك الباب الكبير :

- خلف هذا الباب .

تطلّع (اكرم) إلى الباب فى حيرة ، وبحثت عيناه عن مقبض ، او رتاج ، او اجهزة كمبيوتر ، او حتى فجوة لبطاقة مغنطيسية ، يمكن استخدامها لفتحه ، ثم لم يلبث ان شعر بمزيج من الحيرة والحنق ، جعله يقول فى عصبية :

- وكيف يمكننا عبور ذلك الباب ؟!

اجابه (نور) ، وهو يخرج من حزام زيه الفضائى جهازًا صغيرًا ، فى حجم ساعة يد عادية :

- إنه باب خاص ، مزوّد بنظام امنى حديث ، شديد التعقيد ، ولا يمكن فتحه إلا باستخدام هذا



ثم يهبطان بضع درجات فى سلم قصير ،
قبل أن يتوقفا أمام باب معدنى كبير ..

الجهاز الذى يحوى شفرة كمبيوتر سرية للغاية ، يستحيل التقاطها أو تسجيلها ، أو تقليدها .

تطلَّع (أكرم) إلى الجهاز الصغير فى يد (نور) ، ثم قال فى توتر :

- قل لى يا (نور) : لماذا تضعوننى دائمًا فى خانة الأشخاص ، الذين لا يحق لهم معرفة أية تفاصيل ، إلا عند الضرورة القصوى ؟!

هزَّ (نور) كتفيه ، والصق الجهاز بالباب الكبير ، قائلاً :

- أنت وحدك تتصوَّر هذا .

هتف (أكرم) مستنكرًا :

- أنا وحدى ؟!.. تقول : أنا وحدى ؟!.. عجبًا !.. ألم تنتبه إلى أن هذا يتكرَّر فى كل مرة ؟!

لم يلتفت إليه (نور) ، ولم يبد حتى أنه يشعر بوجوده ، أو أنه قد سمع حرفًا واحدًا مما قاله ، وهو يضغط أزرار الجهاز فى دقة وسرعة ، ثم ينتظر ..

ولثوان ، لم يبد الباب أية استجابة لإشارة الجهاز ، ثم لم يلبث أن اهتزَّ قليلاً ، وتحرك لبضعة سنتيمترات ، و ...

وكفى ..

توقَّف بغتة ، دون أن يواصل طريقه ، وتجمَّد فى

مكانه ، كما لو ان الإشارة السرية لم تكتمل ..

وفي توتر شديد ، قال (اكرم) :

– ما الذي حدث بالضبط ؟!.. لماذا يرفض هذا الباب اللعين الاستجابة ؟!

عاد (نور) يلصق الجهاز الصغير بالباب ، ويضغط ازراره في سرعة ، وهو يقول في قلق واضح :

– لست أدرى بالضبط .. المفترض ان الإشارة السرية سليمة تمامًا ، ولقد استجاب لها الباب بالفعل في البداية ، ولست أدرى لماذا لم يكمل طريقه بعدها !!

قال (اكرم) في اهتمام :

– ربما يحتاج إلى طاقة محركة ، ويفتقر إليها ، بعد تدمير القاعدة .

رفع (نور) مصباحه اليدوى إلى اعلى ، وهو يقول :

– كلاً .. لو ان الأمر كذلك لما تحرك من البداية ، ولما ..

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه في شدة ، قبل ان يقول :

– آه .. هذا هو السبب .

رفع (اكرم) عينيه بدوره ، ورأى جزءًا منهارًا من سقف المكان ، يعوق مسار الباب ، فتمتم :

– من حسن الحظ ان هذا هو السبب .

اخرج (نور) مسدسه الليزرى ، وصوبه إلى ذلك الجزء المنهار ، وهو يبعد (اكرم) عن المكان ، قائلاً :

– احترس .. ساطلق الأشعة نحوه .

وضغط زناد مسدسه ، وانطلق خيط الأشعة نحو السقف المصقول ، واصاب الجزء المنهار منه ، ثم انعكس على جدران الممر ، التي تالّقت بفعله ، و ...

وعلى الضوء المباغت ، اتسعت عينا (اكرم) في شدة ..

لقد وقع بصره على رجل في زى فضائي مشابه لزيه ، ينقضّ عليه حاملاً مطرقة ضخمة ..

مطرقة تكفي لتحطيم خوذته ، و ...

وقتله ..

وسط اطلال قاعدة القمر ..

* * *

اندفع احد مساعدى الدكتور (ناظم) إلى مكتب هذا الأخير ، وهو يلوّح بورقة في يده ، قائلاً في اضطراب :

– سيّدى .. اجهزتنا اعترضت بثًا لاسلكيًا ، من مكوك الفضاء (القاهرة – ٢٠٠٠) إلى الأرض .

انعقد حاجبا الدكتور (ناظم) ، وهو يغمغم فى دهشة :

- اعترضت ؟!.. ولماذا تعترض اجهزتنا بثًا لاسلكيًا من المكوك ؟!.. لماذا لم تستقبله على نحو طبيعى ؟!

اجابه الرجل فى توتر :

- لان ذلك البث لم يكن موجهًا إلينا يا سيدى .. لقد استخدم موجة اخرى ، بخلاف الموجة الرئيسية ، وكانما يحاول مرسله تمريره ، دون ان ننتبه إليه ، ولقد استخدم شفرة خاصة ايضًا .

انغرست العبارة الاخيرة فى راس الدكتور (ناظم) كخنجر مسموم ، فانتفض جسده فى عنف ، هاتفًا :

- شفرة خاصة ؟!.. ولماذا يبث شخص ما رسالة بشفرة خاصة من المكوك ؟!

ناوله الرجل الورقة ، وهو يقول :

- لقد بذلنا جهدًا حقيقيًا لفك الشفرة ، ولكنك لو قرات الرسالة ، فستدرك لماذا فعل مرسلها هذا ؟

التقط الدكتور (ناظم) الورقة فى قلق ، وراح يلتهم محتوياتها بعينيه فى لهفة ، قبل ان يهتف فى ارتياع :

- رباه !.. لابد ان نبلغ القائد الاعلى شخصيًا بهذا الامر .. لابد .

فقد كانت الرسالة تقول فى اختصار :

- وصلنا إلى القمر .. سابذل قصارى جهدى للحصول على كرة المعلومات ثم اتخلص من الجميع حسب الخطة .. (الفا) .

وكان هذا يعنى ، وبكل وضوح ، انه يوجد جاسوس خطير بين افراد حملة القمر ..

جاسوس يضيف إلى المهمة خطرًا جديدًا .. وقاتلاً .

* * *



٤ - من أجل البقاء ..

لحظة واحدة ، أضيء خلالها المَتْن ، فلمح (أكرم) ذلك الشخص ، الذي يهوى على خوذته بمطرقة ضخمة ..

لحظة ، تفجرت في رأسه فيها فكرة واحدة ..

أنه لو أصابت تلك المطرقة خوذته ، وحطمتها ، فإنه سيلقى مصرعه في أعماق أطلال قاعدة القمر ، بأسوأ وسيلة موت ممكنة ..

سينخفض الضغط بغتة ، ويتلاشى الهواء دفعة واحدة ، فتجحظ عيناه ، وينتفخ وجهه ، وتنفجر رئتاه ، و ...

وقبل أن تبلغ المطرقة هدفها ، بدأ رد فعله ..

لم يكن من الممكن أبدًا أن يتحرك بسرعة كبيرة ، في وسط له جاذبية منخفضة ، تبلغ سدس جاذبية الأرض ، إلا أن خصمه أيضًا لم يكن باستطاعته أن يتحرك أسرع منه ، لذا فقد تراجع (أكرم) إلى الخلف ، ورأى المطرقة تعبر على قيد سنتيمترات قليلة من خوذته ، قبل أن يرفع يده ، ويقبض على معصم صاحبها ، هاتفًا عبر جهاز الاتصال المحدود :

- اللعنة ! .. إنه هجوم يا (نور) .

قالها ، في نفس اللحظة التي انفصل فيها ذلك

الجزء المحطم من السقف ، فتراجع (نور) بدوره ، والتفت إليه في دهشة ، هاتفًا :

- هجوم ؟!

كان (أكرم) قد قبض على معصم خصمه ، ولوى ذراعه خلف ظهره ، ثم دفعه أمامه في عنف ، وهو يقول في حدة :

- أراهن على أنه ذلك الأمريكي اللعين .

انعقد حاجبا (نور) في شدة ، وهو يستمع إلى العبارة ، والجزء المنفصل عن السقف يسقط على مقربة منه ، وتتناثر منه شظايا صغيرة ، لم ينتظر حتى تتوقف ، وإنما وثب إلى الأمام ، وأطلق ضوء مصباحه اليدوي في وجه الخصم ، الذي يقاوم (أكرم) في استماتة ، وهذا الأخير يكبل حركته تمامًا ..

وفي دهشة بالغة ، هتف (نور) :

- رباه ! .. من هذا الرجل ؟

لم يكد ينطقها ، حتى رأى (أكرم) يحدق في شيء ما خلفه ، ويهتف :

- احترس يا (نور) .

وقبل حتى أن تكتمل عبارة (أكرم) ، انقض شخص ما على (نور) من الخلف ، وتعلق بعنقه في قوة ..

ولكن (نور) لم يكن ابدًا بالشخص الذى تسهل مباغتته .. أو بالشخص الذى يمكن ان تفقده المفاجأة توازنه ، أو حسن تفكيره وتدبيره ..

لذا فقد تحرك بسرعة مدهشة ، فور تعلُّق ذلك الشخص بعنقه ، ومال إلى الأمام ، وهو يدفع مرفقه إلى الخلف ، ليغوص فى معدة خصمه ، الذى تخلَّى عن عنقه مع عنف الضربة ، فواصل (نور) ميله ، وداز حول نفسه بحركة بارعة ، اسقطت ذلك الشخص على ظهره ارضًا ، وقبل ان يستعيد توازنه ، انقضَّ عليه (نور) ثانية ، و ...

« يا إلهى ! .. إنها فتاة ! ! .. »

انطلقت تلك الصيحة من حلق (نور) ، عبر جهاز الاتصال المحدود ، فاتسعت عينا (اكرم) فى دهشة بالغة ، وهتف :

- فتاة ؟ ! ..

ضغط (نور) زرًا فى حزامه ، لينتقل من موجة الاتصالات المحدودة إلى موجة الاتصالات العامة ، وسمع الرجل الذى يقبض عليه (اكرم) ، وهو يهتف فى غضب :

- اتركوها .. اتركوها أيها الأوغاد .

هتف به (نور) :

- من أنتما ؟ ! .. هل نجوتما من الكارثة ؟ ! .

لم يبد على الرجل أنه سمعه ، وهو يواصل مقاومته وصياحه ، فى حين حدَّقت الفتاة فى وجه (نور) فى دهشة ، وهى تقول :

- بل من انتما ؟ ! .. إننى لم أركما فى القاعدة من قبل .

مدَّ (نور) يده إليها ليعاونها على النهوض ، وهو يجيب :

- اسمى (نور) .. المقدَّم (نور الدين محمود) ، من المخابرات العلمية المصرية .. إننا هنا فى حملة خاصة ، لبحث الأسباب التى أدَّت إلى حدوث الكارثة.

اتسعت عيناها فى لهفة ، وهى تهتف :

- حملة ؟ ! .. حملة من الأرض ؟ ! .. رباه ! .. اتعنى اننا .. اننا قد نجونا ؟ !

ثم اندفعت نحو الرجل ، الذى لم يتوقَّف عن المقاومة والصياح ، وهتفت به فى سعادة غامرة :

- إنهما من الأرض يا (عماد) .. من الأرض .. لقد حضرا لإنقاذنا .. لقد نجونا يا (عماد) .. نجونا .

واجهشت بالبكاء فى حرارة ، و (اكرم) يحدِّق فيها بدهشة بالغة ، متمتمًا :

- نجوتما ؟ ! .. يا إلهى ! .. السؤال هو : كيف

بقيتما على قيد الحياة ، طوال الفترة السابقة ؟!

اما الرجل ، فقد توقف بغتة عن المقاومة والصياح ، وتطلع إليها بنظرة مشفقة ، وهو يقول بلهجة عجيبة :

- لا تبكى يا (نادية) .. لا تبكى يا حبيبتى .. لا تفقدى الأمل قط .. انا واثق من اننا سننجو .. لن نلقى مصرعنا هنا قط .

انعقد حاجبا (نور) فى دهشة لهذا القول ، فى حين نقل (اكرم) بصره بينهما فى حيرة ، ورفعت الفتاة يدها ، تتحسس خوذة رفيقها بقفازها السميك ، وكانها تربت على وجهه ، وهى تقول فى حنان :

- يالك من تعس !! .. لقد نجونا بالفعل ياحبيبى .. المعجزة تحققت .. نجونا بالفعل .

زاغت نظراته ، وبدت فى عينيه حيرة كبيرة ، وهو ينقل بصره بين (نور) و (اكرم) ، قبل ان يقول كطفل صغير حائر :

- نجونا ؟! هل تعتقدين هذا ؟

هتف (اكرم) فى دهشة :

- ماذا دها هذا الرجل ؟

اجابته الفتاة فى أسى :

- إنه مصاب بصدمة عصبية .. المسكين لم يحتمل الموقف ، وانهارت اعصابه بسرعة .. لقد بدا لنا ان موتنا ات لا ريب ، فى ذلك القبر البارد ، على بعد الاف الكيلومترات من اهلنا واحبائنا .

سالها (نور) فى شىء من الحذر :

- كيف نجوتما من الكارثة ؟!

هزت راسها ، مجيبة :

- لست ادرى .. إننا لم نفهم حتى ماذا حدث .. إننا نعمل فى قسم الصيانة ، ولقد تلقينا امرًا بفحص بعض توصيلات الكمبيوتر الرئيسية ، فى قاع القاعدة ، فهبطنا إلى هنا ، وفى اثناء عملنا شعرنا وكان القمر كله قد ارتجّ فى عنف .. ولما كانت تعليمات الأمن تقتضى ارتداء الزى الفضائى ، فور حدوث اى امر غير طبيعى ، فقد اسرعنا نرتدى الزى ، واتخذنا طريق العودة إلى السطح ، ولكننا فوجئنا بدمار هائل ، ونحن نشق طريقنا إلى هناك ، ثم واجهتنا الكارثة .

شهقت مع نهاية عبارتها ، واتسعت عيناها فى ارتياع ، وكانما تستعيد ذكرى تلك اللحظات الرهيبة ، قبل ان تواصل :

- فوجئنا بان كل شىء لم يعد له وجود .. القبة

الواقية اختفت ، وكل المبانى انسحقت عن آخرها ، وجثث القتلى فى كل مكان .. كان أمرًا رهيبًا .. رهيبًا.

قالتها ، وانفجرت باكية فى ألم ، فتطلّع إليها رفيقها مشفقًا ، وربّت عليها فى عطف ، قائلاً :

- لا تبكى يا حبيبتى .. سننجو بإذن الله .. لا تبكى .

تحسّست خوذته مرة ثانية ، متمتمة من وسط دموعها :

- بالتأكيد يا حبيبى .. بالتأكيد .

ثم التفتت إلى (نور) ، وحاولت أن تبتسم ، مستطردة :

- أسوأ شىء فى ارتداء الزى الفضائى ، هو أن المرء لا يستطيع مسح دموعه .

وافقها (نور) بإيماءة صامتة من رأسه ، فى حين ازدرد (أكرم) لعابه ، ليخفى انفعالاته الجيّاشة ، وهو يقول فى شىء من العصبية :

- ولكن خزان الأكسچين فى الزى الفضائى لا يكفى لأكثر من ثلاث ساعات .

أجابته فى خفوت :

- هذا صحيح .. لقد كنا نعلم هذه الحقيقة ، وهذا ما أصابنا برعب هائل ، وجعلنا نفتش كل ركن فى

القاعدة ، أو فيما تبقّى منها ، فى محاولة للعثور على خزانات أكسچين إضافية .

قال (نور) فى بطء :

- ومن الواضح أنكما عثرتما على مخزون كبير منها ؟

تنهّدت مجيبة :

- هذا صحيح .. لقد عثرنا فى القاع على المخزون الاحتياطى ، وكانت هناك أسطوانات عديدة محطّمة ، ولكن الأسطوانات المتبقية منحتنا الحياة طوال الأيام الماضية ، إلا أننا لم نعثر على جهاز اتصال واحد سليم ، يمكننا بوساطته طلب النجدة من الأرض .

وتطلّعت ثانية إلى رفيقها ، مستطردة فى عطف :

- ومع تناقص أسطوانات الأكسچين السريع ، بدأت أعصاب (عماد) فى الانهيار .. المسكين لم يحتمل فكرة الموت اختناقًا ، فى هذا المكان .

تنهّد (أكرم) بدوره ، مغمغمًا :

- يمكننى تقدير شعوره هذا .

أما (نور) ، فقد سألها فى اهتمام :

- وكم تبقّى لديكما من أسطوانات الأكسچين ؟

ارتسمت ابتسامة مريرة على شفتيها ، وهى تشير إلى الأسطوانة المثبتة فى زيها الفضائى ، مجيبة :

- تلك التى نحملها على ظهرينا فحسب .

اطلق (اكرم) صفيرًا حادًا ، قبل أن يهتف :

- يا إلهى ! .. يبدو اننا قد وصلنا فى الوقت المناسب بالفعل .

عادت الدموع تتفجرُ من عينيها ، وهى تقول :

- الم اقل لكما : إنها معجزة ! !

تطلّع إليها رفيقها مرة اخرى بتلك النظرة الذاهلة الحائرة ، وغمغم :

- اطمئنى يا (نادية) .. سننجو بإذن الله .

تبادل (نور) و (اكرم) نظرة صامتة ، ثم قال الأوّل :

- فليكن .. دعونا نحملكما الآن ، مع كرة المعلومات ، إلى المكوك ، فمن الضرورى أن يتمّ فحصكما طبيًا ومعمليًا ، حتى نتاكد من ان الكارثة لم تسبّب لكما اية اضرار كامنة ، او غير مباشرة .

شحب وجه الفتاة ، وهى تقول :

- هل ستجعلون منا فارى تجارب ؟

اجابها (نور) فى حزم :

- هذا لصالحكما .

بدا عليها توتر شديد ، ولكن (نور) اكمل فى هدوء :

- اعتقد ان بإمكانى إقناعكما بهذا ، عندما نصل إلى المكوك ، لذا فلنؤجّل الحديث حول أمر الفحص ، حتى نصل إليه .

قالها ، ودلف إلى الحجرة التى تحوى كرة المعلومات ، بعد ان انفتح بابها ، عندما ازيلت العقبة التى كانت تعترض طريقه ، وانحنى يعالج الرتاج الإلكترونى للخزانة الخاصة بالكرة ، فسالت الفتاة (اكرم) فى حيرة :

- ما الذى يفعله بالضبط ؟ !

اجابها (اكرم) فى حماس :

إنه يستعيد جهازًا بالغ الأهمية والسرية ، لا تشغلى نفسك بامره ، فكلانا لا يفهم شيئًا مما يحويه .

ومع آخر حروف كلماته ، استجاب الرتاج الإلكترونى لأصابع (نور) ، وانفتحت الخزانة فى بطء ، فمدّ (نور) يده ، والتقط من داخلها كرة صغيرة مصقولة فى حجم كرة التنس ، ودسّها فى جراب خاص فى زيه الفضائى ، فابتسم (اكرم) ، وهو يقول للفتاة :

- لقد انتهى من هذا الجزء من المهمة ، ولا ...

قبل ان يتمّ عبارته ، دوى طنين مباغت فى اذنيه ، على نحو جعله يهتف فى الم :

- رباه ! .. ماذا أصاب جهاز الاتصال اللعين هذا ؟ !

ولكن نظرة واحدة منه إلى الفتاة والشاب ، جعلته يدرك انهما يعانيان مثلما يعانى ، فقد راح كلاهما يتلوّى فى عنف ، ويطلق صرخات الم قوية ..

اما (نور) فقد تراجع فى حركة حادة ، واغلق عينيه فى قوة ، وهو يهتف :

- إنها نبذبة فائقة .. بعضهم يسعى لإفقادنا وعينا يا (اكرم) .

حاول (اكرم) ان يقول شيئًا ..

اى شىء ..

ولكن تلك الذبذبة تصاعدت بسرعة ، حتى بدا وكانها تخترق مخه ، من إحدى اذنيه إلى الأخرى ، فصرخ :

- ويبدو انه سينجح فى هذا يا (نور) .. اللعنة ! .. اللعنة .

قالها ، وهوى فاقد الوعى ، فى حين استنفر (نور) كل ذرة من إرادته ؛ ليحتفظ بوعيه ، وهو يضغط ذلك الزر الخاص ، الذى يلغى موجة الاتصال العامة ، ويعيد موجة الاتصالات الخاصة المحدودة ..

ومع ضغطة الزر ، انتهى الطنين ..

ولكن الألم لم ينته او يتلاشى ..

لقد استمر لحظات أخرى ، سقط خلالها (نور) على ركبتيه ، وهو يقول فى صعوبة :

- (اكرم) .. اانت بخير ؟ ! .. هل تسمعنى ؟

كان يقاوم فى استماتة غيبوبة عنيفة ، تصرّ على الإحاطة بعقله من كل جانب ، ولكنه شعر انها ستنتصر لامحالة ..

وعلى الضوء الخافت ، المنبعث من مصباحه الملقى ارضًا ، لمح (نور) شخصًا ما ، فى زى فضائى ، يتجه نحوه فى خطوات سريعة نسبيًا ، ثم ينحنى ليلتقط كرة المعلومات ، فاستلّ مسدسه الليزرى ، بكل ما تبقّى من قواه ، وهتف فى ضعف :

- توقّف يا هذا ، وإلا ..

اعتدل ذلك الشخص بحركة حادة ، وكانما لم يكن يتوقّع وجود من لم يفقد وعيه بعد ، وتراجع بسرعة ، فصوّب (نور) مسدسه إليه ، هاتفًا :

- أعد الكرة ، وإلا اطلقت الأشعة مباشرة .

تراجع ذلك الشخص اكثر واكثر ، ثم دار على عقبيه ، وانطلق يعدو نحو السلم ، باقصى سرعة تسمح بها الجاذبية المنخفضة على القمر ..

وضغط (نور) زناد مسدسه الليزرى ..

ضغطه وتلك الغيبوبة العنيفة تحيط بعقله اكثر

واكثر ، وتجعل الصور أمام عينيه متموّجة ، مهتزّة ..

وانطلق شعاع الليزر ، وأصاب الجدار ، على قيد سنتيمترات قليلة من خوذة ذلك الشخص المجهول الذى راح يتسلّق السلم هاربًا ، و (نور) يقول فى مرارة :

- رباه ! .. لقد استولى على كرة المعلومات .. استولى عليها .

ضغط زناد مسدسه ثانية ، ولكن ذلك الشخص كان قد اختفى تمامًا ، فاصاب شعاع الليزر طرف السلم ، وتلاشى مع وعى (نور) فى آن واحد ..

وخيّم سكون عميق على تلك الحجرة السفلية ، فى قاع قاعدة القمر ..

تلك الحجرة التى لا يعلم أحد فى الحملة موضعها ، سوى (نور) و (أكرم) ..

الحجرة التى ضمّت أربعة أجساد فاقدة الوعى ، وخلف ظهر كل منها أسطوانة أكسجين ، يتناقص منسوبها تدريجيًا ..

ويتناقص ..

ويتناقص ..

* * *

تجهّمت ملامح القائد الأعلى ، وانعقد كفاه خلف

ظهره ، وهو يدور فى حجرته الواسعة فى توتر عصبى ، ثم لم يلبث أن توقّف ، والتفت إلى الدكتور (ناظم) ، قائلاً :

- هذا الأمر بالغ الخطورة بالفعل يارجل .. ألم يكن يكفينا أمر تلك الدوّامة الفضائية العجيبة ، التى يتسع حجمها باستمرار ، وتهدّد بابتلاع كوكبنا كله ، حتى يأتى أمر ذلك الجاسوس الذى يسعى للاستيلاء على أسرار قاعدتنا القمرية ، والتخلّص من أفراد الحملة جميعًا ؟!

تنهّد الدكتور (ناظم) ، قائلاً :

- إنها الأنانية البشرية ، التى أدّت إلى كل ما شهده العالم من دمار وتخريب ، عبر تاريخه الطويل .. هناك جهة ما تسعى لاستعادة تفوقها السابق ، عن طريق الاستيلاء على كل ما من شأنه أن يزيد معارفها ، ويضمن لها القفز فوق الآخرين ، فى مجال التقدّم و التكنولوجيا .

لوّح القائد الأعلى بيده ، قائلاً فى حنق :

- وما الذى يمكن أن يفيدوا به ، من معرفة أسرار قاعدتنا القمرية ؟! .. لقد تم تدميرها بالفعل ، كما أنها لم تكن تمثّل خطرًا لأية دولة ، فى العالم أجمع .. إنها هناك لحماية الأرض كلها ، وليس لتهديدها .

أجابه الدكتور (ناظم) :

- ولكن ذلك الانفجار الهائل أسال لعاب البعض ، وبعث فى قلوبهم المريضة أملاً فى التوصل إلى مادة تدميرية لا مثيل لها ، يمكنهم تحويلها إلى سلاح مخيف ، يهددون به الآخرين ، ويجبرونهم على الخضوع .. إنها محاولة غبية أخرى لتزعُّم العالم بالقوة والعنف .

غمغم القائد الأعلى :

- يا إلهى ! .. من يفكِّر بهذه الوسيلة لن يتورَّع قط عن القيام بأى عمل ، مهما بلغت حضارته ، فى سبيل الحصول على ما يبتغى .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يستطرد :

- ولا بد من تحذير (نور) و (أكرم) .

قال الدكتور (ناظم) فى سرعة :

- هذا ما أتيت لا ستشارتك بشأنه .. لقد أعددنا رسالة شفرية تحذيرية ، ونحتاج إلى موافقتك ، لنبثُّها مباشرة إلى المكوك (القاهرة ٢٠٠٠) .

هتف القائد الأعلى :

- موافقتى ؟! .. فى مثل هذه الأمور لا تنتظر موافقتى يارجل .. إنها حالة طارئة .. أرسل التحذير على الفور .. لا بد أن ينتبه رجلانا إلى الخطر الجديد الذى يواجهانه .. لا بد .

والتقى حاجباه أكثر وأكثر ، وهو يضيف :

- ولندع الله (سبحانه وتعالى) .. أن يصلهما التحذير فى الوقت المناسب .. وقبل فوات الأوان ..

وكانت هذه بالفعل هى النقطة الأكثر خطورة .. أن يصل التحذير فى الوقت المناسب ..

وقبل فوات الأوان ..

* * *

انتهى (غسان) من عمله ، فى إعداد مركبة الفضاء الصغيرة ، وتراجع يلتقط نفسًا عميقًا ، وهو يقول لزميله (سليم) :

- أخيرًا .. على الرغم من أنها ليست المرة الأولى التى أقوم فيها بمثل هذا العمل ، إلا أننى أشعر بتوتر شديد هذه المرة ، وكأننى لم أعدّ مركبة فضائية للإطلاق قط .

أجابه (سليم) ، وهو يلقى جسده فوق أقرب مقعد صادفه :

- بل قل : إن كلينا يشعر بالإجهاد يارجل ، فلا تنس أننا فعلنا كل هذا وحدنا .

انعقد حاجبا (غسان) ، وهو يقول :

- نعم .. هذا صحيح .. لقد فعلناه وحدنا .. وبمناسبة هذا القول : أين ذهب الألمانى

والأمريكى ؟! .. إننى لم أر أحدهما منذ ساعة كاملة !

هزّ (سليم) رأسه ، قائلاً :

- لست أدرى .. لقد لمحت (فردريش) يتجه نحو حجرة معادلة الضغط ، أما (كيندرمان) فلم أره بالفعل منذ أكثر من ساعة .

سأله (غسان) فى حيرة :

- وما الذى يفعله الألمانى عند حجرة معادلة الضغط ؟

تثاءب (سليم) مرهقًا ، قبل أن يجيب :

- لست أدرى .. ربما أراد الخروج إلى سطح القمر ، لتفقد ما حول المكوك .

بدا مزيج من الشك والقلق على وجه (غسان) ، وهو يتمتم :

- عجبًا ! .. وما شأنه بهذا ؟!

لم يكد ينطق عبارته ، حتى انطلق أزيز خافت ، وأضىء مصباح أخضر فى سقف القاعة ، فاعتدل قائلاً فى اهتمام :

- يبدو أن الجميع قد عادوا من جولتهم .

لم تمض دقائق على قوله هذا ، حتى كان (نازسكى) و (ناتاشا) يدلفان إلى القاعة ، والأول

يقول فى سخط ، وبأسلوبه الخشن الفظ :

- كما كنت أتوقع تمامًا .. لا يوجد أثر لأحياء ، أو حتى لمظهر من مظاهر الحياة .. لقد تم سحق هذه القاعدة بالكامل .. يا للشيطان ! .. إننى لم أر شيئًا كهذا قط من قبل .. إنها تبدو كما لو أن قدمًا هائلة قد وطأتها ، دون أن تنتبه حتى إلى وجودها .

وهزّت (ناتاشا) رأسها ، متمتمة فى خفوت :

- نعم .. لقد بدا كل شىء بشعًا للغاية .

تجاهل (غسان) قولهما هذا ، وهو يسأل فى اهتمام :

- أين الباقون ؟!

هزّ (نازسكى) كتفيه بلامبالاة ، وأجاب :

- وما شأننا بهم .. لقد انتهينا من عملنا ، وهذا كل ما يعنينا ، أما عملهم فهو شأنهم وحدهم .

لم يبد على (ناتاشا) الارتياح ، لأسلوب زميلها فى الرد ، فأسرعت تقول فى شىء من الرقة :

- (كيندرمان) فى الخارج ، والألمانى فى طريقه إلى هنا .. لقد لمحته ونحن ندلف إلى حجرة معادلة الضغط .. أما (واتسن) والعربى ، فلم أرهما منذ غادرنا المكوك .

سألها (سليم) فى قلق :

- وماذا عن القائد ؟!.. ماذا عن المقدَّم (نور) و (أكرم) ؟!

ارتفع حاجباها فى دهشة ، وهى تسأل :

- الم يعودا بعد ؟!

تبادل (سليم) و (غسَّان) نظرة قلق ، فى حين لوَّح (نازسكى) بذراعه فى لامبالاة ، قائلاً :

- لا بأس .. أراهن على أن الجميع فى طريقهم إلى هنا .. هيا .. لا تقلقوا انفسكم بلا سبب .. سأذهب للاغتسال ، واستلقى فى فراشى قليلاً ، وإياكم أن تتجاهلوا إيقاظى ، عندما يحين موعد الطعام .

ظلَّ (سليم) و (غسَّان) على صمتهما ، حتى انصرف (نازسكى) وتبعته (ناتاشا) ، ثم قال الثانى فى توتر ، وهو يلقى نظرة على ساعته :

- عجبًا !.. أوامر القائد (نور) كانت تحتم العودة إلى المكوك ، قبل ساعة كاملة من انتهاء مخزون أسطوانات الأكسجين ، ولقد تجاوزنا هذه المهمة بدقائق عشر ، ولم يعد هو نفسه بعد .

أجابه (سليم) محاولاً تهدئته ، على الرغم من التوتر الماثل فى أعماقه :

- أنت تعرف القائد (نور) .. إنه لا يلتزم بحرفية الأوامر فى المعتاد .

قال (غسَّان) فى شىء من العصبية :

- ولكنها أوامره هو هذه المرة .

ومع آخر حروف عبارته ، انطلق ذلك الأزيز ثانية ، مع المصباح الأخضر فى السقف ، فهتف (سليم) فى لهفة :

- آه .. ها هم أولاء .

ولكن العائدين كانوا (كيندرمان) و (أوتو) و (واتسن) و (خالد) فحسب ، مما ضاعف من قلق (غسَّان) وتوتره ، فسألهم فى توتر :

- ألم ير أحدكم القائد (نور) وزميله (أكرم) ؟

تبادلوا جميعًا نظرة دهشة ، وقال (واتسن) :

- عجبًا !.. كنت أتصوَّر أنهما هنا ، وأننا آخر العائدين ، فقد مضت ربع الساعة على الموعد المحدود .

سأله (غسَّان) فى شىء من العصبية :

- ولماذا تأخَّرتما فى العودة ؟!

أجابه (خالد) هذه المرة :

- كنا نبحث عن أحياء ، فقد عثرنا على ممر سليم مغلق ، وتصوَّرنا أنه من المحتمل أن نجد بعض من يحتمون داخله ، ولكننا لم نعثر سوى على عدد من جثث الضحايا المساكين .

مطّ (واتسن) شفتيه ، وقال :

- يبدو انهم حاولوا الاحتماء بالممر ، داخل ازيائهم الفضائية ، إلا ان مخزون الاكسجين لم يمهلهم حتى وصول النجدة ، فلقوا مصرعهم اختناقًا .

عضّ (سليم) شفتيه فى قوة ، وهو يتمتم فى الم :

- يا للمساكين !.. يا لها من ميتة بشعة !!

تنهّد الألمانى ، متمتمًا :

- بالتاكيد .

ثم شدّ قامته ، واستطرد بتلك الصرامة الألمانية التقليدية :

- فليكن .. دعونا نحصل على قدر من الراحة ، حتى يعود القائد ورفيقه ، ثم ندرس ما ينبغى فعله فى المرحلة القادمة .

انصرف كل منهم من القاعة ، وبقى (سليم) و (غسّان) وحدهما ، والقى هذا الأخير نظرة بالغة التوتر على ساعة يده ، وهو يقول :

- عشرون دقيقة مضت على الموعد المحدود ، ولم يعد القائد و (اكرم) بعد .. هذا لا يبدو لى طبيعيًا على الإطلاق .. اخشى ان يكون قد اصابهما

مكروه ما ، خاصة وانهما لم يحاولا إرسال إشارة لتبرير تاخرهما .

ساله (سليم) فى قلق شديد :

- وما الذى يمكننا فعله فى هذا الشان ؟!

هزّ (غسّان) راسه ، قائلاً :

- لست ادرى .. إننا نجهل حتى المسار الذى اتخذاه .. يا إلهى !.. اراهن على ان هذا الأمر غير طبيعى .. غير طبيعى على الإطلاق .

لم يدر ، وهو ينطق عبارته هذه ، ان (نور) و (اكرم) كانا يرقدان فى اعماق قاعدة القمر فاقدى الوعى ، مع (نادية) و (عماد) ، وان فرصة بقائهم على قيد الحياة تنخفض مع كل دقيقة تمضى ..

وتنخفض ..

وتنخفض ..

وتنخفض ..

* * *



٥ - الأمل ..

فجأة ، استعاد (نور) وعيه ...

استيقظ عقله دفعة واحدة ، وأطلق في جسده دفقة من النشاط ، جعلته يعتدل بغتة ، وهو يهتف :

- يا إلهي ! .. (أكرم) .

كان المصباح اليدوي الملقى أرضًا ما زال يعمل ، ويجعل الرؤية ممكنة نسبيًا ، على الرغم من الزاوية التي يتخذها ، في مواجهة أحد الجدران ، فرأى (نور) أجساد (أكرم) و (عماد) و (نادية) من حوله ، وكلهم غارقون في غيبوبة عميقة ، فنهض وألقى نظرة على ساعة يده ، قبل أن يهتف في ارتياع :

- رباه ! .. لم يعد أمامنا سوى ست وثلاثون دقيقة ، قبل أن ينفد مخزون الأكسچين ، والعودة إلى المكوك تحتاج إلى عشرين دقيقة بسرعة متوسطة .

لم يكن يدري كم استهلك (عماد) و (نادية) من أسطوانتي الأكسچين الخاصتين بهما ، ولكنه أدرك جيدًا أنه ما من جدوى من بذل الجهد ، في محاولة معرفة هذا ، إذ إن الوقت يمضي في سرعة ، وعليه أن يستغل كل دقيقة لإسعاف الجميع ، وإعادتهم إلى المكوك ..

وعلى الرغم من ثقته بأن إشارته اللاسلكية

لا يمكنها بلوغ المكوك ، من ذلك الموضع ، في أعماق القاعدة ، إلا أنه هتف ، وهو يعيد جهاز اتصاله إلى موجة البث العام :

- من (نور) إلى المكوك .. نحتاج إلى نجدة عاجلة .. نريد أربع أسطوانات أكسچين على الفور .

لم يتلقَّ جوابًا على ندائه بالطبع ، ولكنه واصل ترديده ، حتى وصل إلى (أكرم) ، وانحنى يهزُّه ، قائلاً :

- (أكرم) .. استيقظ يا رجل .. استيقظ بالله عليك .. الوقت يمضي في سرعة ، والخطر يحيط بنا من كل جانب ..

وللثوان ، خُيِّل إليه أن محاولته غير مجدية ، وأن (أكرم) غارق في غيبوبة بالغة العمق ، يستحيل انتزاعه منها ، إلا أن جفني هذا الأخير لم يلبثا أن انفرجا في بطء ، وتطلَّعت عيناه إلى (نور) في تهالك ، وهو يتمتم في صعوبة :

- (نور) .. أين نحن ؟! .. ماذا حدث ؟!

حاول (نور) أن يعاونه على النهوض ، وهو يقول :

- لقد فقدنا وعينا جميعًا ، ومخزون الأكسچين ينفد بسرعة .. لا بد أن تنهض ؛ لنتعاون على العودة إلى المكوك .

حاول (اكرم) ان ينهض ، إلا ان ساقيه تخاذلتا ، وتهالكتا ، فغمغم فى إجهاد شديد :

- لا استطيع .. لا يمكننى هذا يا (نور) .

صاح به (نور) :

- حاول يا رجل .. حاول .. ابذل قصارى جهدك .. إنها مسالة حياة او موت .. حاول .

دفع (اكرم) قدميه فى الأرض ، وساعدته الجاذبية المنخفضة على النهوض ، والوقوف على قدميه ، فهتف (نور) :

- عظيم .. هيا .. تعاون معى على إنعاش الشاب والفتاة ، أو حملهما لو اقتضى الأمر ؛ فلم يعد امامنا سوى سبع وعشرين دقيقة ، قبل نفاد مخزون الأكسجين ، ولست ادرى كم تَبقَّى لهذين المسكينين .

ولكنه لم يكد يتركه ، حتى تخاذل مرة اخرى ، وتهاوى ارضًا ، وهو يغمغم :

- لا استطيع .

انعقد حاجبا (نور) فى غضب ، وهتف به فى حدة :

- انهض يا رجل .. قلت لك : إنها مسالة حياة او موت .. لم اكن اتصوَّر انك متخاذل وضعيف إلى هذا الحد .

هبَّ (اكرم) جالسًا ، وهو يقول فى عصبية :

- متخاذل وضعيف ؟! .. انا ؟! .. انا متخاذل وضعيف ؟!

ثم نهض واقفًا فى نشاط مباغت ، ومستطردًا فى حدة :

- سنرى من منا المتخاذل الضعيف يا سيِّد (نور) .

ارتفع حاجبا (نور) فى دهشة ، امام هذه الصحوة المفاجئة ، خاصة وقد تحرك (اكرم) فى نشاط ، نحو الشاب والفتاة ، وانحنى يفحصهما وهو يسال فى صرامة :

- كم تبقَّى امامنا من وقت ؟

اجابه (نور) :

- خمس وعشرون دقيقة فقط ، والوصول إلى المكوك قد يستغرق هذا الوقت تقريبًا .

انعقد حاجبا (اكرم) ، وهو يسال فى توتر :

- الا يمكننا الوصول إلى هناك خلال اثنتى عشرة دقيقة فحسب ؟

هزَّ (نور) راسه نفيًا ، واجاب :

- هذا مستحيل عمليًا .

اعتدل (اكرم) ، وزفر فى توتر اكثر ، وهو يشير إلى الشاب والفتاة ، قائلاً :

- إذن فلا أمل لهما فى النجاة ، فهذا كل ما تبقى لديهما من وقت ، قبل أن ينفد مخزون الأكسچين من أسطوانتيهما تمامًا .

واتسعت عينا (نور) فى ارتياع ..

فهذا القول كان أشبه بحكم إعدام ، صدر ضد الشاب والفتاة ..

حكم مشمول بالنفاذ ..

بعد اثنتى عشرة دقيقة ..

فقط ..

* * *

« لن يمكننى الانتظار أكثر من هذا .. »

نطق (غسان) العبارة فى حزم شديد ، وهو يرتدى زيه الفضائى ، إلى جوار حجرة معادلة الضغط ، فقلب (سليم) كفيه فى حيرة ، وتمتم :

- ولكن ما الذى يمكنك أن تفعله بالضبط ؟! .. إنك تجهل أين هما ، ولم يعد أمامهما سوى عشرين دقيقة أو ما يزيد قليلاً ، فكيف تتوقع العثور عليهما ؟

هزّ (غسان) رأسه فى عناد ، وهو يقول :

- لست أدرى ، ولكننى لن أقف هنا معقود الساعدين ، وأنا أعلم أنهما ربما يواجهان الموت فى مكان ما فى القاعدة .

سأله (سليم) فى توتر :

- هل حاولت الاتصال بهما لاسلكيًا ؟

أومأ (غسان) برأسه إيجابيًا ، وقال :

- حاولت أكثر من مرة ، ولكننى لم أتلقَ أية ردود منهما .

امتقع وجه (سليم) ، وهو يغمغم :

- ربما .. أخشى أن ...

قاطعه (غسان) فى صرامة :

- لا تتخذ أية قرارات مسبقة .. واصل محاولة الاتصال بهما ، حتى أعود إليك .

قالها ، وارتدى خوذته ، ثم حمل أسطوانتى أكسچين إضافيتين ، ودلف إلى حجرة معادلة الضغط ، مستطردًا :

- ادع الله (سبحانه وتعالى) أن يوفقنى فى العثور عليهما .

وانعقد حاجباه ، وهو يضغط زر إغلاقها ، مضيفًا فى حزم :

- على قيد الحياة .

سرت فى جسد (سليم) قشعريرة باردة ، مع عبارة (غسان) الأخيرة ، وانحبست الكلمات فى حلقه ، وهو يراقب المصباح الأخضر ، الذى أشار إلى

معادلة الضغط داخل الحجرة ، وخروج (غسان) منها إلي سطح القمر ، ثم هزَّ راسه ، متمتمًا :

– وفقك الله يا صديقي .. صدقني .. انا احسدك على شجاعتك .

ثم اتجه فى خطوات سريعة إلى حجرة الاتصالات ، وجلس امام جهاز اللاسلكى ، وضغط زر موجة الاتصالات العامة ، وهو يقول :

– من مكوك الفضاء إلى القائد (نور) .. أجب .. اين انت ؟ .. حدِّد موقعك بالضبط .. اكرِّر .. من مكوك الفضاء إلى الـ ...

قبل ان يتمّ عبارته ، انبعث صوت متقطِّع من جهاز اللاسلكى ، معلنًا ورود رسالة عاجلة وهامة من الأرض ، فانعقد حاجبا (سليم) ، وضغط زر الاتصال ، قائلاً :

– من المكوك (القاهرة – ٢٠٠٠) إلى الأرض .. مستعدون لتلقِّى رسالتكم .

اتاه صوت يقول :

– من الأرض إلى (القاهرة – ٢٠٠٠) .. الرسالة خاصة بالمقدَّم (نور) شخصيًا .. نكرِّر .. الرسالة للمقدَّم (نور) شخصيًا .

ازدرد (سليم) لعابه ، وهو يقول :

– المقدَّم (نور) فى مهمة خارج المكوك .. يمكننى تلقِّى الرسالة ، و ..

قاطعه صاحب الصوت فى حزم :

– مستحيل ! .. الرسالة للمقدَّم (نور) شخصياً .. رسالة عاجلة وبالغة الأهمية .. نرجو اتصاله بالقاعدة الأرضية فور عودته .. نكرِّر .. الرسالة عاجلة وبالغة الأهمية .

غمغم (سليم) :

– سابذل قصارى جهدى لإبلاغه .

وانهى الاتصال ، وهو يستطرد فى توتر :

– لو انه عاد إلى هنا حياً .

لم يكد ينطق عبارته ، حتى سمع صوتًا من خلفه ، يقول :

– لا تامل كثيرًا فى هذا .

ارتفع حاجبا (سليم) فى دهشة ، واستدار فى سرعة إلى مصدر الصوت ، وهو يهتف :

– انت ؟! ..

ومع اخر حروف الكلمة ، انطلق شعاع من الليزر ، من فوهة مسدس مصوَّب إليه ، واخترق منتصف جبهته تمامًا ..

وجحظت عينا (سليم) فى شدة ، وحملتا نظرة



ومع آخر حروف الكلمة ، انطلق شعاع من الليزر ، من فوهة مسدس مصوَّب إليه ، واخترق منتصف جبهته تمامًا ..

تجمع ما بين الذعر والذهول والألم ، وجسده يرتد إلى الخلف في عنف ، ويرتطم بأجهزة الاتصال ، والدماء تتفجَّر من ثقب جبهته ، قبل أن يهوى جثة هامدة ..

وفى برود ، تمتم ذلك الصوت :

– لا يمكن السماح لذلك المصرى بالفوز .

ثم توجَّهت فوهة المسدس الليزرى نحو أجهزة الاتصال ، وانطلقت الأشعة تنسف الأجهزة واحدًا بعد الآخر ، وتقطع صلة المكوك بالأرض .. نهائيًا ..

* * *

لهث (أكرم) ، وهو يحمل (عماد) الفاقد الوعى إلى السطح ، والتفت إلى (نور) ، قائلاً فى عصبية :

– أعلم أن الوزن ينخفض هنا إلى السدس ، ولكننى لا ألهث بسبب هذا ، وإنما لم أستعد نشاطى كله بعد .

قفز (نور) إلى السطح ، حاملاً (نادية) ، وهو يقول :

– فليكن .. هذا لا يقلقنى فعليًا .. الهث كما يحلو لك ، ولكن حاول أن تحمل الشاب جيدًا ، فمن الواضح أن غيبوبته مع الفتاة عميقة للغاية ، والطريقة التى

تحمله بها تعرّض خونته لخطر الارتطام باى جسم صلب ، واخشى ان تصاب بشرخ فيفقد الزى الفضائى الضغط والهواء ، ويلقى مصرعه على الفور .

عقد (اكرم) حاجبيه ، قائلاً :

– حسنًا .. حسنًا .. كان ينبغى ان تنبهنى منذ البداية .

ثم استطرد فى شىء من الحدة :

– ولكن اخبرنى بالله عليك : كيف تتوقع إنقاذ حياتهما ، ومخزونهما من الأكسجين لا يكفى حتى للوصول إلى القاعدة .

ضغط (نور) زر الاتصالات ، وهو يجيب :

– لدى فكرة معقولة لهذا ، فساجرى اتصالاً بالقاعدة ، واطلب من احد الرجال هناك ان يلتقى بنا فى منتصف الطريق ، حاملاً اربع اسطوانات اكسجين إضافية ، ولو اننا تحركنا بسرعة معقولة ، فسنلتقى به بعد عشر دقائق تقريبًا ، وسيمكننا استبدال أسطوانتى الشاب والفتاة فى الوقت المناسب .

ارتفع حاجبا (اكرم) ، وهو يهتف :

– فكرة عبقرية بحق يا (نور) .. فيم انتظارك

يا رجل ؟ .. هيا .. لقد اصبحنا على السطح الآن ، ويمكنهم التقاط رسالتك فى المكوك .. هيا .

قال (نور) عبر جهاز الاتصال :

– من القائد (نور) إلى المكوك .. نحن بحاجة إلى نجدة عاجلة .. حول .

وانتظر بضع ثوان ، دون ان يتلقَّى جوابًا ، فالتقى حاجباه فى توتر ، وكرَّر النداء مرة .. وثانية ، وثالثة ..

وفى عصبية ، هتف (اكرم) :

– ماذا اصابهم هناك ؟! .. لماذا لا يجيبون ؟! .. لماذا لا يلبى احد نداءنا ؟!

قال (نور) فى توتر شديد :

– لست أدرى .. لا يوجد لدى دليل واحد على ان اجهزة الاتصال هناك قد تلقَّت النداء .. إننى لم اسمع حتى صفير الكمبيوتر .

احتقن وجه (أكرم) ، وهو يقول :

– وما الذى يعنيه هذا ؟

اجابه (نور) على الفور :

– يعنى أن اجهزة الاتصال مصابة بعطل ما ، يمنعها من استقبال اية رسائل .

اتسعت عينا (اكرم) ، وهو يقول :

– رباه ! .. اخشى ان يكون ذلك الوغد الذى هاجمنا ، هو الذى اتلفها .

اجابه (نور) فى انفعال :

– ليس هذا هو المهم الآن .. المهم ان فرصتنا الوحيدة فى النجاة ، وفى إنقاذ الشاب والفتاة ضاعت ، ولم يعد لدينا من الوقت ما يكفى للوصول إلى المكوك .

ثم انعقد حاجباه اكثر ، وهو يستدرك :

– إلا إذا ..

ساله (اكرم) فى لهفة :

– إلا إذا ماذا ؟!

تطلّع إليه (نور) لحظة ، قبل ان يجيب فى حزم :

– إلا إذا اتجهنا إليه قفزًا .

ردّد (اكرم) فى دهشة :

– قفزًا ؟!

اوما (نور) براسه إيجابًا ، وقال :

– مع انخفاض الجاذبية على القمر ، يمكن للمرء ان يقطع عدة امتار مع كل قفزة ، حتى وهو يحمل ثقلاً يساوى وزنه ، ولو اننا اتجهنا إلى المكوك قفزًا ، فربما امكننا اختصار وقت وصولنا إليه .

حان دور حاجبى (اكرم) لينعقدا فى شدة ، وهو يقول :

– اتظن هذا يفلح ؟!

اجابه (نور) :

– لقد لجانا إلى هذا الأسلوب ذات مرة على القمر ، انا و (رمزى)(*) ، وحققنا به نجاحًا ، اتمنّى ان يتكرر هذه المرة .

ازداد انعقاد حاجبى (اكرم) ، وهو يقول :

– فيم انتظارنا إذن ؟

كانت عبارته إيذانًا ببدء لعبة القفز ، فراح كل منهما يثب وثبات متتالية طويلة متتالية ، فى محاولة لكسب الوقت ، وبلوغ المكوك فى الوقت المناسب ، قبل نفاد مخزون الأكسجين ..

ولكن تلك القفزات ، وما تستلزمه من جهد ، كانت تستنزف المزيد والمزيد من الأكسجين ، بالاضافة إلى التعب والكد ، حتى ان (اكرم) توقّف عن القفز بعد فترة ، وهو يهتف :

– لست اظننا ننجح فى هذا يا (نور) .. إننى لم اعد احتمل .

صاح به (نور) فى صرامة :

– قاومة يا رجل .. قاوم .. حياتنا وحياة الشابين تعتمد على مقاومتنا وإصرارنا .

(*) راجع قصة (الإمبراطور) .. المغامرة رقم (٨٦) .

هزّ (اكرم) راسه ، وهو يلهث فى شدة ، وقال :

– لقد بذلت قصارى جهدى ، واخشى اننى لم اعد احتمل .

واستدار يلقى نظرة على أسطوانة الأكسجين ، التى يحملها (عماد) على ظهره ، وهو يستطرد :

– ثم إننا لم نلمح المكوك بعد ، واخشى ان الوقت المتبقى لن يسمح لهذين المسكينين بـ ..

بتر عبارته بغتة ، وه يحدّق فى مؤشرّ صغير ، فى ركن اسطوانة الأكسجين ، ويغمغم :

– رباه ! .. هذا مستحيل !

ساله (نور) فى توتر :

– ماذا حدث ؟!

اشار (اكرم) إلى المؤشرّ ، وهو يقول فى انفعال :

– إنه يشير إلى وجود اكسجين يكفى لاثنتى عشرة دقيقة كاملة .

اتسعت عينا (نور) فى دهشة ، وهو يهتف :

– اثنتى عشرة دقيقة ؟! .. ولكن هذا مستحيل ! .. إنه نفس المخزون الذى رصدناه ، عندما كنا هناك فى القاع .

التقى حاجبا (اكرم) وقال فى توتر :

– هل تدرك ما يعنيه هذا يا (نور) ؟!

القى (نور) نظرة على مؤشر الأكسجين فى أسطوانة الفتاة ، وقال بدهشة اكبر ، عندما وجده ثابتًا ايضًا :

– بالطبع .. إنه يعنى ان كليهما لم يستهلك ذرة واحدة من الأكسجين ، منذ كنا فى قاع القاعدة ، ولا معنى لهذا إلا إذا ..

قاطعه (اكرم) ، مكملاً :

– إلا إذا كانا قد لقيا مصرعهما .. ومنذ البداية .

واتسعت عينا (نور) اكثر مع المفاجاة ..

وبسرعة ، جولّت عيناه بين وجهى الشاب والفتاة قبل ان يغمغم :

– ولكن كيف ؟! .. كيف ؟ ! .. كل المؤشرات الحيوية فى زيهما الفضائى تشير إلى انهما على قيد الحياة .. كيف ؟!

اجابه (اكرم) فى عصبية :

– لا يمكن ان يظلاً على قيد الحياة بدون اكسجين .. انت تعلم ان هذا مست ..

وقبل ان يتمّ عبارته ، تاوّهت الفتاة ، وغمغمت :

– اه .. اين انا ؟! .. ماذا حدث ؟!

واتسعت عينا (نور) و (اكرم) فى دهشة بالغة ، وتبادلا نظرة متوترة ، فى حين نهضت الفتاة جالسة ، وتطلّعت إليهما فى حيرة ، مستطردة :

- هل فقدنا الوعى ؟!

ولم يجب (نور) او (اكرم) بحرف واحد ..

فقد بدا لهما ما يحدث محيرًا وعجيبًا ..

عجيبًا للغاية ..

* * *

هزَّ الدكتور (ناظم) راسه فى توتر ، وهو يراجع مع فريق العلماء الصور الجديدة ، التى تم التقاطها لمنطقة الدوامة الفضائية ، واشار إلى إحدى الصور ، قائلاً :

- من الواضح انها تتسع بسرعة كبيرة ، وقوة جذبها لكل ما يحيط بها تتزايد باطراد .. ما الذى تتوقعون ان تبلغه ؟!

اجابه احد العلماء بصوت مرتجف :

- اقصى حد ممكن .

انعقد حاجبا الدكتور (ناظم) ، وهو يسال :

- وكم من الوقت ستستغرقه ، حتى تصل إلى حد خطير بالنسبة لنا ؟

تبادل العلماء نظرة متوترة ، قبل ان يزدرد احدهم لعابه ، ويجيب :

- فى تقديرنا ان خطورتها ستبدا بعد يومين تقريبًا .. او ثلاث واربعين ساعة ، لو شئت الدقة ،

فبعد هذه الفترة ، ومع محافظتها على سرعة الاتساع ، سيصبح بمقدورها جذب كل شىء على سطح القمر إلى مركزها ، وبعد ست ساعات اخرى ستجذب إليها القمر نفسه ، ثم .. ثم يحين دور الارض .

جفَّ حلق الدكتور (ناظم) ، وهو يسال :

- متى ؟!

اجابه احدهم فى مرارة :

- بعد ستين ساعة من الآن .. اى اقل من ثلاثة ايام .

اتسعت عينا الدكتور (ناظم) فى ارتياع ، وهو يهتف :

- رباه ! .. بهذه السرعة ؟!

ثم تلفَّت حوله فى توتر شديد ، وكانما يبحث عما يتشبَّث به ، قبل ان يقول :

- الا توجد وسيلة لتفادى حدوث هذا ؟! .. الا يوجد سبيل لمنع حدوث هذه الماساة ؟!

قلبوا اكفهم فى حيرة ، وقال احدهم :

- لسنا ندرى ما إذا كانت هناك وسيلة ام لا .

صاح به الدكتور (ناظم) فى عصبية :

- اى قول هذا يا رجل .. لو انكم لا تدرون ، فمن يدرى ؟! .. انتم صفوة علماء (مصر) .. ابحثوا عن حل ، قبل ان تلتهم تلك الدوامة اللعينة عالمنا كله .

اجابه عالم آخر فى أسف :

– ولكننا لا نمتلك معلومات كافية عنها .. لا ندرى كيف نشأت ، ولا ما الذى يحويه مركزها ، أو إلى أين تذهب كل تلك الأشياء ، التى تجتذبها إليه .. إنها بالنسبة لنا أشبه بثقب أسود(*) ، نشأ فجأة من العدم ، وراحت قوته تتزايد فى كل لحظة .

مال الدكتور (ناظم) نحوه ، يسأله :

– وكيف يمكن جمع ما يكفيكم من معلومات عنها ؟

أجابه الرجل :

– إننا نبذل قصارى جهدنا ، ونراقب تطوراتها طوال الوقت ، ولكننا نحتاج ، وبشدة ، إلى كل المعلومات التى يمكن جمعها ، من الجانب المظلم للقمر ، وإلى تسجيل كامل لكيفية تكوّنها ، من كرة المعلومات الخاصة بقاعدة القمر .

وسأله آخر :

(*) الثقب الأسود : فجوة غامضة ، توصّل إليها العلماء رياضيًا ، قبل رصدها فلكيًا ، وهى عبارة عن مناطق حالكة السواد ، تجذب إليها كل ما يحيط بها ، حتى الضوء ، ومن هنا جاء لونها الأسود ، وهناك عدة نظريات تتحدّث عنها ، وأكثرها قبولاً هو كونها نجوم منهارة ، انكمش حجمها ، وتضاعفت كثافتها وقوة جاذبيتها مئات المرات .

– ألم يتوصّل (نور) إليها بعد ؟

هزّ الدكتور (ناظم) رأسه نفيًا ، وقال :

– لست أدرى .. لقد أجرينا اتصالاً بالمكوك منذ قليل ، وعلمنا أنه يقوم بجولة خارجه ، ولقد طلبنا منه الاتصال بنا فور عودته .

مطّ عالم ثالث شفتيه ، وقال :

– أعتقد أنه من الضرورى أن يتلقّى تحذيرًا ، فبعد ثلاث وأربعين ساعة ، ستنجح تلك الدوّامة فى جذب المكوك كله إلى مركزها ، لو أنه بقى على سطح القمر .

التقى حاجبا الدكتور (ناظم) ، وهو يقول :

– لو لم يجمعوا المعلومات اللازمة ، لن يصبح هناك فارق جوهرى ، بين أن تجذبهم الدوّامة إليها من على سطح القمر ، أو سطح الأرض .

مع آخر عبارته ، اندفع أحد مساعديه إلى المكان ، قائلاً فى توتر :

– سيّدى .. لقد اعترضنا رسالة أخرى ، مرسلة من المكوك إلى الأرض ، باستخدام جهاز اتصال خاص ، وشفرة سرية جديدة ، وأعتقد أنه يهمك جدًا معرفة فحواها .

التقط منه الدكتور (ناظم) الورقة التى يحملها ، وقرأ محتوياتها فى سرعة ، ثم اتسعت عيناه فى رعب شديد ..

لقد كان مضمون الرسالة هذه المرة مخيفًا ، رهيبًا ..

وإلى أقصى حد .

* * *



٦ - قلب الخطر ..

قرأ مدير مخابرات تلك الدولة الأجنبية الرسالة الشفرية ، التى أرسلها عميله على القمر ، وانعقد حاجباه فى شدة ، على نحو لم يفهمه مساعده ، الذى تنحنح قائلاً :

- لقد حطَّم أجهزة الاتصال فى المكوك ، بعد أن حصل على الكرة ..

هزَّ المدير رأسه فى صرامة ، قائلاً :

- هذا لا يكفى ..

ازدرد مساعده لعابه ، وقال فى حماس مصطنع :

- ولكنه يقول إن لديه خطة مدهشة .

إنه يخطِّط لسرقة المركبة الفضائية الصغيرة من المكوك ، والعودة بها إلى هنا ، و ..

انعقد حاجبا المدير أكثر ، وهو يقول :

- خطأ .

بهت مساعده لقوله ، فتراجع فى حذر ، فى حين مال المدير نحوه ، متابعًا فى صرامة :

- فراره بهذا الأسلوب الفج يكشف أمره وأمرنا على نحو سافر ، ويدفع الدول كلها مهاجمتنا ، قبل أن نفيد بما حصل عليه من معلومات ، أو ننجح بوساطته فى تطوير علومنا وتقنيتنا وأسلحتنا .

ازدرد المساعد لعابه ثانية ، وقال فى حذر :

- ما الذى تقترحه إذن يا سيدى ؟

لوّح المدير بكفه ، وهو يقول فى حزم :

- لقد ادى الخطوة الأولى فى نجاح ، ودمرّ اجهزة الاتصال فى المكوك ، وعزله مؤقتًا عن الأرض .. الخطوة التالية إذن هى منعه من مغادرة القمر .

ساله مساعده فى دهشة :

- وكيف هذا ؟

اجابه المدير فى صرامة :

- بنسف محركاته الرئيسية ايها الغبى .

ارتفع حاجبا المساعد فى دهشة عارمة ، ثم غمغم :

- ينسف محركاته ؟!

اوما المدير براسه إيجابًا ، وهو يقول :

- نعم يا رجل .. ينسف المحركات الرئيسية للمكوك ، ثم يبدأ فى القضاء على افراد الحملة ، واحدًا بعد الآخر ، وعندما يضمن سكوت الجميع بهذه الطريقة المضمونة ، يستقلّ مركبة الفضاء الصغيرة ، ويعود مع كرة المعلومات إلى الأرض .

حدّق مساعده فى وجهه بدهشة لحظات ، فساله فى صرامة :

- هل استوعبت الأمر ؟

انتفض المساعد ، وهو يهتف فى حماس :

- بالطبع يا سيّدى .. بالطبع ..

التقط المدير نفسًا عميقًا ، وهو يتراجع فى مقعده قائلاً :

- عظيم .. ارسل هذه التفاصيل لعميلنا على القمر ، وضع فى نهاية الرسالة امرًا واضحًا محدودًا .

والتقى حاجباه مرة اخرى ، مضيفًا فى صرامة مخيفة :

- نفّذ .

وانتفض جسد المساعد ثانية ..

وبعنف ..

* * *

استعاد (عماد) وعيه ، وجلس يدير عينيه فى وجوه رفيقته ، و (نور) و (اكرم) ، بتلك النظرة الشاردة الحائرة ، وهو يغمغم :

- ماذا نفعل هنا ؟!

تبادل (نور) و (اكرم) نظرة متوترة ، قبل ان يقول الأخير فى عصبية :

- قل لى يا سيّد (عماد) : هل تتنفّس الأكسچين مثلنا ؟

حدّق (عماد) فى وجهه بدهشة ، مغمغمًا :

– اتتنفس ماذا ؟!

واندفعت (نادية) تقول فى حدة :

– لست افهم ما الذى تعنيانه بالضبط ؟! .. إننا بشريان مثلكما ، ومن الطبيعى ان نتنفس الاكسچين كما تتنفسانه ، فلماذا يثير هذا الأمر دهشتكما ؟!

أشار (نور) إلى مؤشر اسطوانة الاكسچين الخاصة بها ، قائلاً :

– لأنكما لا تستهلكان مخزون الاكسچين فعليًا .

ارتفع حاجباها فى دهشة عارمة ، وامتقع وجهها فى شدة ، وهى تهتف :

– ماذا ؟! .. انت تمزح بالتاكيد !!

ولكن عينيها التقطتا بيانات المؤشر ، فى قاعدة خوذتها الفضائية ، فاستطردت فى ارتياع :

– ولكن هذا مستحيل ! .. مستحيل !

أدار (عماد) عينيه فى وجوههم ثانية ، وتمتم حائرًا :

– ما هو المستحيل ؟! .. ماذا نفعل هنا ؟!

ألقى (نور) نظرة على ساعته ، ثم قال فى حزم :

– فليكن .. الأمر يثير الدهشة والحيرة بالفعل ، ولكن ليس لدينا أدنى وقت لمناقشته أو محاولة

تفسيره .. سنواصل القفز الآن ، على أمل أن نبلغ المكوك فى الوقت المناسب ، وندرس الموقف هناك ، لو ..

لم يتمّ عبارته ، ولكن (اكرم) فهم ما ينوى قوله ، وردّده فى خفوت :

– لو وصلنا إليه أحياء .

أما (نادية) ، فسألت متوترة :

– ماذا تقصد بالقفز ؟!

أجابها فى حزم :

– أقصد أن نواصل طريقنا بأسلوب (الكنجارو)(*) .. هيا .. إننا نفقد فرصتنا ، فى كل لحظة تمضى .. هيا .

ومع شرح سريع للموقف ، أمسكت (نادية) يد رفيقها ، وراحا يقفزان على سطح القمر ، خلف (نور) و (اكرم) ، اللذين لاذا بالصمت التام ، ولم ينبس أحدهما ببنت شفة ، على الرغم من الحيرة الشديدة ، التى تملأ نفسيهما ، بشأن هذين اللذين

(*) الكنجارو : أو الكنغر : حيوان كيسى ، يستوطن (استراليا) و (تسمانيا) ، طرفاه الأماميان قصيران ، والخلفيان طويلان قويان ، يساعدانه على القفز ، كما يساعده ثقله العضلى على الاتزان فى أثناء القفز ، وهو أكل عشب ، ويحمل طفله فى كيس عند بطنه .

لا يستهلكان ما لديهما من أكسچين قط ..

وأخيرًا ، لاح المكوك من بعيد ..

وفي حماس ، هتف (أكرم) :

- ها هو ذا .. وصلنا يا (نور) .. وصلنا .

ومع نهاية هتافه ، انطلق أزيز قوى داخل خوذته ..

وغمغم (نور) فى ارتياع :

- رباه !! .. ليس الآن .

واحتقن وجه (أكرم) فى شدة ، وهو يحدِّق فى المكوك ، الذى بدا واضحًا ..

ولكن المسافة التى تفصلهم عنه ، كانت بالفعل أكثر مما ينبغى ..

فذلك الأزيز ، الذى انطلق فى خوذته وخوذة (نور) ، فى آن واحد تقريبًا ، كان يعنى أن مخزون الأكسچين لديهما قد نفد ..

أو كاد ..

وبكل ما يجيش فى صدره من انفعالات ، هتف (نور) :

- اقفز يا (أكرم) .. اقفز نحو المكوك .. ربما أمكننا أن ..

ولكن الكلمات اختنقت فى حلقه ..

اختنقت مع أنفاسه اللاهثة ، والانخفاض الشديد فى الأكسچين ..

وبكل قوته وإرادته ، حاول (نور) أن يدفع جسده إلى قفزة إضافية ، يدرك مقدمًا أنها لن توصله أبدًا إلى المكوك .

ولكن جسده أبى أن يستجيب ..

وعبر جهاز الاتصال فى خوذته ، سمع (أكرم) يهتف بصوت مختنق :

- اللعنة ؟

وراه يهوى أرضًا ، فهتف بدوره :

- لا يا (أكرم) .. لا تستسلم ..

ولكن صدره المختنق بنقص الأكسچين ، لم يستطع حتى إكمال الهتاف ، الذى انحبس فى رئتيه ، والمشهد كله يصطبغ بلون أسود أمام عينيه ، وصوت حائر يتسلَّل إلى أذنيه ، متمتمًا :

- ماذا أصابهما ؟!

وكان هذا آخر صوت سمعه (نور) ، قبل أن يسقط أرضًا بدوره ..

وينفد مخزون الأكسچين لديه تمامًا ..

* * *

شعر (خالد) بتوتر حقيقى ، وهو يتطلع إلى ساعته ، وانطلقت من أعماق صدره زفرة ملتهبة ، وهو يقول للروسى (نازسكى) :

- تُرى ماذا حدث بالضبط ؟! .. المفترض ، طبقًا لحساباتى ، ان مخزون الهواء لدى القائد و (اكرم) قد انتهى الآن ، ولم نتلق منهما اية إشارات ، او يصلا إلى هنا ، وحتى (غسان) ، الذى خرج للبحث عنهما لم يرسل اية إشارة تفيد ما حدث ، او حتى ما توصلَ إليه .

مطَّ (نازسكى) شفتيه فى امتعاض ، قائلاً :

- أنتم العرب لا تبالون كثيرًا بالنظم والقواعد .

رمقه (خالد) بنظرة غاضبة ، وهو يقول :

- نحن ماذا ؟! .. من قاد هذا المكوك إلى هنا إذن يا رجل ؟! .. من وضع خطة الحملة ونظامها ؟! ..

لوَّح (نازسكى) بذراعه ، قائلاً فى غلظة :

- لا تحدثنى عن النظام والخطط ايها العربى .. إنكم لم تعرفوا التطوّر والقوة إلا مع مطلع القرن الحادى والعشرين ، اما فى القرن السابق فقد كانت القوة كل القوة لنا نحن والامريكيين ، ولم يكن لكم شان على خريطتها .

ابتسم (خالد) ابتسامة ساخرة مستفزة ، وهو يقول :

- حقًا ؟! .. كم اشعر بالاسى من اجلكم ، فالاحمق وحده من يفقد القوة ، بعد ان سيطر على مفاتيحها .

انعقد حاجبا (نازسكى) فى غضب ، وهو يقول :

- اسمع ايها العربى .. إننى ..

قاطعه (خالد) فى حزم :

- اسمع انت ايها الروسى .. إننا هنا فى حملة ذات طابع خاص ، ولا يصح ان نترك هذا إلى صراعات وخلافات شخصية ، ولا إلى حديث سخيف حول القوة ومقاليدها ، ومن امكنه الحصول عليها فى الماضى ، او يسعى للفوز بها فى المستقبل .. اضف إلى هذا اننا نواجه مشكلة خاصة ، فقد اختفى قائدنا ورفيقه ، ولسنا ندرى شيئًا عن موقفهما ، ولا احد هنا يبالى بهذا ، ولست ادرى حتى اين ذهب الجميع .. الا يكفى كل هذا لنوقف ذلك الجدل السخيف ؟!

احتقن وجه (نازسكى) فى شدة ، ولوّح بسبّابته فى وجه (خالد) ، متمتمًا :

- ايها الـ .. الـ ..

ثم دار على عقبيه ، واندفع يغادر المكان فى حدة ، فشيّعه (خالد) بنظرة باردة ، مغمغمًا :

- اذهب إلى الجحيم .

قالها ، والقى نظرة اخرى على ساعته ، قبل ان يكرِّر متوترًا :

- تُرى ماذا حدث ؟! .. ماذا حدث ؟! .. لماذا لم نتلق منهم أية اتصالات ؟!

وهزَّ رأسه فى توتر ، ثم اتجه فى خطوات واسعة إلى حجرة الاتصالات ، مغمغمًا فى حنق :

- وأين اختفى (سليم) ؟! .. لماذا لا أجد شخصًا واحدًا يولى الأمر اهتمامًا مناسبًا ؟!

وصل إلى حجرة الاتصالات ، وهو ينهى عبارته ، فدفع بابها ، ودلف إليها ، و ..

واتسعت عيناه فى ارتياع ، وهو يطلق شهقة قوية ، ثم يهتف :

- رباه ! .. (سليم) .

وانحنى يفحص زميله الصريع فى توتر بالغ ، والقى نظرة مذعورة على آلات الاتصال المحطَّمة فى المكان ، ثم اندفع يعدو خارجه ، وهو يصرخ :

- خيانة .. خيانة على المكوك ..

اندفعت (ناتاشا) من حجرتها ، هاتفة :

- ماذا حدث ؟! .. لماذا تصرخ ؟!

وظهر (واتسن) و (كيندرمان) ، يعدوان عبر الممر ، والأول يقول فى توتر :

- ماذا تقول أيها العربى ؟! .. لماذا تصرخ هكذا ؟!

ثم أطلَّ (أوتو) من حجرته ، وبدا وكأنما استيقظ من نومه على الفور ، وهو يغمغم فى انفعال :

- ماذا هناك ؟ .. هل ...

وقبل أن يتمّ عبارته ، دوّى الانفجار ..

انفجار محدود ، فى قلب المكوك ، ارتجَّ له جسمه كله فى عنف ، ففقد الجميع توازنهم ، وسقطوا أرضًا ، وصاحت (ناتاشا) مذعورة :

- ماذا يحدث هنا ؟! .. أهى كارثة جديدة ؟!

هبَّ (خالد) واقفًا ، وهو يقول فى عصبية :

- بل هو أمر داخلى .. هذا الانفجار حدث فى غرفة المحركات ..

قالها ، وانطلق يعدو نحو حجرة المحركات ، فى قاع المكوك ، ولحق به الجميع فى توتر بالغ ، وما إن بلغوا المكان ، حتى اتسعت عيونهم فى ارتياع ، وشهقت (ناتاشا) هاتفة :

- يا إلهى ! .. مستحيل !

فأمام عيونهم جميعًا ، كانت حجرة المحركات تشتعل بالنيران ، وقد تحطَّمت كل آلات الدفع داخلها ..

تحطَّمت تمامًا ..

وفى الثانية التالية مباشرة ، بدأت أجهزة التأمين عملها ، وانطلق فى المكان مسحوق أبيض مضاد للنيران ، وراح يغمر كل شىء بطبقة بيضاء رقيقة ..

وفى لحظات معدودة ، انطفأت نيران غرفة المحركات ..

ولكن النيران المشتعلة فى الصدور لم تنطفئ ..

فما حدث كان يعنى ان الجميع قد اصبحوا سجناء على القمر ..

سجناء ستحدُد مصيرهم دوّامة ..

دوّامة فضائية غامضة ..

* * *

لم يبد أدنى انفعال على وجهى (نادية) و (عماد) ، عندما سقط (نور) و (اكرم) فاقدى الوعى ، مع نفاد مخزون الأكسجين فى اسطوانتيهما ..

لقد تبادل الاثنان نظرة صامتة ، خالية من المشاعر ، ثم ردّد (عماد) كالذاهل :

- لقد سقطا .

تمتمت (نادية) :

- إنه مصير طبيعى بالنسبة لهما .. لقد فقدا مصدرًا من مصادر حياتهما .

قالتها ، وواصلت طريقها نحو المكوك فى هدوء ، فتبعها (عماد) بحركة آلية ، كطفل حائر مرتبك ، وهو يتمتم :

- لقد سقطا .

ولكنهما لم يقطعا مترًا واحدًا ، حتى برز امامهما فجأة رجل فى زى فضائى ، من خلف صخرة كبيرة ، وحدّق فى وجهيهما ذاهلاً ، وهو يقول :

- رباه ! .. من انتما ؟! .. اين (نور) و (اكرم) ؟

تراجعت (نادية) بحركة حادة ، فى حين استدار (عماد) يشير إلى (نور) و (اكرم) ، وهو يكرّر فى بلادة :

- لقد سقطا .

ادار (غسان) عينيه ، إلى حيث يرقد (نور) و (اكرم) ، وهتف :

- رباه ! .. هل وصلت بعد فوات الأوان ؟!

ووثب إليهما ، وانحنى يستبدل اسطوانتيهما الفارغين بالأسطوانتين الاحتياطيتين اللتين يحملهما ، وهو يقول فى انفعال :

- لا .. ليس (نور) و (اكرم) .. ساعدهما يا إلهى ! .. ساعدهما ..

انتهى من استبدال الأسطوانتين ، و (نادية) و (عماد) يراقبانه فى صمت ، دون أن يتدخل أحدهما لمعاونته ، فأخذ هو يهزّ (نور) فى قوة ، هاتفًا :

- استيقظ أيها القائد .. التقط إنفاسك .. هيا .. لا تستسلم للموت .. قاومه .. هيا بالله عليك .

امتلأت خوذة (نور) بالأكسجين ، الذى تدفق عبر أنفه إلى رئتيه ، فسعل مرتين ، ثم فتح عينيه فى صعوبة ، متمتمًا :

- حمدًا لله .. حمدًا لله ..

كرّر (غسّان) خلفه ، وهو ينتقل بسرعة إلى حيث يرقد (أكرم) :

- حمدًا لله أيها القائد .. حمدًا لله .

ولكنه لم يكد ينحنى على (أكرم) ، حتى راه يتطلع إليه بعينين مجهدتين ، مغمغمًا :

- كم هو جميل أن تستنشق الهواء مرة أخرى .

ترقرقت عينا (غسّان) بالدمع ، من فرط الانفعال ، وهو يتمتم :

- حمدًا لله على سلامتكما .

وراح يعاونهما على النهوض ، والشاب والفتاة يراقبانه فى صمت ، قبل أن يتمتم الأول ، بنفس النبرة نصف الذاهلة :

- لقد نجيا .

غمغمت الفتاة فى بطء :

- نعم .. لقد نجيا .

قالتها ، ويدها تعبث بمؤشر الأكسجين فى أسطوانته ، وتعالجه على نحو عجيب .. عجيب بحق ..

* * *



قالتها ، ويدها تعبث بمؤشر الأكسجين فى أسطوانته ، وتعالجه على نحو عجيب ..

انطلقت من أعمق أعماق صدر القائد الأعلى زفرة حارة ، وهو يراجع التقرير الأخير للموقف ، ثم رفع عينيه إلى الدكتور (ناظم) ، قائلاً :

– الأمور تتطوّر بسرعة ، وعلى نحو مثير للقلق والاشمئزاز يا دكتور (ناظم) .. الاتصالات انقطعت تمامًا عن المكوك ، وتلك الرسالة تطالب جاسوسًا مجهولاً هناك بتدمير محركاته الرئيسية ، والتخلّص من كل أفراد الحملة ، وفي الوقت ذاته يقف علماؤنا عاجزين عن التعامل مع تلك الدوّامة الرهيبة ، التي تتسع لابتلاع كوكبنا كله ، بسبب نقص ما لديهم من معلومات ، وعدم قدرتنا على الاتصال بالمكوك .. ألا يوجد مخرج من هذا المأزق بالله عليك ؟!

تنهّد الدكتور (ناظم) في أسف ، وهو يقول :

– ليس بعد أيها القائد .. إننا نقلب الأمر على كل الوجوه ، ولكننا لم نعثر على وسيلة لمعالجة الموقف بعد .. لقد فكرنا في إرسال تحذير عاجل إلى المكوك ، أو حملة أخرى ، ولكن هذا أو ذاك يحتاجان إلى ما يفوق ما لدينا من وقت .. وفي الوقت ذاته ، طلبنا من كل مرصد ، في العالم أجمع ، أن يسعى لجمع كل ما يمكنه من معلومات عن تلك الدوّامة ، وما زلنا في انتظار التقارير والنتائج .

سأله القائد الأعلى :

– ألا يمكن استخدام شعاع مباشر من الليزر ، لإرسال رسالة تحذيرية لـ (نور) ؟!(*)

هزّ الدكتور (ناظم) رأسه أسفًا ، وهو يجيب :

– المشكلة أن الزاوية ، التي هبط عندها مكوك الفضاء ، تجعل وصول شعاع الليزر المباشر إليه أمرًا مستحيلاً .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وغادر مكانه خلف مكتبه ، وراح يجول في حجرته الواسعة ، ووجهه يحمل أمارات تفكير عميق ، قبل أن يتوقّف ليسأل الدكتور (ناظم) في توتر :

– وماذا لو أطلقنا قمرًا صناعيًا بزاوية خاصة ، يمكنه منها إطلاق شعاع الليزر الصوتي المطلوب ؟

أجابه الدكتور (ناظم) بسرعة ، تشفّ عن توقّعه المسبّق للاقتراح :

– سيحتاج هذا إلى عشرين ساعة على الأقل ، ولا أحد يدري ما يكن حدوثه ، خلال هذه الساعات العشرين .

(*) يستخدم العلم الحديث شعاعًا من الليزر ، يتم تصويبه إلى مكان ما ؛ للتصنّت على كل ما يدور فيه من أحاديث ، عن طريق ارتداده بالذبذبات الناشئة ، ويمكن استخدام الوسيلة نفسها لنقل ذبذبات محدودة إلى مكان ما ، يمكنه تلقيها كرسالة صوتية مسموعة .

قال القائد الأعلى فى حزم :

- ولكنه سيصل قبل اثنين وعشرين ساعة من لحظة الخطر على الأقل .

قال الدكتور (ناظم) فى حماس :

- بالضبط .

أشار القائد الأعلى بيده ، قائلاً :

- ابدأ العمل إذن على بركة الله .

قال الدكتور (ناظم) :

- ولكن إطلاق قمر صناعى جديد يحتاج إلى موافقة السيِّد رئيس الجمهورية ، ورئيس مجلس التعاون الفضائى ، وإلى ..

قاطعه القائد الأعلى فى حزم :

- ابدأ العمل يا رجل ، واترك لى هذه التفاصيل .. دعنا لا نضيع لحظةواحدة فيما لا يفيد .. يكفى أننا سنفقد عشرين ساعة كاملة فى إعداد القمر الصناعى .

وافقه الدكتور (ناظم) بإشارة من يده ، قائلاً :

- إننى أتساءل فى الواقع ، ما الذى يمكن أن يحدث ، خلال هذه الساعات العشرين ؟

أجابه القائد الأعلى فى اقتضاب حازم :

- الكثير .

ثم أضاف فى سرعة :

- ولكننا سنعتمد خلالها على واحد من أفضل أسلحتنا على الإطلاق .

تطلَّع إليه الدكتور (ناظم) بنظرة حائرة متسائلة ، جعلته يضيف :

- (نور) .. المقدَّم (نور) .

وكان هذا جوابًا كافيًا ..

* * *

أطلّ مزيج من الغضب والتوتر والقلق من عينى (نور) ، وهو يراجع ما أصاب المكوك ، فى حين بدت الدهشة على الباقين ، وهم يتطلعون إلى (عماد) و (نادية) ، قبل أن يتمتم (كيندرمان) :

- إذن فقد كان هناك أحياء على القمر .. يا إلهى ! .. كيف يمكن أن ينجو المرء من كارثة كهذه ؟

أجابه (أكرم) فى شىء من الصرامة :

- أعتقد أننا شرحنا لك هذا مرتين على الأقل .

هزَّ (كيندرمان) رأسه فى بطء ، قائلاً :

- مازلت أشعر بالدهشة !

التفت إليه (نور) ، قائلاً :

- الأجدى أن تشعر بالخوف أو الذعر يا هذا ، فلقد فقدنا أجهزة الاتصال ، والمحركات الرئيسية ،

ولم تعد لدينا وسيلة واحدة للاتصال بالارض ، او العودة إليها .. اضف إلى هذا انه هناك خائن بيننا ، سرق كرة المعلومات ، وقتل (سليم) ، ومازال يسعى لتدميرنا تمامًا ، ومنعنا من العودة إلى الارض .

ساله (واتسن) فى توتر ، وهو يتلفت حوله :

- ومن هذا الجاسوس ؟

اشار (نور) بسبابته ، قائلاً :

- إنه الشخص الذى انفصل عن رفيقه ، فى اثناء عملية البحث ، ليتعقبنا ، ويسعى خلفنا ، حتى نبلغ الموقع السرى لكرة المعلومات ، ثم يطلق علينا موجة ترددية فائقة ، تفقدنا وعينا ، ويستولى على الكرة ، ويعود إلى رفيقه متظاهرًا بالبراءة .

انعقد حاجبا (ناتاشا) فى شدة ، وادار (خالد) عينيه إلى (واتسن) فى حركة حادة ، فى حين مطّ (كيندرمان) شفتيه ، وشدّ (اوتو) قامته فى اعتداد مبالغ ..

وفى شىء من الصرامة ، قال (خالد) :

- اعتقد ان هذا ينطبق عليك يا سيّد (واتسن) .

هتف (واتسن) فى دهشة مستنكرة :

- انا ؟!

اجابه (خالد) :

- نعم .. انت .. مازلت اذكر انك اقترحت علىّ ان

تنفصل ، فور مغادرتنا المكوك ؛ ليبحث كل منا فى اتجاه ؛ توفيرًا للوقت .

اضطرب (واتسن) ، وهو يقول :

- ولكننى لم افعل شيئًا .. لقد فحصت المنطقة التى ذهبت إليها ، ثم التقيت بك فى المكان المتفق عليه ، وعدنا معًا إلى هنا ..

ثم استطرد فى حدة :

- وبالمناسبة !.. لماذا لا تكون انت الخائن ؟!.. الم تكن وحدك طوال الوقت ؟!

قال (خالد) فى عصبية :

- ولكننى لست صاحب اقتراح الانفصال .

لوّح (واتسن) بسبابته فى وجهه ، هاتفًا :

- لو اننى لم اقترحه ، لوجدت وسيلة اخرى لتنفيذ ماربك .

صاح به (خالد) :

- ليس من حقك ان تتهمنى هكذا .

صاح به (واتسن) بدوره :

- لماذا ؟!.. المجرّد انك عربى ؟!

تدخّل (نور) لحسم ذلك الشجار ، قائلاً فى صرامة :

- مهلاً .. لن نضيع الوقت فى جدال سخيف

كهذا .. لقد انفصلتما فور مغادرتكما المكوك ، وهذا يعنى ان كلاً منكما مشتبه فيه .

هتف (واتسن) غاضبًا :

- ولماذا نحن بالذات ؟!.. (اوتو) ايضًا كان وحده خارج المكوك .. لقد رايته يسير منفردًا ، فى اثناء عودتنا إلى هنا .

اتسعت عينا (اوتو) فى شدة ، وقال :

- انا ؟!.. ولكننى لم اذهب بعيدًا .. كنت اتفقد المنطقة حول المكوك فحسب .

قال (خالد) فى عصبية :

- ومن ادرانا انك لم تذهب بعيدًا ؟!

ارتبك (اوتو) بضع لحظات ، قبل ان يقول :

- لدى شاهد .

ساله (اكرم) بسرعة :

- اى شاهد ؟!

ادار (اوتو) عينيه فيما حوله ، ثم اشار إلى (كيندرمان) ، قائلاً :

- الأمريكى .

انعقد حاجبا (كيندرمان) فى شدة ، و (اوتو) يستطرد فى انفعال :

- لقد رانى حول المكوك ، عندما كان هناك .. اليس كذلك ايها الأمريكى ؟ .. الم نلتق هناك ؟

مطَّ (كيندرمان) شفتيه ، وغمغم :

- نعم .. التقينا عند عودتك .

هتف (اوتو) :

- الم اقل لكما ؟

تابع (كيندرمان) فى صرامة :

- ولكننى لست ادرى اين كنت ، ولا ما الذى فعلته قبل عودتك .

التفت إليه (اوتو) فى غضب ، صائحًا :

- هكذا ؟!.. انا ايضًا اجهل اين كنت ، قبل ان التقى بك ، ولا السبب الحقيقى لخروجك من المكوك .

ابتسم (اكرم) فى سخرية عصبية ، قائلاً :

- رائع .. هذا يعنى ان عدد المشتبه فيهم قد ارتفع إلى اربعة .

ثم التفت إلى (ناتاشا) ، مستطردًا :

- اخبرينى يا جميلتى .. هل انفصل عنك رفيقك ايضًا ؟

تطلعت إليه لحظة فى صمت وضيق ، ثم لم تلبث ان اشاحت بوجهها ، مجيبة فى خفوت :

- ليس لفترة طويلة .

قال (نور) فى صرامة :

- اتعنين انه قد انفصل عنك بالفعل ؟!

ثم تلفت حوله ، مستطردًا :

- وبالمناسبة : اين هو ؟!.. اين (فيدور نازسكى) ؟!.. إننى لم اره منذ عودتنا إلى المكوك !

تلفت الجميع حولهم ايضًا ، ثم قال (خالد) متوترًا :

- وانا لم اره منذ حدث الانفجار .. لقد اختفى بعدها تمامًا ، و ...

بتر عبارته بغتة ، عندما قفزت فكرة مخيفة إلى راسه ، وادار الجميع عيونهم ، ونظر بعضهم إلى البعض ، قبل ان يهتف (اكرم) :

- يبدو اننا عرفنا من هو الخائن يا رفاق .

ثم استلّ مسدسه ، مستطردًا :

- هيا .. دعونا نبحث عنه .

انطلق الجميع يبحثون عن (نازسكى) ، واشار (نور) إلى حجرته ، قائلاً :

- القاعدة الأولى فى البحث ، هى الا نتجاوز الأماكن الطبيعية المحتملة .

اتجه (اكرم) إلى حجرة (نازسكى) ، وهو يقول ساخرًا :

- هل تعتقد انه من المحتمل أن ذلك البغل الروسى قد استغرق فى نوم عميق ، حتى انه لم يشعر بكل ما حدث هنا ؟

قالها ، ودفع باب الحجرة بقدمه ، وهو يشهر مسدسه ، و ...

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يكمل :

- آه .. إنه لم يشعر بالفعل .

فامام عينيه مباشرة ، وفوق مقعد كبير فى مواجهة باب الحجرة ، سقط (نازسكى) جاحظ العينين ، وفى منتصف جبهته ثقب كبير ، تجمّدت فوقه الدماء ..

لقد ضرب الجاسوس ضربته التالية .. وبنجاح .

* * *



٧ - القاتل ..

خيّم وجوم شديد على حجرة الاجتماعات ، داخل مكوك الفضاء (القاهرة - ٢٠٠٠) ، وساد صمت ثقيل والكل يتبادل نظرات مضطربة متوترة ، قبل ان تتركّز العيون كلها على وجه (نور) الذى بدا متجهمًا حانقًا ، يحمل امارات غضب وتفكير عميقين ، وهو يدرس ما حدث ، ويراجع كل الأمور ، فى محاولة لكشف جزء من ذلك الغموض ، الذى اصبح يحيط بكل ما حوله ..

وعندما طال الصمت ، التقط (اكرم) نفسًا عميقًا ، قبل ان يقول فى شىء من العصبية :

- حسن .. هل سنمضى يومنا كله هكذا ؟!

رفع (نور) عينيه إليه ، قائلاً :

- كلا بالطبع ، ولكننا امام امر معقّد بالفعل ؛ فمما لاشك فيه اننا نواجه مشكلة بالغة الخطورة ، إذ اصبحنا سجناء على القمر ، وبيننا جاسوس خائن ، يسعى لتصفيتنا واحدًا بعد الآخر، حتى يمكنه الاستئثار بكرة المعلومات ، وكل ما تحويه من أسرار وتفاصيل .. والمشكلة ان هذا الشخص يؤدى عملاً حقيرًا ، تم إسناده إليه ، دون ان يتوقّف لحظة واحدة للتفكير فى عواقبه ، وفيما يمكن ان يؤدى إليه عمله

هذا .. ولست ادرى كيف لم يفهم اننا هنا فى محاولة لتفادى ما يمكن ان ينشا من اعراض جانبية ، بعد كارثة الشمس المحدودة ؟!.. إن ما فعله يمكن ان يخفى حقيقة كارثة جديدة ، قد تكون لها ابعاد اكثر خطورة .

ساله (اوتو) فى قلق :

- كارثة مثل ماذا ؟

اجاب (نور) فى سرعة :

- قنبلة ثانية مثلاً ، تكون فى طريقها الآن إلى الأرض ، دون ان ندرك او يدرك علماؤنا هذا .

هزّ (واتسن) راسه ، وهو يقول فى عصبية :

- قل لى ايها المصرى : هل تحاول استثارة نخوة الجاسوس ؟!.. هل تتصوّر انك بحديثك هذا ، ستشعل فى اعماقه نداء الواجب ، فيهبّ للاعتراف ، ويعيد إليك تلك الكرة السخيفة ؟!.. لو انك تتصوّر هذا فانت واهم بحق .. إنه فعل ما فعل ثقة منه فى انه يعمل من اجل وطنه .

انعقد حاجبا (اكرم) ، وهو يتطلّع إليه فى شك ، فى حين اجابه (نور) فى حزم :

- بالطبع .. وانا لم اتوقّع منه تراجعًا او اعترافًا .. كل ما اردته هو ان اوضّح لكم الموقف فحسب .

ساله (كيندرمان) فى برود :
- وماذا بعد ان فعلت ؟
اجابه (نور) فى صرامة :
- ننتقل إلى مرحلة التنفيذ .
ثم اعتدل فى مقعده ، مستطردًا :
- الأمران اللذان يجب ان نثق بهما جيدًا ، هو ان ذلك الخائن يجلس بيننا الآن ، حول هذه المائدة ، وانه يخفى كرة المعلومات فى مكان ما داخل المكوك .
سالته (ناتاشا) :
- ولِمَ لا يكون قد اخفاها خارجه ؟!
هزَّ (نور) راسه نفيًا ، واجاب :
- لن يجازف بامر كهذا ، فهو لم يستولِ عليها ليبقيها هنا ، وإنما فعل ما فعل ليعود بها إلى موطنه ، ثم إن حجمها لا يستدعى الاحتفاظ بها فى مكان قد يعجز عن العودة إليه لسبب ما .
اوما (كيندرمان) براسه موافقًا ، وقال :
- هذا صحيح ، فليس من العسير إخفاء كرة فى حجم كرة التنس ، داخل مكوك ضخم كهذا ، و ...
قاطعه (اكرم) فجاة :
- وكيف عرفت هذا ؟!
التفت إليه (كيندرمان) فى حدة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول :

- كيف عرفت ماذا ؟!
اجابه فى صرامة :
- كيف عرفت انها فى حجم كرة التنس ؟!
امتقع وجه (كيندرمان) ، وحدقت العيون كلها فيه ، حاملة اتهامًا صريحًا ، وسالته (ناتاشا) فى صرامة :
- نعم ايها الأمريكى .. كيف عرفت هذا ؟
ارتبك (كيندرمان) واضطرب ، وهو يقول :
- إنها معلومة بسيطة .. نحن ايضًا لدينا كرات معلومات .
اجابه (نور) :
- خطا يا سيِّد (كيندرمان) .. كرات المعلومات لديكم اكبر حجمًا ، وليست فى حجم كرات التنس .. هذا الحجم الجديد هو تطوير خاص ، من ابتكار احد علمائنا ، ولم يستخدمه سوانا بعد .
اضطرب (كيندرمان) اكثر ، وارتبك مع العيون المتطلِّعة إليه ، وانحبست الكلمات فى حلقه ، فقال (اكرم) فى صرامة عصبية :
- إننا ننتظر الجواب يا سيد (كيندرمان) .
ازدرد (كيندرمان) لعابه فى صعوبة ، وهو يقول :
- حسنٌ .. انا اعترف .

اتسعت عيون (واتسن) و (اوتو) فى دهشة ، وتراجعت (ناتاشا) بحركة حادة ، وانعقد حاجبا (نور) وشهق (خالد) و (غسان) ، فى حين قال (اكرم) :

- حقًا ؟!

اندفع (كيندرمان) يقول فى حدة :

- نعم .. اعترف اننا نتجسس عليكم منذ فترة طويلة ، وان لدينا الكثير من المعلومات عنكم ، ولكن هذا لا يعنى اننى القاتل .. انا هنا فى مهمة علمية بحتة ، ولا شأن لى بالأعمال البوليسية .

هتف (اكرم) فى حنق :

- اه .. وهل من المفترض ان نقتنع بهذا يا سيد (كيندرمان) ؟!.. إذن فانت تتجسس علينا منذ فترة طويلة ، محاولاً معرفة اسرارنا ، ثم تتاح لك فرصة العمل بيننا ، فتتوقف بغتة عن التجسس ، وتتحول إلى شخص مسالم وديع .. يا لها من قصة منطقية !!

قال (كيندرمان) فى انفعال :

- لم اقل إننى كنت اتجسس عليكم يا رجل .. قلت : إننا كنا نتجسس عليكم ، والفارق هائل بين الكلمتين ، فانا رجل علم ، ولست جاسوسًا لاية جهة ، اما دولتى فلديها جهاز خاص للتجسس ، هو الذى

يقوم بمثل هذه المهام .. هل فهمت الآن يا سيد (اكرم) .. نحن كدولة كنا نتجسس عليكم منذ زمن طويل ، اما انا كفرد ، فلم افعل هذا ، ولن افعله قط .. ليس لاننى ارفض معاونة دولتى فى هذا الشأن ، ولكن لاننى لست مؤهلاً للقيام بمثل هذا العمل .

بدا مزيج من القلق والحيرة على الوجوه ، بعد هذه المرافعة المحدودة ، وعاد الصمت والوجوم يخيمان على المكان ، حتى قطعهما (نور) ، قائلاً :

- فليكن .. سنطرح هذا الأمر جانبًا الآن ، وسنبدا عملية بحث عن كرة المعلومات فى المكوك ، كما سندرس كيفية إجراء اتصالات جديدة مع الأرض بوسيلة ما .. وحتى نتفادى ما يمكن ان يفعله الجاسوس القاتل ، فى تلك المرحلة ، فإننا سنبحث عن الكرة فى ثلاثة محاور .. الأول فى حجرة القيادة وحجرة الاتصالات وغرف الأفراد ، وسيتولى هذه المهمة (ناتاشا) و (واتسن) و (خالد) ، والثانى فى مخازن المعدات ، وحجرة الاجتماعات وممرات التهوية ، وهذه مهمة (كيندرمان) و (اوتو) و (غسان) ، والثالث فى قاع المكوك ، وساتولى انا و (اكرم) هذا الجزء .

سالته (نادية) فى شىء من العصبية :

- وماذا عنا انا و (عماد) ؟
تطلع إليها (عماد) بنظرة ضائعة ، قبل ان يتمتم :
- نعم .. ماذا عنا ؟!
اجاب (نور) فى صرامة :
- ستبقيان هنا ، فى حجرة الاجتماعات ، ولن يسمح لكما بمغادرتها ، حتى تنتهى عمليات البحث تمامًا .
قالت (نادية) فى غضب :
- انا ارفض هذا .. صحيح اننا لسنا ضمن الحملة ، ولكن وجودنا هنا يجعلنا جزءًا من العملية كلها ، وسنواجه نفس المخاطر التى تواجهونها ، شئنا ام ابينا .
اجاب (نور) فى صرامة اشدّ :
- حاولى الا تنسى اننى القائد هنا ، واننى لن اقبل اية معارضات فى هذه المرحلة ، ومادمت هنا ، فستنفذين اوامرى بلا مناقشة .. هل فهمتِ هذا ، ام اننى مضطر للتكرار ؟!
تطلعت إلى عينيه لحظة فى صمت ، ثم مطت شفتيها ، قائلة :
- فليكن .
ثم اشاحت بوجهها ، وهى تقول لرفيقها فى عصبية :

- اجلس يا (عماد) .. إنهم لا يحتاجون إلينا الآن .
اطاعها الشاب دون مناقشة ، وتمتم :
- لا يحتاجون إلينا ؟!
رمقهما (نور) بنظرة صارمة ، قبل ان يشير للآخرين ، قائلاً :
- هيا .. سنبدا عملية البحث الآن .
تبادل الجميع نظرات متوترة ، وكل منهم يحمل فى اعماقه جبلاً من الشكوك ، ثم قال (كيندرمان) فى عصبية :
- اقترح ان نقوم بهذه المهمة معًا .. اعنى الا ينفصل افراد اى فريق لأى سبب .. لابد ان يعرف كل منا اين يقف زميلاه فى كل لحظة .
اجابه (نور) فى حزم :
- اقتراح مقبول يا سيِّد (كيندرمان) .
تنهَّد (كيندرمان) فى ارتياح ، وقال :
- عظيم .. دعونا نبدا العمل إذن .
غادرت المجموعة الأولى حجرة الاجتماعات ، وكذلك (نور) و (اكرم) ، فى حين قال (كيندرمان) على لسان مجموعته :
- فلنبدا بالبحث هنا ، ثم نواصل عملنا فى الخارج .

تبادلت (نادية) نظرة صامتة مع (عماد) ، وقالت :

- هذا افضل بالتأكيد ..

ولكن عينيها كانتا تحملان نظرة عجيبة .

نظرة لا تبعث على الارتياح ..

ابدًا ..

* * *

تنهّد (اكرم) فى ضجر ، وهو يبحث عن كرة المعلومات مع (نور) ، فى قاع المكوك ، قبل ان يلتفت إلى هذا الأخير ، قائلاً :

- مستحيل يا (نور) !.. إننا نبحث عن تلك الكرة منذ اكثر من ساعتين ، دون أن يبدو لها ادنى اثر .. اانت واثق من انها هنا ؟

توقّف (نور) عن البحث ، وهو يجيب :

- تمام الثقة ، فلو اننى فى موضع ذلك الجاسوس ، لما تركت شيئًا ثمينًا كهذا خارج المكوك .

لوّح (اكرم) بذراعه ، هاتفًا :

- اين هى إذن بالله عليك ؟

صمت (نور) بضع لحظات ، قبل أن يهزّ رأسه ، مجيبًا :

- لست ادرى يا (اكرم) .. لست ادرى .. إنها هنا فى مكان ما .. ليس لدى ادنى شكّ فى هذا .

جلس (اكرم) فوق احد الأجهزة ، وهو يقول :

- قل لى يا (نور) : من ذلك الجاسوس فى رايك ؟

جلس (نور) بدوره ، قائلا :

- كل شخص هنا يحتمل ان يكون الجاسوس يا (اكرم) ، فلا احد لديه دليل نفى لهذا .. (واتسن) و (خالد) انفصلا خارج المكوك ، وكذلك (ناتاشا) و (نازسكى) ، وحتى (كيندرمان) و (اوتو) كانا خارج المكوك ، دون اسباب مقنعة ، و (غسان) ليس لديه دليل واحد على انه غادر المكوك للبحث عنا ، قبل ان يهاجمنا ذلك الجاسوس .

قال (اكرم) مستنكرًا :

- ولكن (غسان) انقذ حياتنا .

هزّ (نور) كتفيه ، قائلاً :

- هذا يحسّن موقفه إلى حد كبير ، ولكنه لا يخرجه تمامًا من دائرة الشبهات .

اوما (اكرم) براسه متفهمًا ، وقال :

- عظيم .. هذا يعنى أن الجميع مشتبه فيهم ، باستثنائنا نحن و (عماد) و (نادية) .

تنهّد (نور) ، وقال :

- ربما يمكننا استثنائهما من عملية التجسّس ، والاستيلاء على كرة المعلومات ، ولكنهما مشتبه فيهما فى اتجاهات أخرى .

بدت الدهشة على (اكرم) ، وهو يقول :

- مشتبه فيهما ؟!.. الم تقل : إنك فحصت أسطوانتى الأكسجين بنفسك ، وتاكدت من ان موشريهما تالفان .

اجابه (نور) :

- هذا صحيح ، ولكن المصادفة لا تروق لى ابدًا .. لماذا يتعطل المؤشران فى آن واحد ؟!

قال (اكرم) فى اهتمام :

- ربما تعطلت كل الأجهزة والمؤشرات مع الكارثة .

هزّ (نور) كتفيه ، قائلاً :

- هذا احتمال وارد ، من الناحية العلمية ، ولكن كيف تفسّر حدوث العطل عند رقم ثابت فى الأسطوانتين ؟!

عقد (اكرم) حاجبيه بضع لحظات مفكرًا ، قبل ان يهز راسه ، مغمغمًا :

- لست ادرى .. ربما كان هناك تفسير علمى لهذا .

مال (نور) نحوه ، قائلاً :

- ربما .. ولكن حتى نتوصل إلى هذا التفسير ، فهما من المشتبه فيهما .

ساله (اكرم) فى شىء من الحيرة :

- فى اى امر ؟!.. لقد عثرنا عليهما فى قاعدة تم تدميرها بالكامل ، فما الذى يدينهما فى هذا بالضبط ؟

تراجع (نور) فى صمت ، ثم هزّ كتفيه ، قائلاً :

- من يدرى ؟!

كان صوته يحمل قدرًا هائلاً من الغموض ، ضاعف من حيرة (اكرم) وتوتره ، فانعقد حاجباه فى شدة ، وهمّ بإلقاء سؤال ما على (نور) ، لولا ان نهض هذا الأخير ، وهو يقول فى حزم :

- هيا نواصل البحث .

لحق به (اكرم) إلى تلك القاعة ، التى تحوى مركبة الفضاء الصغيرة ، وساله :

- (نور) .. إنك تخفى شيئًا ما .. اليس كذلك ؟!

ارتسمت على شفتى (نور) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

- ما الذى وضع فى راسك هذه الفكرة ؟

بدا الغضب على وجه (اكرم) ، وهو يقول :

- اسمع يا (نور) .. لست احب هذا الأسلوب ، الذى ...

فجاة ، وقبل ان يتمّ عبارته ، انطفات اضواء المكان كلها دفعة واحدة ..

وسرت قشعريرة باردة فى جسد (نور) ..

فمع انتفاء اى سبب طبيعى لحدوث هذا ، لم يكن لانقطاع الأضواء سوى تفسير واحد ..

ان القاتل يستعد لضربة جديدة ..
ولضحية جديدة ..

* * *

نهض القائد الأعلى من خلف مكتبه ؛ ليستقبل الدكتور (ناظم) ، الذى بدا شديد التوتر والعصبية ، وهو يحمل ملفًا ضخمًا ، ويهتف فى ارتياع :

- كارثة .. كارثة رهيبة ايها القائد .

اشار إليه القائد الأعلى بالجلوس ، وهو يساله فى انفعال شديد :

- ماذا حدث يا رجل ؟!.. ماذا حدث بالله عليك ؟!.. التقط انفاسك واخبرنى ما لديك .

القى الدكتور (ناظم) جسده على المقعد ، وراح يلهث فى انفعال ، وهو يقول :

- الصور .. الصور الجديدة للدوّامة حملت إلينا مفاجاة غير متوقّعة .. مفاجاة خطيرة للغاية .

ساله القائد الأعلى ، وقد تضاعف توتره وانفعاله :

- اية مفاجاة !.. لا تثر اعصابى اكثر يا رجل .. اخبرنى بالله عليك !

التقط الدكتور (ناظم) انفاسه ، وراح يخرج عددًا من الصور ، من الملف الذى يحمله ، وهو يجيب فى توتر شديد :

- انظر إلى هذه الصور الجديدة .. راقب مركز

الدوامة .. هل تلاحظ كيف اتسع ؟!.. هل ترى كم هو شديد السواد ؟!

تطلّع القائد الأعلى إلى الصور ، قبل ان يساله :

- وما الذى يعنيه كل هذا ؟!.

اجابه الدكتور (ناظم) بانفاس لاهثة :

- إنها ليست ظاهرة غامضة ، كما كنا نتصوّر .. إنها ظاهرة قديمة معروفة ، ولكننا نشهد تكوّنها لأوّل مرة ، وعلى نحو يخالف كل النظريات القديمة التى تناولتها ..

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى انفعال جارف :

- إننا نشهد ، ولأوّل مرة فى تاريخ العلم ، مولد ثقب اسود .. فجوة سوداء .. فى قلب مجموعتنا الشمسية .

تراجع القائد الأعلى كالمصعوق ، وهو يقول :

- فجوة سوداء ؟!.. يا إلهى !.. إن معلوماتنا السابقة عن تلك الفجوات السوداء هى انها نجوم منهارة ، انكمش حجمها ، وتضاعفت كثافتها وقوة جذبها إلى الذروة ، بحيث راحت تجذب إليها كل ما يحيط بها ، حتى الضوء ، وتلتهمه فى شراهة حتى تفنيه فى مركزها(*) .

(*) إحدى النظريات التى تناولت امر الفجوات السوداء فى الفضاء .

هزَّ الدكتور (ناظم) رأسه ، قائلاً :

– من الواضح أنها ليست كذلك .. إنها فجوات بالفعل ، كما نطلق عليها .. والدليل على هذا هو أن واحدة منها قد نشأت فى مركز ذلك الانفجار الهائل ، وهى تتسع بسرعة مخيفة ، وتتضاعف قوة جذبها فى كل لحظة ، وعلى نحو فاق حتى كل توقعاتنا وحساباتنا السابقة .

سرت قشعريرة باردة فى جسد القائد الأعلى ، وهو يحدّق فى وجه الدكتور (ناظم) ، قائلاً :

– فاقت توقعاتكم وحساباتكم ؟!.. ما الذى تعنيه بقولك هذا يا رجل ؟

هزَّ الدكتور (ناظم) رأسه فى أسف واضطراب ، قائلاً :

– ذلك الاتساع فى حجم الفجوة السوداء الجديدة ، فى مركز الدوّامة ، جعلنا ننتبه إلى أنها لا تتسع بمقدار ثابت ، وإنما بعجلة تصاعدية سريعة ، بحيث يتضاعف محيطها كل ثلاث ساعات .. ومع هذا الاتساع السريع ، اختلفت تقديراتنا كلها .

ازدرد القائد الأعلى لعابه فى صعوبة ، وهو يسأله :

– إلى أية درجة ؟!

زفر الدكتور (ناظم) ، وهو يجيب :

– طبقًا لتقديراتنا الجديدة ، ستصبح الدوّامة قادرة على جذب كل ما على سطح القمر أو حوله ، خلال ست ساعات فحسب ، وعلى جذب القمر كله بعد عشر ساعات ، ثم يحين دور الأرض نفسها ، بعد اثنتى عشرة ساعة فحسب من الآن .

اتسعت عينا القائد الأعلى فى ارتياع ، هاتفًا :

– اثنتى عشرة ساعة ؟!.. يا إلهى !.. وكيف يمكننا منع حدوث هذا ؟

هزَّ الدكتور (ناظم) رأسه فى أسف ، قائلاً :

– ليست هناك وسيلة واحدة لهذا للأسف .

اتسعت عينا القائد الأعلى أكثر وأكثر ، وخفق قلبه فى عنف ، والدكتور (ناظم) يجيب فى مرارة :

– لن نجد الوقت حتى لتحذير (نور) .

ترك القائد الأعلى جسده يهوى على أقرب مقعد إليه ، وهو يردّد :

– وما الفائدة !.. وما الفائدة من تحذيره ؟!

وكان على حق ..

ما الفائدة ؟!..

* * *

انتفض جسد (أوتو) فى عنف ، عندما انقطع التيار الكهربى بغتة ، وساد الظلام داخل المكوك ، وهتف فى عصبية :

– ماذا يحدث هنا بالضبط ؟!.. حوادث قتل متتالية ، ثم تنطفئ الأنوار دون مقدمات !!.. أى مصير ينتظرنا فى هذا المكوك اللعين .

اجابه (غسّان) فى شيء من القلق :

– من الواضح انه انقطاع تام ، وهذا يعنى ان خللاً قد اصاب احد المسارات الرئيسية للتيار ، او ان احدهم قد عبث بالمولّد الكهربى فى القاع .

هتف (كيندرمان) :

– آه .. القاع .. ليس هناك فى القاع سوى القائد وزميله .. تُرى لماذا قطعا التيار .

اجابه (غسان) فى صرامة :

– القائد و (اكرم) فوق الشبهات يا رجل .

قال (كيندرمان) فى حدة :

– ولماذا تستبعدهما ؟!

اجابه (غسّان) فى صرامة :

– لانه ليس لديهما مبرّر للقيام بكل هذا .

قال (كيندرمان) محتدًا :

– ومن ادراك ؟!

ثم استطرد فى عصبية :

– لماذا لا يفعل احد شيئًا بخصوص هذا الظلام ؟! هل سنغرق فيه إلى الأبد ؟!

تنهّد (أوتو) ، وقال :

– سأذهب للبحث عن وسيلة لإعادة الأضواء .

سمع (كيندرمان) و (غسّان) وقع قدميه ، وهو يغادر الحجرة ، وران عليهما الصمت بضع لحظات ، قبل ان يغمغم الأوّل :

– ما معنى هذا ؟!.. كيف سيجد وسيلة لإعادة الأضواء .. إننا لا نكاد نتلمّس طريقنا ، وسط هذه الظلمة الدامسة ؟!

انعقد حاجبا (غسّان) ، وهو يتمتم :

– نعم .. كيف سيفعل هذا ؟!

وتسلّل الشكّ إلى اعماقه ، وهو يضيف :

– هل تعتقد انه ..

قاطعه بغتة وقع أقدام تتجه إلى مكانه فى ثبات ، فانعقد حاجباه أكثر ، وهو يتمتم :

– عجبًا !.. إنه شخص يسير فى ثقة ، كما لو انه يعرف طريقه جيدًا .

تمتم (كيندرمان) ، والخوف يعتصر قلبه :

- أو انه يرى طريقه فى وضوح .

قال (غسّان) فى دهشة ، وهو يتراجع بلا هدف ، ووقع القدمين يصكّ مسامعه :

- يراه ؟!.. فى هذه الظلمة .

اجابه (كيندرمان) ، وهو يلتصق بالجدار مذعورًا :

- هناك اجهزة عديدة للرؤية الليلية ، وهى متوافرة ورخيصة الثمن ، و ...

بتر عبارته بغتة ، عندما توقّف وقع القدمين عند باب مخزن المعدات ، الذى يقفان داخله ، وران على المكان صمت رهيب ، استغرق ثانيتين فحسب ، ولكنهما بدتا أشبه بدهر كامل ، بالنسبة لـ (كيندرمان) و (غسّان) ، قبل ان يقول الأخير فى عصبية :

- سيّد (اوتو) .. اهو انت ؟!.

جاوبه صمت مطبق ، ضاعف من عصبيته وتوتره ، وهتف (كيندرمان) :

- لو انه انت يا (اوتو) فاجب يا رجل .. اعصابنا لن تحتمل هذا العبث .. اجب بالله عليك .

اجب .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انطلق شعاع من الليزر يشقّ المكان ، قبل ان يخترق راس (كيندرمان) ، الذى شهق فى قوة ، وجحظت عيناه فى شدة ، ثم هوى جثة هامدة ، عند قدمى (غسّان) ، الذى هتف فى عصبية زائدة :

- من انت ؟!.. من انت ايها الوغد ؟!.. لماذا تفعل بنا هذا ؟!

ولوّح بذراعيه فى عنف ، محاربًا عدوًا مجهولاً ، لا تراه عيناه ، فى حين لاذ خصمه بالصمت التام ، وتركه يقاتل الهواء بضع لحظات ، حتى هتف ، وهو يلهث فى شدة ، من فرط التوتر والانفعال :

- من انت ؟!.. اجب ايها الوغد .. اجب .

ثم صرخ :

- اللعنة على هذا الظلام .. اللعنة !

انبعث وسط الظلام الدامس صوت ساخر يقول :

- بل ما افضله .

انتفض جسد (غسّان) فى عنف ، عندما سمع العبارة ، وتراجع فى حدة كالمصعوق ، حتى ارتطم بالجدار ، واتسعت عيناه عن آخرهما فى الظلام الدامس ، وهو يهتف ذاهلاً :



انتفض جسد (غسان) فى عنف ، عندما سمع العبارة ، وتراجع فى حدة كالمصعوق ..

- مستحيل !.. إذن فهو انت .

اجابه الصوت الساخر :

- نعم .. هو انا ايها العبقرى .

سقط فكه السفلى من فرط الذهول ، و ...

وانطلق شعاع آخر من الليزر ..

واصاب هدفه كالمعتاد ..

وعندما سقط (غسان) جثة هامدة ، إلى جوار جثة (كيندرمان) ، ران على المكان ذلك الصمت الرهيب لحظات اخرى ، ثم عاد وقع الأقدام يرتفع ، وصاحبها يبتعد ..

ويبتعد ..

ويبتعد .

* * *



٨ - الساعات الأخيرة ..

انحنى (نور) يفحص جثة (غسان) فى اسف ، وهزّ راسه مغمغمًا فى حنق :

- لا يمكن ان يستمر هذا إلى الأبد .

ثم نهض ليواجه الباقين ، ورفع يده أمامهم بجهاز صغير مستطردًا :

- من الواضح اننا لا نواجه جاسوسًا بسيطًا ، وإنما نواجه شخصًا محنكًا ، بالغ الذكاء والبراعة .

تمتم (اكرم) :

- والقسوة .

وافقه (نور) بإيماءة من راسة ، وعاد يشير إلى الجهاز الصغير ، مكملاً :

- لقد عثرنا على هذا ، عند الكابلات الرئيسية فى قاع السفينة .. إنه جهاز بسيط ، يمكن ضبطه على موعد محدود ، بحيث يفصل الكابلات عن المولّد لفترة محدودة ، ينقطع خلالها التيار الكهربى ، وتتوقّف كل نظم الأمن والإضاءة داخل المكوك ، مما يمنح الجاسوس فرصة التحرك بحرية ، والظفر بضحية جديدة .

ارتجف صوت (ناتاشا) ، وهى تقول :

- لقد ظفر بضحيتين هذه المرة .

اجابها (نور) فى حزم :

- هذا لأنه كانت لديه فرصة مثالية ، مع اجتماعهما فى حجرة واحدة .

اطلق (اوتو) زفرة حارة ، وهو يقول :

- كان من الممكن ان يظفر بثلاث ضحايا ، لولا اننى غادرت الحجرة ، بحثًا عن وسيلة لإعادة التيار الكهربى .

ساله (اكرم) فى شىء من الصرامة :

- وهل يبدو لك هذا منطقيًا ؟

ساله (اوتو) فى عصبية :

- ماذا تعنى يا سيّد (اكرم) ؟! .. هل تتهمنى باننى القاتل ؟

اجابه (اكرم) فى حدة :

- ولِمَ لا ؟! .. لماذا لا تكون قد تظاهرت بالانصراف ، لترتدى منظارًا خاصًا ، يتيح لك القدرة على الرؤية فى الظلام ، ثم عدت لتقتل الرجلين .

هتف (اوتو) :

- ولماذا انا ؟! .. لماذا لا يكون اى شخص اخر ؟

صاح به (اكرم) :

- مثل من ؟!

اشار (اوتو) بيديه حوله ، قائلاً :

- اى شـخص .. (واتسـن) ، أو (خـالد) ، أو (ناتاشا) .. أو حتى انت .. كل شخص هنا يمكن أن يكون القاتل .

أجابه (نور) فى صرامة :

- انا لـم افترق عن (أكـرم) لحظـة واحـدة و (واتسن) و (خالد) و (ناتاشا) كانا معًا ، و ...

قـاطعتـه (ناتاشـا) ، وهى تتنحنح فى حـرج ، مغمغمة :

- نعم .. فى معظم الوقت .

التفت إليها (نور) فى حدة ، وقال :

- معظم الوقت ؟ ! .. المفترض انكم لم تفترقوا قط.

ترددت لحظة ، وهى تنظر إلى رفيقيها فى قلق ، فقال (خالد) :

- كان هذا صحيحًا ، حتى انقطع التيار الكهربى ، او بمعنى ادق ، قبل ان ينقطع بدقائق معدودة ، فقد تولّى كل منا مهمة تفتيش واحدة من الغرف ، وبينما كنا نفعل ، انطفأت الأنوار بغتة .

قال (نور) فى صرامة :

- وكان كل منكم فى حجرة منفصلة عندئذ !

تنهّد (خالد) واوما براسه إيجابًا ، فى حين قال (واتسن) فى عصبية :

- ومـاذا فى هذا ؟ ! .. الحجـرات كلهـا فى ممر واحد ، ولقد التقينا ثانية ، بعد دقائق معدودة من انقطاع التيار .

ساله (نور) :

- بعد كم دقيقة بالضبط ؟ !

هزّ راسه فى حيرة ، قبل ان يجيب :

- سبع أو ثمان دقائق على الأكثر .

مطّ (نور) شفتيه ، وقال :

- لو اننى ذلك القـاتل ، واعـرف الموعـد الذى سينقطع فيه التيار الكهربى بالضبط ، فإن ارتدائى للمنظار الخـاص بالرؤية الليليـة ، ووصـول إلى المخـزن لارتكاب جـريمتى ، ثم العـودة إلى هنا ، لن يستغرق هذه الدقائق السبع .

تراجـعت (ناتاشـا) فى شىء من الخـوف ، وهى تنتقل ببصرها بين زميليها ، متمتمة :

- هذا صحيح .

انعقد حاجبا (خالد) فى شدة ، وهو يقول :

- هل تتهمنا ايها القائد ؟

اجابه (نور) فى صرامة :

- نعم .. إننى اتهمكم جميعًا ، وبكل صراحة ووضوح .

انفعل (أوتو) بشدة ، وهو يقول :

- انا ارفض هذا الاتهام السخيف .. لقد حضرنا من أوطاننا إلى هنا ؛ لنتعاون على حل لغز كارثة هددت الأرض ، وليس ليقتل بعضنا البعض .

اجابه (نور) فى حزم :

- هذا صحيح بالنسبة للجميع .. فيما عدا القاتل.

هتف به (أوتو) :

- ومن هو ؟! أخبرنا بالله عليك ، لو انك ..

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدق فى نقطة ما خلف (نور) ، فاستدار هذا الأخير فى سرعة إلى حيث ينظر ، ورأى (عماد) يترنح بشدة ، و (نادية) تسرع نحوه ، هاتفة :

- (عماد) .. ماذا أصابك ؟! .. ماذا حدث ؟!

كان وجه الشاب محتقنًا بشدة ، كما لو أن دماءه كلها قد اندفعت إليه ، وعيناه جاحظتان على نحو مخيف ، وهو يلوح بيده ، وكأنما يحاول التشبث بشىء ما ، وهو يطلق صوتًا عجيبًا من حلقه ، فصرخت (نادية) :

- النجدة .. اغيثوه بالله عليكم .. اغيثوه .

هوى (عماد) أرضًا ، مع آخر حروف كلماتها ، فاندفع الجميع نحوه ، وانحنى (نور) ليفحصه ،

ولكنه لم يكد يلمس جبهته ، حتى تراجع كالمصعوق ، هاتفًا :

- يا إلهى !

سأله (واتسن) فى توتر :

- ماذا حدث ؟!

اجابه (نور) بدهشة بالغة :

- إنه ساخن للغاية .

سألته (ناتاشا) فى حيرة :

- أتقصد انه محموم ؟!

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

- بل ساخن .

تفجَّرت الدموع من عينى (نادية) ، وراحت تهزّ (عماد) فى قوة ، هاتفة :

- (عماد) .. لا تستسلم لهذا يا (عماد) .. قاوم .. كلانا يعلم انه يمكنك التحكُّم فى هذه الحرارة اللعينة .. قاوم يا (عماد) .. قاوم بالله عليك .

ولكن وجه الشاب ازداد احمرارًا واحتقانًا ، وراحت ابخرة باهتة تتصاعد من فتحتى انفه ، ومن بين شفتيه المنفرجتين ، فاتسعت عيون الجميع فى ذهول ، وغمغم (اكرم) مبهوتًا :

- ما هذا بالضبط ؟!

هزَّ (نور) راسه ، مجيبًا :

- لست ادرى ، ولكن درجة حرارته تبلغ ثمانين درجة مئوية على الأقل .

شهقت (ناتاشا) هاتفة :

- ثمانون ماذا ؟ ! .. ولكن هذا مستحيل !

أما (نادية) ، فراحت تصرخ :

- انقذوه .. افعلوا شيئًا .. الا ترون انه يحترق ؟ !

سالها (نور) فى حيرة :

- وما الذى يمكننا أن نفعله ؟

صرخت بعينين زائغتين :

- أوقفوا تلك الحرارة اللعينة ! .. اوقفوها باى ثمن .

تلفَّت (اكرم) حوله فى حيرة ، ثم اندفع يلتقط زجاجة من زجاجات المياه ، وجذب الفك السفلى للشاب ، وهو يصب الماء بين شفتيه ، قائلاً :

- ربما يفلح هذا .

صرخت (نادية) فى ارتياع :

- لا .. ليس الماء .. لا تستخدم الماء .

ولكن تحذيرها جاء بعد فوات الأوان ، وبعد أن انسكب الماء فى حلق الشاب بالفعل ..

وفجاة ، تكاثفت الأبخرة المتصاعدة من انفه وفمه

بسرعة ، وتحولت إلى سحب من الدخان الكثيف ، و (نادية) تصرخ .

- لا يا (عماد) .. لا .. قاوم .. قاوم .

ومع اخر حروف كلماتها ، انبعث فجاة لسان من اللهب ، من حلق الشاب ، واخذت الأبخرة تتصاعد من مسامه ، و (نادية) تصرخ فى انهيار :

- قاوم .. قاوم .

ثم اشتعل جسد الشاب كله فجاة .

اشتعلت فيه النيران دفعة واحدة ، كما لو أن مسامه تفرز البنزين بدلاً من العرق ..

وتضاعف ذهول الجميع ، وهم يتراجعون فى حركة سريعة ، فى حين انهارت (نادية) تمامًا ، وقاومت (اكرم) بشدة ، وهو يجذبها بعيدًا عن النيران ، قبل ان يبدا جهاز الأمن الإليكترونى عمله ، ويحدِّد موضع الحريق ، ثم ينطلق نحوه ذلك السائل الرغوى من كل صوب ..

وخبت النيران اخيرًا ..

خبت بعد دقيقة واحدة ، او اقل قليلاً ، تاركة خلفها جسدًا متفحمًا ، ورائحة شواء مقززة تملا المكان ..

وفى ذهول تام ، غمغمت (ناتاشا) :

- أى عبث شيطانى هذا ؟

اما (نور) ، فقد التفت إلى الفتاة المنهارة ، وتمتم :

- كنت أعلم انه هناك سرا غامض وراء كل هذا .. كنت أعلم .

قالها ، فى نفس اللحظة التى سقطت فيها الفتاة فى غيبوبة عميقة ، تاركة خلفها سرًا عجيبًا ..

وظاهرة جديدة محيرة ..

* * *

ضباب عجيب أحاط بمكوك الفضاء (القاهرة - ٢٠٠٠) ، من كل صوب ..

ضباب كثيف ، له لون وردى عجيب ، اصاب (نور) بدهشة بالغة ، وهو يتطلع إليه ، من خلف نافذة حجرة القيادة ، قبل ان يلتفت إلى (اكرم) ، قائلاً :

- ما معنى هذا ؟

هزّ (اكرم) كتفيه ، دون ان يجيب ، وغادر الحجرة فى صمت ولا مبالاة ، حتى ان (نور) هتف محنقًا :

- إلى أين ؟!

تجاهله (اكرم) تمامًا ، وهو يواصل طريقه ، فانعقد حاجبا (نور) فى حنق ، وهو يقول :

- لماذا لا يهتمّ احد بما يحدث هنا ؟!

خُيّل إليه ان الضباب الوردى يتكاثف أكثر واكثر ، ويتكوّن فى اعماقه ما يشبه قبضة مضمومة ، تندفع نحو زجاج نافذة حجرة القيادة ..

وتراجع (نور) فى دهشة ، هاتفًا :

- مستحيل ! ..

ولكن القبضة الضبابية واصلت طريقها ، وارتطمت بزجاج النافذة ، و ...

وحطمته ..

وانخفض الضغط بغتة داخل الحجرة ..

وانطلقت صفارات الإنذار ، معلنة حالة الطوارئ ..

وكإجراء امن وقائى ، تم إغلاق باب الحجرة آليًا ، لعزلها عن باقى المكوك ..

واصبح (نور) وحيدًا ..

وبكل قوته ، صرخ :

- لا .. ليس هكذا .

وتشبث باحد الأجهزة الثقيلة بكل قوته ، حتى لا يندفع خارج المكوك ، واحتقن وجهه بشدة ، وجحظت عيناه ، و ...

وفجاة ، ظهر رجل عند النافذة ..

رجل لا يرتدى زيًا فضائيًا ..

واتسعت عينا (نور) فى شدة ، وهو يحدّق فى وجه ذلك الرجل الذى فرد ذراعيه ، واغلق النافذة المحطمة بجسده ، ليمنع انخفاض الضغط ، وهو يقول فى هدوء ، وبصوت دافئ عميق :

- اطمئن يا (نور) .. لن تلقى مصرعك .. اطمئن .

شعر (نور) بالارتياح ، مع توقف انخفاض الضغط ، وهتف فى دهشة ولهفة :

- (محمود) .. إنه انت .

ابتسم (محمود) ، وقال بصوته العميق :

- نعم يا (نور) .. إنه انا .

اندفع (نور) نحوه ، قائلاً :

- إذن فانت حقيقة يا (محمود) .. حقيقة .

اشار إليه (محمود) بيده ، قائلاً :

- توقف يا (نور) .. لا تقترب منى .. لا يمكنك ان تفعل .

توقف (نور) ، وقال فى دهشة :

- لماذا يا (محمود) ؟ .. لماذا ؟ !

ارتسمت ابتسامة حزينة على شفتى (محمود) ، قائلاً :

- لن يمكنك ان تفهم يا (نور) .. لن يمكنك ان تفهم .

قال (نور) فى لهفة :

- اشرح لى ، وسابذل قصارى جهدى .

هزّ (محمود) راسه نفيًا فى بطء ، وقال :

- صدقنى .. لن يمكنك ان تفهم .. القوانين والقواعد هنا تختلف تمامًا عن كل ما عرفته فى حياتك .. كل منطق الدنيا لن ينطبق هنا .

بُهت (نور) للجواب ، وساله فى تردُّد :

- (محمود) .. هل .. هل انت فى عالم الموتى ؟ !

ابتسم (محمود) ، قائلاً :

- كلاّ يا (نور) .. لست فى عالم الموتى .. الموتى لا يعودون ، ولا يمكنهم التسلل إلى احلامك .. انا فى عالم اخر .. عالم عجيب ، اشعر فيه بوحدة لا حدود لها ، ولا يؤنس وحدتى سوى (س - ١٨)(*) .. هل تعلم انه لحق بى هنا ؟ ! .. هو ايضًا لا يجد سبيلاً للعودة ، على الرغم من إمكانياته المتطوِّرة ، التى كانت تبدو لنا وكانها بلا حدود .

قال (نور) فى لهفة :

- من يدرى يا (محمود) ؟ .. ربما وجدنا نحن سبيلاً لهذا .

ارتسمت على شفتى (محمود) ابتسامة حزينة ، وهو يقول :

(*) راجع قصة (المقاتل الأخير) .. المغامرة رقم ٤٧

- ربما يا (نور) .. ربما .
ثم استطرد فى اهتمام مشوب بالقلق :
- ولكن ينبغى ان تبذل قصارى جهدك لإنقاذ الأرض اولاً .
ساله (نور) فى دهشة :
- وما الخطر الذى يهدّد الأرض يا (محمود) ؟
اشار (محمود) بيده إلى اعلى ، مجيبًا :
- ذلك الثقب يا (نور) .. الفجوة التى صنعها الانفجار .. إنها تهدّد الأرض كلها يا (نور) .
ردّد (نور) فى قلق شديد :
- الفجوة ؟! .. اية فجوة ؟!
تراجع (محمود) فى بطء ، وهو يقول :
- هناك يا (نور) .. فى مركز الانفجار .. إنها فجوة إلى عالم عجيب .. مخيف .. لا تجعلها تبتلع الأرض يا (نور) .. ابذل قصارى جهدك لمنع هذا .
واصل تراجعه فى بطء ، والنافذة الزجاجية تتكوّن ثانية ، وكانها فيلم سينمائى ، يتم عرضه عكسيًا ، فهتف (نور) :
- انتظر يا (محمود) .. انتظر .. لا تنصرف الآن .
اجابه (محمود) فى اسى ، وهو يتراجع ، ويتراجع ، وصوته يزداد عمقًا وخفوتًا :

- ليتنى استطيع يا (نور) .. طاقتى كلها لا تسمح لى بالتواجد إلا لفترات محدودة .. ليتنى استطيع البقاء .
اندفع (نور) نحوه ، حتى التصق بالنافذة الزجاجية ، وهو يهتف :
- لا تنصرف يا (محمود) .. اخبرنى كل ما تعرفه عن الفجوة ، وذلك العالم المخيف خلفها .. لا تنصرف .
ولكن (محمود) ابتعد وابتعد ، وراح يتلاشى فى بطء ، وسط ظلام القمر ، و (نور) يصرخ :
- انتظر يا (محمود) .. انتظر ..
وشعر بغتة بيد تمسك بكتفه ، فانتفض فى عنف ، وقفز من مكانه ، ويده تقفز إلى المسدس الليزرى فى حزامه ، و ...
« رباه ! .. ماذا دهاك يارجل ؟! .. »
هتف (اكرم) بالعبارة فى دهشة مستنكرة ، وهو يتراجع فى حركة حادة ، فحدّق (نور) فى وجهه بدهشة ، ثم التفت يحدّق فى النافذة المطلّة على القمر لحظة ، قبل ان يخفض مسدسه ، ويزفر فى حرارة ، مغمغمًا :
- رباه ! .. لقد كان حلمًا آخر .
انعقد حاجبا (اكرم) ، وهو يساله :

- (محمود) مرة أخرى ؟!
اوما (نور) براسه إيجابًا وقال :
- إنه هو .
ثم رفع عينيه متطلعًا إلى النجوم المتألقة فى السماء ، مضيفًا :
- جاء هذه المرة لتحذيرنا .
غمغم (أكرم) فى دهشة :
- تحذيرنا ؟!
اجابه (نور) ، وهو يواصل تطلّعه إلى السماء :
- نعم .. جاء ليحذرنا من فجوة نشأت فى موضع الانفجار ، وتهدّد الأرض كلها .
ساله (أكرم) فى قلق :
- كيف ؟! ..
انفرجت شفتا (نور) ، وهمّ بإجابة سؤال (أكرم) ، إلا انه لم يلبث ان قطب جبينه ، وتنهّد فى عمق ، قبل ان يهزّ راسه ، قائلاً :
- لا عليك .. إنه مجرّد حلم .
تطلّع إليه (اكرم) لحظات فى صمت ، ثم ساله :
- (نور) .. هل تؤمن حقًا بهذا ؟
التفت إليه (نور) ، يساله :
- بماذا ؟!

قال (ا كرم) فى حزم :
- اتؤمن حقًا بانه مجرّد حلم ؟
تطلّع إليه (نور) لحظات فى حيرة متردّدة ، قبل ان يقول :
- العلم يؤكّد انه كذلك .
قال (أكرم) :
- لست اسالك عن راى العلم ، وإنما عن رأيك الشخصى .
واصل (نور) صمته لبضع لحظات ، قبل ان يتمتم :
- لست أدرى يا (أكرم) .. صدقنى .. لست أدرى .
وعاد إلى صمته لحظات إضافية ، شرد خلالها ببصره وتفكيره ، إلا انه لم يلبث انه استعاد حزمه ، وهو يسال (اكرم) :
- هل استعادت (نادية) وعيها ؟!
ادرك (اكرم) انها محاولة للفرار من الحديث عن الحلم ، ولكنه اجاب فى بساطة :
- ليس بعد ..
ثم سال فى اهتمام :
قل لى يا (نور) : الديك تفسير لما اصاب رفيقها ؟ .. لقد احترق امام عيوننا جميعًا .. رباه ! ..

لست اظننى بقادر على نسيان هذا المشهد ما حييت !
تنهّد (نور) ، وقال :
- انه ليس اللغز الوحيد ، الذى يحتاج إلى تفسير يا (اكرم) .
قالها ، وساله فى قلق :
- اين الجميع ؟ !
اجابه (اكرم) :
- فى حجراتهم .. لقد امرتهم بان يلزم كل منهم حجرته ، والا يستقبل سواى وسواك ، حتى تجتمع بهم .
ساله (نور) فى حيرة :
- ولماذا فعلت هذا ؟
ابتسم (اكرم) ابتسامة مشفقة ، وهو يجيب :
- عندما اتيت إلى هنا ، منذ ثلاث ساعات ، ورايتك غارقًا فى نوم عميق ، ادركت ان جسدك يحتاج إلى هذا النوم بشدة ، حتى يستعيد نشاطه ، ويستعيد عقلك حيويته وصفاءه .
اتسعت عينا (نور) فى ارتياع ، وهو يهتف :
- ثلاث ساعات ؟ ! .. رباه ! .. هل اضعت ثلاث ساعات كاملة ؟ !
هزّ (اكرم) كتفيه ، وقال :

- وماذا فى هذا ؟ ! .. إنك لن تظلّ مستيقظًا أبد الدهر .. كل مخلوق حى يحتاج إلى النوم .
تحرك (نور) فى توتر ، وهو يقول :
- لا احد يدرى ما الذى يمكن أن يحدث ، خلال هذه الساعات الثلاث .
ساله (اكرم) ، وهو يلحق به خارج الحجرة :
- ما الذى تفكّر فى فعله ؟
اجابه (نور) ، وهو يتجه نحو حجرة الاجتماعات :
- ما اتينا من اجله .. جمع المعلومات حول الكارثة .
قال (اكرم) فى حيرة :
- ولكننا لم نستعد كرة المعلومات بعد .
قال (نور) فى حزم :
- هناك امور اخرى ينبغى ان نفعلها .. لقد انشغلنا باختفاء كرة المعلومات ، وبامر الجاسوس الخفى ، وبعمليات القتل التى ارتكبها ، حتى اننا لم نؤد ما تبقّى من اعمالنا ، فلم نبدأ عملية رصد الظاهرة ، بالتليسكوب الفضائى الذى حملناه معنا من الأرض ، ولم نبحث بعد عما أصاب القاعدة بالضبط .. بل ، ولم نطلق حتى المركبة الفضائية ، لفحص مركز الانفجار عن قرب .

ساله (اكرم) فى دهشة :

- وهل تنوى ان تفعل كل هذا ، بفريق يضمّ قاتلاً نجهل هويته ؟ !

اجابه (نور) فى حزم :

- بالضبط .

ثم ضغط زر الاتصال الداخلى ، وهو يقول عبر عدد من مكبرات الصوت ، منتشرة فى كل مكان بالمكوك :

- هنا القائد (نور) .. ادعوكم لاجتماع عام فورًا ، فى حجرة الاجتماعات .

ورفع عينيه إلى (اكرم) ، يساله فى حزم :

- هل فحصت المنظار الفضائى ، وتاكّدت من انه صالح للعمل ؟

اوما (اكرم) براسه إيجابًا ، وهو يقول :

- نعم .. يمكنك استخدامه فى اية لحظة الآن .

ساله (نور) :

- وماذا عن المركبة الفضائية الصغيرة ؟ !

اجاب (اكرم) :

- هى ايضًا معدّة للاستخدام .

هزّ (نور) راسه فى ارتياح ، مغمغمًا :

- عظيم .. عظيم .

وصل (اوتو) فى هذه اللحظة ، وهو يقول :

- انا هنا ايها القائد .. متى يبدا الاجتماع ؟

اشار إليه (نور) بالجلوس ، قائلاً :

- عندما يصل الجميع يا سيّد (اوتو) .. اجلس .

وصل بعده (واتسن) ، ثم (خالد) ، وانتظر الجميع لدقائق خمس ، قبل ان يمطّ (خالد) شفتيه ، قائلاً فى مزيج من العنف والعصبية :

- (ناتاشا) لم تصل بعد .. لماذا تضيع النساء الكثير فى الوقت دائمًا ؟

انعقد حاجبًا (اكرم) فى قلق ، وهو يقول :

- ولكن (ناتاشا) ليست من ذلك الطراز .. إنها امراة عملية ، وتصل دائمًا فى موعدها بالضبط ، حتى انه ليدهشنى بحق انها قد تاخّرت هذه المرة ، و ...

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه فى ارتياع ، وهو يهتف :

- رباه ! .. اخشى ان ..

استلّ (نور) مسدسه الليزرى فى حركة حادة ، ووثب عبر مائدة الاجتماعات ، وقد ادرك ما يعنيه (اكرم) ، وهتف :

- يا إلهى ! ..

انطلق الاثنان يعدوان نحو حجرة (ناتاشا) ، وهتف (اكرم) فى غضب :

- لو ان ذلك القاتل الوغد مسَّ شعرة منها ، فاقسم ان امزّقه إربًا بلا رحمة .

هتف به (نور) ، وهو يندفع نحو حجرة (ناتاشا) ، ويدفع بابها بكتفه :

- المهم ان تعرف اولاً من هو .

انفتح الباب فى عنف مع ضربته ، وصوّب هو و (اكرم) مسدسيهما إلى داخل الحجرة ، قبل ان يهتف الاخير فى هلع :

- رباه !! .. لقد فعلها .

ففى منتصف الحجرة بالضبط ، كانت (ناتاشا) ترقد ساكنة ، ومسدسها الليزرى فى قبضتها ، وحول راسها وعنقها بقعة كبيرة ..

بقعة من سائل الحياة ..

الدم .

* * *





ففى منتصف الحجرة بالضبط ، كانت (ناتاشا)
ترقد ساكنة ، ومسدسها الليزرى فى قبضتها ..

٩ - الضحايا ..

تأوَّهت (ناتاشا) ، وهى تفتح عينيها فى بطء ، وحدَّقت فى الوجوه المحيطة بها بنظرة مذعورة ، قبل أن تحاول النهوض فى حركة حادة ، وهتفت :

- إنه هنا .. القاتل هنا .

ربَّت (نور) على كتفها محاولاً تهدئتها ، ودفعها فى رفق ليعيدها إلى فراشها ، وهو يقول :

- اطمئنى يا (ناتاشا) .. لقد نجوت .. أنت أول من ينجو من ذلك القاتل .. يبدو أنه وقع أخيرًا فى الخطأ ، الذى سيكشف أمره .. لقد أصابت أشعة مسدسه كتفك بدلاً من رأسك .. أخبرينا يا (ناتاشا) من هو بالضبط ؟

بدا التوتر على وجوه (واتسن) و (خالد) و (أوتو) ، وهم يتبادلون نظرة عصبية ، فى انتظار ماستتفوه به الروسية ، التى بكت فى حرارة ، قائلة :

- لست أدرى ؟! .. لم أره قط .

بدت الدهشة على وجوه الجميع ، وقال (أكرم) :

- كيف ؟! .. لقد أصاب كتفك ، وكنت تمسكين مسدسك الليزرى ، وهذا يعنى أنك قاومته على نحو ما .

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

- هذا صحيح .. لقد قاومته بكل قوتى ، ولكننى لم أر وجهه قط .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول :

- ماذا حدث بالضبط يا (ناتاشا) ؟! .. أخبرينا .

انتحبت (ناتاشا) بضع لحظات ، قبل أن تقول :

- لقد استغرقت فى النوم ، فور عودتى إلى حجرتى ؛ لأننى كنت أشعر بإرهاق شديد ، ولكننى وضعت مسدسى الليزرى أسفل وسادتى ، خوفًا من ذلك الجاسوس القاتل .. وفجأة ، تناهى إلى مسامعى صوت خافت ، جعلنى أهب من فراشى مذعورة ..

واتسعت عيناها فى رعب ، وكأنها تستعيد تلك اللحظات ، قائلة :

- وعندئذ رأيته .

ردَّد (أوتو) فى قلق :

- رأيته ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

- نعم .. كانت الحجرة مظلمة ، ولكنه كان يقف هناك ، عند الباب ، ومسدسه مصوَّب إلى رأسى مباشرة ، فوثبت من مكانى ، فى نفس اللحظة التى أطلق فيها مسدسه ، ورأيت شعاع الليزر يخترق وسادتى ، فى نفس الموضع الذى كان يحتله رأسى ،

فاصابنى الذعر ، فلجات إلى مهاجمته ، كوسيلة اخيرة يائسة للنجاة منه ، وتشبثت اصابعى بمنظاره ، وانتزعته فى عنف ، ولكنه دفعنى فى قوة ، فارتطمت بالفراش ، وسقطت ارضًا ، ونهضت فى سرعة ، واختطفت مسدسى من اسفل الوسادة ، إلا انه اطلق النار اولاً ، وشعرت بالم رهيب فى كتفى ، فاطلقت صرخة مكتومة ، وفقدت وعيى ، ولم اشعر إلا وانا استعيده هناك بينكم .

تبادلوا جميعًا نظرة متوترة ، ثم قال (خالد) :

- من الواضح ان ذلك القاتل ظن انه قتلها باشعة مسدسه ، فانطلق هاربًا من حجرتها ؛ خشية ان يكون احدنا قد التقط صرختها المكتومة ، واسرع لنجدتها.

غمغم (اوتو) فى تردُّد :

- اظنه تفسير منطقى تمامًا .

شد (نور) قامته ، وهو يقول :

- ولكنه يعنى ان القاتل هو احدكم ايها السادة .. انت او (خالد) او (واتسن) .

شحب وجه (اوتو) ، وقال فى عصبية :

- إنه ليس انا على اية حال .

اجابه (واتسن) فى حدة

- هل يمكنك إثبات هذا ؟

لوَّح (اوتو) بذراعه ، هاتفًا :

- انا لم اغادر حجرتى لحظة واحدة ، حتى استدعانى القائد (نور) لعقد الاجتماع .

قال (خالد) :

- من السهل ان يدَّعى كل منا هذا .

هتف (اوتو) فى حدة :

- وكيف يمكنك ان تثبت انك كنت وحدك فى حجرتك ؟!

اشار (نور) بيده فى صرامة ، قائلاً :

- مهلاً ايها السادة .. اعتقد انه ليس من المنطق او الحكمة ان نضيع الوقت فى شجار كهذا ، فى مثل هذا الوقت .. تُرى ايدرك احدكم ، حتى القاتل ، انه من المحتمل اننا نواجه خطرًا داهمًا ، بسبب تلك الفجوة ؟!

اطلَّت الدهشة فى عيونهم جميعًا ، وقالت (ناتاشا) :

- اية فجوة ؟!

عقد (نور) حاجبيه ، ولوَّح بذراعه ، قائلاً :

- كنت اقصد ذلك الانفجار .. لا احد يدرى ما إذا كان قد توقَّف عند ماحدث ، ام انه يهدِّد بكارثة جديدة .

قال (واتسن) فى عصبية :

– وماذا نفعل فى كل الأحوال ؟! .. إننا سجناء هنا بلا محركات أو أجهزة اتصال .

اجابه نور فى حزم :

– ولكن لدينا مخزون من الهواء والطعام ، يكفينا لأسبوع كامل ، وخاصة بعد ان فقدنا من فقدناهم ، وانقطاع اتصالنا بالقاعدة الأرضية يعدّ سببًا ، لإرسال مكوك طوارئ إلى هنا ، وهذا يستغرق ثلاثة ايام على الأكثر .

قال (اوتو) محنقًا :

– عظيم .. تُرى كم سيتبقّى منا على قيد الحياة ، بعد مرور هذه الأيام الثلاثة ؟

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

– سنبذل قصارى جهدنا لنظل جميعًا على قيد الحياة ، حتى يصل مكوك الطوارئ .. سنضع خطة لـ ...

قبل ان يتمّ عبارته ، انطلق ازيز مباغت فى المكان ، وأضيء مصباح أخضر فى سقف الحجرة ، فشحب وجه (اوتو) وقال :

– رباه ! .. احدهم يحاول الخروج من المكوك .

هتف (واتسن) :

– او الدخول إليه .

تبادل (نور) و (اكرم) نظرة متوترة ، ثم انطلقا يعدوان معًا ، نحو حجرة معادلة الضغط ، فى حين تمتم (خالد) :

– رباه ! .. لو حدث ادنى خطأ فى استخدام حجرة معادلة الضغط ، فمن الممكن أن نلقى مصرعنا جميعًا فى دقائق معدودة ، بسبب الانخفاض المباغت فى الهواء والضغط والحرارة .

دوت كلماته فى الرءوس ، قبل ان تستقر فى الخلايا الرمادية لمخ احد الحاضرين ، الذى وجد فيها وحيًا لفكرة جديدة ..

فكرة شيطانية ، تليق بجاسوس ..

جاسوس قاتل ..

* * *

« ساعة واحدة ، وينتهى امر المكوك ومن عليه .. »

نطق الدكتور (ناظم) العبارة فى مرارة شديدة انقبض لها قلب القائد الأعلى ، واتسعت لها عيناه فى ارتياع ، وهو يحدّق فى وجه الرجل ، مغمغمًا :

– ساعة واحدة ؟!

ثم ضرب سطح مكتبه بقبضته ، مستطردًا فى حنق :

- مستحيل ! .. مستحيل ان نقف عاجزين إلى هذا الحد ، ومصير العالم كله فى خطر داهم .

هزّ الدكتور (ناظم) راسه ، وهو يقول :

- إننا نبذل قصارى جهدنا بحق أيها القائد .. ولسنا ندرى ما الذى يمكننا فعله أكثر .. لقد تعاون معنا علماء الفضاء الأوروبيون ، ودرسوا مشكلتنا وتوصّلوا إلى وسيلة ، قد تفيد فى إنذار (نور) ورفاقه .

ساله القائد الأعلى دون حماس :

- اية وسيلة هذه ؟

اشار الدكتور (ناظم) بذراعيه ، قائلاً :

- سيستخدمون مراياهم الفضائية العاكسة(*) ، كوسيلة لتفادى الزاوية الحرجة للمكوك ، وإرسال شعاع الليزر الصوتى إليه .

انعقد حاجبا القائد الأعلى فى تساؤل ، فتابع الدكتور (ناظم) فى شىء من الحماس :

- سيعدّلون زوايا المرايا العاكسة ، بحيث تستقبل

(*) وضع علماء الفضاء الأوروبيون خطة طويلة المدى ، منذ منتصف الثمانينات ، لإرسال عدد من المرايا العاكسة إلى الفضاء ، بحيث يمكنها ان تعكس ضوء الشمس على الأرض خلال الليل ، لتوفير الحرارة والإضاءة اللازمتين ؛ توفيرًا للطاقة الصناعية .

شعاع الليزر ، الذى سنطلقه من هنا ، ثم يعكسه بعضها إلى البعض ، قبل أن ترسله إلى المكوك مباشرة ، من زاوية جديدة فى الفضاء .

برقت عينا القائد الأعلى ، وهو يهتف :

- حقًا ؟!

اجابه الدكتور (ناظم) :

- نعم .. الفكرة معقولة ومنطقية ، وممكنة التنفيذ ايضًا ، والأهم من هذا ان (نور) ورفاقه يمكنهم استخدام شعاع الليزر نفسه ، عن طريق استقباله ، بوساطة العاكس الضوئى لديهم ، وبث رسائلهم ومعلوماتهم عبره ..

هتف القائد الأعلى فى حماس :

- عظيم .. رائع .. هذا يعنى انه سيمكننا الحصول على المعلومات المنشودة ، حول تلك الفجوة ، وسيصبح لدينا بعض الوقت للبحث عن وسيلة لتفادى خطرها !

اجابه الدكتور (ناظم) فى حزم :

- بالتاكيد .. سيصبح لدينا الأمل على الأقل .

تنهّد القائد الأعلى فى ارتياح شديد ، وهو يتمتم :

- رائع .. رائع .

ثم سال فى لهفة :

- ومتى يمكنكم إنجاز هذا ؟!
اجابه فى حماس :
- لقد بدا الأوروبيون عملية التعديل بالفعل ، وسيمكننا إطلاق شعاع الليزر بعد اربعين دقيقة على الأكثر .
هتف القائد الأعلى :
- عظيم .. فى هذه الحالـ ..
بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول :
- اربعون دقيقة ؟! .. ولكن هذا يعنى انه لن يتبقى لـ (نور) ورفاقه سوى عشرين دقيقة ، قبل ان تجذبهم تلك الفجوة السوداء إليها .
بدا الأسى على وجه (الدكتور ناظم) ، وهو يقول :
- هذا صحيح للأسف ، ولكن ماذا بيدنا لنفعله ؟! .. إننا لا نستطيع إنقاذ الجميع ..
اتسعت عينا القائد الأعلى فى ارتياع ، وهو يهتف :
- رباه ! .. (نور) .
خفض الدكتور (ناظم) عينيه ، وهو يربت على كتفه ، مغمغمًا :
- اعلم انه من المؤلم ان نضطر لاتخاذ مثل هذا

القرار ، ولكن ماذا بيدنا لنفعله ؟! .. إننا لسنا مسئولين عن حياة (نور) ورفاقه وحدهم .. إننا مسئولون عن حياة ومصير كوكب الأرض باكمله .
وتنهد فى عمق ، قبل ان يضيف :
- ثم إننا لانملك مانفعله من اجل (نور) فى الحالتين .. لقد مضى الوقت باسرع مما كنا نتوقع ، ولم يعد لديه او لدى رفاقه ادنى امل فى النجاة .
واعتصر الألم قلب القائد الأعلى ، وهو يسمع هذه العبارة ..
ولكنه ، وعلى الرغم من مرارته ، اعترف لنفسه بان الدكتور (ناظم) على حق ..
لقد مضى الوقت باسرع مما توقع الجميع ..
وفقد (نور) ورفاقه الأمل فى النجاة ..
كل الأمل ..

* * *

« يا إلهى ! .. »
خفق قلب (نور) ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يطلق هذا الهتاف ، محدقًا فى النافذة الزجاجية السميكة لحجرة معادلة الضغط ، فى حين هتف (اكرم) فى عصبية مستنكرة :
- رباه ! .. ماذا تفعل هذه المجنونة ؟!

فداخل حجرة معادلة الضغط ، التى بدات عملها بالفعل ، كانت تقف (نادية) .. وبدون زى فضائى ..

وبقفزة واحدة ، بلغ (نور) الحجرة ، وضغط زر الاتصال بها ، وهو يصرخ :

هل جننت ؟! .. سيتمزّق جسدك إربًا ، إذا ما تعادل الضغط مع مثيله على القمر ، دون أن ترتدى زيًا فضائيًا .

تطلّعت إليه (نادية) من خلف النافذة بعينين محمرتين من فرط البكاء ، دون أن تعلّق على عبارته ، فقال فى صرامة :

- ساوقف عمل الحجرة .. لن أسمح لك بالانتحار بهذه الوسيلة البشعة .

الصقت كفيها بالزجاج ، وهى تصرخ :

- لا .. إياك ان تفعل .. إنك لاتفهم شيئًا .. لا تفهم شيئًا .

تجاهل قولها هذا ، واستدار ليضغط زر إيقاف عمل الحجرة ، و ..

واتسعت عيناه فى ذهول وهو يحدّق فى المؤشرات امامه ..

وكان الأمر يستحق هذا الذهول بالفعل ..

فعلى الرغم من الحالة الصحية الطبيعية ، التى

تتمتّع بها الفتاة ، داخل حجرة معادلة الضغط ، إلا ان المؤشرات كلها كانت تشير إلى أن الحجرة قد بلغت نهاية عملها ، او كادت ..

وأن الضغط والحرارة والهواء قد اقتربا من الصفر !!

ولثانية او يزيد ، تجمّد (نور) فى مكانه ، وهو يحدّق فى المؤشرات ، و (نادية) تصرخ :

- اتركنى اذهب إليه .. لقد فعلت كل مافعلت من اجله .. اتركنى بالله عليك .

وفى اللحظة التالية ، اندفع (أوتو) إلى المكان ، هاتفًا :

- ماذا حدث بالضبط ؟

انتزع هتافه (نور) من جموده ، فاسرع يضغط الزر فى حزم ، فتوقف عمل الحجرة بغتة ، وصرخت (نادية) :

- لا .. لا ..

ثم انهارت فى ركن الحجرة ، واجهشت ببكاء حار ، والحجرة تبدا عملها عكسيًا ، وتستعيد معدّلاتها الطبيعية ..

وفى دهشة بالغة ، تمتم (أكرم) :

- كيف أمكنها ان تفعل هذا ؟

تنهّد (نور) وهو يجيب :

- كنت اعلم انه هناك سرّ ما ، وراء كل هذا .

اما (واتسن) و (خالد) و (اوتو) ، فقد اطلّ من عيونهم مزيج من الدهشة والحيرة ، وهم يتابعون عمل الحجرة ، قبل ان يتمتم (خالد) :

- رباه ! .. هذه الفتاة ليست بشرية بالتاكيد .

انعقد حاجبا (ناتاشا) ، وهى تستند إلى الباب ، ممسكة الضمادة التى تحيط بكتفها ، ومحدّقة فى باب حجرة معادلة الضغط ، حتى استعادت معدلاتها الطبيعية ، وانفتح بابها فى بطء ، فاندفع (نور) داخلها ، ومدّ يده إلى (نادية) ، قائلة :

- حمدًا لله على سلامتك .

بكت فى مرارة ، قائلة :

- لماذا لم تتركنى اذهب إليه ؟!

هزّ راسه فى بطء ، وتنهّد فى عمق ، وهو يقول :

- (عماد) ذهب يا (نادية) .. ذهب ولن يعود .. الجميع ذهبوا إلى حيث الحياة الفضلى .

غمغم (اكرم) :

- او الأسوا .. هذا يتوقّف على عملهم فى الدنيا .

اشار إليه (نور) بالصمت ، وهو يواصل حديثه معها ، قائلاً :

- (عماد) مدفون الآن فى تربة القمر ، مع باقى الضحايا ، وذهابك إليه لن يفيد ايكما .. لقد اصبحتما تنتميان إلى عالمين مختلفين .

بكت فى مرارة لعبارته ، فانحنى يعاونها على النهوض ، وهو يستطرد :

- هيا يا (نادية) .. اعتقد ان لديك ماترويه لنا .

نهضت مستسلمة ، وقادها فى رفق إلى حجرة القيادة ، وتبعهما الآخرون فى صمت ، حتى استقر بهم المقام هناك ، وانخرطت (نادية) فى البكاء لدقائق اخرى ، قبل ان يسالها (نور) :

- هل ستخبريننا بتفسير ماحدث ؟!

هتف (اوتو) فى توتر :

- وما الذى يمكن ان تخبرنا به ؟ .. هذه الفتاة ليست من بنى البشر .. ليست كذلك ابدًا !

رفعت (نادية) عينيها إليه ، وقالت فى شىء من الحدة :

- اى قول سخيف هذا .. انا بشرية مثلكم بالطبع .

هتف (خالد) هذه المرة :

- مستحيل ! .. لقد رايناك جميعًا داخل حجرة معادلة الضغط ، بدون زىّ فضائى ، والبشرىّ العادى لايمكنه ان يحتمل هذا .

واندفع (واتسن) يضيف :

- وماذا عن رفيقك (عماد) ؟! .. هل كان بشريًا أيضًا ؟! .. هل احترق على هذا النحو لأنه بشرىٌ عادى ؟

بدت المرارة فى ملامحها وصوتها ، وهى تقول :

- قلت : إننا بشر ، ولكننى لم أقل : إننا عاديون .

انعقد حاجبا (ناتاشا) أكثر ، ولكنها لم تنبس ببنت شفة ، فى حين قال (أوتو) فى عصبية :

- ما الذى يعنيه هذا ؟! .. هه .. ما الذى يعنيه هذا ؟!

التفت إليه (نور) ، قائلاً فى صرامة :

- اصمت يا رجل .. امنح تلك المسكينة فرصة للحديث .

قال (واتسن) فى سخرية عصبية :

- المسكينة ؟!

صاح به (نور) فى غضب :

- قلت : اصمت .. اصمتوا جميعًا .

ثم التفت إلى (نادية) ، قائلاً فى رفق :

- حسنٌ يا (نادية) .. كلنا آذان مرهفة .

التقطت (نادية) نفسًا عميقًا ، فى محاولة لاسترداد سيطرتها على أعصابها ، قبل أن تخفض عينيها ، قائلة :

- (عماد) هو الذى وافق على الفكرة أولاً ، وهو الذى أقنعنى بها .. لقد وافقت من أجله .. من أجل أن أصبح مثله ، وأن نتميّز عن الآخرين كما قال .

قال (أوتو) فى عصبية :

- ما حديث الألغاز هذا ؟ .. عن أية فكرة تتحدّث ؟

رمقه (نور) بنظرة صارمة أخرسته ، قبل أن يلتفت إلى (نادية) قائلاً :

- وماذا حدث بالضبط ؟!

ازدردت لعابها فى صعوبة ، ثم تابعت :

- كان مشروعًا عسكريًا ، على درجة عالية من السرية ، فقد زرعوا فى مخ كل منا جهاز كمبيوتر حيويًا خاصًا ، تم توصيله بالمراكز الرئيسية للمخ ، بحيث تعمل على نحو مختلف ، وتمتلك قدرة إضافية على تحمّل أصعب وأشق العوامل ، من انخفاض درجات الحرارة ، ونقص الأكسجين ، أو الضغط الجوى .. لست أعلم شيئًا عن التفاصيل الفنية بالطبع ، ولكن كل منا خضع لتدخُّل جراحى استغرق سبع ساعات كاملة ، وبعدها كان هناك برنامج تأهيلى لعام أو أربعة عشر شهرًا بالتحديد .. كانوا يضعوننا فى مناخ صناعى ، فى درجات برودة شديدة ، وبلا أكسجين تقريبًا ، وفى ضغط جوى بالغ

الانخفاض .. ولقد اخبرنا احد العلماء الذين أشرفوا على التجربة ، أن الغرض منها هو إيجاد جيل جديد من المقاتلين الفضائيين ، يمكنهم العيش على سطح الكواكب الأخرى ، دون أزياء فضائية أو معدّات إضافية .. وكخطوة أخيرة ، للتأكّد من نجاح التجربة ثم إرسالنا إلى قاعدة القمر ، لاستكمال الاختبارات ، وتحديد أوجه القصور أو القوة .

وانحدرت الدموع الساخنة من عينيها لتغرق وجهها ، وهى تكمل :

- ولقد قضينا هنا أسعد أيامنا .. كنا نؤدى الاختبارات اللازمة داخل قاعة سرية ، فى قاع القاعدة ، أو على سطح القمر ، بأزياء فضائية بسيطة للغاية، كخطوة وسيطة ، قبل أن يُسمح لنا بالتجوال دون أية أزياء .. وكان من الواضح أن التجربة ناجحة إلى حد كبير ، حتى ..

اهتزّ جسدها ، وارتجفت شفتاها ، عندما بلغت هذه النقطة ، ثم أكملت فى صوت خافت للغاية :

- حتى وقعت الكارثة .

نطقتها ، واجهشت مرة أخرى ببكاء حار ، لم يتردّد سواه داخل المكان ، عندما لاذ الجميع بالصمت ، وهو يتطلعون إليها فى دهشة ، حتى

استعادت سيطرتها على نفسها ، وتابعت :

وكنا عندئذ فى قاعة الاختبارات فى القاع ، وادركنا من الاهتزازات العنيفة أن كارثة رهيبة قد حاقت بالمكان ، فاسرعنا نصعد إلى القاعدة ، لمعرفة ما حدث ، وصدمنا ما وقع بصرنا عليه .

ولوّحت بذراعيها فى شدة ، مستطردة فى انفعال :

- خراب ودمار وجثث ودماء فى كل مكان .. الكارثة دمّرت كل شىء .. كل مخلوق .. كانت ابشع كارثة يمكننا تصوّرها .

ثم بكت فى حرارة ، مكملة :

- واصيب (عماد) بصدمة عنيفة ، وانهار تمامًا ، فى حين تماسكت أنا ، وقد بلغ خوفى عليه مافاق صدمتى لما حدث ، وحاولت تهدئته ، لأن العلماء اخبرونا أن الانفعال الزائد قد يؤدى إلى خلل فى المراكز الحيوية للمخ ، فى وجود أجهزة الكمبيوتر المزروعة داخلها .

وتنهّدت فى عمق ، وهى تخفض عينيها ، قائلة فى خفوت يموج بالألم والمرارة :

- وحدث ما خشوه وخشيته .. واصيب مخ (عماد) بالتلف الذى ظلّ يتصاعد ، حتى نسف أجهزة الكمبيوتر المزروعة ، واشعل النيران فى جسده كله أمام عينى .. أمام عينى أنا .

وانهارت مرة اخرى ، وراحت تبكى فى انفعال شديد ، والجميع يتطلعون إليها فى صمت ، ثم لم تلبث (ناتاشا) ان اتجهت إليها ، وانحنت تربُت عليها فى حنان ، متمتمة :

- وا صغيرتى المسكينة ! .. انا افهم ماتعانينه .. انا ايضًا فقدت خطيبى ذات يوم .

ورفعت عينيها إلى (نور) مستطردة :

- ساعود بها إلى حجرتى .. إنها تحتاج إلى النوم والصحبة .

تمتم (نور) :

- لا باس .

عاونتها (ناتاشا) على النهوض ، وغادرت معها المكان ، وتابعها الجميع بابصارهم بضع لحظات ، قبل ان يقول (اكرم) :

- هل تصدِّق روايتها يا (نور) ؟

اوما (نور) براسه إيجابًا ، وهو يقول :

- إنها تبدو منطقية إلى حد كبير ، ثم إننى قرات شيئًا حول مشروع المقاتلين الفضائيين هذا من قبل ، وإن لم اتصوَّر انه وُضِعَ موضع التنفيذ بالفعل .

قال (اكرم) فى عصبية :

- وهل من المؤكَّد ان يؤدى انفجار اجهزة كمبيوتر

صغيرة ، مزروعة فى مخ شخص ما ، إلى احتراقه على هذا النحو ، الذى رايناه جميعًا ؟ !

عقد (نور) حاجبيه بضع لحظات ، قبل ان يقول :

- الفتاة اكَّدت انها تجهل التفاصيل الفنية للمشروع ، ومن الواضح انه هناك الكثير مما لايمكننا تفسيره بالقواعد العلمية الطبيعية المعروفة .

مطَّ (اوتو) شفتيه بعدم (اقتناع) وانفرجت شفتاه لينطق شيئًا ما ، ولكن فجاة تردَّدت ذبذبة عجيبة فى الحجرة ، فالتقى حاجبا (نور) فى شدة ، واستدار نحو جهاز صغير ، وهو يقول :

- رباه ! .. امن الممكن ان ..

ودون ان يتمّ عبارته ، اندفع نحو الجهاز ، وضغط احد ازراره ، فارتفع منه صوت الى ، يقول :

- من القاعدة الارضية إلى مكوك الفضاء (القاهرة ٢٠٠٠) .. تحذير .. مركز الانفجار تحوَّل إلى فجوة سوداء ، تبتلع كل ماحولها .. نريد كل مالديكم من معلومات عن الكارثة .. نكرِّر .. نريد كل مالديكم من معلومات للاهمية البالغة .

اتسعت عينا (نور) فى شدة ، وحدَّق فى وجه (اكرم) ، قائلاً :

- يا إلهى ! .. إنه لم يكن مجرَّد حلم !

ساله (أكرم) فى حيرة :

- ما هذا الذى تتحدثُ عنه ؟!

ارتجف صوت (نور) ، وهو يجيب :

- (محمود) .. اتصال (محمود) بى يا (أكرم) .. إنه لم يكن مجردُ حلم .. لم يكن كذلك على الإطلاق ..

وانتقل اتساع عينيه إلى عينى (أكرم) ..

وخفق قلباهما معًا ..

خفقا فى قوة ..

وفى ارتياع ..

* * *

اتسعت عينا القائد الأعلى عن آخرهما ، وهو يقرأ الرسالة الليزرية ، التى وردت فى الاتصال الأخير لمكوك الفضاء (القاهرة - ٢٠٠٠) ، وهتف فى هلع :

- رباه ! .. لا توجد أية معلومات ؟! .. كرة المعلومات اختفت !! ..

الجاسوس قتل نصف الحملة .. إنها كارثة .

هزَّ الدكتور (ناظم) راسه ، وهو يلقى جسده على أقرب مقعد إليه ، قائلاً :

- لم يعد هناك أمل فى الحصول على المعلومات ، أو فى إنقاذ الأرض من مصيرها المحتوم .

تطلعَ إليه القائد الأعلى بعينين زائغتين ، قبل أن يقول :

- و (نور) المسكين يطمئننا إلى أنه سيبدأ عملية الرصد ، وسيرسل إلينا كل مايتوصل إليه من معلومات أولاً فأولاً ، دون أن يدرى أنه لم يعد أمامه وأمام المكوك سوى دقائق معدودة ، ثم تبتلعهم تلك الفجوة السوداء اللعينة .

هزَّ الدكتور (ناظم) رأسه ثانية ، وهو يتمتم :

- لم تعد هناك فائدة .. لم تعد هناك فائدة :

جلس القائد الأعلى خلف مكتبه ، ولاذ بالصمت بضع لحظات ، قبل أن ينعقد حاجباه ، وتطلَّ من عينيه نظرة صارمة حازمة ، ويقول

- ليس من حقنا أن نستسلم لليأس .

رفع الدكتور (ناظم) عينيه إليه فى دهشة ، فاستطرد بحزم أكثر :

- مادام العالم كله يعتمد علينا ، فليس من حقنا أن نيئس ، قبل أن تحين لحظة اللاعودة ..

ونهض فى حسم ، مضيفًا :

- سنواصل البحث والتفكير ، مادامت أمامنا ست ساعات أخرى .. سندرس الموقف كله ثانية ، ونبحث عن وسائل لتفادى الكارثة .

ودقَّ بقبضته على سطح مكتبه ، قائلاً :

- سنعمل حتى الدقيقة الستين من الساعة

السادسة المتبقية ، قبل ان تحين نهاية الأرض .. وبلا توقف .. هل فهمت يادكتور (ناظم) ؟ سنعمل بلا توقف .

هبَّ الدكتور (ناظم) واقفًا بدوره ، وهو يقول :

- نعم أيها القائد .. سنعمل حتى اخر رمق .

ثم سال فى تردُّد :

- ولكن ماذا عن (نور) ورفاقه ؟

انعقد حاجبا القائد الأعلى بشدة ، والقى نظرة على ساعته ، ثم غمغم :

- لهم الله (سبحانه وتعالى) .

قالها ، وران على حجرته صمت رهيب ..

صمت جعلها اشبه بقبور الموتى ..

او من فى طريقهم إلى الموت ..

* * *

« هل تعتقد أن بيدنا أن نفعل شيئًا يا (نور) ؟! »

القى (أكرم) السؤال فى قلق ، فتطلَّع إليه (نور) لحظات فى صمت ، ثم قال فى خفوت :

- ما الذى تقترحه ؟!

لوَّح (أكرم) بيده ، قائلاً :

- ليس لدى حتى ما اقترحه .. (واتسن) و (خالد) يعدان الراصد ، و (اوتو) يفحص أجهزة الاتصال ، فى محاولة لإيجاد وسيلة لإصلاح شيء منها ،

و (ناتاشا) تقوم برعاية (نادية) ، وانا وأنت نجلس هنا ، وليس لدينا ما نفعله إلا التفكير ، بحثًا عن مخرج من هذه الأزمة .

ساله (نور) فى مرارة :

- هل تعتقد ان التفكير لايساوى شيئًا ؟ .

هزَّ (اكرم) راسه فى قوة ، قائلاً :

- على العكس .. إننى اعتبره المحرك الأساسى لكل الأفعال ، فمن السهل أن تجد من يجيد التنفيذ ، ولكن من العسير أن تعثر على عقل يجيد التفكير .

ارتسمت ابتسامة باهتة على شفتى (نور) ، وهو يقول :

- تطوُّر رائع يا (أكرم) .

هزَّ (اكرم) كتفيه ، قائلاً :

- يبدو أن الاقتراب كثيرًا منك يصيب المرء بالعدوى .

ثم جلس إلى جواره ، يساله :

- والآن قل لى : هل تعتقد انه لدينا أمل فى النجاة من هذا المأزق ؟!

تنهَّد (نور) ، قبل أن يجيب :

- الأمل الوحيد هو أن نستعيد كرة المعلومات ، ونبلغ الأرض بما تحويه .

مطَّ (اكرم) شفتيه ، قائلاً :

– وهذا يستلزم بالطبع كشف امر الجاسوس .. اليس كذلك ؟

اوما (نور) براسه إيجابًا ، قبل ان يقول :

– بالتاكيد .. ولكن عزاءنا الوحيد هو ان الشبهات قد انحصرت فى عدد قليل الآن ، بعد مصرع الباقين .

قال (اكرم) فى ضيق :

– ولكن لا يوجد دليل واحد ، يمكن ان يقودنا إلى معرفته .. حتى المنظار الخاص بالرؤية فى الظلام ، الذى انتزعته (ناتاشا) من وجه القاتل ، لايحوى اية بصمات او علامات مميِّزة ، يمكن ان ترشدنا إلى هويته .

وزفر فى حرارة ، مستطردًا :

– يا للسخافة ! .. نحن نواجه اكثر مواقف حياتنا صعوبة وخطورة ، وعلى الرغم من هذا فنحن نتخبَّط فى الغموض والظلام كالعميان .

اوما (نور) براسه موافقًا ، وهو يغمغم :

– انت على حق .. إننا ..

ثم بتر عبارته بغتة ، واعتدل فى حركة حادة ، هاتفًا :

– يا إلهى ! .

هبَّ (اكرم) من مكانه بدوره ، وهو يقول فى دهشة :

– ماذا حدث ؟

امسك (نور) كتفيه فى قوة ، قائلاً فى انفعال :

– لقد ساعدتنى كثيرًا ياصديقى .. ساعدتنى فى التوصُّل إلى حل اللغز .. لقد عرفت من القاتل !

هتف به (اكرم) فى لهفة :

– من يا (نور) ؟! .. من هو ؟!

استلَّ (نور) مسدسه الليزرى ، وانطلق يعدو خارج حجرة القيادة ، وهو يهتف :

– بل قل من هى يارجل ؟! .. إنها (ناتاشا) .. الجاسوس هو (ناتاشا) .

وكانت مفاجاة لـ (اكرم) ..

– مفاجاة مذهلة .

* * *



١٠ - الجاسوس ..

سألت (نادية) (ناتاشا) فى حيرة ، وهى تهبط معها إلى قاع المكوك :

- أنت واثقة من أن القائد بنفسه ، هو الذى طلب منك اصطحابى إلى حيث مركبة الفضاء الصغيرة ؟!

أجابتها (ناتاشا) فى هدوء :

- بالطبع ياعزيزتى (نادية) .. بالطبع .

سألتها (نادية) فى حيرة أكثر :

- لماذا ترتدين الزىّ الفضائى إذن ؟!

ابتسمت (ناتاشا) ، قائلة :

- إنه اختبار ياعزيزتى .. مجرد اختبار بسيط .

هتفت (نادية) فى دهشة وغضب :

- اختبار ؟! هل تنوون اختبارى هنا ؟ .. ليس لكم الحق فى هذا .. لا أحد يمتلك الحق فى اختبارى الآن .. السلطات العسكرية وحدها لها هذا الحق ، وأنا أرفض أية تجارب أو اختبارات إضافية .. سأنسحب من كل هذا ، بعد موت (عماد) .

جذبتها (ناتاشا) فى شىء من القسوة ، وهى تقول :

- إنه ليس اختبارًا بالمعنى المعروف ياعزيزتى .. وإنما مجرد وسيلة للتيقُّن من صحة روايتك ، ومن

أنك تستطيعين بالفعل العيش على كواكب أخرى ، دون أزياء فضائية ، أو معدات إضافية.

حاولت (نادية) أن تجذب يدها منها ، وهى تقول فى توتر :

- روايتى صحيحة ، ولايعنينى أن يصدّقها أحد .

- قبضت (ناتاشا) على يدها بقوة أكبر ، قائلة :

- بالطبع ياعزيزتى بالطبع .

توترت (نادية) بشدة ، وقالت فى عصبية :

- هناك شىء غير طبيعى فيما يحدث .. شىء لايبعث فى نفسى الارتياح .. إنك ترتدين زيًا فضائيًا ، وعلى الرغم من هذا تتجهين إلى مركبة الفضاء الصغيرة ، وليس إلى حجرة معادلة الضغط .

أجابتها (ناتاشا) فى صرامة :

- إننى لم أرتد خوذتى بعد .. هل لاحظت هذا ؟

نطقتها وهى تجذبها فى عنف إلى القاعة الصغيرة ، التى تستقر فى منتصفها المركبة الفضائية الصغيرة ، فهتفت (نادية) ، وهى تقاوم فى شدة :

- هذا لايروق لى .. لا يروق لى أبدًا .. أريد التحدث إلى القائد .. إلى المقدّم (نور) شخصيًا .

ثم صرخت :

- هل تحاولون التخلُّص منى ؟!

اجابتها (ناتاشا) فى سخرية ، وهى تدفعها نحو المركبة الصغيرة :

- التخلُّص منك ؟! .. وهل جئنا لنفعل هذا ياصغيرتى ؟! .. إنك عينة فريدة من نوعك .. مقاتلة نادرة الوجود .. انت البشرية الوحيدة الباقية على قيد الحياة ، التى يمكنها العيش على الكواكب الأخرى دون مشكلات بيئية .. انت تجربة لاتتردد اية دولة فى دفع المليارات والمليارات للحصول عليها .

شهقت (نادية) فى رعب هائل ، وصرخت :

- هل تنوين اختطافى ؟!

اجابتها (ناتاشا) فى سرعة :

- بل انوى حملك إلى وطنى ، شئت ام ابيت ، ليعكف علماء بلادى على دراستك ، وكشف ذلك التطوّر المدهش فى تغيير الطبيعة البشرية ، والذى سبق به المصريون عصرهم ، وتفوقوا فيه على كل من عداهم .. صدقينى ياصغيرتى .. المصريون لايستحقون مثل هذا التفوق .. إنهم لايجيدون الحصول على القوة او استخدامها .. نحن وحدنا نجيد هذا .. نحن كنا فيما مضى قوة عظمى ، يرتجف لها العالم .

قاومتها (نادية) فى شراسة ، صارخة :

- اتركينى أيتها اللعينة ! .. اتركينى .

صاحت بها (ناتاشا) فى صرامة مخيفة ، كشفت ذلك الجانب الوحشى من شخصيتها :

- سترحلين معى يا (نادية) .. حية او ميتة .. هل فهمت ؟! .. إما ان تعودى معى إلى الأرض بإرادتك ، او احمل جثتك إليها .

اتسعت عينا (نادية) فى رعب ، وتوقفت لحظة عن المقاومة ، ثم اجهشت بالبكاء ، هاتفة :

- لن يمكنك الإفلات بهذا قط .. ما إن تستعد المركبة الصغيرة للإقلاع ، حتى يعلم الجميع هذا ، عن طريق اجهزة الملاحة ، وسيبذلون قصارى جهدهم لمنعك من الفرار .

اطلقت (ناتاشا) ضحكة ساخرة عالية ، وهى تقول :

- منعى ؟! .. وهل تصوّرت اننى ساترك احياء خلفى ، عندما اغادر هذا المكوك اللعين ؟! خطأ ياصغيرتى .. خطأ .. لقد اعددت خطة مدهشة للخروج من هنا ، بعد تدمير الجميع .. خطة كنت انت مصدر الوحى لها .

قالت (نادية) فى دهشة وارتياع :



قاومتها (نادية) فى شراسة ، صارخة :

- اتركينى أيتها اللعينة ! .. اتركينى ..

- أنا ؟!

هتفت (ناتاشا) :

- بالطبع ياصغيرتى .. لقد برزت الفكرة فى راسى ، عندما حاولت انت الخروج من المكوك .. وقتها قال ذلك العربى (خالد) إن اى خلل قد يؤدى إلى انخفاض مباغت فى الضغط والهواء والحرارة ، فيلقى الجميع مصرعهم على الفور .. ولقد وضعت خطتى ليحدث هذا فعليًا ، عندما نستعد للإقلاع .

سالتها (نادية) بانفاس مبهورة :

- كيف ؟!

رفعت (ناتاشا) مسدسها الليزرى ، واطلقت اشعته نحو زاوية باب القاعة ، مجيبة بلهجة ساخرة :

- هكذا .

اصابت الأشعة زاوية الباب ، ونسفت خلية الإغلاق الآلى ، فاستطردت (ناتاشا) فى شماتة :

- والآن عندما تُفتح ابواب الإقلاع ، لن يغلق باب القاعة اليًا ، كما يحدث فى المعتاد ، ولن يتم عزل القاعة عن باقى المكوك لتامينه ، لذا فسيحدث انخفاض حاد ومباغت فى الضغط والحرارة والأكسجين ، فى نفس اللحظة التى سيتم فيها إعلان

الاستعداد للإقلاع .. ولأن أحدًا داخل المكوك لم يستعد لمواجهة هذا ، فسيفاجئهم هذا الانخفاض ، ولايعود بوسعهم إنقاذ انفسهم.

وانطلقت منها ضحكة وحشية ساخرة ، قبل ان تستطرد :

– وسننطلق نحن عائدتين إلى الأرض ، تاركين القمر خلفنا ، وليس على سطحه اى اثر للحياة .

ودفعت (نادية) نحو المركبة ، مضيفة فى تشفٍ :

– فلن ينجو من هذه الكارثة الجديدة سوى من يرتدى زيًا فضائيًا مثلى ، او يمتلك قدرات نادرة مثلك .

بكت (نادية) فى حرارة ، وهى تغمغم :

– وماذا سيفعلون بى فى بلدك ؟! هل سينتزعون مخى ، لفحص أجهزة الكمبيوتر داخله ؟!

الصقت (ناتاشا) فوهة مسدسها الليزرى براسها ، قائلة فى صرامة :

– سنعرف عندما نصل إلى هناك .. هيا .. ضعى نفسك داخل المركبة الفضائية .. هيا .

انهمرت دموع (نادية) فى غزارة ، وهى تجلس داخل المركبة الفضائية الصغيرة ، فى حين تلفتت (ناتاشا) حولها ، وكانها تلقى نظرة اخيرة على

المكوك ، قبل ان تبتسم فى مزيج من السخرية والظفر والشماتة ، قائلاً :

– وداعًا أيها الأغبياء .. عندما تصلون إلى الجحيم ، ابلغوا تحياتى لباقى الأغبياء هناك ..

قالتها ، وانطلقت منها ضحكة عالية ، تردد صداها فى القاعة ..

ضحكة ظافرة ، شامتة ..

ووحشية ..

* * *

استقبل مدير المرصد الجديد الدكتور (ناظم) فى اهتمام ، وصافحه فى قوة ، وهو يقول منفعلاً :

– يبدو ان اللحظة قد حانت يادكتور (ناظم) .

امتقع وجه الدكتور (ناظم) ، وهو يسير إلى جواره فى خطوات واسعة ، وقال فى قلق :

– هل بدا هذا واضحًا ؟

دلفا معًا إلى حجرة الرصد والمتابعة ، وفرد المدير عددًا من الصور على سطح مكتبه قائلاً :

– انظر .. هذه هى اخر مجموعة من الصور ، تم التقاطها منذ عشرين دقيقة فحسب .. لاحظ تلك القطع الصغيرة من الصخور .. إنها ترتفع عن سطح القمر ، وتتجه نحو مركز الفجوة .

ثم رفع عينيه إليه ، مستطردًا :

– وهذه هي البداية .

ازدرد الدكتور (ناظم) لعابه في صعوبة ، قبل ان يسال في صوت متحشرج :

– ومتى .. متى تزداد قوة الجذب ؟!

تنهّد الرجل مجيبًا :

– هذا يحدث بسرعة كبيرة للأسف .. ففي اللحظة التي نناقش فيها هذا الأمر الآن ، اعتقد ان قوة الجذب اصبحت كافية ، لالتقاط بعض الصخور الكبيرة ، او جثث الضحايا المتناثرة على سطح القمر .

ازدرد الدكتور (ناظم) لعابه ثانية ، وقال :

– ثم ؟!

اوما الرجل براسه ، متفهمًا الأمر ، وتطلّع إليه مباشرة ، قائلاً :

– اتقصد بالنسبة للمكوك ؟

اجابه الدكتور (ناظم) في شحوب :

– نعم .. كم تبقى امامه ، قبل ان .. ان ..

فهم الرجل مايعنيه ، وخفض عينيه مجيبًا :

– مابين تسع ، وإحدى عشرة دقيقة بالتحديد .

تراجع الدكتور (ناظم) كالمصعوق ، وعضّ شفتيه في مرارة ، مرددًا :

– مابين تسع ، وإحدى عشرة دقيقة ؟! يا إلهي !

ثم نهض من مقعده ، وتطلع إلى التليسكوب الضخم بضع لحظات ، قبل ان يسال :

– انت واثق من انه ليس باستطاعتنا رؤيتهم من هنا ؟!

هزّ الرجل راسه نفيًا ، واجاب :

– المشكلة انهم هبطوا في منطقة يصعب رصدها من هنا ، حتى يمكنهم رصد الظاهرة جيدًا .

ثم ساله في اهتمام :

– هل ارسلتم إليهم التحذير ؟

بدا الأسى على وجه الدكتور (ناظم) ، وهو يقول :

– لم تكن هناك ضرورة او فائدة لهذا .

تراجع الرجل في ارتياع ، هاتفًا :

– يا إلهي ! .. وكيف ؟!

هزّ الدكتور (ناظم) كتفيه ، وقال :

– ماذا يفيدهم لو عرفوا ان مصيرهم مظلم إلى هذا الحد ، وانه ليست امامهم وسيلة واحدة للفرار ؟!

قال الرجل مستنكرًا :

– هذا من وجهة نظركم فحسب ، ولكن ربما وجدوا هم وسيلة للنجاة ، لو انهم علموا ماينتظرهم .. من يدرى ؟!

ارتجف قلب الدكتور (ناظم) بين ضلوعه للاحتمال ، وقال فى خفوت ، وكانه يتشبث باى امل :

- ولكنهم لايمتلكون وسيلة للخروج من القمر .. لا اجهزة اتصالات او محركات ، او .

قاطعه الرجل مستهجنًا :

- وماذا لو انهم عثروا على شىء من هذا بين اطلال قاعدة القمر ؟! مرة اخرى .

اعتصرت الكلمات قلب الدكتور (ناظم) وتطلع إلى السماء فى ارتياع وهو يتمتم :

- رباه ! .. هل تعنى انه كان من المحتمل أن ..

قبل أن يتم عبارته ، ظهر احد علماء المرصد ، وهو يحمل مجموعة جديدة من الصور ، قائلاً للمدير :

- يبدو أن المرحلة التالية قد بدات ياسيدى .

انعقد حاجبا المدير ، فى حين اختطف الدكتور (كاظم) مجموعة الصور ، وراح يطالعها فى لهفة متوترة ، قبل أن تتسع عيناه فى ارتياع ، ويقول :

- رباه ! .. بدات مرحلة جذب الصخور الكبيرة بالفعل .

هز مدير المرصد راسه ، ومط شفتيه فى اسف واسى ، وهو يغمغم :

- يا للمساكين !!

وكانت الكلمة تكفى هذه المرة ، ليتمزق قلب الدكتور (ناظم) ..

وبعنف ..

* * *

ارتفع حاجبا (مشيرة) فى دهشة ، وهى تحدق فى وجه (سلوى) التى تقف امام بابها مرتجفة ، فى الواحدة صباحًا ، وغمغمت :

- (سلوى) ؟! .. ماذا حدث ؟! .. لماذا اتيت لزيارتى ، فى هذه الساعة ؟

بدا صوت (سلوى) مرتجفًا كجسدها ، وهى تقول :

- هل يمكننى الدخول ؟

انتبهت (مشيرة) ، فى هذه اللحظة فقط ، إلى انها تسد الباب بجسدها ، فاسرعت تفسح لها الطريق ، قائلة :

- بالطبع .. تفضلى يا (سلوى) .. تفضلى .

دلفت (سلوى) إلى المنزل ، والقت جسدها فوق اقرب مقعد صادفها ، وهى تسال :

- هل وصلتك اخبار من (اكرم) ؟

تضاعفت دهشة (مشيرة) ، وربتت على كتفها ، قائلة :

- كلاً بالطبع .. لو وصلت اية اخبار من (القاهرة - ٢٠٠٠) ، كنت أوّل من يعلم بالتأكيد ، فزوجك هو قائد الحملة القمرية .

هزّت (سلوى) راسها نفيًا فى قوة ، وقالت :

- لم تصلنى اية اخبار ، واشعر بقلق شديد .. شديد للغاية .

تطلعت إليها (مشيرة) فى حيرة ، وقد انتقلت إليها عدوى القلق ، ثم جذبت مقعدًا ، وجلست إلى جوارها ، تسالها :

- (سلوى) .. ماذا هناك بالضبط ؟!

ترقرقت عينا (سلوى) بالدمع ، وهى تقول :

- لست ادرى يا (مشيرة) .. ليست لدى اية انباء من اى نوع ، وعندما اتصلت بالقيادة للاطمئنان ، اخبرونى ان كل شىء على مايرام ، ولكن .. ولكنه ..

وصمتت لحظة ، لتزدرد لعابها فى صعوبة ، ثم قالت بصوت مرتجف :

- ولكنه ذلك الحلم ..

ارتفع حاجبا (مشيرة) فى دهشة ، وهى تقول :

- حلم ؟!

اومات (سلوى) براسها إيجابًا ، فى شىء من العصبية ، وارتجفت الكلمات على شفتيها ، وهى تقول فى انفعال :

- نعم يا (مشيرة) .. حلم .. حلم رايت فيه (نور) و (اكرم) يسقطان فى فجوة عميقة مظلمة ، مالها من قرار ، وعندما صرخت ، وحاولت الاستغاثة او الاستنجاد باى شخص ، ظهر (محمود) فجاة وطلب منى الا اقلق ، ووعدنى بانه لن يتخلّى عنهما قط ، ثم غاص خلفهما فى اعماق الفجوة ، واختفى ثلاثتهم تمامًا ، فرحت اصرخ ، واصرخ ، واصرخ ، حتى استيقظت من النوم .

حدّقت (مشيرة) فى وجهها بارتياع ، واتسعت عيناها فى هلع ، وهمّت بقول شىء ما ، إلا انها لم تلبث ان تماسكت ، وقالت :

- (سلوى) .. إنه مجرّد حلم .

هتفت (سلوى) فى حدة :

- كلا .. إنه ليس كذلك !

ثم عاد صوتها يرتجف ، مع استطرادتها :

- انت تعلمين انه ليس كذلك .

اتسعت عينا (مشيرة) مرة اخرى ، وعادت شفتاها تنفرجان ، وعادت كلمات متردّدة تطرق بابهما ، إلا انها لم تلبث ان قهرتها كالمرة السابقة ، وغمغمت :

- اعلم ؟!

اجابتها (سلوى) فى انفعال :

- نعم .. انت ايضًا ترين (محمود) فى أحلامك .. وكذلك (اكرم) و (رمزى) وحتى (نشوى) .. كلنا اصبحنا نراه كثيرًا فى احلامنا .. نراه ، ونتحدث إليه .. بل ويحذرنا احيانًا من مخاطر قادمة .. صدقينى يا (مشيرة) .. إنه ليس حلمًا ابدًا .. هناك شىء مايحدث .. شىء يهدّد (نور) و (اكرم) بالخطر ، و (محمود) يعرف هذا (الشىء) ، ويحاول تحذيرنا منه .

جاء دور (مشيرة) لترتجف الكلمات على شفتيها ، وهى تقول :

- نعم يا (سلوى) .. إنه ليس حلمًا .

ثم نهضت من مقعدها ، واشاحت بوجهها ، وهى تفرك كفيها فى عصبية ، مستطردة :

- فالحلم لا يراود اثنتين فى ليلة واحدة .

اتسعت عينا (سلوى) فى ارتياع ، وهى تحدّق فيها ، قائلة :

- اثنتان فى ليلة واحدة ؟! .. ماذا تعنين ؟

فركت (مشيرة) كفيها فى عصبية اكثر ، قبل ان تلتفت إليها ، وتتطلّع إلى عينيها مباشرة ، قائلة :

- انا ايضًا رايت الحلم نفسه الليلة يا (سلوى) ..

وبكل ماذكرت من تفاصيل ، باستثناء اننى انا التى كانت تصرخ ، وليس انت .

خفق قلب (سلوى) فى عنف ، وارتجف بين ضلوعها ، وهى تحدّق فيها فى ارتياع ، وراحت عبارة واحدة تصرخ فى عقلها بلا انقطاع ..

إنه ليس حلمًا ..

ليس حلمًا ..

ليس كذلك ابدًا ..

* * *

« لم يحن وقت الضحك بعد يا (ناتاشا) .. »

انتفض جسد (ناتاشا) فى عنف ، صكّت العبارة مسامعها ، واستدارت إلى مصدرها فى سرعة وحدة ، مع مسدسها الليزرى ، ووقع بصرها على (نور) و(اكرم) ، وهما يصوبان إليها مسدسيهما ، والأوّل يتابع فى صرامة :

- كنت واثقًا من اننا سنجدك هنا .

اتسعت عينا (ناتاشا) لحظة فى ارتياع ، ثم استعادت ملامحها الشرسة فى سرعة ، ووثبت تجذب (نادية) إليها ، واحاطت عنقها بساعدها ، ثم الصقت فوهة مسدسها الليزرى بصدغها ، هاتفة :

- لو اقترب احدكما منى ساطلق الأشعة على



وأحاطت عنقها بساعدها ثم ألصقت فوهة مسدسها الليزرى بصدغها ، هاتفة : لو اقترب أحدكما منى سأطلق الأشعة ..

راسها ، وافسد هذا المخ الثمين ، الذى كلفكم ملايين الجنيهات .

صرخت (نادية) فى رعب :

- لا .. ارجوك . لا تقتلينى .

اشار (نور) بيده قائلاً فى حزم :

- اطمئنى يا (نادية) .. لن تقتلك .

صرخت (ناتاشا) :

- بل سافعل .. اقترب اكثر ، سامنحك مشهداً نادرًا لمخ تذيبه اشعة الليزر .

وصل (اوتو) و (واتسن) و (خالد) فى هذه اللحظة ، واتسعت عيونهم فى دهشة امام هذا المشهد ، فى حين صرخت فيهم (ناتاشا) فى شراسة :

- توقفوا .. ساقتل الفتاة مع اول حركة .

صوّب (اكرم) مسدسه إلى راسها ، وهو يقول فى غضب :

- افعلى ، وسانسف راسك بدورى .. انظرى إلى مسدسى جيدًا ، وستدركين اننى اعنى كل حرف تفوهت به .. إننى احمل مسدسًا تقليديًا ، وليس ليزريًا مثلكم .

اجابته فى عصبية :

– ولكنك لن تقتلنى .. انا اعرفكم ايها العرب .. لقد درست فروسيتكم السخيفة فى دولتى .. انتم ترون العار ، كل العار ، فى قتل النساء .

قال (أكرم) فى صرامة :

– ليس الحقيرات منهن .

اشار إليه (نور) بالصمت ، وهو يقول :

– تخطئين كثيرًا لو حاولت قتلها يا (ناتاشا) .. لقد انكشف امرك ، ولم يعد هناك مبرر لما تفعلينه .. إننا لن نسمح لك بالفرار الآن قط ، مهما كان الثمن ، وخاصة بعد ان لاحظت مافعلته بالباب ، ففرارك يعنى مصرعنا جميعًا دفعة واحدة .

اضطربت (ناتاشا) فى شدة ، عندما واجهها (نور) باكتشاف خطتها على هذا النحو ، وقالت فى عصبية :

– فليكن .. اصلحوا الباب ، واتركونى ارحل فى سلام ، وإلا فستدفع تلك النادرة الثمن .

هزّ (نور) راسه نفيًا ، وهو يقول فى صرامة :

– مستحيل ! .. لا يمكننا ان نسمح لك بالرحيل مع كرة المعلومات و (نادية) .. موتنا اهون من حدوث هذا .

هتف به (اوتو) محنقًا :

– تحدث عن نفسك يارجل .

رمقه (خالد) بنظرة ازدراء ، ومطّ شفتيه فى احتقار ، فهتف (اوتو) :

– رحيلها لايعنينى فى قليل او كثير ، فلنذهب إلى الجحيم ، لو ان هذا ينقذ حياتنا .

هتفت (ناتاشا) بدورها :

– اسمعت ايها القائد (نور) ؟! .. استمع إلى الراى الحكيم ، الذى يقوله هذا الألمانى .. لا داعىَ لأن تضحى بحياتك ، فى سبيل اى شىء كان ، لمجرد انك نجحت بالمصادفة البحتة فى منعى من الهرب ، فى اللحظة الأخيرة ..

اجابها (نور) فى حزم :

– لا شان للمصادفة بهذا يا (ناتاشا) .. إنها عبارة نطق بها زميلى (رمزى) وجعلتنى ادرك كل شىء بغتة .. لقد اشار إلى اننا اصبحنا كالعميان ، نتخبط فى الظلام ، وهنا تذكرت فجاة قصتك الملفقة عن ذلك القاتل ، الذى هاجمك فى حجرتك .. لقد قلت فى بدايتها إن الحجرة كانت مظلمة تمامًا ، وعلى الرغم من هذا فقد انقضضت عليه دون خطا واحد ، وانتزعت منظاره عن عينيه بضربة واحدة .. وهذا التناسق المدهش لايمكن ان يحدث إلا تحت ضوء

جيد ، ومع شخص مدرّب جيدًا ، وليس مع نصف عالمة ، كما تقول هويتك .

ارتجفت شفتا (ناتاشا) ، وهى تقول :

- مازلت اعتبرها مجرّد مصادفة .

مطّ (نور) شفتيه ، وقال :

- فليكن يا (ناتاشا) ..اعتبريها كما يحلو لك ، ولكننى لن اسمح لك بمغادرة هذا المكان ، على قيد الحياة .

جذبت (ناتاشا) (نادية) نحو مركبة الفضاء الصغيرة ، وهى تقول :

- ولكننى مازلت امتلك ناصية الأمور ايها القائد .. ومازال بإمكانى القيام بالخطوة الأخيرة ، وإطلاق الضحكة الساخرة الختامية .. يكفى ان اضغط زر تشغيل المركبة ، ليبدا نظام الإقلاع الآلى عمله ، وتنفتح الأبواب الخارجية ، فينخفض الضغط والهواء بغتة ، وتثب درجات الحرارة إلى الصفر .. تُرى هل سيمكنكم احتمال هذا ؟!

ضاقت عينا (اكرم) ، وهو يصوّب مسدسه إلى راسها فى إحكام ، قائلاً :

- فليكن يا وغدتى الجميلة ، مادمنا سنلقى مصرعنا معًا .

هتفت فى عصبية :

- ومن قال : إننا سنلقى مصرعنا معًا ؟! .. إننى ارتدى زيًا فضائيًا كاملا ، ولاينقصنى سوى وضع الخوذة على راسى ، وضغط زر تشغيل الزى .. اما (نادية) فقدراتها المتفوّقة ستنقذ حياتها ، ولن يلقى مصرعه سواكم .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، فى حين قال (اكرم) فى صرامة :

- (نور) .. إننى اصوّب مسدسى إلى راسها مباشرة .. هل اطلق النار ؟

ازداد انعقاد حاجبى (نور) ، دون ان يجيب ، فتابع (اكرم) :

- اطمئن .. لن اخطئ إصابتها ، ولن اعرِّض حياة (نادية) للخطر .

بكت (نادية) فى انهيار ، فى حين بدا التوتر الشديد على وجه (ناتاشا) ، وهى تدير عينيها بين وجهى (نور) و (اكرم) ، وتقول فى عصبية :

- إياك ان يفعل .. امنعه من القيام بتلك الخطوة الحمقاء ايها القائد .. حاول ان تقدِّر العقبات .

صمت (نور) بضع لحظات فى صرامة ، ثم لم يلبث ان هزّ راسه ، وقال :

- للأسف يا (ناتاشا) .. ليس لدينا خيار آخر .
ابتسم (اكرم) ، قائلاً :
- عظيم .
قالها ، وإبهامه يجذب إبرة مسدسه ، و ....
« توقف يارجل .. إياك أن تضغط الزناد » ..
نطق (أوتو) العبارة فى عصبية ، وهو يتراجع بضع خطوات ، ويصوب مسدسه إلى (اكرم) ، الذى قال فى غضب :
- مامعنى هذا التصرف السخيف أيها الألمانى ؟!
وهتف (خالد) مستنكرًا :
- (أوتو) .. هل جننت ؟!
قال (أوتو) فى حدة شديدة :
- بل أحاول الحفاظ على حياتى يارجل .. تلك المرأة الروسية وضعت اقتراحًا معقولاً .. اتركوها ترحل ، ولنحتفظ بحياتنا .. لماذا نموت جميعًا بلا سبب ؟! .. لماذا ؟!
تألقت عينا (ناتاشا) فى ظفر ، وجذبت (نادية) أكثر وأكثر نحو المركبة ، وهى تقول :
- عظيم ياسيِّد (أوتو) .. تفكير عظيم .. تعاون

معى ، وسنجبر هؤلاء السادة على تنفيذ الاقتراح .
انعقد حاجبا (نور) فى صرامة شديدة ، وصوب مسدسه إلى (أوتو) ، قائلاً :
- اخفض مسدسك ياسيِّد (أوتو) ، ولا تقحم نفسك فى أمر كهذا .
صاح (أوتو) فى حدة :
- بل اخفض مسدسك أنت أيها القائد ، وإلا أطلقت النار على رفيقك هذا .
وهتفت (ناتاشا) :
- وسأثيب أنا مخ هذه الفتاة .
اشتعلت نيران الغضب فى وجه (خالد) ، وهو يقول لـ (أوتو) :
- أيها الغبى الحقير .. إنك تفسد كل شىء بحماقتك وجبنك .
تراجع (أوتو) فى عصبية ، وهو يقول :
- إياك أن تقترب منى .. سأطلق النار دون إنذار .
صاح به (خالد) :
- لن تجرؤ أيها الجبان .. مثلك لايقوم بعمل إيجابى مباشر قط .
تراجع (أوتو) أكثر ، صارخًا :
- قلت لك : إياك أن تقترب .

ولكن (خالد) انقضَ عليه ، صارخًا :

- لن تجرؤ .

تراجع (اوتو) فى ذعر ، صارخًا :

- لا .. لا تقترب منى .

كانت الأنظار كلها تتجه إليه ، وإلى (خالد) الذى انقض عليه فى غضب ، فانتهزت (ناتاشا) الفرصة ، واطلقت اشعة مسدسها نحو (نور) ، صارخة :

- خسرت ايها القائد .. خسرت .

انتبه (نور) إلى الأمر فى اللحظة الأخيرة ، فوثب جانبًا باسرع ما امكنه ، ولكن خيط الأشعة اصاب كتفه ، ودفعه إلى الخلف فى عنف ، فارتطم بالجدار ، وتفجَّر الدم من جرحه ، فى نفس اللحظة التى وثب فيها (خالد) على (اوتو) ، وقبض على معصمه فى قوة .

وبسرعة مذهلة ، وبعد ان اصابت (نور) ، ادارت (ناتاشا) فوهة مسدسها الليزرى نحو (اكرم) ، و (نادية) تطلق صرخة ذعر هائلة ..

ومع الزاوية الحادة التى اتخذتها ، لم يكن بوسع (اكرم) أن يطلق رصاصته نحوها فتراجع بسرعة وقفز جانبًا ، وراى اشعة مسدسها تعبر على قيد سنتيمتر واحد من انفه ، وقبل ان يسقط ارضًا ، فى

حين جذبت هى (نادية) إلى مركبة الفضاء ، ودفعتها داخلها ، وهى تهتف فى ظفر هستيرى :

- هيا ياصغيرتى .. سننطلق الآن ، وليذهب الجميع خلفنا إلى الجحيم .

ثم وثبت إلى مقعد قيادة المركبة ، واندفعت يدها نحو زر الإقلاع مستطردة :

- الوداع ايها الحمقى .. ابلغوا شياطين الجحيم ان (ناتاشا) قد انتصرت كالمعتاد .

اتسعت عينا (نور) فى ارتياع ، وهو يدرك ان زجاج المركبة الفضائية معالج لامتصاص خيوط اشعة الليزر ، وانه لن ينجح قط فى إصابة الروسية من موضعه ، فصاح :

- (اكرم) .. إنها لك .

قفز (اكرم) واقفًا ، وهو يصيح :

- بكل سرور .

وبسرعة مدهشة ، صوَّب مسدسه إليها ، و ...

واطلق النار ..

ومع دوى الرصاصات التقليدية ، وصداها المزعج فى قاعة الإقلاع ، توقَّف صراع (اوتو) و(خالد) والتفتا مع (واتسن) إلى المركبة الفضائية

الصغيرة ، فى نفس اللحظة التى اطلقت فيها (نادية) صرخة قوية ...

وتوقّف الزمن لحظة ، بالنسبة للجميع ، وهم يحدقون فى (ناتاشا) ، التى جحظت عيناها ، وتجمّدت ابتسامتها على شفتيها ، ثم تحولت إلى انفراجة الم ذاهلة ، مع الثقب المستدير ، الذى توسّط جبهتها ، مقابل مثيله فى زجاج المركبة المواجه لها بالضبط ..

ثم تفجرت الدماء من ثقب جبهتها ، وهوى راسها ليرتطم باجهزة قيادة المركبة ..

وأطلقت (نادية) صرخة اخرى ..

واخرى ..

واخرى ..

ثم وصل إليها (نور) ، وربّت عليها فى رفق ، مغمغمًا :

– لا باس .. لا باس .. لقد انتهى كل شىء .

تركته يجذبها إلى خارج المركبة ، فى حين انتزع (خالد) مسدس (اوتو) ، وهو يقول فى غضب :

– ارايت ايها الاحمق ؟! .. لقد انتهى الامر دون سخافات غبية .

ثم هوى على فكه بلكمة كالقنبلة ، مستطردًا :

– كالتى كنت تسعى إليها .

لم يكد (اوتو) يسقط ، ويرتطم بارض القاعة ، حتى ارتجّ المكوك كله فى عنف ، فاتسعت عيون الجميع فى دهشة ، وتمتم (اكرم) :

– عجبًا ! .. لم اكن اتصوّر ان الالمانى ثقيل إلى هذا الحد .

ارتجّ المكوك مرة اخرى فى عنف ، فهتف (نور) :

– رباه ! .. اهى كارثة جديدة ؟

ومع اخر حروف كلماته ، ارتفع المكوك عن سطح القمر فى حركة حادة ، فاختل توازن الجميع ، وسقطوا ارضًا ، وصرخ (اوتو) فى رعب :

– ماذا يحدث ؟ .. ماذا يحدث ؟

هب (نور) واقفًا ، وانطلق يعدو نحو حجرة القيادة ، هاتفًا :

– لست ادرى ماذا يحدث ، ولكننا نطير .

لحق به (واتسن) ، قائلاً فى دهشة مذعورة :

– بدون محركات ؟!

اجابه (نور) فى توتر شديد :

– نعم ياسيّد (واتسن) .. نطير بدون محركات .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يستطرد هامسًا :

– واخشى ما اخشاه ان لدىّ تفسيرًا لهذا .

لم يسمع أحدهم ما همس به ، أو يلقى عليه سؤالاً آخر ، حتى بلغوا حجرة القيادة ، فاتسعت عيونهم فى ذهول مذعور ، وهم يحدقون فى مشهد رهيب ، عبر نافذتها الزجاجية الضخمة ..

ومع انعقاد ألسنتهم ، بدا صوت (أكرم) الخافت المختنق كالصرخة ، وهو يتمتم :

- يا إلهى !

فبسرعة كبيرة ، ومن خلال مسار حلزونى طويل ، كان مكوك الفضاء (القاهرة ٢٠٠٠) يتجه بهم مع عدد من الأحجار وصخور القمر الضخمة ، نحو مركز الانفجار مباشرة ..

نحو تلك الفجوة المظلمة ، التى قال عنها (محمود) فى أحلامهم : إنها تقود إلى عالم عجيب .. ومخيب .

* * *

تم الجزء الأول بحمد الله

ويليه الجزء الثانى بإذن الله

(الفجوة السوداء)

الدوامة

- ماسر ذلك الانفجار، الذى أضاء الأرض كلها، فى منتصف الليل ؟!
- لماذا انطلق (نور) و (أكرم) مع حملة خاصة إلى قاعدة القمر ؟!
- ترى هل ينجح (نور) و (أكرم) فى مهمتهما هذه المرة، أم تبتلعهم (الدوامة) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل مع (نور) ورفاقه.. من أجل الأرض.



العدد القادم : الفجوة السوداء



د. نبيل فاروق

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

109

الثمن فى مصر ٢٠٠
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل
سري جداً!!

110 الفجوة السوداء

د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ - المجهول ..

خيّم على المرصد الفلكى الجديد صمت رهيب ، فى تلك الليلة من ليالى منتصف الشتاء ، فى القرن الحادى والعشرين ، وتعلّقت عيون العاملين فيه ، ومديره ، والدكتور (ناظم) ، رئيس مركز الأبحاث العلمى ، التابع للمخابرات العلمية المصرية ، بالشاشة الكبيرة ، فى قاعة المراقبة ، والتى تنقل ما ترصده عدسات المرصد العملاقة ، من أحداث مثيرة عجيبة ، على سطح القمر وحوله ..

وخفقت القلوب فى عنف ، والعيون تراقب تلك الصخور هائلة الحجم ، التى راحت تنفصل عن القمر ، وتنطلق فى مدار حلزونى ، نحو مركز الفجوة السوداء الرهيبة ، التى تكوّنت فى قلب الفضاء ، وراحت تجذب إليها كل ما حولها فى قوة ، وهى تكبر وتتسع أكثر وأكثر ، فى كل دقيقة تمضى ..

وفى توتر بالغ ، غمغم مدير المرصد :

- لن تمضى ثوان معدودة ، حتى يلحق المكوك

(القاهرة ٢٠٠٠) بتلك الصخور ، وتجذبه الفجوة السوداء ؛ ليغوص فى مركزها إلى الأبد ..

عضّ الدكتور (ناظم) شفتيه قهرًا ومرارة ، وهو يستمع إلى قول مدير المرصد ، وحزن هائل رهيب يعتصر قلبه فى قسوة ..

وانطلقت ذكرياته إلى الأمس القريب ..

وإلى بضعة أيام مضت ..

إلى البداية ..

فمنذ أيام قليلة ، كانت الدورية السابعة ، من دوريات المراقبة الفضائية تقوم بعملها المعتاد ، فى مراقبة الحدود الفضائية ، عندما وجدت أمامها جسمًا فضائيًا مجهولاً ، يتجه نحو الأرض مباشرة ..

وحدث الاشتباك بين الدورية السابعة ، وذلك الجسم الفضائى المجهول ..

وأطلقت الدورية صاروخها نحوه ..

وحدث الانفجار فى قلب الفضاء ..

وكان انفجارًا رهيبًا ..

وإلى أقصى حد ..

لقد امتدّ تأثيره إلى مسافة هائلة ، مع موجة من الحرارة ، سحقت قاعدة القمر سحقًا ، وأضاءت نصف

الكرة الأرضية فى قلب الليل ، كما لو أن شمسًا جديدة قد أشرقت فى الكون ..

وليت الأمر اقتصر على هذا ...

لقد نشأت فى مركز الانفجار فجوة ..

وهنا بدأت الكارثة الحقيقية ..

لقد بدا وكأن تلك الفجوة أشبه بثقب فى قاع حوض كبير ، تكوّنت حوله دوّامة قوية ، تجذب إليها كل ما حولها ، وتلقيه فيه بلا رحمة أو هوادة ..

وأصبح مصير الأرض كلها فى خطر داهم ..

خطر ينبئ بنهاية قاسية رهيبة ، فيها فناء للبشرية كلها ..

بل وللكوكب كله ..

وانطلق مكوك الفضاء (القاهرة ٢٠٠٠) إلى القمر ، وعلى متنه (نور) و(أكرم) ، وفريق من الروس والأمريكيين والعرب ، وألمانى واحد ، لدراسة ما أصاب القاعدة القمرية ، والسعى إلى جمع مزيد من المعلومات حول الفجوة وتأثيرها ، ومحاولة إحضار كرة المعلومات ، التى سجلت كل التفاصيل العلمية للكارثة .

وعلى القمر ، بدأت الأحداث الدامية ..

(نور) و(أكرم) تعرّضا لمحاولة اغتيال ، بعد استعادتهما كرة المعلومات ، وعثورهما على شاب وفتاة نجيا من الكارثة ..

واختطف المعتدى المجهول كرة المعلومات ، ثم راح يقتل أفراد الفريق ، واحدًا بعد الأخر ، فى محاولة للحصول على كل المعلومات الممكنة لدولته ..

وكان الوقت يمضى بسرعة كبيرة ..

والخطر يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

ثم انكشف الجاسوس ، الذى لم يكن سوى الروسية (ناتاشا كوربوف) ، التى حاولت الهرب بكرة المعلومات ، بعد اختطاف (نادية) ، الفتاة التى نجت من الكارثة ، والتى لقى زميلها مصرعه احتراقًا ، وانكشف كونهما من الجيل الأوّل للمقاتلين الفضائيين ، الذين يمكنهم العيش على سطح القمر ، دون أجهزة معاونة ..

وكانت مواجهة رهيبة ..

مواجهة انتهت بمصرع (ناتاشا) ، فى نفس اللحظة

التى بدأت الفجوة فيها فى التهام الصخور الضخمة للقمر ، وراحت تجذب المكوك إليها (*) ..

ولم يكن الدكتور (ناظم) يعلم شيئًا عن تلك التفاصيل الأخيرة ..

التفاصيل التى حدثت ، وهو يراقب ما يحدث على القمر ، فى تلك اللحظات ..

ولكن قلبه انتفض بين ضلوعه فى عنف ، عندما بدا له المكوك (القاهرة ٢٠٠٠) على شاشة المراقبة ، وهو يندفع فى نفس المدار الحلزونى ، وسط الصخور الضخمة ، نحو الفجوة السوداء مباشرة ..

وبكل الهلع فى أعماقه ، تمتم :

ـ رباه ! .. (نور) ! .. (أكرم) .. يا إلهى !

وأمام العيون المذعورة ، تضاعفت سرعة المكوك ، وهو ينطلق مرغمًا نحو الفجوة ، وارتجف صوت مدير المرصد ، وهو يقول :

ـ يا للمساكين ! .. بعد أربع ساعات أخرى سينهار القمر نفسه ، وبعد هذا بما يقرب من ساعتين ، يأتى دور الأرض .

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأوّل (الدوّامة) .. المغامرة رقم (١٩) .

انتفض قلب الدكتور (ناظم) مرة أخرى ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وتسمرت عيناه على المكوك ، الذى بدا على الشاشة ، وهو يغوص فى قلب الفجوة السوداء ، ثم يختفى تمامًا ..

لقد لحق بالصخور الضخمة فى أعماق الفجوة السوداء ، وأصبح مصيره مجهولاً ..

ومخيفًا ..

بحق ..



اتسعت عيون (نور) ورفاقه فى ارتياع ، داخل مكوك الفضاء (القاهرة ٢٠٠٠) ، وهم يحدقون فى ذلك المشهد الرهيب ، عبر النافذة الكبيرة فى المقدمة .

إنهم ينطلقون بسرعة تزايدية مخيفة نحو فجوة سوداء هائلة ، وحولهم عدد ضخم من الصخور الكبيرة ، يرتطم بجسم المكوك أحيانًا ، أويتجاوزه بسرعة مذهلة فى أحيان أخرى ..

وبإرادة فولاذية ، انتزع (نور) نفسه من دهشته وخوفه ، وهتف :

ـ اجلسوا على المقاعد بسرعة ، وليحكم كل منكم حزام مقعده بقدر الإمكان .

هتف (أكرم) فى توتر ، والآخرون ينفذون أمر (نور) :

ـ ألا ينبغى أن نرتدى زينا الفضائى ؛ خشية أن يصاب جسم المكوك ، وينهار الضغط داخله ، وينفد الهواء ، و ...

قاطعه (نور) فى توتر شديد ، وهو يراقب تلك الفجوة شديدة السواد ، التى باتت فى حجم أضخم الجبال ، والمكوك يواصل اندفاعه نحوها بسرعة خرافية :

ـ لست أظننا نجد الوقت لهذا .

نطقها ، فهوت على رءوس الجميع كالصاعقة ، وأسرع (أكرم) يربط حزام مقعده بدوره ، واشترك مع الآخرين فى نوبة صمت مهيبة ، وكلهم يحدقون مذعورين فى ذلك الظلام الرهيب ، الذى يتجهون نحوه بسرعة مذهلة ، وتشبث (نور) بذراع القيادة فى قوة ، على الرغم من معرفته بتلف محركات المكوك ، فى حين راح الأمريكى (ستيف واتسن) يرتجف ، كريشة فى مهب الريح ، وأمسك الألمانى (فردريش أوتو) جانبى مقعده فى قوة ، وكأنه يخشى أن يرميه الارتجاج العنيف خارجه ، على الرغم من حزام الأمان ، وأخفت

(نادية) وجهها بكفيها ، لتحجب عن عينيها مشهد السواد المخيف ، وهى تردد مذعورة :

ـ الرحمة يا إلهى ! .. الرحمة ..

أما (خالد) ، فقد اتسعت عيناه عن آخرهما ، وتجمدت مشاعره كلها فى أعماقه ، وزايله شعور قوى بأنه يشهد لحظاته الأخيرة ..

وفى عقول الجميع ـ بلا استثناء ـ انطلق فيض قوى من الأسئلة ، يعزف على أوتار المشاعر والمخاوف والانفعالات ..

ماذا سيحدث ، عندما يصل المكوك إلى الفجوة السوداء ؟! ..

هل ينفجر ، فيلقون حتفهم جميعًا ؟! ..

أم يعبرها بلا خسائر ؟! ..

ولو أنه عبرها ، فما الذى سيجدونه خلفها ؟! ..

وهل يمكن أن يعودوا إلى عالمهم ؟! ..

أم أن هذه هى النهاية ؟! ..

نهايتهم ..

ونهاية الأرض ..

وبكل سرعته واندفاعه ، انقض المكوك (القاهرة ٢٠٠٠) على الفجوة ..

وانطلقت من حلوقهم شهقة قوية ، و(نور) يهتف :

ـ يا إلهى ! ..

ومع هتافه ، غاص (القاهرة ٢٠٠٠) وسط ظلام دامس رهيب ..

ظلام لم يشهد أحدهم مثله قط ..

إنه أشد الظلمة سوادًا ورهبة ، حتى إن دفقة كبيرة من خوف مبهم قد انقضت على قلوبهم ، وزلزلتها فى صدورهم ، وعيونهم المذعورة تحدق فى الظلام المحيط بهم ، والمكوك يرتج فى عنف أكثر ، وأكثر ، وأكثر ..

وبكل انفعاله ، صرخ (أكرم) :

ـ لن نتجاوز هذا الموقف أبدًا ..

ثم استطرد فى ثورة يائسة :

ـ اللعنة ! .. ألف لعنة ! .. أما من نهاية لهذا الظلام .

لم يكد ينطقها ، حتى انبعث ذلك الضوء فجأة ..

ضوء قوى ، اخترق بغتة حجب الظلام ، وأغشى عيونهم لحظة ، وهو يغمر المكوك كله ، ويحيط به ، ثم ينتشر إلى كل ما حوله ..

وفى دهشة ، هتف (نور) :

- عجبًا ؟! .. أيمكن أن نجد ضوءًا داخل فجوة سوداء (*) .

لم يجب أحدهم سؤاله ..

بل ولم يجدوا أنهم بحاجة إلى إجابته ..

ففى اللحظة التالية مباشرة ، وعندما فتحوا عيونهم المجهدة فى حذر ، أدركوا جميعًا سبب ذلك الضوء المباغت ..

لقد عبروا الفجوة ..

عبروها إلى عالم عجيب ..

عجيب للغاية ! ..

فأمامهم ، وعلى مرمى البصر ، كان يمتدّ فضاءٌ هائل ، يختلف عن فضائنا ، الذى نعرفه فى عالمنا ، فى أمر جوهرى للغاية ..

لونه ..

(*) الفجوات السوداء لها قوة جذب هائلة ، تجعلها قادرة على جذب كل الأجسام والأشياء ، حتى الضوء ، ومن هنا كان لونها الأسود ، بسبب أنه لا تنعكس عنها أية أضواء ، ومن هنا جاءت تسميتها أيضًا .

فذلك الفضاء السرمدى ، الممتدّ إلى ما لا نهاية ، لم يكن ساكنًا مظلمًا ، وإنما كان فراغًا مضطربًا ، هائلاً ، تنتشر فيه سحب حمراء مخيفة ، تنطلق منها بين الحين والحين ، صواعق عملاقة ، تضىء ما حولها لمسافات شاسعة ..

أما تلك الفجوة السوداء ، التى عبروها على التو ، فقد بدت خلفهم عبارة عن فجوة بيضاء هائلة ، ينطلق منها ضوء مبهر ، مع سيل من الصخور القمرية الضخمة ، التى تندفع معهم نحو كوكب ضخم ، غمره الضوء ، وأظهر لونه الدموى الرهيب ، وسط ذلك الفضاء العاصف الثائر .

وعندما سطعت صاعقة أخرى ، وأغشى ضوؤها عيونهم للمرة الثانية ، هتف الألمانى :

- رباه ! .. إننا نتجه إلى ذلك الكوكب مباشرة !!..

وأكمل الأمريكى مرتجفًا :

- سيتحطّم المكوك ، ونلقى مصرعنا جميعًا ، لو ارتطمنا بسطحه ، بهذه السرعة الرهيبة !

شهقت (نادية) فى ارتياع ، واتسعت عينا (خالد) أكثر وأكثر ، فى حين انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يتمتم فى عصبية :

- هناك مخرج من هذا حتمًا .. هناك مخرج ما .

(نور) وحده ظلّ صامتًا ، وعقله يعمل بأقصى سرعته وطاقته ..

(واتسن) على حق ..

لو واصل المكوك انطلاقه نحو ذلك الكوكب ، بهذه السرعة الفائقة ، فسيتحطّم على سطحه حتمًا ..

بل سينسحق سحقًا ..

ومحركات المكوك تالفة ، مما يعنى أن صواريخه الدافعة لن تعمل ، ولن تساعدهم على تفادى الارتطام .

حتى الدفة ، لن تفيد كثيرًا ، فمن الواضح أن قوة الاندفاع هذه ستوقعهم حتمًا فى مجال جاذبية الكوكب ، مهما حاولوا الفرار ..

وعلى الرغم من هذا ، فقد استخدمها (نور) ..

جذب عصا القيادة جانبًا ، يمينًا ويسارًا ، وحاول الدوران بالمكوك ، للتقليل من سرعة اندفاعه ، إلا أن محاولته لم تؤد إلا لمضاعفة قوة الارتجاج ، على نحو جعل (نادية) تصرخ :

- ماذا يحدث ؟! .. ماذا سيصيبنا ؟!

هتف (أكرم) فى خشونة :

- اصمتى وتشبثى بمقعدك .. إننا نقترب أكثر وأكثر من ذلك الكوكب .

كان المكوك يقترب بالفعل من ذلك الكوكب الدموى ، الذى بدا أشبه بكرة قانية من الدم ، تسبح وسط ذلك الفضاء الثائر ، فى مشهد رهيب ، ارتجف له قلب (خالد) ، وهو يغمغم :

- رباه ! .. أى كوكب هذا ؟!

كانت معالم الكوكب تتضح تدريجيًا ، مع اقتراب المكوك ، على الرغم من السحب الداكنة الكثيفة ، التى تغطى أجزاء عديدة منه ، والتى يخترقها سيل الصخور المنهمر من الفجوة بلا انقطاع .

فأمامهم مباشرة ، بدت قارة كبيرة ، ذات تضاريس حادة ، يحيط بها محيط هائل ، مياهه صفراء داكنة ، وتتناثر فيه جزر مختلفة الأحجام ، تشترك كلها فى ذلك اللون الأحمر الدموى ، ومن بعيد بدت قارة أخرى ، يختفى معظمها مع منحنى استدارة الكوكب ..

كان حجم الكوكب مقارب لحجم الأرض إلى حد كبير(*) ، وإن بدا أشبه (بالمريخ) ، وهم يقتربون منه أكثر وأكثر ..

(*) الأرض ثالث كواكب المجموعة الشمسية ، من حيث بعدها عن الشمس ، وخامسها من حيث الحجم .

وفى عصبية شديدة ، قال (أوتو) :

ـ رباه ! .. أما من وسيلة لتفادى الارتطام ؟!

وقال (واتسن) متوترًا :

ـ لو أننا فقط نستطيع الهبوط فى ذلك المحيط الأصفر !

ارتجف صوت (خالد) ، وهو يقول فى يأس :

ـ هذا يحتاج إلى وسيلة لتغيير مسار المكوك ، والمحرك أفسدته (ناتاشا) اللعينة بقنبلتها ، وبدونه لن ..

قاطعه (نور) ، وهو يهتف فجأة :

ـ صواريخ الطوارئ .

التفت إليه الجميع فى دهشة وتساؤل ، فتابع فى حماس :

ـ هذه الصواريخ بالتحديد لا تتصل بالمحرك الرئيسى ، فمهمتها هى إحداث دفع جانبى أو أمامى ، لتغيير مسار المكوك بسرعة كبيرة ، فى حالات الطوارئ ، ولو أننا استخدمناها الآن ، فربما أمكننا تفادى الارتطام بالأرض ، والاتجاه نحو ذلك المحيط الأصفر .

سأله (خالد) فى لهفة :

ـ أتعتقد أنها مازالت صالحة للعمل ؟!

ضغط (نور) زر تشغيل صواريخ الطوارئ بالفعل ، وهو يجيب فى حزم :

ـ هناك وسيلة مضمونة ، للتأكد من هذا .

ارتجَّ المكوك فى عنف شديد ، مع ضغطته على الزر ، وانحرف بحركة حادة إلى اليسار ، فهتف (أكرم) :

ـ رباه ! .. هل أفلحت فكرتك يا (نور) ؟

لم يجب (نور) عن السؤال ، وهو يتشبث بعصا القيادة بكل قوته ، محاولاً استغلال تلك الدفعة المحدودة ، لتوجيه المكوك نحو المحيط ، بدلاً من أن يرتطم بالكوكب ، فى حين توقف عمل صواريخ الطوارئ مؤقتًا ، فى انتظار ضغطة زر أخرى ، و ..

وفجأة ، دوى داخل المكوك صوت ارتطام قوى ، جعل (نادية) تطلق صرخة ذعر ، و(أوتو) يهتف :

ـ ماذا حدث ؟! يا إلهى ! .. ماذا حدث ؟!

أما (واتسن) ، فتشبث بمقعده أكثر ، وراح يتأوه بصوت مرتفع ، كما لو أن هذا الارتطام قد أصابه شخصيًا ، وشهق (خالد) فى عنف ، فى حين غمغم (أكرم) فى عصبية شديدة :

ـ الصخور !

وكان من الواضح أنه أول من انتبه إلى حقيقة ما حدث ، فلم يكد يتمّ كلمته ، حتى انبعث ذلك الصوت الآلى ، عبر كمبيوتر الأعطال ، يقول :

- إصابة فى الثلث الأخير .. تم عزل المنطقة المتبقية .. خلل فى الدقة وأجهزة التوجيه .. المسبّب صخرة كبيرة ، تزن خمسة أطنان ، يرجّح كونها من صخور القمر ..

شحب وجه (واتسن) بشدة ، وهو يهتف :

- رباه ! .. ذلك الانحراف المباغت جعل إحدى صخور القمر الضخمة ، التى جذبتها الفجوة ، ترتطم بنا .. لا ريب فى أنها أصابت المكوك بعطب شديد .

أجابه (أكرم) فى عصبية :

- اطمئن .. لن تضيف الكثير إلى ما به من إصابات وأعطال .

قال (أوتو) فى توتر :

- ربما ، ولكن الصدمة أعادتنا إلى مسارنا الأول ، ولم تعد نجاتنا ممكنة ..

بدأ المكوك مرحلة الدخول فى الغلاف الجوى للكوكب الدموى ، فى تلك اللحظة ، مع عدد هائل من صخور القمر ، من مختلف الأشكال والأحجام ، فقال (نور) :



بدأ المكوك مرحلة الدخول فى الغلاف الجوى للكوكب الدموى ، فى تلك اللحظة ، مع عدد هائل من صخور القمر ..

- فرصتنا الوحيدة فى أن يخفف الاحتكاك بالغلاف الجوى سرعتنا .

بدأ وهج نارى يحيط بالمكوك ، فى حين راحت بعض الصخور تحترق وتتبخر ، وهى تخترق الغلاف الجوى للكوكب ، فى مشهد رهيب ، يحيط بهم من كل جانب ، فى حين راح الكمبيوتر يحلّل الغلاف الجوى ، قائلاً بصوته الآلى :

- غلاف جوى أقل سمكًا من الغلاف الجوى للأرض بنسبة ثلاثة فى المائة .. يتركب من النيتروجين بنسبة (٨٠,١٪) ، والأكسجين بنسبة (٢١,٩٪) ، و ...

هتف (أوتو) ، قبل أن يكمل الكمبيوتر تحليلاته :

- عظيم .. نقطة لصالحنا على الأقل ، فالهواء هنا يقترب كثيرًا فى تركيبه مع هواء الأرض (*) ..

مطّ (أكرم) شفتيه ، قائلاً فى عصبية :

- هذا لو وجدنا الوقت لاستنشاقه .

(*) يتركب هواء الأرض من النيتروجين ، بنسبة (٧٨.٠٩ ٪) ، والأكسجين (٢٠.٩٥ ٪) ، مع كميات ضئيلة من الأرجون ، وثانى أكسيد الكربون ، وغازات أخرى ، كما يحتوى على بخار الماء والغبار .

ارتجفت قلوبهم جميعًا لقول (أكرم) ، وشهقت (نادية) مرتين متتاليتين ، وحدّقت كل العيون فى ذلك الوهج النارى ، عبر النافذة الأمامية الكبيرة للمكوك ، والمعالجة لاحتمال درجات حرارة فائقة ، وبدا لهم أن مصيرهم صار محتومًا ، وما من سبيل فى الكون كله لتفاديه ..

حتى (نور) ، حاول تشغيل صواريخ الطوارئ ثانية ، إلا أنها رفضت العمل هذه المرة ، وتركت المكوك يخترق السحب الداكنة كشعلة من اللهب ، ثم ينقضّ على القارة الحمراء الكبيرة ، على نحو يوحى بأنه سينسحق بركابه فوقها حتمًا ، بلا أمل فى النجاة .

بلا أدنى أمل .

* * *



٢ - الأمل ..

« انتهى أمرهم ؟! .. » .

احتقن وجه القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ، واعتصرت قبضة باردة قلبه فى قسوة ، وهو ينطق هذه العبارة ، محدقًا فى وجه الدكتور (ناظم) ، الذى قلب كفيه يأسًا ، وهو يطلق زفرة مفعمة بالمرارة ، من أعماق صدره ، ويقول فى أسى :

- نعم أيها القائد .. انتهى أمرهم للأسف .. تلك الفجوة ابتلعتهم بلا رحمة ولا رجعة .

ازدرد القائد الأعلى لعابه فى صعوبة ، قبل أن يسأل بصوت خافت :

- أما من سبيل لعودتهم ؟!

هزّ الدكتور (ناظم) رأسه نفيًا فى أسف ، وقال :

- ليس من الناحية العلمية ، فقوة الجذب الرهيبة لتلك الفجوة السوداء ، تجعل عبورها ممكنًا فى اتجاه مركزها فحسب ، ولا تسمح لأى جسم ، مهما بلغت طاقته الدافعة ، بالخروج منها فى الاتجاه المعاكس .

ثم ازدرد لعابه بدوره ، وأضاف :

- هذا لو أنها لا تسحق فعليًا كل ما يعبرها .

سرت قشعريرة باردة فى جسد القائد الأعلى ، وهو يتمتم :

- يا للخسارة !

وافقه الدكتور (ناظم) بإيماءة من رأسه ، وقال :

- وأية خسارة ! .. إنه (نور) ، و(أكرم) ، وفريق من أفضل رجال العلم والبحث فى العالم .

وتنهد فى عمق ، قبل أن يضيف :

- ولكن هذه الخسارة لن تساوى شيئًا ، عندما يحين دورنا

التقى حاجبا القائد الأعلى ، وهو يسأل فى رهبة :

- أما زالت حساباتكم مؤكدة ؟!

أومأ الدكتور (ناظم) برأسه إيجابًا ، وقال :

- نعم للأسف .. أربع ساعات فحسب وينهار القمر ، وتجذبه تلك الفجوة إليها ، فيحدث خلل فى جاذبية الأرض ، وتثور البحار والبراكين ، وتكثر الزلازل ، ثم يحين دور الأرض ، بعد ما يقرب من ساعتين ، لتلحق بالقمر .

اتسعت عينا القائد الأعلى فى ارتياع ، وكأنما يستمع إلى هذا الحديث للمرة الأولى ، وتمتم :

- يا إلهى ! .. يا إلهى ! ..

ونهض من خلف مكتبه ، وراح يسير فى حجرته فى توتر ملحوظ ، قبل أن يتوقف بحركة حادة ، ويلتفت إلى الدكتور (ناظم) ، قائلاً :

- لا يمكن ألا تكون هناك وسيلة لتفادى هذا المصير الرهيب ؟! .. لا يمكن أن تسقط الأرض ، ونحن مكتوفى الأيدى على هذا النحو .

قلب الدكتور (ناظم) كفيه ثانية ، وهو يقول :

- وما الذى يمكننا أن نفعله ؟!

هتف به فى حدة صارمة :

- ابذلوا جهداً أكبر يا رجل .. استشيروا أجهزتكم المتطورة .. اعتصروا عقولكم .. ابحثوا عن أى حل بديل .. أى حل .

قال الدكتور (ناظم) فى مرارة :

- إننا نبذل قصارى جهدنا بالفعل .

أشار القائد الأعلى بسبابته ، هاتفاً :

- هل فكرتم فى استخدام القنابل الارتجاجية ؟! .. لقد ابتكرها الأمريكيون ، عام ألفين وسبعة ، ولكنهم لم يستخدموها قط ، لأن الدراسات أثبتت أنها من القوة ، بحيث يمكن أن تفنى الأرض كلها مع انفجارها . حاولوا

استخدامها إذن .. أطلقوها نحو تلك الفجوة اللعينة .. لعل انفجارها العنيف يطيح بها .

هزّ الدكتور (ناظم) رأسه نفياً ، وهو يقول :

- لن يفعل أيها القائد .. لقد درسنا الفكرة بالفعل ، ولكن حساباتنا ألقت ظلالاً من الشك على الأمر ، وأظهرت أنه من المحتمل أن يؤدى انفجار القنبلة الارتجاجية إلى توسيع الفجوة ، ومضاعفة قوة جذبها ، بدلاً من إغلاقها .. ثم إن الوقت اللازم ، لوصول القنبلة إلى الفجوة ، يزيد عن الزمن المتبقى من عمر الأرض بالفعل .

عادت عينا القائد الأعلى تتسعان فى ارتياع ، وهو يقول :

- هل تعنى أنه ليس هناك أمل حقيقى ؟

لم يجب الدكتور (ناظم) ، وإنما خفض عينيه فى أسف وأسى ..

وكان صمته هذا أبلغ من أى جواب ..

★ ★ ★

كان الكوكب الدموى يقترب بسرعة ، على الرغم من احتكاك المكوك بغلافه الجوى ، وعيون الجميع معلقة بأرضه الحمراء القانية ، التى ترتجف لمرآها القلوب ،

وشبح الموت يحلّق فوق رءوسهم ، فى ثياب من اليأس والأسى والإحباط والمرارة ، و ..

« المركبة الفضائية الصغيرة .. » .

هتف (نور) بالعبارة فى انفعال شديد ، وهو يحلّ حزام مقعده ، ثم اندفع نحو (نادية) ، مستطردًا :

ـ أسرعوا .. لدينا فرصة للنجاة .

هبَّ (أكرم) يحلّ حزام مقعده بدوره ، ووثب يعاون الأمريكى على حل حزام مقعده ، والألمانى يهتف :

ـ ماذا تعنى ؟! .. ماذا تعنى بالله عليك ؟!

دفعه (نور) أمامه ، وجذب (نادية) خلفه ، وهو يهتف :

ـ سنستقل المركبة الفضائية الصغيرة ، وننطلق بها خارج المكوك ، قبل أن يرتطم بالأرض .. أسرعوا .

أنعشت فكرته شيئًا من الأمل فى أعماقهم ، فانطلقوا يعدون بأقصى سرعتهم ، نحو قاع المكوك ، حيث توجد المركبة الفضائية الصغيرة ، وهتف (واتسن) ، وهو يلهث من فرط الانفعال :

ـ ولكن .. ولكن المركبة الصغيرة لن تسعنا جميعًا .. إنها معدّة لحمل أربعة أفراد فحسب .

صاح به (نور) فى صرامة :

ـ سننحشر داخلها يا رجل .. لن نترك أحدنا هنا .

وهتف (أكرم) ، وهو يدفع جثة (ناتاشا) خارج المركبة :

ـ كفوا عن طرح الأسئلة والاحتمالات أيها السادة .. الوقت يمضى فى سرعة .

كان المكوك يقترب من الكوكب أكثر وأكثر ، وسرعته تتزايد مع كل كيلو متر يقطعه ، وهم يقفزون داخل المركبة الفضائية الصغيرة ، وينحشرون فيها فى صعوبة ، واحتلّ (نور) مقعد القيادة ، و(أوتو) يقول مرتجفًا :

ـ ولكن هناك ثقب فى زجاجها الأمامى ، بسبب رصاصة (أكرم) ، وتلك الدماء الـ ...

لم يكن (نور) قادرًا على احتمال المزيد ، مع الموقف شديد التعقيد ، والدماء التى تنزف من جرح كتفه ، وتكاد تغرق ذراعه كلها ، فقاطع (أوتو) فى حدة وصرامة :

ـ كفى .. كفى .

وفى نفس اللحظة ، التى أغلق فيها باب المركبة ، انبعث صوت الكمبيوتر ، فى ممر الإقلاع الصغير ، وهو يقول :

ـ عشر ثوان ويحدث الاصطدام بالأرض .. أجهزة التوجيه تالفة ، ولا توجد وسيلة لتفادى وقوع الكارثة .. تسع ثوان .. ثمانى ثوان .. سبع ثوان ..

وضغط (نور) أزرار تشغيل المركبة ..

وضغطها ..

وضغطها .. ..

ولكن المحرك الفضائى المحدود لم يستجب ..

وتواصل العد التنازلى ..

ست ثوان .. خمس ثوان ..

وصرخت (نادية) :

ـ لا .. لا تخذلينا الآن .. لا ..

وكأنما انطلقت الصرخة من أعماقها إلى أعماق المحرك مباشرة ..

وأشعلته ..

ودون أن يضيع ثانية واحدة ، دفع (نور) عصا القيادة إلى الأمام ، فانطلقت المركبة عبر ممر الإقلاع ، وانفتح أمامها باب الطوارئ ، والعد يتواصل :

ثلاث ثوان .. ثانيتان ..

وانطلقت المركبة الصغيرة خارج المكوك ..

انطلقت على ارتفاع متر واحد ، بأقصى سرعة تسمح به حمولتها ، فى مجال جاذبية طبيعى ، وهى المعدّة للمناورة فى الفضاء ، حيث تبلغ الجاذبية حدّها الأدنى ، ومال بها (نور) فى مهارة مدهشة ، متفاديًا أطلالا قريبة ، ومتجاوزًا إياها ، فى نفس الثانية التى ارتطم فيها المكوك بأطلال أخرى ضخمة ..

ودوى الانفجار ..

كان انفجارًا قويًا ، عنيفًا ، دوى وسط تلك الأطلال ، وتناثرت معه شظايا عديدة ، مختلفة الأشكال والأحجام ، ارتطم بعضها بالمركبة الفضائية الصغيرة ، ودفعها أمامه فى عنف ، فصرخت (نادية) ، وشهق الآخرون ، وتشبث (نور) بعصا القيادة ، بكل ما يملك من قوة ومهارة ، محاولاً تفادى الارتطام بأطلال أخرى ، وتحاشى الشظايا العديدة ، التى تنطلق فى كل اتجاه ، وبقايا الصخور ، المنهمرة من أعلى ..

ولكن هذا كان مستحيلا بحق ..

حتى بالنسبة لشخص فى مهارة (نور) ..

لقد عجزت المركبة الصغيرة عن الاستجابة لمناورته المعقدة ، فارتطم جانبها بجزء آخر من الأطلال ، ثم انحرفت بحركة حادة ، ومالت على جانبها على نحو

خطر مخيف ، واحتكت ببقايا جدار متهدم ، قبل أن تميل مقدمتها ، وتندفع نحو الأرض مباشرة .

وبكل قوته ، هتف (نور) :

- لقد فقدت سيطرتى عليها .. احترسوا ..

ومع آخر حروف هتافه ، ارتطمت المركبة الصغيرة بالأرض الصخرية ، ثم وثبت ككرة من المطاط ، وعادت ترتطم بالصخور ، ثم اندفعت فوقها لمترين أو ثلاثة ، وقاعها يحتك بأطراف الصخور ، وتنطلق منه شرارات قوية عنيفة ، قبل أن ترتطم بجدار آخر ، وتتوقف فى عنف ..

وفى ألم ، هتف (واتسن) :

- إننى مصاب .. ضلعى تحطم .. إننى مصاب بشدة .

دفع (نور) باب المركبة ، التى اشتعل ذيلها بالنيران ، وهتف :

- احتمل يا رجل ، وأسرع معنا بمغادرة المركبة ، فمن الواضح أنها ستنفجر بعد قليل .

كانت (نادية) ترتجف فى شدة ، ولكن (نور) جذبها من مكانها ، ودفعها خارج المركبة ، فى نفس الوقت الذى جذب فيه (أكرم) (أوكو) من مقعده ، وهو يهتف :

- هيا أيها الألمانى .. الوقت ليس فى صالحنا .

ثم عاون (واتسن) على الخروج من المركبة ، وانطلق يعدو معه ، مبتعدين عنها ، مع (نور) ، و(خالد) و(نادية) ، و ...

ودوى انفجار جديد ..

انفجار أطاح بالمركبة الفضائية الصغيرة ، ودفع الستة أمامه لمتر تقريبًا ، قبل أن يسقطوا وسط تلك الأطلال ..

وتأوهت (نادية) فى ألم ، وهى تهتف :

- هل .. هل نجونا ؟!

ولكنها لم تتلقّ جوابًا واحدًا ، من الرجال الخمسة ..

ففى مثل موقفهم ، لم يكن أحدهم يدرى بما يجيبها ..

لقد نجوا بالفعل من الموت داخل المكوك ، ولكنهم يقفون الآن وسط أطلال غريبة ، على سطح كوكب دموى ، فى عالم ثائر عاصف مخيف !!

فكيف يكون الجواب ؟!..

كيف ؟!..

* * *

ران على الرجال الخمسة ورفيقتهم صمت رهيب ، وهم يحتمون بجزء بارز من تلك الأطلال القرمزية ،

من بقايا الصخور المنهمرة من السماء ، والتى تتساقط بين الحين والآخر ، عندما يعجز الغلاف الجوى للكوكب الدموى عن التهامها كاملة ، وأطلّ من عيونهم مزيج من الرهبة والتوتر والقلق والضياع ، قبل أن يقطع (نور) حبل الصمت السميك ، قائلاً :

ـ حسن يا رفاق .. دعونا نعترف بالواقع .. لقد انتهى بنا الأمر فى هذا المكان ، ولابد وأن نبذل شيئًا من الجهد لتعرُّفه ، والبحث عن سبل العيش فيه .

ارتجف صوت (أوتو) ، وهو يقول :

ـ من الواضح أن هذا المكان يختلف تمامًا عن أرضنا ، وحتى عن سطح القمر .. هذا العالم كله يختلف .. انظروا إلى السماء .. إلى تلك الصواعق والسحب ، التى تنتشر فى فضائه ، وخارج غلافه الجوى .. هذا أمر لا يمكن أن يحدث فى فضائنا ، فالصواعق والسحب لا يمكن أن تتواجد فى الفراغ(*) .

(*) حقيقة علمية ، فالصواعق الوحيدة ، التى يمكن أن تحدث فى الفراغ ، تحتاج إلى قطبين متعارضين قويين ، لتفريغ الشحنة الاستاتيكية .

قال (نور) فى صرامة :

ـ إنه عالم عجيب بالنسبة لنا بالتأكيد ، ولكن هذا لا يعنى أن نبدأ علاقتنا به بالخوف والرهبة ، خاصة وأنه طبقًا للتقدير الأوّلى ، لا توجد لدينا وسيلة للخروج منه ، ومن المحتم أن نسعى للبحث عن أنواع صالحة من الطعام أو الشراب ، لضمان البقاء .

أطلق (واتسن) ضحكة عصبية ساخرة ، وهو يقول :

ـ البقاء ؟! .. أى بقاء أيها السادة ؟! .. من الواضح أنكم لم تستوعبوا بعد حقيقة الموقف .

قال له (أكرم) فى عصبية :

ـ وما حقيقته أيها العبقرى ؟!

أجابه (واتسن) فى حدة ، تفوح منها رائحة المرارة :

ـ هل تعتقدون أن تلك الفجوة قد جذبتنا إليها مصادفة؟! هراء .. كل ما حدث يوحى بأنها موجودة ، منذ ذلك الانفجار اللعين ، وأن شدتها تتزايد مع مضى الوقت ، حتى أصبحت قادرة على ابتلاعنا .

وازدرد لعابه بصوت مسموع ، قبل أن يكمل فى عصبية :

ـ كمرحلة أولى ..

حدّقت (نادية) فى وجهه بارتياع ، وهى تتمتم بصوت مرتجف مذعور :

ـ مرحلة أولى ؟! ..

لوّح بذراعه كلها ، هاتفًا :

ـ بالتأكيد .. انظروا إلى تلك الكرة المتألقة فى هذا الفضاء الثائر .. إنها الوجه الآخر لتلك الفجوة السوداء ، التى ابتلعتنا منذ ساعات قليلة .. وهذه الصخور والأحجار ، التى تتساقط بين الحين والحين ، ما هى إلا بقايا صخور القمر الضخمة ، التى تنتزعها قوة جذب الفجوة من سطح القمر ، وتجلبها إلى هذا العالم المخيف ، فتحترق فى غلافه الجوى ، ويتبقّى ما يتبقّى من بعضها ، فى حين يتبخّر البعض الآخر ، مخلفًا تلك النقط المضيئة ، التى ترونها فى السماء .. هل تعلمون ما الذى سيحدث ، عندما تتزايد قوة الجذب هذه أكثر وأكثر ؟!

أطلّ تساؤل قلق من عيونهم ، فاستطرد بفيض من المرارة :

ـ سيحين دور القمر .

ارتجفت أجسادهم من هول الفكرة ، وسأله (نور) فى توتر شديد :

ـ أتعنى أن تلك الفجوة ستصبح قادرة على ابتلاع القمر ؟!

هتف (واتسن) ، وهو يلوّح بذراعيه فى حدة :

ـ ليس هذا فحسب ، وإنما ستقذفه إلى هنا أيضًا .. إلى هذا الكوكب .

ثم أطلق ضحكة عصبية ، قبل أن يكمل :

ـ حاول أن تتخيّل معى ذلك المشهد .. القمر كله يهوى عبر تلك الفجوة ، ثم ينقضّ على هذا الكوكب ، ويخترق غلافه الجوى كجبل من اللهب ، قبل أن يرتطم به ، بنفس السرعة المذهلة ، التى ارتطم به مكوكنا .. ما الذى تتوقّع حدوثه فى أمر كهذا .. كارثة بالطبع .. كارثة رهيبة .

وتأوّه فى ألم ، وهو يمسك موضع ضلعه المكسور ، ثم راح يسعل فى شدة ، والجميع يحدقون فيه فى صمت ، قبل أن يتجه إليه (نور) ، ويربّت على كتفه فى رفق ، قائلاً :

- أهدأ يا رجل .. اهدأ .. إنك تحتاج إلى قدر من الراحة .

قالها ، وهو يدفعه فى حذر ، ليرقد أسفل ذلك البروز ، ولكن (واتسن) تابع فى عصبية :

- وليت الأمر يقتصر على هذا .. القمر سيهوى ، ثم يمتدّ التأثير إلى الأرض .. أرضنا نفسها .

هتف (أوتو) مذعورًا :

- الأرض ؟ ..

وسأل (خالد) فى توتر :

- هل تعتقد هذا حقًا ؟!

أجابه (واتسن) فى انفعال :

- ولِمَ لا ؟! .. لو واصلت تلك الفجوة اتساعها ، وتضاعفت قوة جذبها ، فستلتهم الأرض أيضًا ، وبلا رحمة .

تبادل (نور) و(أكرم) نظرة شديدة التوتر ، وقفز إلى ذهنيهما بغتة خاطر واحد ..

لا يمكن أن يسمحا بحدوث هذا للأرض ..

أبدًا ..

ولكن كيف ؟! ..

كيف يمكنهما أن يتصديا لكارثة كهذه وحدهما ؟! ..

كيف ؟!

« كنت أعلم أنها النهاية .. » .

قطع (خالد) أفكارهما ، وهو ينطق هذه العبارة ، فى إحباط شديد ، فالتفت إليه (أكرم) ، قائلاً فى حدة وصرامة :

- لا تستسلم لليأس بهذه السرعة يا رجل .

أجابه (خالد) فى انهيار :

- ألم تسمع ما قاله ؟! .. القمر سينهار .. أليست هذه إحدى علامات الساعة ؟! .. أن ينشقّ القمر وينهار(*) ؟! .. لن ننجو أبدًا .. إنه يوم الساعة ..

قال (نور) فى حزم :

- الله (سبحانه وتعالى) وحده عنده علم الساعة يا رجل ، ولا أحد من خلقه يعلم متى أو كيف تأتى .. إننا نواجه كارثة فحسب ، وعلينا أن نبذل قصارى جهدنا لمواجهتها ومقاومتها ، لو أمكننا هذا .

هزّ (خالد) رأسه فى يأس ، قائلاً :

(*) القرآن الكريم ، الآية الأولى من سورة (القمر) : بسم الله الرحمن الرحيم « اقتربت الساعة وانشقّ القمر » صدق الله العظيم .

- وبمَ تفيد المقاومة ؟!.. إنه يوم الساعة ولا ريب .

أجابه (نور) صارمًا :

- لا يمكننا كبشر أن نجزم بأمر جلل كهذا ، يدخل فى حدود قدرة الخالق (عزّ وجلّ) وحده .. وحتى لو كان كذلك ، فتذكّر أن الرسول (صلى الله عليه وسلّم) قد أمرنا بأنه إذا جاء يوم الساعة ، وكانت فى يد أحدنا فسيلة فليزرعها .. أليس كذلك ؟!.. دعنا نفعل إذن ما أمرنا به رسولنا الكريم ، وألا نستسلم لليأس أبدًا ، وأن نتشبث دومًا بالأمل .

تنهّد (أوتو) قائلاً :

- كم أتمنى أن أتحلّى بنصف ما تتحلّى به من تفاؤل وإيمان أيها القائد (نور) ، ولكننى فى الواقع أشارك (خالد) يأسه وإحباطه ، بالإضافة إلى أننى أشعر بإجهاد شديد ، منذ وصلنا إلى هذا العالم المخيف .

استلقت (نادية) على الصخور ، وأسبلت جفنيها ، قائلة :

- وأنا أيضًا .. أكاد أسقط فاقدة الوعى ، من فرط الإجهاد .

قال (نور) بحزم القائد :

- فليكن .. من الواضح أن الجميع يحتاجون إلى قدر من الراحة .. اخلدوا إلى النوم قليلاً إذن ، مع تبادل نوبات الحراسة ، وسأذهب مع (أكرم) لتفقّد المكان ، والبحث عن مصدر يصلح للشرب أو الغذاء .

سأله (أوتو) فى عصبية :

- كيف تضمن أنكما لن تضلاّ طريق العودة إلينا ؟!

انتزع (نور) من حزامه أنبوبة أسطوانية صغيرة ، ناوله إياها ، قائلاً :

- هذا جهاز إشارة للطوارئ ، والضغط على ذلك الزر فى قاعدته سيجعله يطلق حزمة من الضوء الأخضر المتألق .. امنحنا ساعة واحدة ، ثم أطلقه كل عشر دقائق فى السماء ؛ لترشدنا إلى طريق العودة .

تنهّد (أوتو) ، والتقط الأنبوبة ، قائلاً :

- هذا يعنى أننى سأتولّى نوبة الحراسة الأولى .

أجابه (نور) فى حزم :

- بالضبط .

ثم التفت إلى (نادية) ، التى استغرقت فى نوم عميق بالفعل ، مستطردًا :

- المهم ألا تغادرا هذا المكان ، حتى نعود إليكم .

ابتسم (واتسن) فى إرهاق ، وربّت برفق على ضلعه المكسور ، وهو يتمتم :

- اطمئن .. لن يمكننا الذهاب بعيدًا .

أما (أوتو) ، فقال فى قلق شديد :

- انتبها جيدًا ، وخذا حذركما مع كل خطوة .. إننا مازلنا نجهل طبيعة هذا العالم المخيف ، ولا مصير أولئك الذين سكنوا هذه الأطلال قديمًا .

تنهّد (نور) ، وهو يومئ برأسه فى صمت ، فى حين غمغم (أكرم) فى توتر واضح :

- سنبذل قصارى جهدنا .

ودون تبادل كلمة إضافية ، بدأ الاثنان رحلتهما ، عبْر تلك الأطلال القرمزية الرهيبة ، وتابعهما (خالد) ببصره فى أسى ، قبل أن يهزّ رأسه ، مغمغمًا فى إحباط :

- لا أمل .. إنها النهاية .

بلغت عبارته مسامعهما ، ولكنها لم تفتّ من عضدهما ، وإنما واصلا طريقهما ، حتى غابا داخل أطلال ذلك العالم الدموى ، الذى ألقتهم فيه تلك الفجوة السوداء المخيفة ..

وبلا عودة ..

* * *

« هل تصدّق قصة يوم الساعة هذه ؟! .. » .

نطق (أكرم) العبارة ، وهو يفحص مسدسه التقليدى فى عناية ، فى أثناء سيره إلى جوار (نور) ، داخل تلك الأطلال القرمزية المخيفة ، فهزّ هذا الأخير رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- إنه رد فعل معتاد ، فى مثل هذه الظروف ، يطلق عليه اسم أعراض ما بعد الكوارث ، وهو أمر ليس بجديد ، فقد أصاب العديدين ، فى مختلف أنحاء العالم ، بعد كل كارثة ضخمة .. زلازل (اليابان) و(لوس أنجلوس) ، وبركان (فيزوف) ، وفيضانات (آسيا) ، والسيول الأفريقية .. فى كل مرة يصاب الملايين بذعر هائل ، ويتصوّرون أن ما يحدث هو مقدّمة ليوم الساعة(*) .. المساكين لا يدركون أن هذه الكوارث ، على الرغم من عنفها وقسوتها ، ليست سوى لمسات رقيقة ، بالنسبة لأهوال يوم القيامة ، كما وصفها القرآن الكريم وأشارت إليها بعض الأحاديث النبوية .

تنهّد (أكرم) ، وقال ، وهو يعيد مسدسه إلى حزامه :

(*) حقيقة .

- تلمس لهم العذر يا (نور) .. إنه الضعف البشرى الطبيعى .

أجابه (نور) فى سرعة :

- بالتأكيد .

ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة ، وهو يستدرك :

- ولكن قولك هذا يثير دهشتى بالفعل يا (أكرم) .. لقد بدأت تؤمن فجأة بالضعف البشرى ، والقصور الإنسانى .

مطّ (أكرم) شفتيه ، قائلاً :

- إننى أومن دومًا بضعف البشر .

ثم استدرك فى سرعة :

- الآخرين .

اتسعت ابتسامة (نور) ، وهو يقول :

- آه .. هذا هو (أكرم) الذى أعرفه .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وعاد يمطّ شفتيه ، قائلاً :

- لولا ضعف الآخرين ، لما شعر المرء بقوته .

أشار (نور) بسبابته ، قائلاً فى حزم :

- حذار أن تغترّ بقوتك يا (أكرم) ، فكلنا ضعفاء أمام الله (سبحانه وتعالى)

خفض (أكرم) عينيه ، مغمغمًا :

- ونعم بالله .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وتوقّف عن السير ، ثم انحنى يزيح الرمال عن جزء من الأرض ، قائلاً فى انفعال :

- انظر يا (نور) .. أولئك الذين سكنوا هذه الأطلال كانت لديهم عربات تسير على قضبان .

انحنى (نور) بدوره ، يفحص ذلك القضيب المنفرد ، الممتدّ فوق الأرض ، قبل أن يقول فى اهتمام شديد :

- إنه ليس قضيبًا عاديًا يا (أكرم) ، فالعربات التقليدية تحتاج إلى زوج من القضبان ، وليس إلى قضيب منفرد كهذا .

ثم أشار إلى شريط من مادة نصف شفافة ، فى قاعدة القضيب ، مستطردًا :

- انظر .. هذه المادة تشبه تلك التى استخدمها اليابانيون ، عندما صنعوا أول قطاراتهم المغنطيسية ، التى تنطلق بسرعة خرافية ، بسبب قوة الدفع بين الأقطاب المتشابهة المتنافرة .

واعتدل يدير عينيه فيما حوله ، متابعًا :

- من الواضح أن هؤلاء القوم كانوا متطوّرين للغاية ، أكثر مما توحى به أطلالهم .

أدار (أكرم) عينيه فى الأطلال القرمزية ثانية ، قبل أن يقول :

ـ هل تعلم يا (نور) .. لولا ذلك اللون القرمزى ، لبدت تلك الأطلال قريبة الشبه بـأطلال (القاهرة) القديمة ، التى واجهنا الموت فيها معًا ، ونحن نطارد ذلك الوحش ، الذى صنعته هندسة الوراثة (*) .

وافقه (نور) بإيماءة من رأسه ، مغمغمًا :

ـ هذا صحيح ، ويقودنا إلى مجموعة من الحقائق ، ربما تفيدنا فيما بعد .

سأله (أكرم) فى اهتمام :

ـ مثل ماذا ؟!

أشار (نور) إلى الأطلال ، مجيبًا :

ـ أن أصحاب تلك الأطلال لا يختلفون عنا كثيرًا فى الحجم .. ربما كانوا أطول قامة ، أو أنهم يميلون إلى الأسقف المرتفعة ، ثم إن حضارتهم قريبة الشبه بحضارتنا إلى حد كبير .. أو هكذا كانت على الأقل ، فمنازلهم كانت لها أبواب ، ونوافذ ، وجدرانهم مصنوعة من الأحجار ، والصخور الطبيعية .

(*) راجع قصة (الحرباء) .. المغامرة رقم (١٠١) .

قال (أكرم) :

ـ ولكن هناك بعض المواد الغريبة ، كهذه الكتلة البرتقالية مثلا .. إنها تبدو لى أشبه بـ ..

قاطعه (نور) هاتفًا :

ـ لا .. لا تلمسها يا (أكرم) .

ولكن صيحته جاءت بعد فوات الأوان ..

فما أن اقتربت يد (أكرم) من تلك الكتلة البرتقالية ، حتى دبت فيها الحياة فجأة ، وانفردت بغتة ، وتحوّلت إلى وحش أشبه بالثعبان ..

وحش هائل ، له قرن حاد فى منتصف جبهته ، وفم ضخم ، انقضّ على (أكرم) مباشرة ، و ..

وأطبق على عنقه بلا رحمة .

* * *





وحش هائل ، له قرن حاد فى منتصف جبهته ، وفم ضخم ، انقضّ على (أكرم) مباشرة ، و . .

٢ ـ الخطر الدموى ..

التقط (واتسن) نفسًا عميقًا ، امتلأ به صدره ، قبل أن يخرجه فى زفرة طويلة ، انتهت بسعال حاد ، وهو يقول :

ـ لا يمكننى النوم ، على الرغم من الإجهاد الشديد ، الذى أشعر به .

فتح (خالد) عينيه فى صعوبة ، وغمغم :

ـ لا فائدة .. النوم لن يمنع القدر .

أما (أوتو) ، فتمدد فى قوة ، وقبض أصابعه ، وهو يقول فى إرهاق :

ـ أنا أيضًا لا يمكننى النوم ، فالتوتر الذى أشعر به يمنعنى حتى من الجلوس فى موضعى ، للقيام بنوبة الحراسة الأولى ، وأكاد أحترق لهفة لمرور تلك الساعة ، التى حددها القائد (نور) ، حتى أطلق إشارة العودة .

هزّ (واتسن) رأسه ، قائلاً :

ـ ولكن مهمة (نور) و(أكرم) شديدة الأهمية يا رجل ، فلن يمكننا العيش هنا ، دون طعام أو شراب .

وافقه (أوتو) ، وقال :

- بالتأكيد .. إننى أشعر بالجوع والعطش فعلاً .

قال (خالد) فى مرارة :

- لا داعى لأن يقلقكما هذا ، فحياتنا هنا لن تطول .

تطلعا إليه فى صمت متوتر ، ثم نهض (أوتو) ، وتطلع إلى السماء بضع لحظات ، قبل أن يسأل (واتسن) :

- هل تؤمن حقًا بنظرية النهاية المحتومة هذه ؟!

أجابه (واتسن) فى أسى :

- استخدم عقليتك العلمية يا رجل ، وستجد داخلك جواب السؤال .. إنه التفسير العلمى المنطقى الوحيد لما حدث ..

تعلقت عينا (أوتو) بتلك البقعة المضيئة فى الفضاء ، وهو يغمغم :

- رباه ! .. أما من سبيل للخلاص ؟!

أجابه (خالد) :

- الموت .. الموت هو السبيل الوحيد للخلاص من كل هذا .

استدار إليه (أوتو) فى حدة ، هاتفًا :

- ماذا دهاك يا رجل ؟! .. انفض عنك روح اليأس هذه ، وعد إلى عالم الأمل والواقع .

تنهد (خالد) فى أسف ، قائلاً :

- وما الفائدة ؟!

انعقد حاجبا (أوتو) فى غضب ، وصاح به :

- كفى يا رجل .. إنك تبث فينا روح الـ ...

قبل أن يتمّ عبارته ، صاح (واتسن) بغتة فى ذعر :

- رباه ! .. احترس يا رجل ..

استدار (أوتو) بسرعة إلى حيث يشير (واتسن) ، وانطلقت من حلقه شهقة ذعر قوية ، ارتجف لها جسده كله ، وهو يحدق فى صخرة فى ضعف حجم كرة سلة ، تهوى من السماء ، نحو رأسه مباشرة ..

وهنا حدث أمر مدهش للغاية ..

أمر يشفّ عن المعدن الأصيل لـ (خالد) ..

لقد كان يرقد يائسًا محبطًا ، تحت ذلك البروز الصخرى ، يجترّ مرارته وحزنه ، ولكنه لم يكد يلمح تلك الصخرة ، وهى تنقضّ على (أوتو) ، حتى انتزع نفسه من كل مشاعره وانفعالاته ، ووثب من مكانه كالليث ، ودفع الألمانى أمامه فى قوة ؛ لينقذه من الصخرة ، التى تجاوزت رأسه ، واندفعت لترتطم بجدار آخر من تلك الأطلال ، إلى جوار ذلك الذى يحتمون به مباشرة ..

وتهاوى ذلك الجدار الآخر بدوى عنيف ، انتزع (نادية) من رقادها ، فصرخت فى رعب :

- ماذا حدث ؟! .. ماذا حدث ؟! ..

ثم حدق فى ذلك الموضع ، الذى انكشف بانهيار الجدار ، وانتفض جسدها فى عنف قبل أن تنطلق من أعماقها صرخة رعب هائلة .

صرخة ارتجّ لها كل ركن فى ذلك الكوكب المخيف .. الكوكب الدموى ..

* * *

لم يكد ذلك الوحش البرتقالى ، الشبيه بالثعبان ، ينقضّ على (أكرم) ، ويطبق بفكيه على عنقه ، حتى استلّ (نور) مسدسه الليزرى ، وصوّبه إليه ، هاتفًا :

- ابعد رأسك يا (أكرم) .. سأنسف ذلك الشىء .

صاح به (أكرم) فى ألم ، وهو يقبض بأصابعه القوية على عنق الوحش ، ويحاول جذبه بعيدًا عن عنقه :

أسرع بالله عليك يا (نور) .. أسرع .. ذلك الوغد يكاد يعتصر عنقى بلا رحمة ..

صوّب (نور) مسدسه الليزرى إلى رأس الوحش فى إحكام ، على الرغم من الحركات العنيفة ، التى يقوم

بها (أكرم) ، محاولاً منعه من اعتصار عنقه بفكيه القويين ، واستعاد ذهنه تدريبات الرماية ، التى يمارسها فى قاعة التدريبات الخاصة ، فى قلب مبنى المخابرات العلمية ، عندما يكون عليه أن ينسف كرة صغيرة ، تتراقص فوق وسادة رقيقة متحركة من الإسفنج ، دون أن يخدش الوسادة ، و ..

وأطلق (نور) أشعته ..

وعلى الرغم من تلك القفزة الحادة ، التى قفزها ذيل الوحش البرتقالى ؛ ليضرب صدر (أكرم) ، ورد فعل هذا الأخير ، إلا أن أشعة (نور) أصابت هدفها بمنتهى الدقة ..

ثم انعكست عنه فى عنف ..

والتقى حاجبا (نور) فى شدة ..

ها هوذا يواجه واحدًا من أصعب المواقف فى حياته .

وحش مجهول ، فى أرض مخيفة ، يكاد يقتل رفيقه أمام عينيه ، وسلاحه عاجز عن إصابته ..

وفى غضب ، أعاد (نور) مسدسه إلى حزامه ، ثم اندفع نحو الوحش ، وجذب ذيله فى قوة ، صارخًا :

- اتركه أيها الوغد .. اتركه .

احتقن وجه (أكرم) فى قوة ، وجحظت عيناه فى ألم ، عندما زاد الوحش من ضغط فكيه على عنقه ، وهتف بصوت متحشرج مختنق :

ـ اللعنة ! .. إنه يقتلنى يا (نور) .

لم يدر (نور) ماذا يفعل ، إزاء ذلك الموقف المعقد ، وراح يهتف فى مرارة :

ـ ساعدنا يا إلهى ! .. ساعدنا .

انتزع (أكرم) مسدسه من حزامه ، ورفعه ليلصقه برقبة الوحش من أسفل ، وهو يقول بصوت يكاد يتلاشى ، من فرط الاختناق :

ـ كفى أيها الوغد .. كفى .

وضغط زناد مسدسه ثلاث مرات ..

ووسط الأطلال القرمزية ، دوى صوت الرصاصات الثلاث ، وانقطع عنق الوحش ، وتفجرت منه مادة أشبه بالحبر الأزرق ، تناثرت على وجه (أكرم) وثيابه ، فصرخ بصوته المختنق المكتوم :

ـ رباه ! .. إنها ساخنة للغاية .

وسقط جسم الوحش وذيله ، وراحا يتراقصان ويتقافزان وسط الصخور ، والمادة الخضراء تتناثر منهما فى عنف ، كما لو أنهما يموجان بالحياة والنشاط ،

فى حين ظلّ الرأس يحيط بعنق (أكرم) ، ويضغط بفكيه عليه فى قسوة ..

واندفع (نور) نحو (أكرم) ، وأمسك الفكين بأصابع يديه ، وراح يجذبهما إلى الخارج بكل قوته ، وهما يقاومانه فى عنف وشراسة ، كما لو أن حيويتهما قد تضاعفت ، مع فصل الرأس عن الجسد ..

وجحظت عينا (أكرم) أكثر وأكثر ، وسقط أرضًا ، وزرقة باهتة تنتشر فى وجهه وجسده ، فصاح به (نور) :

ـ لا تستسلم يا (أكرم) .. قاوم يا رجل .. قاوم .

ومع مرأى مظاهر الموت، التى راحت تزحف على وجه رفيقه رويدًا رويدًا ، انقبضت عضلات ذراعى وساعدى (نور) أكثر وأكثر ، وهتف من أعمق أعماق إيمانه :

ـ ساعدنى يا إلهى !

ومع هتافه ، انهارت مقاومة الفكين بغتة ، وتباعدا عن عنق (أكرم) ، وكأنما فارقتهما الحياة دفعة واحدة ، ودفع (نور) الرأس بعيدًا ، ثم راح يهزّ (أكرم) فى شدة ، هاتفًا :

ـ زال الخطر يا رجل .. هيا .. استعد نشاطك .. هيا .

ولكن جسد (أكرم) استقرّ أرضًا ، ساكنًا ، صامتًا ،

جامدًا ، وعيناه الجاحظتان تحدقان فى السماء كجمرتين جامدتين ، وكأنما فارقته روحه ، وصعدت إلى بارئها .

وفى انفعال ولهفة ، كشف (نور) صدر (أكرم) ، وراح يضغط موقع قلبه بكفيه فى قوة ، هاتفًا :

ـ لا ترحل سريعًا يا (أكرم) .. قاوم يا رجل .. قاوم .. لا ترحل .

واصل ضغطاته لدقيقة كاملة ، دون أدنى استجابة من جسد (أكرم) ، فصاح :

ـ لا .. ليس أنت .. ليس هنا .

وهوى بقبضته على صدر (أكرم) فى عنف ..

وهنا أطلق (أكرم) شهقة قوية ..

ثم التقط نفسًا عميقًا ، وراح يسعل بشدة ، فهتف (نور) :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .

أغلق (أكرم) عينيه فى ألم ، ورفع يده يتحسس عنقه ، وهو يتمتم :

ـ رباه ! .. ذلك الوغد كاد يظفر بى بالفعل .

أطلق (نور) ضحكة تموج بالفرح والانفعال ، وهو يقول :

فلنحمد الله (سبحانه وتعالى) على أنه لم ينجح فى هذا .

ثم ربت على كتف رفيقه ، وعاونه على النهوض ، مستطردًا :

ـ حمدًا لله على سلامتك يا صديقى .

نهض (أكرم) ، وتطلع إلى جسم وذيل ذلك الوحش ، اللذين لم تهمد حركتهما بعد ، وغمغم :

ـ يمكنك أن تقول : إننا عثرنا على نوع من الحياة هنا يا (نور) ، وهذه نقطة إيجابية على الأقل .

أومأ (نور) برأسه موافقًا ، وقال :

ـ هذا صحيح ، ووجودها هنا يعنى الكثير بالتأكيد .

تحسس (أكرم) عنقه ثانية ، وهو يسأل :

ـ مثل ماذا يا قائدنا العبقرى ؟

أشار (نور) إلى رأس الوحش ، قائلاً :

ـ لو أنك فحصت ذلك الرأس ، للاحظت أن فكيه معدان بحيث يمكنهما الإحاطة بالعنق تمامًا ، فى استدارة شبه كاملة ، ومن الواضح أن هذه هى طريقة هذا الحيوان ، فى القضاء على فريسته ، قبل التهامها ، أو الحصول على الغذاء منها بوسيلة ما ، وهذا يعنى أن الفرائس نفسها مازالت تحيا فى الجوار .

ردد (أكرم) متوترًا :

ـ الفرائس ؟!

أجابه (نور) :

ـ نعم .. مظهر آخر من مظاهر الحياة ، البدائية أو العاقلة ، تتميز بعنق كبير ، أعدت الطبيعة فكى هذا الوحش للإطباق عليه ، وهو يتواجد فى هذه المنطقة أو حولها حتمًا ، وإلا لما كان لوجود هذا الوحش البرتقالى معنى ، فهو لن يعيش على التهام الصخور أو الأطلال .

بدا الاستنتاج منطقيًا للغاية ، حتى إن (أكرم) راح يتلفت حوله ، مغمغمًا فى قلق متوتر :

ـ أتعشم ألا تكون تلك الفرائس من النوع الذى يفترس مظاهر الحياة الأخرى .

هزّ (نور) كتفيه ، قائلاً :

ـ من يدرى ؟!

ثم استطرد فى اهتمام :

ـ ولكن الناحية الإيجابية فى هذا الأمر ، هى أن كل مظاهر الحياة تحتاج فى وجودها إلى الماء ، كما قال الله (سبحانه وتعالى) ، فى كتابه العزيز (*) ، وهذا يعنى أنه هناك مصدر قريب للماء .

(*) القرآن الكريم ، الآية الثلاثون ، من سورة (الأنبياء) : بسم الله الرحمن الرحيم : « وجعلنا من الماء كل شىء حى » . صدق الله العظيم .

تنهّد (أكرم) ، قائلاً :

ـ أتعشم هذا ، فأنا أكاد أهلك عطشًا .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يستدرك فى اهتمام :

ـ وبالمناسبة يا (نور) ، هل تشعر بالفعل بذلك الإجهاد ، الذى يشعر به الجميع ؟! ..

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم ، ولست أجد له تفسيرًا ، خاصة وأن نسبة الأكسجين فى هواء هذا الكوكب تقترب كثيرًا من نسبته فى هواء الأرض .

سأله (أكرم) ، وهو ينحنى ليلتقط مسدسه ، ويعيده إلى حزامه :

ـ أتعتقد أنه هناك عامل آخر ، سبّب لنا جميعًا هذا الإجهاد غير الطبيعى ؟!

أجابه (نور) :

ـ بكل تأكيد ، وإلا ما أصابنا جميعًا دون استثناء .. ربما كان نوعًا غير معروف من الغازات ، يوجد فى هواء الكوكب بنسبة ما ، لا تؤثر على تنفسنا الطبيعى ، ولكنها تُجهد خلايانا ، أو ..

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو

يلتفت جانبه بحركة حادة ، فاستل (أكرم) مسدسه فى سرعة ، قائلاً :

ـ ماذا هناك ؟!

انتزع (نور) مسدسه الليزرى من حزامه بدوره ، وهو يتجه فى حذر ، نحو بقايا مبنى قريب ، قائلاً :

ـ لست أدرى .. خُيِّل إلىَّ أننى لمحت شيئًا ما يعدو ، ويختبئ خلف هذه الأطلال هناك .

سأله (أكرم) ، وهو يتجه نحو الأطلال نفسها :

ـ شيئًا مثل ماذا ؟!

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يقفز نحو تلك الأطلال ، ويدور حولها ، مصوِّبًا مسدسه إلى ما خلفها ، و ..

وتراجع فى حركة حادة ، جعلت (أكرم) يقفز إليه بدوره ، هاتفًا :

ـ هل وجدته ؟

ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه بدوره فى توتر ، وهو يتطلَّع معه إلى حيوان ضخم ، يكسوه فراء كثيف كالدب ، ويقف على أربع ، فى ركن الأطلال ، محدقًا فيهما بعينين حمراوين كالدم ..

وفى توتر ، قال (أكرم) :

ـ ما هذا بالضبط ؟! .. إحدى سلالات الدببة ؟!(*) .

ولم يكد ينطقها ، حتى انطلقت من حلق حيوان الفراء هذا زمجرة وحشية مخيفة ، ثم نهض واقفًا ، تمامًا كما تفعل الدببة ..

ومع وقفته ، اتسعت عينا (نور) و(أكرم) ، وتراجعا بحركة حادة ، وكل منهما يصوِّب إليه مسدسه فى تحفز ..

فقد بدا ذلك الحيوان عملاقًا على نحو مخيف ، بطول يتجاوز الأمتار الثلاثة ببضعة سنتيمترات ..

وفى عصبية ، هتف (أكرم) :

ـ دعنا نقتله يا (نور) .

وما إن تجاوزت العبارة شفتيه ، حتى أتى ذلك الحيوان فعلاً تفجَّرت له دهشتهما معًا ..

وحتى أقصى حد ..

* * *

(*) الدب : حيوان ثديى من الفصيلة الدببية ، رتبة اللحوم ، يستوطن نصف الكرة الشمالى ، فراؤه سميك أشعث ، وذيله قصير ، وبعض أنواعه سريعة العدو ، والبعض الآخر يمكنه تسلق الأشجار، يتغذى على الثمار والحشرات والأسماك والجيف ، ونادرًا ما تأكل اللحوم والثدييات الأخرى .

تجمدت الدماء فى عروق (نادية) ، وهى تحدق فى رعب هائل ، فى ذلك الشىء ، الذى ظهر خلف الجدار ، الذى أسقطته الصخرة ، فى حين هتف (أوتو) :

ـ يا إلهى ! .. هذا مستحيل ! .. مستحيل !

أما (واتسن) ، فقد اتسعت عيناه عن آخرهما ، حتى كادتا تقفزان من محجريهما ، وهو يحدق فى هيكل عظمى كامل ، له تكوين بشرى تمامًا ، باستثناء حجمه ، الذى يفوق حجم كبار الرياضيين الأرضيين ، بحيث تكاد تدرك من النظرة الأولى ، وعلى الرغم من الوضع الذى اتخذه ، جالسًا على الأرض ، ومستندًا إلى الجدار المقابل ، أن طوله لا يقلّ عن المترين وعشرة سنتيمترات على الأقل ..

وبصوت مرتجف ، غمغم (خالد) :

ـ إنه ليس بشريًا بالتأكيد .

قال (أوتو) فى انفعال :

ـ ولكنه يشبه البشر على نحو مدهش .

واقترب من الهيكل فى حذر ، وانحنى يفحصه ، مكملاً :

ـ يبدو أن هذه المنطقة قد تعرّضت لزلزال بالغ العنف ، أو لقصف مركز ، فجمجمة هذا الشخص

تحطمت من مؤخرتها ، بسبب ارتطامه بالجدار ، أو سقوط جزء من السقف عليه على الأرجح .. ولو طبقنا على هذا الهيكل العوامل نفسها ، التى يتم تطبيقها على الهياكل البشرية ، فهو هيكل لذكر ، تجاوز الثلاثين من العمر بعام أو عامين ، لديه كسر قديم فى ساعده الأيسر ، وتجويف بأحد أضراسه العلوية .

تحسّس (واتسن) ضلعه المكسور ، وكأنما يضاعف الانفعال آلامه ، وهو يقول :

ـ المهم هو كم عمر الهيكل نفسه .

غمغم (أوتو) :

ـ لو أنك تقصد الفترة التى مرّت على وفاة صاحبه ، فالجواب هو أنها ليست بالفترة الطويلة .. هذا الهيكل عمره يزيد قليلاً عن العامين .

هتفت (نادية) فى ذعر :

ـ فقط ؟!

ثم تلفتت حولها فى ارتياع ، مستطردة :

ـ هذا يعنى أنه ربما كان هناك آخرون .

حدّق (خالد) فى الهيكل لحظة ، ثم قال :

ـ الفكرة ليست مرفوضة أو مستحيلة ، فى ظل هذه الظروف .

تبادل (أوتو) و(واتسن) نظرة صامتة ، ثم قال الأول :

- ربما .. وربما لا .

سأله (خالد) :

- وما الذى يمنع وجود آخرين ، على قيد الحياة ؟!

أجابه (أوتو) :

- لا يوجد ما يمنع هذا ، ولا ما يؤيده أيضًا ، ولكن وجود هذه الأطلال المهجورة ، والهيكل العظمى الملقى على هذا النحو ، ربما تعنى أن الحياة على هذا الكوكب قد انتهت منذ فترة قصيرة بسبب ما .

سألته (نادية) :

- سبب مثل ماذا ؟!

هزّ (واتسن) كتفيه ، قائلاً :

- حرب شاملة مثلاً ، أو شيء من هذا القبيل .

تراجعت (نادية) ، مغمغمة فى توتر بالغ :

- هذا يضاعف شعورى بالقلق والخوف ، فلو أن الحياة قد أبيدت هنا ، لسبب أو آخر ، فهذا قد يعنى أنه لم تعد هناك سبل للعيش فى المنطقة أو حولها .

اتسعت عينا (خالد) وهو يقول :

- رباه .. أتعنين أنه من المحتمل أن نموت جوعًا وعطشًا هنا ؟!

ارتجف صوتها ، وهى تجيب :

- من يدرى ؟!

قالتها ، وهى تتراجع بجسدها ، وتستند إلى الجدار ، و ...

« رباه ! .. » ..

انتفض جسدها فى عنف ، وهى تهتف بالكلمة ، وتعتدل بحركة حادة ، مبتعدة عن الجدار ، كما لو أن ملامسته قد أصابتها بصدمة كهربية ، فوثب (أوتو) من مكانه مذعورًا ، وتراجع (خالد) بحركة غريزية ، فى حين صاح (واتسن) ، وهو يمسك موضع الضلع المكسور ، ويلهث فى انفعال :

- ماذا أصابك بالله عليك ؟

حدقت فى الجدار فى رعب ، وهى تغمغم :

- مستحيل ! .. مستحيل !!

تطلع (أوتو) فى الجدار بدهشة ، وهى يسأل فى حدة :

- ماذا هناك ؟!

مدت يدها فى حذر متردد ، وألصقتها بالجدار لحظة ، ثم لم تلبث أن استعادتها فى عنف ، فصاح (خالد) غاضبًا :

- لا تعبثى بأعصابنا يا فتاة .. لن نحتمل هذا .. أخبرينا ماذا يحدث بالله عليك .

ارتجفت الكلمات على شفتيها ، وهى تجيب فى خوف واضح :

- الصوت .. الصوت ينتقل عبر المواد الصلبة ، ولقد دربونى على تمييز الأصوات ، عن طريق ملامسة المواد .

سألها (واتسن) فى انفعال :

- هل ميّزت صوتًا ما ، فى هذا الجدار ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، وأشارت بيدها إلى ما خلف الجدار ، مجيبة :

- نعم .. صوت يأتى من هناك .. من مسافة خمسة كيلو مترات تقريبًا .

سألها (أوتو) فى لهفة :

- وأى صوت هذا ؟!

ازدردت لعابها فى صعوبة ، وهى تتمتم :

- وقع حوافر جياد .

وقع جوابها على رءوسهم كالصاعقة ، فحدّقوا فى وجهها بذهول ، استمرّ ما يقرب من نصف دقيقة كاملة ، قبل أن يهتف (خالد) :

- جياد ؟! .. هنا ؟! .. مستحيل !

لمست (نادية) الجدار ثانية ، وهى ترتجف بشدة ، وقالت :

- إنها تقترب بسرعة .

تبادل الثلاثة نظرات شديدة التوتر ، وقال (أوتو) :

- أأنت واثقة يا (نادية) ؟

أومأت الفتاة برأسها إيجابًا فى ذعر ، فتبادلوا نظرة حائرة أخرى ، وغمغم (خالد) :

- هل تصدقون وجود جياد هنا ، فى هذا العالم العجيب ؟!

أشار إليه (أوتو) ، قائلاً :

- أنت قلتها .. إنه عالم عجيب ، وكل شىء يُحتمل حدوثه ، أو وجوده فيه .

سأله (خالد) :

- حتى الجياد ؟!

أومأ (أوتو) برأسه إيجابًا ، وقال :

- حتى الجياد .

انكمشت (نادية) أكثر وأكثر ، حتى كاد جسدها الضئيل يختفى داخل تجويف محدود وسط الأطلال ، وهى تقول مذعورة :

- إنها تقترب أكثر .

انعقد حاجبا (خالد) في شدة ، وهو يحاول هضم تلك الفكرة ، ثم لم يلبث أن استلّ مسدسه الليزرى من حزامه ، وقال :

- فليكن .. دعيها تقترب .. فليكن وجود هذه الجياد البرية منطقيًا أو غير منطقى ، ولكنها بالنسبة لى ليست سوى نوع من الغذاء ، يأتى إلينا بقوائمه .

ابتسم (واتسن) في سخرية ، قائلاً :

- أراك قد نبذت فكرة يوم الساعة القريب ، عندما صرخت معدتك جوعًا ، لتذكرك بأنك لا تزال على قيد الحياة .

أجابه (خالد) في صرامة :

- يوم الساعة آت لا ريب يا رجل .. هذا ركن أساسى في عقيدتنا ، والمؤمن الحق لا يعنيه متى تحين الساعة ، فهو مستعد للقاء ربه في أية لحظة .

هتف (أوتو) :

- رائع .. تحسُّن مدهش في معنوياتك وإرادتك يا رجل .

« إنها ليست برية .. » .

قطعت (نادية) ، حديثهم ، وهي تنطق العبارة بصوت مرتجف ، فالتفتوا إليها في آن واحد ، وبدا لهم أن الأطلال تكاد تحجب جسدها عنهم تمامًا ، وهي تنكمش داخل ذلك التجويف ، فقال (واتسن) :

- عفوًا .

كرّرت في عصبية :

- تلك الجياد ليست برية .

ارتفع حاجبا (خالد) في دهشة ، وهو يقول :

- ماذا تعنين ؟!

أجابته في توتر شديد :

- وقع الحوافر الذى أسمعه ، يمتزج برنين معدنى غريب ، وهذا لا يمكن أن يحدث ، إلا مع إضافة حدوات للجياد (*) بوسيلة صناعية .

انعقدت حواجبهم في توتر شديد ، وقال (أوتو) في قلق :

- أتعنين أن تلك الجياد لا تقترب وحدها ، وأن هناك من يقودها أو يمتطيها مثلاً ؟!

(*) الحدوة : قطعة من المعدن تصنع بشكل حرف (U) ، لتوضع في حوافر الجياد ، حتى تقيها التآكل والإصابات ، عند العدو في مناطق وعرة .

أومأت برأسها إيجابا في شحوب ، على نحو جعل ثلاثتهم يتبادلون نظرة مفعمة بالخوف ، قبل أن يقول (خالد) في عصبية :

- أكاد أجزم أنها مخطئة .. أراهن أن الانفعال ، الذي أصابها على القمر ، قد أفسد شيئا من قدراتها ، كما أتلف مخ رفيقها .. سأصعد إلى تلك الأطلال القريبة ، وألقي نظرة على المكان الذي تشير إليه .

قالت في رعب :

- لا .. لا تفعل .. لقد اقتربوا كثيرا ! .

تجاهل (خالد) قولها ، وهو يثب إلى الأطلال القريبة ، ويعتليها في رشاقة ، و ..

وفجأة ، انتفض جسده كله في عنف ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، حتى كادتا تنفجران وسط جمجمته ..

فهناك ، أمام عينيه مباشرة ، وعلى مسافة لا تزيد عن الأمتار الخمسة ، كان يقف جواد ضخم ، أصفر اللون ، له صدر قوي ، وبطن نحيلة ، وقوائم متينة راسخة ..

ولم يكن الجواد هو السبب في انتفاضته العنيفة ..

لقد كان ذلك الذي يجلس على متنه ، والذي بدا مخيفا رهيبا ..

وإلى أقصى حد .

★ ★ ★

٤ - الفرائس ..

« دعنا نقتله يا (نور) .. » .

ترددت العبارة وسط الأطلال القرمزية ، حاملة صوت (أكرم) ، على الرغم من أن هذا الأخير كان يطبق شفتيه ، ويحدق في حيوان الفراء في ذهول ، في حين اتسعت عينا (نور) في دهشة بالغة ، وهتف :

- رباه ! .. هل سمعت هذا يا (أكرم) ؟

لم يكد يتم عبارته ، حتى انبعث صوته من حلق الحيوان الضخم ، مكررا عبارته بتفاصيلها ، فقال (أكرم) :

- يا إلهي ! .. دعني أعترف بأن هذا الكوكب عجيب بحق يا (نور) .. هذا الدب الضخم أكثر مهارة من أبرع الببغاوات في عالمنا (*) .

(*) الببغاء : الببغاوات رتبة من الطيور ، توجد عادة في المناطق الدافئة ، لها منقار قوي معقوف ، وللقدم أربعة أصابع ، وهي تتغذى على الثمار والبذور ، ويمكن أن يبلغ عمرها قرنا كاملا ، إذا ما تم الاعتناء بها على نحو جيد ، وبعض أنواعها لديه قدرة مدهشة على تقليد ما تسمعه من أصوات

أجابه (نور) ، وهو مازال يصوّب مسدسه الليزرى إلى الحيوان فى حذر متحفّز :

ـ هذا صحيح يا (أكرم) ، ولكن السؤال هو : أهذه هى مهارته الوحيدة ، أم أنه أكثر مهارة فى الانقضاض على ضحاياه ؟!

مال الحيوان الضخم ، مع آخر كلماته ، وانحنى برأسه نحو صدر (أكرم) ، الذى تجمّد فى مكانه ، مغمغمًا :

ـ أعتقد أن قتله أفضل من انتظار النتائج .

أشار إليه (نور) ، قائلاً :

ـ مهلاً يا رجل .. من الواضح أنه لا يسعى لافتراسك ، فهو يتشمّم ثيابك فحسب .

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ ومن أدراك ؟! إنها ليست الخطوة الأولى ، قبل أن يغرس أنيابه الحادة الطويلة فى صدرى ؟!

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال دون أن يخفض مسدسه أو حذره :

ـ لست أعتقد هذا .

هتف (أكرم) :

ـ تعتقد ؟! .. ومتى تظنك ستنتقل من مرحلة

الاعتقاد إلى اليقين يا رجل ؟! عندما يبدأ فى افتراسى بالفعل .

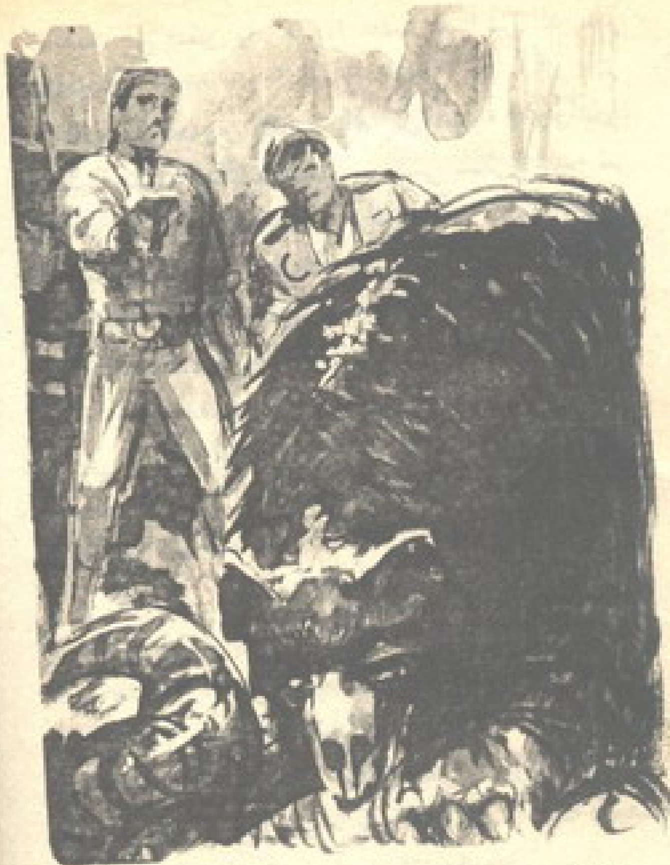
قالها ، والحيوان يقترب بأنفه من صدره أكثر وأكثر ، ويتشمّم تلك المادة الخضراء ، التى تناثرت عليه فى اهتمام بالغ ، ثم لم يلبث أن رفع رأسه ، وأدار عينيه الواسعتين فيما حوله ، ثم انطلق يجرى على أربع ، نحو البقعة التى كان فيها (نور) و(أكرم) منذ قليل واختطف جسد الوحش البرتقالى الممزّق ، واعتدل واقفًا على قائمتيه الخلفيتين ، وأطلق زمجرة قوية أخرى ، قبل أن يجلس أرضًا كطفل صغير ، ويلتهم بقايا الوحش البرتقالى فى لهفة ونهم ، جعلا (أكرم) يغمغم فى دهشة :

ـ عجبًا ! .. أهذا ما كان يسعى إليه منذ البداية ؟!

خفض (نور) مسدسه ، وأعاده إلى حزامه ، قائلاً :

ـ هذا أمر طبيعى يا صديقى .. الاثنان يعيشان فى بيئة واحدة ، ومن الواضح أن ذلك الكائن البرتقالى هو الغذاء الرئيسى لحيوان الفراء هذا .. وربما العكس بالعكس ، وأن كلاً منهما غذاء للآخر .. إنها طبيعة عالم الأحياء ، فى أى زمان ومكان يا رجل .

هزّ (أكرم) رأسه ، وغمغم :



قبل أن يجلس أرضًا كطفل صغير ، ويلتهم بقايا الوحش البرتقالى فى لهفة ونهم ..

- على أية حال ، لم يعد هناك ما يدهشنى ، منذ عملت معك يا (نور) .

ثم عاد يصوب مسدسه إلى حيوان الفراء ، مستطردا فى حزم :

- وبمناسبة الحديث عن الغذاء ، ألا يبدو لك هذا الضخم غذاء مناسبا لستة أفراد ؟!

لم يرق القول لـ (نور) ، فانعقد حاجباه فى شدة ، وهمّ برفض الأمر كله ، إلا أن طبيعته ومسئولياته كقائد جعلته يراجع الموقف ثانية ، قبل أن يعترف فى أعماقه بأن (أكرم) على حق ..

ذلك الحيوان الضخم يصلح بالفعل كغذاء لستة أفراد .. بل ولستين فردًا ..

وخاصة عندما يكون هؤلاء الأفراد من الغرباء ، الذين ألقت بهم ظروف غير طبيعية فى كوكب مجهول ، لا أحد يدرى متى تتأتى فيه فرصة تالية للحصول على غذاء آخر مناسب ..

وفى ضيق واضح ، غمغم (نور) :

- إنه كذلك بالفعل .

جذب (أكرم) إبرة مسدسه ، وصوبه إلى رأس الحيوان مباشرة ، وهو يغمغم :

- معذرة يا هذا .. سيؤسفنى كثيرًا أن أفعل هذا ، ولكن لو أنك فى موضعى ، لأمكنك أن تقدّر صعوبة الأمر وحتميته ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، دوت من بعيد فرقعة مكتومة ، وانطلق خيط أحمر يشقّ السماء ، ثم لم يلبث أن انتهى بانفجار صامت ، تناثرت معه مادة قانية فى سماء الكوكب ، فهتف (نور) ، وهو يلقى نظرة على ساعته :

- رباه ! .. إنها الإشارة ، ولم تمض الساعة بعد !!

وعاد ينتزع مسدسه ، هاتفًا :

- أسرع يا (أكرم) .. إنهم يواجهون خطرًا بالتأكيد .

وقبل حتى أن يكتمل هتاف (نور) ، كان (أكرم) قد انتزع نفسه من موضعه ، ونسى أمر حيوان الفراء والحصول على الغذاء ، وانطلق يعدو بأقصى سرعته خلفه ، نحو الموضع الذى تركا فيه رفاقهما ..

ولو أن شخصًا يختبئ وسط الأطلال ، لمح هذا المشهد ، لخيّل إليه أنه يراقب مجنونين ، وليس شخصين عاديين ، فعلى الرغم من الصخور والأطلال وبقايا الأحجار ، المتناثرة فى كل مكان ، انطلق (نور) و(أكرم) كالصاروخ ، دون أن يوقفهما شىء ، فراحا

يثبان فوق الصخور ، ويدوران حول الأطلال ، ويحطمان كل عائق أمامهما ، وهما يتجهان نحو مكان رفاقهما ..

ولكنهما كانا قد ابتعدا كثيرًا بالفعل ، حتى إن الأمر احتاج منهما - على الرغم من سرعتهما الجنونية - إلى سبع دقائق كاملة ، قبل أن يبلغا الموضع ، واتسعت عينا (أكرم) فى ارتياع ، وهو يشير إلى بقعة من الدم ، تلوّث صخرة كبيرة ، على مقربة من ذلك النتوء ، الذى كانوا يحتمون تحته :

- رباه ! .. لقد حدث شىء ما هنا .. شىء رهيب .

تلفت (نور) حوله فى توتر بالغ ، قائلًا :

- عجبًا ! .. لقد اختفوا جميعًا .. (خالد) ، و(واتسن) ، و(أوتو) ، و(نادية) !!.. كلهم ذهبوا ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، قبل أن ينحنى بحركة حادة ، ليفحص بعض الآثار على الرمال ، فجرى (أكرم) نحوه ، قائلًا :

- ماذا وجدت ؟!

أشار (نور) إلى الآثار ، مغمغمًا :

- انظر .. إنه أمر مدهش بحق .. إنها .. إنها آثار حوافر جياد !

تراجع (أكرم) ، هاتفًا فى دهشة عصبية :

- جياد ؟! .. هنا ؟!

أجابه (نور) ، وهو يتابع فى توتر شديد تلك الآثار الواضحة ، التى انتشرت فى دائرة واسعة :

- نعم .. جياد .. جياد كتلك التى نعرفها على أرضنا .. خمسة جياد على الأقل .. ومعركة .. لقد جرت خلف رفاقنا .. انظر .. هذه آثار حذاء (خالد) .. علامة الصنع التجارية واضحة به إلى حد ما .. لقد حاول الجرى بكل قوته ، ثم سقط هنا ، وتدحرج إلى هناك ، ثم ..

بتر عبارته ثانية ، وانعقد حاجباه ، وهو يحدق فى نقطة ما خلف الصخور ، ثم لم يلبث أن وثب نحوها ، وانحنى يلتقط شيئًا ما ، قائلاً :

- وهذا مسدسه .. من الواضح أنه فقده عندما سقط .

هتف (أكرم) فى عصبية :

- وماذا عن الآخرين ؟!

أشار (نور) إلى آثار أخرى ، مجيبًا :

- لقد حدثت هنا معركة يا رجل .. معركة عنيفة إلى حد ما .

تلفت (أكرم) حوله فى توتر شديد ، وهو يقول :

- معركة عنيفة ؟! .. ولكن متى ؟! .. وكيف ؟!

اتجه (نور) نحو الصخرة ، التى تلوثها بقعة الدم ، وتحسس الدماء بأنامله ، قبل أن يجيب :

- من فترة ليست بالطويلة .. هذه الدماء أريقت قبل وصولنا إلى هنا بفترة وجيزة ... ربما دقيقة أو دقيقتين ، فهى لاتزال دافئة لزجة ، ولم تتجمد بعد .

هتف (أكرم) فجأة :

- يا إلهى ! .. انظر يا (نور) :

رفع (نور) مسدسه وعينيه بسرعة كبيرة ، نحو البقعة التى يشير إليها (أكرم) ، ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يحدق فى ذلك الهيكل العظمى العملاق ، عند الأطلال المتهدمة ، فى حين وثب (أكرم) نحوه ، هاتفًا :

- يا له من هيكل عظمى ! .. إنه أكثر ضخامة منا يا (نور) .

تمتم (نور) فى توتر :

- هذا يعطينا فكرة عن طبيعة قاطنى هذا المكان .

قال (أكرم) فى عصبية :

- إنهم يشبهوننا كثيرًا ، باستثناء الحجم .

تمتم (نور) فى حذر قلق :

- هذا صحيح .

ثم انخفضت عيناه مرة أخرى إلى آثار حوافر الجياد ، مضيفًا :

- وهم يمتطون الجياد .

حدّق (أكرم) فى الهيكل العظمى لحظات ، فى توتر شديد ، ثم استدار عائدًا إلى حيث يقف (نور) ، وهو يقول :

- فليقطع ذراعي لو لم ..

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وأدار فوهة مسدسه نحو تجويف أسفل نتوء الأطلال ، وهو يثب خلفًا بحركة حادة ، جعلت (نور) يصوّب مسدسه إلى البقة نفسها ، ويهتف فى عصبية :

- ماذا هناك ؟

ولم يكد ينطقها ، حتى ارتفع حاجباه فى دهشة بالغة ، واتسعت عيناه فى شدة ، وهو يستطرد :

- رباه ! .. (نادية) ؟! ..

كانت المسكينة منكمشة داخل ذلك التجويف الضيق ، وقد ضمت ركبتيها إلى صدرها ، وراحت ترتجف فى شدة ، ودموعها تغرق وجهها ، وتتساقط على صدرها ، فأسرع إليها (نور) ، قائلا :

- (نادية) .. ماذا حدث ؟!.. لماذا تختبئين هنا ؟! .. ولماذا لم تعلنى عن وجودك فور وصولنا .

حدّقت الفتاة فى وجهه بارتياع شديد ، وراحت تلهث فى شدة ، قبل أن تقول بصوت أقرب إلى النحيب :

- خشيت أن يكونوا قد عادوا .. خشيت أن يقتلونى ، أو يختطفونى .. إنهم بشعون .. بشعون .

أمسكها (نور) من كتفيها ، وهو يقول :

- اهدئى يا (نادية) .. تمالكى أعصابك .. أخبرينا ماذا حدث ؟ .. من هؤلاء الذين خشيت عودتهم ، وما الذى فعلوه ؟

ارتجف صوتها بشدة ، وأطلّ خوف الدنيا كله من عينيها ، وهى تقول :

- الجياد .. راكبو الجياد .

سألها (أكرم) فى عصبية شديدة :

- من هؤلاء ؟ وماذا فعلوا بالآخرين ؟!

غمرت الدموع وجهها ، وهى تنتفض ، قائلة :

- سأخبركما بكل شىء .. سأخبركما ما حدث .. لقد نجوت منهم بأعجوبة ، .. بمعجزة !

أومأ (نور) برأسه متفهمًا ، وقال :

- بالتأكيد يا (نادية) .. بالتأكيد .. أخبرينا ما حدث

بالله عليك .. نريد أن نعرف .

ازدردت المسكينة لعابها فى صعوبة شديدة ، و ... وراحت تروى ..

* * *

انتفض جسد (خالد) فى عنف ، واتسعت عيناه عن آخرها ، وهو يحدق فى ذلك الجواد الأصفر القوى ، وراكبه الرهيب ..

كان عملاقًا ضخم الجثة ، يربو عن المترين طولا ، له شعر أشبه بالنيران المشتعلة ، ولحية حمراء كثة ، وبشرة تميل إلى الزرقة ، مع عينين مخيفتين فى لون الدم ..

وعلى صدره القوى ، تألق درع من الصلب ، يتوسطه شعار أسود ، عبارة عن دائرة يقطعها سهم سميك ..

وفى نفس اللحظة ، التى وقع فيها بصر (خالد) على ذلك العملاق ، كان هذا الأخير يستل من حزامه هراوة ضخمة ، ثم يطلق صرخة كفيلة بزلزلة كيان أقوى الرجال ، وأكثرهم بأسًا وشجاعة ، قبل أن ينقض على (خالد) ، الذى رفع مسدسه الليزرى ، هاتفًا :

ـ لا .. لا تقترب من الـ ..

قبل أن تكتمل عبارته ، هوت الهراوة على يده بقوة ، تحطم لها كفه ، وطار معها مسدسه الليزرى ؛ ليستقر بعيدًا وسط الصخور ..

وتراجع (خالد) فى ذعر وألم ، فى نفس الوقت الذى ارتفعت فيه صرخات مخيفة ، من كل صوب ، وظهرت خمسة جياد قوية ، على متن كل منها عملاق مخيف آخر ..

وصرخت (نادية) ، وهى تنكمش أكثر وأكثر ، داخل ذلك التجويف ، فى حين تراجع (أوتو) صائحًا :

ـ يا إلهى ! .. ما هذا ؟! ما هذا ؟!

أما (واتسن) ، فقد أطلق شهقة رعب ، والتصق بالجدار مذعورًا ، وعيناه معلقتان بـ (خالد) ، الذى انطلق يعدو محاولا الفرار ، على غير هدى ..

ورفع أحد العمالقة يده ، وأدارها فى الهواء ، ممسكًا سلاحًا بدائيًا ، عبارة عن أربع كرات من المعدن ، يمتد من كل منها حبل قصير ، وتتصل الحبال الأربعة ببعضها البعض عند المركز ، واندفع خلف (خالد) ، ثم ألقى سلاحه فى قوة ومهارة ، تشف من طول استخدامه له ..

والتفت الحبال الأربعة حول قدمى (خالد) ، تدفعها

الكرات الثقيلة ، ففقد توازنه ، وسقط على وجهه فى عنف ، ولم يكد يعتدل ، حتى هوت هراوة عملاق آخر على رأسه ، وأعادته إلى الأرض فاقد الوعى ..

وفى هذه المرة ، كتمت (نادية) صرختها ، وانكمشت أكثر وأكثر فى مكمنها ، وامتلأت نفسها بالذعر ، وهى تتمنى من أعمق أعماق قلبها ألا ينتبه هؤلاء العمالقة لوجودها ، حتى لا ينالها ما ينال الآخرين ، خاصة وأن أحد العمالقة قد انقضّ على (أوتو) ، الذى حاول الفرار ، ووثب نحوه بجواده القوى ، ثم استلّ من حزامه شيئًا أشبه بالسيف ، هوى به على رأسه ، فاندفع (أوتو) إلى الأمام ، وفقد توازنه ، وسقط فى عنف ، فارتطم رأسه بصخرة كبيرة ، وتفجّرت منه الدماء ..

وفى ارتياع شديد ، التصق (واتسن) بالأطلال لحظة ، ثم لم يلبث أن انتزع نفسه من مكانه ، واندفع نحو (أوتو) ، وانحنى يختطف جهاز الإشارة من يده ، ورفعه عاليًا ، وهو يهتف :

- (نور) .. عد إلينا أيها القائد .. أنقذنا بالله عليك .

وضغط زر الجهاز ، فصدرت عنه فرقعة قوية ، ثم انطلق منه خيط أحمر اللون ، ارتفع عاليًا فى السماء ،

قبل أن ينفجر فى صمت ، وتتناثر منه مادة قانية فى السماء ..

ولثانية أو ثانيتين ، توقّف العمالقة ، وتعلّقت عيونهم بالسماء ، فى توتر ملحوظ ، ثم لم يلبث أحدهم أن أطلق صرخة غاضبة مخيفة ، وانقضّ على (واتسن) ، الذى تراجع صائحًا :

- لا .. لا .. ابتعد عنى .. لا تفعلها معى .

ولكن العملاق انحنى على جواده الضخم فى مهارة مدهشة ، وانطلقت قبضته ذات القفّاز المعدنى كالقنبلة فى وجه (واتسن) ، فانتزعته من مكانه ، وألقته لمترين كاملين إلى الخلف ، قبل أن يسقط فاقد الوعى بين الصخور ..

واتسعت عينا (نادية) فى رعب هائل ، ولكنها لم تنبس ببنت شفة ..

بل لقد كتمت أنفاسها ، كما تدرّبت فى مركز إعداد المقاتلين الفضائيين ، وجمّدت جسدها ، وخفضت معدلات نبضها وتنفسها إلى أقصى حد (*) ، حتى ،

(*) لاعبو اليوجا المتقدمون ، يمكنهم خفض معدلات نبضهم وتنفسهم إلى أقصى حد، والتحكم فى نشاط أجهزتهم الحيوية الداخلية أيضًا..

لا يشعر بها هؤلاء الوحوش ..

ومن مكمنها ، رأت (نادية) العمالقة الستة يقتربون من بعضهم البعض ، ثم يصنعون بجيادهم دائرة مكتملة ، قبل أن تنطلق من حلوقهم صيحة هادرة ، انخلع لها قلبها ، وتمتم معها لسانها فى أعماق حلقها :

ـ لا تجعلهم ينتبهون إلىّ يا إلهى ! .. أرجوك .

وانتهى العمالقة الستة من صيحتهم ، ثم اتجه ثلاثة منهم نحو (خالد) و(أوتو) و(واتسن) ، وانحنوا يلتقطونهم بقوة مدهشة ، ووضع كل منهم فريسته أمامه على متن جواده القوى ، ثم رفع أحدهم يده ، وأطلق صيحة أخرى ، انطلق الستة بعدها يبتعدون بصيدهم ، و(نادية) فى مكمنها ترتجف .

وترتجف ..

وترتجف ..

* * *

حدّق (نور) و(أكرم) فى وجه (نادية) بدهشة بالغة ، وتبادل الاثنان نظرة مفعمة بالتوتر ، قبل أن يقول (أكرم) فى عصبية :

ـ عمالقة بدروع وأسلحة بدائية ، على متن جياد قوية ؟! .. وكأننى أستمع إلى وصف لفيلم من الأفلام التاريخية القديمة !!

أما (نور) ، فتلفت حوله ، قائلا :

ـ ولكن هذا لا يتفق مع تلك الأطلال حولنا ! .. لقد بلغ أصحابها حضارة لا بأس بها يوما ، ومن المستحيل أن ينحدر بهم الأمر إلى هذا الحد !!

سألته (نادية) بصوت مرتجف :

ـ ألا تصدّق قصتى ؟!

أجابها بسرعة :

ـ بل أصدّقها يا (نادية) .. أصدّق كل حرف منها ، ولكن الأمر يدهشنى بحق ، ويجعلنى أتساءل : كيف يمكن أن تتواجد تلك الأطلال ، التى تشفّ عن تقدّم تكنولوجى قديم ، مع عمالقة بدائيين ، كهؤلاء الذين تصفينهم ؟!

هزّت رأسها فى مرارة ، قائلة :

ـ لست أدرى .. لقد ظهروا فجأة ، واختطفوا (خالد) و(أوتو) و(واتسن) ، وحملوهم معهم .

ثم عاد صوتها يرتجف ، وهى تسأل :

ـ هل .. هل تعتقد أنهم سيقتلونهم أيها القائد ؟! .. هل تعتقد هذا ؟!

تطلّع إليه (أكرم) بدوره ، وكأن السؤال يشغله أيضا ، فانعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يجيب :

- ليس فى الوقت الحالى على الأقل .. لو أنهم يبتغون قتلهم ، لما تجشموا مشقة حملهم معهم ، ولقتلوهم هنا .

ثم التفت إلى ذلك الهيكل العملاق ، مستطردًا :

- إنهم يريدون استجوابهم على الأرجح ، لانتزاع بعض المعلومات منهم ، ومعرفة سر وجودهم هنا ، فمن المؤكد أن ما يحدث من أمور ، منذ ظهرت تلك الفجوة البيضاء فى عالمهم ، يربكهم أيضًا بحق ، ولكن عقولهم البدائية عاجزة عن إيجاد تفسير منطقى له .

التقط (أكرم) نفسًا عميقًا ، محاولاً التغلب على ذلك الإجهاد العنيف ، الذى يشعر به ، منذ وصولهم إلى هذا العالم ، وقال :

- ولكن إلى أين يا (نور) ؟! .. إلى أين حملوا رفاقنا ؟

بدت الحيرة على وجه (نور) ، وهو يتلفت حوله ، قائلاً :

- لست أدرى .. لست أدرى بعد يا (أكرم) .. إنه مكان ما ، على مقربة من هنا .. على الأقل فى بقعة يمكنها رصد سقوط مكوكنا على هذا الكوكب .

قال (أكرم) بسرعة :

- هذا يعنى أننا نستطيع رصدها أيضًا من هنا ..

تألقت عينا (نور) ، وهو يشير بسبابته ، قائلاً :

- بالضبط .

ثم قفز يتعلق بحافة جدار قريب ، واعتلاه فى نشاط ملحوظ ، على الرغم مما يشعر به من إجهاد مماثل ، وأدار عينيه فيما حوله ، محاولاً تعرف المنطقة ..

كانت الأطلال تمتد أمامه لمسافة كبيرة ، ثم تظهر بعدها سلسلة جبلية ، ابيضت قممها ، على نحو يوحى بأنها مغطاة بالثلوج ..

ومن خلف تلك السلسلة الجبلية ، اتضح ضوء مبهر ، أثار انتباه (نور) بشدة ، فتطلع إليه بضع لحظات ، قبل أن يرتفع حاجباه فى دهشة ، ويغمغم :

- رباه !.. هذا صحيح بالفعل .

سأله (أكرم) فى قلق :

- ماذا لديك ؟!

أشار (نور) إلى منطقة الضوء ، قائلاً :

- الشمس .. شمس ذلك الكوكب تشرق فى الأفق ..

هتف (أكرم) فى دهشة بالغة :

- الشمس ؟! .. ولكن الضوء يغمر هذه المنطقة بالفعل ، منذ وصولنا إليها يا (نور) !

أدار (نور) سبابته ، مشيرا إلى تلك البقعة المضيئة فى السماء ، قائلا :

- ما يغمر هذه المنطقة ليس مصدر الضوء الطبيعى هنا يا (أكرم) ، إنه الضوء المنبعث من الجانب الآخر للفجوة السوداء ، التى تكونت فى عالمنا .. إنها تمتص وتجذب إليها كل شىء من عالمنا ، حتى الضوء ، ثم تلقيه على هذا العالم .

تطلع (أكرم) إلى الفجوة بدوره ، وغمغم :

- إذن فعلينا أن نجلس ، فى انتظار وصول قمرنا إلى هنا .

أجابه (نور) فى صرامة :

- بل علينا أن نقاتل ، بكل ما نمتلك من قوة وجهد ، لمنع حدوث هذا .

سأله (أكرم) :

- هل تعتقد أننا نستطيع ؟

أجابه (نور) بصرامة أكثر :

- كل ما علينا أن نحاول .

تنهد (أكرم) ، قائلاً :

- بالتأكيد .

ثم سأل فى قلق :

- هل استطعت تحديد البقعة ، التى ذهب إليها هؤلاء العمالقة برفاقنا ؟!

أدار (نور) عينيه فى المكان مرة أخرى ، قبل أن يجيب فى توتر :

- كلا .. إنه ليس شيئا تقليديًا على الأقل .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يقول :

- ماذا تعنى ؟! .. هل نقف ساكنين ، ونتركهم يفعلون ما يحلو لهم بالرفاق ؟!

وثب (نور) إلى الأرض ، قائلاً فى حزم :

- كلا بالتأكيد .. سنسعى خلفهم بكل ما لدينا .

سأله (أكرم) فى حنق :

- وماذا لدينا أيها العبقرى ؟!

أشار (نور) إلى آثار حوافر الجياد ، مجيبًا :

- تلك الآثار .. سنتتبعها إلى حيث تنتهى .

حدق (أكرم) فى الآثار ، قبل أن يهتف فى حماس :

- رائع .. أنت عبقرى بالفعل يا (نور) .. ستقودنا هذه الآثار إليهم حتمًا ..

ثم لوح بقبضته ، مستطردًا :

- كم أتوق للقاء هؤلاء الأوغاد .

أتاه صوت (نادية) مرتجفًا بشدة ، وهى تقول :



وانقضّ العملاقان على (نور) و (أكرم) ..

ـ لن يطول انتظارك .

ومع آخر حروف عبارتها ، تناهى إلى مسامعهما صهيل جواد خائف ، فاستدارا إليه بكياتهما كله ، و ..

وكانت المواجهة ..

لقد وجدا أمامهما مباشرة ، اثنين من العمالقة ، على متن جواديهما ، يتطلعان إليهما بتلك العيون الدموية المخيفة ، التى تطلّ منها شراسة الدنيا كلها .

ثم أطلق أحد العملاقين صرخة قتالية هادرة ، رددت الأطلال القرمزية دويها الوحشى الرهيب ، و ..

وانقضّ العملاقان على (نور) و(أكرم) ..

انقضا بكل القوة ..

وكل الشراسة .

* * *



٥ - الأسر ..

انتفض جسد (خالد) فى عنف ، وهو يستعيد وعيه بغتة ، واعتدل جالسًا فى حركة حادة ، وهو يقول :

- ماذا حدث ؟! .. أين نحن ؟!

واتسعت عيناه فى ذعر ، وهو يحدق فى جدران من الحجر ، تنتشر فيها طحالب زرقاء داكنة ، مع رطوبة شديدة ، وفى نهايتها قضبان سميكة ، تسد فتحتها الوحيدة ، وتنتهى من أسفل بأطراف حادة مسنونة ، كما لو كانت حرابًا قوية ، تكاد تنغرس فى الأرض الصخرية الصلبة ..

وفى ركن تلك الزنزانة البدائية المخيفة ، وقع بصره على (أوستن) ، الذى جلس أرضًا ، وارتكن بظهره إلى الجدار الرطب ، وراح يتطلع إليه بدوره فى صمت يائس ، جعل (خالد) يسأله مكررًا :

- أين نحن يا (واتسن) ؟!

زفر (واتسن) فى مرارة ، وأشار بيده ، قائلاً :

- كما ترى يا رجل .. نحن داخل زنزانة بدائية

حقيرة ، لا أحد يدرى ما إذا كنا سنبقى داخلها إلى الأبد ، أم نلقى مصرعنا سريعًا ، من جراء التعذيب .

هتف (خالد) فى ارتياع :

- التعذيب ؟! .. أى تعذيب يا رجل ؟!

هزّ (واتسن) رأسه فى مرارة ، وقال :

- ما الذى تتوقعه من قوم كهؤلاء يا رجل ؟!.. كومة من العمالقة البدائيين ، بلا رحمة أو شفقة ، ويحاولون انتزاع أقصى ما يمكنهم من المعلومات منا .. أتعتقد أنهم سيلجئون إلى الحوار الديموقراطى ؟!

بدا منطقه سليمًا تمامًا من هذه الناحية ، فاتسعت عينا (خالد) فى ارتياع أكثر وأكثر ، وقال :

- رباه ! .. أنت على حق يا رجل .. أنت على حق

ثم هبّ واقفًا ، ومستطردًا فى حدة :

- لا ينبغى أن نستسلم لهم إذن .. من الضرورى أن نقاوم .. لابد وأن نفعل .. لابد .

صاح به (واتسن) فى مرارة :

- كيف ؟! .. إننا لم نعد نمتلك أية أسلحة لمواجهتهم ، وهم عمالقة أشداء كما رأيت .

ضمّ (خالد) قبضته ، قائلاً :

- فلنتآزر ، ولنبحث عن وسيلة ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وكأنما انتبه إلى أمر ما ، وأدار عينيه فى الزنزانة البدائية ، قبل أن يستطرد فى هلع :

ـ ولكن أين (أوتو) ؟! .. أين هو ؟!

هزّ (واتسن) رأسه فى أسف وأسى شديدين ، قبل أن يرفع يده فى إرهاق ، كما لو أنها تزن طنًا ، ثم يعود ليخفضها ، على نحو بدت معه وكأنها سقطت وحدها ، ويقول :

ـ لقد أخذوه ..

مال (خالد) برأسه إلى الأمام ، مرددًا فى انزعاج :

ـ أخذوه ؟! .. ماذا تعنى ؟!

مطّ (واتسن) شفتيه ، وقلب كفيه ، قائلاً :

ـ لست أدرى .. لقد أخذوه فحسب .. كان رأسه ينزف ، من أثر جرح فى جبهته ، وجاءوا إلى هنا ، وحملوه فى قسوة ، وذهبوا به إلى مكان ما .

قال (خالد) فى توتر :

ـ ربما .. ربما يحاولون إسعافه .

أطلق واتسن) ضحكة عصبية ساخرة ، وهو يقول :

ـ هؤلاء القوم ؟! .. من الواضح أنك لم تتجاوز بعد مرحلة الأحلام الوردية يا رجل .. هؤلاء العمالقة الأوغاد ، الذين أحضرونا إلى هنا لن يبذلوا أدنى جهد

لإسعاف أحد .. اللهم إلا إذا كانوا يخشون أن يموت ، قبل أن يتمتعوا باللهو به ..

قال (خالد) فى عصبية :

ـ لا يمكنك الجزم بهذا .. كل ما فعلوه حتى الآن هو أنهم ألقوا القبض علينا .. وهذا نفس ما كنا سنفعله ، لو أن مخلوقات عجيبة هبطت فجأة فى كوكبنا ، إثر كارثة فضائية غامضة .. هل تنكر أننا كنا سنرسل فرقة عسكرية ؛ لإلقاء القبض عليهم ؟! أيعنى هذا أننا قوم عتاة قساة ألا نقيم وزنًا للحياة ؟!

هزّ (واتسن) رأسه ، قائلاً :

ـ إنك لم تر الطريقة التى حملوه بها .

قال (خالد) فى عصبية أكثر :

ـ هذا لا يعنى شيئًا .

تطلّع إليه (واتسن) لحظة فى صمت ، قبل أن يقول :

ـ يبدو لى أنك متفائل أكثر مما ينبغى يا رجل .

قال (خالد) فى حدة :

ـ بل أنت المتشائم على نحو مبالغ .

ابتسم (واتسن) فى سخرية عصبية متوترة ، وهو يقول :

ـ كم أتمنى أن تكون على حق .

قالها ، والتقط جهاز الكمبيوتر الشخصى الصغير من جيبه ، وراح يجرى بعض العمليات الحسابية ، فراقبه (خالد) لدقيقة كاملة ، قبل أن يسأله فى عصبية :

ـ ما الذى تفعله بالله عليك ؟

أجابه (واتسن) ، دون أن يرفع عينيه إليه :

ـ مجرد محاولة للتخفيف من التوتر ، وإضاعة الوقت فيما يفيد ، بدلاً من التفكير فى مصيرنا المنتظر .

وضغط أزرار الكمبيوتر ثانية ، قبل أن يستطرد :

ـ إننى أحاول حساب قوة جذب تلك الفجوة السوداء ، التى تكفى لجذب مكوكنا إليها ، من سطح القمر ، وأربط هذا بالفترة التى مضت ، منذ وقوع ذلك الانفجار الفضائى ، وحتى وصلنا إلى هنا .

سأله (خالد) :

ـ وبم يفيد هذا ؟!

أجابه (واتسن) ، وهو منهمك فى عمله :

ـ سيساعدنى على تحديد الوقت المتبقى ، قبل أن تجذب الفجوة السوداء قمرنا إليها ، وتضرب به هذا الكوكب ، فتفنيه عن آخره .

امتقع وجه (خالد) ، مع الإشارة إلى الفناء ، وقال فى توتر :

ـ ألا توجد وسيلة أخرى لتمضية الوقت ؟!

أجابه (واتسن) فى اقتضاب :

ـ كلاً .

انعقد حاجبا (خالد) فى غضب ، وأشاح بوجهه عنه ، وراح يتأمل تلك الطحالب الزرقاء الداكنة فى توتر شديد ، حتى سمعه يقول فى دهشة :

ـ عجبًا ! .. ولكن هذا مستحيل !

فالتفت إليه ، قائلاً فى عصبية :

ـ ما هذا المستحيل ؟!

أشار (واتسن) إلى الكمبيوتر ، مجيبًا :

ـ ليس لدى أدنى شك ، فى أن أرقامى وحساباتى كلها صحيحة ودقيقة ، وعلى الرغم من هذا ، فالنتائج التى انتهيت إليها لا تتفق أبدًا مع الواقع .

التفت إليه (خالد) فى اهتمام ، قائلاً :

ـ وما هذه النتائج ؟!

أجابه (واتسن) ، وهو يتطلع إلى شاشة الكمبيوتر الصغير فى حيرة :

ـ طبقًا لما توصلت إليه ، كان من المفترض أن

تنجح تلك الفجوة فى جذب قمرنا إليها ، بعد أربع ساعات من وقوعنا فيها ، ولكننا هنا منذ أكثر من خمس ساعات ، دون أن يحدث شىء" .

قال (خالد) فى تردُّد :

ـ ربما كانت إحدى حساباتك ..

قاطعه (واتسن) فى حسم :

ـ حساباتى كلها دقيقة وسليمة .

ثم تنهَّد ، وعاد يستند إلى الجدار الرطب ، مستطردًا :

ـ هناك حتمًا خطأ ما .. شىء لا يخضع للحسابات التقليدية .. شىء يتعلَّق بطبيعة هذا العالم ، أو ...

قبل أن يتمّ عبارته ، تحرَّكت فجأة تلك القضبان الصلبة الثقيلة ، وراحت ترتفع إلى أعلى فى بطء ، فالتفت إليها (خالد) و(واتسن) ، ثم اتسعت عيونهما ، وتراجعا على نحو عنيف ..

فأمامهما مباشرة ، وخلف تلك القضبان ، التى تواصل ارتفاعها فى بطء ، كان يقف واحد من هؤلاء العمالقة القساة ..

وكان يختلف كثيرًا عن سابقيه ..

كان أكثر ضخامة ، شعره يكاد يشتعل من فرط لونه

الأحمر ، الذى يتناقض مع عينيه الدمويتين المخيفتين ، على الرغم من أنه حليق الوجه تمامًا ..

ولكن عيونهما تركَّزت على أسنانه ، وراح قلباهما يرتجفان رعبًا ..

فتلك الأسنان بالذات ، لم تكن تشبه الأسنان البشرية ، بأى حال من الأحوال ..

لقد كانت أقرب إلى أنياب ذئب ..

ذئب هائل ..

ومفترس ..

* * *

امتزجت صرخة العملاق بتلك الصرخة المذعورة ، التى أطلقتها (نادية) ، عندما انقضَّ العملاقان على (نور) و(أكرم) ، بتلك الشراسة الوحشية المخيفة ، وانكمشت فى مكانها فى ارتياع ، وعيناها تتابعان ذلك الصراع العنيف ، بين الرجال الأربعة .

ففى سرعة مدهشة ، رفع (نور) فوهة مسدسه الليزرى ، وأطلق أشعته على يد العملاق ، الذى ينقضّ عليه ملوِّحًا بهراوة ضخمة ثقيلة ..

وعلى الرغم من أن الأشعة قد أصابت هدفها بمنتهى الدقة ، إلا أنها لم توقف العملاق ، أو تنجح حتى فى

الإطاحة بهراوته ، بل انعكست عن قفازه اللامع فى عنف ، وبصوت أشبه بفحيح شرس مكتوم ..

وأطلق العملاق صرخة غضب أخرى ، أكثر ثورة ووحشية ، وهو يواصل انقضاضته على (نور) ويهوى بهراوته على معصمه فى قوة ..

وتحرك (نور) فى سرعة ، محاولاً تفادى الضربة القوية ، إلا أن الهراوة أصابت مسدسه الليزرى ، فحطمت ماسورته ، وألقت به قرابة الأمتار العشرة وسط الأطلال القرمزية ..

وهنا أطلق العملاق صرخة ظافرة وحشية ، وجذب عنان جواده الضخم ، فارتفعت قائمتاه الأماميتان ، وهو يطلق صهيلاً قويًا ، فى حين لوّح هو بهراوته فى الهواء ، ثم هوى بها ثانية ..

وفى هذه المرة على رأس (نور) ..

مباشرة ..

أما (أكرم) ، فقد أطلق رصاصات مسدسه بلا تردُّد ، عندما انقضّ عليه العملاق الآخر ، وأصاب صدره بثلاث رصاصات مباشرة ، أصابت هدفها بمهارة مدهشة ..

ولكن الرصاصات أيضًا لم توقف العملاق ..

لقد أصابت درعه القوى ، ثم ارتدت عنه بدوى معدنى عنيف ، وكادت إحداها تعود إلى (أكرم) نفسه ، لولا أن انحنى بحركة غريزية ، ووثب جانبًا ، وهو يهتف محنقًا :

ـ اللعنة ! .. إنه يرتدى درعًا واقيًا .

رفع العملاق يده بذلك السلاح المكوّن من الحبال ، والكرات المعدنية الأربع ، وأداره بمهارة مدهشة ، ثم قذفه نحو (أكرم) ..

وعلى الرغم من القفزة الجانبية لهذا الأخير ، إلا أن الحبال ارتطمت بعنقه ، ثم دارت حوله فى قوة ، مع اندفاع الكرات الأربع الثقيلة ، ودفعته معها إلى الخلف ، ففقد توازنه ، وارتطم بصخرة بارزة ، ثم سقط على ظهره أرضًا .

وانقضّ العملاق بوحشية أكثر هذه المرة ، وانتزع من حزامه هراوة ثقيلة ، وهو يطلق صرخة مخيفة ، وينحنى على جواده جانبًا ، فى مهارة مدهشة ، ليهوى بها على رأس (أكرم) ..

وفى اللحظة نفسها ، كان (نور) يتفادى هراوة العملاق الآخر بانحناءة ماهرة مرنة ، وسمع صوت الهراوة الثقيلة ، وهى تضرب الهواء ، على ارتفاع

سنتيمترات قليلة من رأسه ، ثم اندفع إلى الأمام ، تاركًا العملاق يتجاوزه بجواده ، ودار على عقبيه فى سرعة مدهشة ، وشعر بآلام مبرحة فى كتفه ، من جراء إصابته السابقة ، ولكنه تجاهلها فى إصرار ، ووثب وثبة رائعة ؛ ليعتلى متن الجواد ، خلف العملاق مباشرة ..

وكان فارق الحجم بينهما واضحًا للغاية ، حتى إن (نور) بدا أشبه بصبى صغير ، مقارنة بذلك العملاق الضخم ، الذى أربكته مبادرة (نور) ، فأطلق زمجرة غاضبة ، وحاول أن يستدير لمواجهة خصمه ، إلا أن (نور) هتف به :

ـ لا تحاول يا هذا .

ومع قوله ، ضمّ قبضتيه ، وهوى بهما ، بكل ما يمتلك من قوة ، على مؤخرة عنق العملاق ، الذى تلقّى الضربة المباغتة ، فارتجّ جسده كله ، وانطلق من حلقه خوار خشن ، وواصل محاولة الالتفات ، وهراوته تدور فى الهواء ، ثم تهوى على رأس (نور) ..

وانحنى (نور) بسرعة ، متفاديًا الهراوة الثقيلة ، التى أصابت الهواء ، فاختلّ توازن خصمه ، وحاول أن يتشبث بعنان جواده ، إلا أن (نور) هوى على فكه

بلكمة ، أودعها كل قوته ، ففقد العملاق توازنه تمامًا ، وسقط عن جواده ، وهو يطلق صيحة هادرة ..

وبسرعة مدهشة ، دفع (نور) جسده إلى الأمام ، والتقط عنان الجواد ، وجذبه فى قوة ، محاولاً السيطرة على الحيوان القوى ، الذى شعر بسقوط فارسه ، فأطلق صهيلاً غاضبًا ، ورفع قائمتيه الأماميتين ، ليضرب بهما الهواء فى ثورة ، محاولاً إلقاء (نور) عن ظهره ..

أما (أكرم) ، فقد وثب من مكانه فى سرعة ، قبل أن تهوى الهراوة الثقيلة على رأسه ، وسمع من خلفه صوتها يرتطم بالصخور ، وصوت صخرة تتحطم ، فغمغم فى عصبية ، وهو ينتزع الحبال عن عنقه :

ـ رائع .. من حسن الحظ أن رأسى لم يكن فى موضع هذه الصخرة المسكينة .

استدار العملاق إليه ، وهو يطلق صرخة غاضبة ، واندفع نحوه بجواده القوى ، و ..

وفجأة ، انقضّ (نور) بجواده على الجواد الآخر ، وهو يهتف :

ـ هيا يا (أكرم) .

وبسرعة مدهشة ، تحرك (أكرم) ..

كان التوافق بينه وبين (نور) مدهشًا بحق ، حتى ليخيَّل إليك أنهما قد تدربا طويلاً على هذا الأداء من قبل ، فلم يكد (نور) يطلق هتافه ، حتى وثب (أكرم) ، متعلقًا بعنق الجواد ، ثم دفع قدمه إلى أعلى ، ليركل بها العملاق فى وجهه ، فى نفس اللحظة التى انقضَّ عليه (نور) فيها ، مطلقًا صيحة هادرة ..

وقبل أن يستعيد العملاق جأشه ، ويسيطر على أعصابه ، أمام هذا الهجوم المزدوج ، هوى (أكرم) على فكه بمقبض مسدسه ، فدارت عيناه فى محجريهما ، وهوى من فوق جواده إلى الأرض فاقد الوعى ..

وفى مهارة ، اعتلى (أكرم) متن الجواد ، الذى راح يقفز معترضًا بدوره ، فهتف (نور) :

ـ تماسك يا (أكرم) .. تماسك يا صديقى .. ذلك الجواد سيقاوم قليلاً ، ثم يستسلم لك ، كما فعل جوادى .

اشترك الاثنان فى محاولة السيطرة على الجواد الثانى ، دون أن ينتبها إلى أن العملاق الأوَّل قد استعاد توازنه ، ونهض غاضبًا ، واستلَّ من حزامه خنجرًا مشرشرًا ضخمًا ، انقضَّ به على ظهر (نور) ..

وشهقت (نادية) فى ذعر ، عندما شاهدت ذلك العملاق ينقضَّ على (نور) من الخلف ، وأرادت أن

تصرخ محذِّرة هذا الأخير ، إلا أن شيئًا ما فى أعماقها سجن صرختها فى حلقها ، وراح يؤنبها فى غضب غير مسموع .

ماذا دهاك يا (نادية) ؟! ..

كيف تختبئين هكذا ، ورفيقاك يقاتلان فى استماته ؟!

هل نسيت من أنت ؟! ..

هل فقدت كل ما تدرَّبت عليه طويلاً ؟! ..

أنت لست فتاة عادية ..

أنت مقاتلة من طراز خاص ..

مقاتلة فضائية ، مؤهلة لخوض أعنف المعارك ، فى كواكب بعيدة وعوالم أخرى مجهولة ..

فماذا أصابك ؟!

هل حطمتك كارثة القمر ؟! ..

هل دمَّرتك نهاية رفيقك ؟! ..

أنسيت من أنت ؟! ..

ماذا أصابك ؟!

أين أنت ؟! ..

أين (نادية) ، المقاتلة الفضائية الفذَّة ؟!

« هنا .. » .

هتفت بالكلمة فى حزم وصرامة وهى تنتزع نفسها

من مكمنها ، وتندفع بكل قوتها نحو العملاق ، الذى يتقدّم من خلف (نور) ..

وبقفزة ماهرة مدهشة ، تعلّقت بعنقه من الخلف ، ودفعته أمامها ، فاختلّ توازنه من أثر المفاجأة ، وسقط معها أرضًا على وجهه ..

وقبل أن يستعيد توازنه ، قفزت هى واقفة ، ودارت حول نفسها فى مهارة ، هاتفة .

ـ لقد عدت إليك أيها الوغد .

ومع دورتها ، ارتفع جسدها عن الأرض لما يقرب من المتر ونصف المتر ، وركلت العملاق فى فكه وأنفه ، ركلتين سريعتين قويتين ..

والتفت (نور) و(أكرم) إليها فى دهشة ، مع تلك الصرخة الغاضبة الثائرة ، التى أطلقها العملاق ، ورأياها تتراجع بسرعة كبيرة ، ثم تثب إلى الأمام ، ويدور جسدها حول نفسه دورة رأسية ، تجاوزت بها جسد العملاق ، الذى أصابته دهشة بالغة ، ورفع عينيه إليها ، فأصابتهما ضربة كالقنبلة من قبضتها ، قبل أن تواصل دورتها ، وتهبط على قدميها خلفه ، ثم تنحرف جانبًا ، تاركة جسده الضخم يسقط وسط الصخور فى عنف ، فاقدًا الوعى .

وفى دهشة ، هتف (أكرم) :

ـ عجبًا ! .. هل دبّ النشاط فى جسدك بغتة ؟!

نفضت كفيها ، وهى تجيب فى حزم ، لم يعتده منها قط :

ـ بل قل : إننى استعدت ما فقدته .

ارتسمت على شفتى (نور) ابتسامة ، وهو يقول :

ـ هذا أمر طبيعى .. لقد كنت أتساءل منذ البداية ، كيف يمكن أن تخضعى لبرنامج إعداد المقاتلين الفضائيين ، دون أن تكتسبى مهارات قتالية متفوّقة ..

تنهّدت ، مغمغمة :

ـ فى النهاية ، لا يصحّ إلا الصحيح أيها القائد .

قال (أكرم) ، وهو يهبط عن متن جواده :

ـ صدقت .

ثم انحنى يفحص أحد العملاقين الفاقدى الوعى ، قائلاً :

ـ هؤلاء الأوغاد عمالقة بحق يا (نور) ، كما أنبأنا ذلك الهيكل العظمى ، ولكنهم مقاتلون بدائيون ، يذكروننى بما قرأناه عن (أوروبا) (*) القرون الوسطى ، قبل النهضة الصناعية والعلمية .

(*) أوروبا : قارة ، تبلغ مساحتها مع جزرها حوالى (١٠,٢٦٠,٠٠٠ كم٢) ، كما يبلغ تعداد سكانها ما يزيد عن سبعمائة مليون نسمة ، يفصلها عن (آسيا) جبال (أورال) ، وبحر (قزوين) ، والقوقاز ، والبحر الأسود ، وعن (أفريقيا) البحر المتوسط ، ويحدها شمالاً المحيط المتجمّد الشمالى ، وغربًا المحيط الأطلنطى ، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام تضاريسيًا .

تلاقى حاجبا (نور) ، وهو يقول :

ـ هذا صحيح ، ولكن وجودهم لا يتفق قط مع آثار الحضارة فى هذه الأطلال القديمة .

هزّ (أكرم) رأسه ، قائلاً :

ـ هناك تفسير حتمًا لكل هذا يا (نور) .

غمغم (نور) :

ـ بالتأكيد .

ثم أدار عينيه إلى سلسلة الجبال البعيدة ، وإلى الشمس التى أشرقت من خلفها ، مستطردًا :

ـ وهذا التفسير ينتظرنا هناك .. عند تلك الجبال .

أومأ (أكرم) برأسه متفهمًا ، ثم وثب يعتلى متن جواده ، فى حين مدّ (نور) يده إلى (نادية) ، فأمسكت بها ، وقفزت بدورها إلى ظهر الجواد ، خلف (نور) ، الذى جذب عنان جواده ، ولكزه بكعبيه فى بطنه .

وانطلق الجوادان بحمليهما نحو سلسلة الجبال فى الأفق ، دون أن يتبادل الجميع كلمة إضافية واحدة ..

لقد تم تحديد الهدف فى تلك المرحلة ..

وبقى تحديد أمر واحد ..

المصير ..

مصيرهم ..

ومصير الأرض كلها ..

* * *

ارتجف جسد (خالد) ، من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، وهو يحدّق فى وجه ذلك القادم الجديد ، الذى بدا أشبه بشخصية وهمية ، من شخصيات أفلام الرعب القديمة ، بأنيابه البارزة ، ووجهه المائل إلى الزرقة ، وذلك الشعر الملتهب على قمة رأسه ، وعينيه الدمويتين الرهيبتين ..

ولأول مرة ـ منذ استعاد وعيه ـ شعر بآلام مبرحة فى يده المحطمة ، كما لو أنها هى أيضًا تعلن خوفها ورهبتها ..

أما (واتسن) ، فقد اتسعت عيناه ، وهبّ واقفًا على قدميه ، والتصق بالجدار الرطب ، وهو يتطلع إلى الزائر المخيف ، الذى تقدّم داخل الزنزانة ، وأدار عينيه الرهيبتين بينهما فى صرامة ، ومن خلفه برز مقاتلان قويان ، يمسك كل منهما رمحًا قويًا ، ويصوّبه إلى أحد الرجلين ، وهتف أحدهما بكلمات عجيبة ، لم يفهم (خالد) أو (واتسن) حرفًا واحدًا منها ..

ثم ظهر ذلك الشيخ ..

ومرة أخرى ، تفجرت الدهشة فى أعماق الرجلين ..

هذا لأن الشيخ ، الذى يشترك مع العملاق فى لون بشرته المائل إلى الزرقة ، وشعره الأحمر النارى ، كان يختلف عنه فى أمر جوهرى للغاية ..

الحجم ..

كان ضئيلاً ، حتى ليبدو أقل حجمًا منهما شخصيًا ، مما جعله يبدو ، بلحيته الحمراء الضخمة ، ونحوله الشديد ، أشبه بفأر صغير ، يقف إلى جوار قط كبير ضخم ..

ولفترة تقترب من دقيقة كاملة ، ران على الجميع صمت رهيب ، والقادم الجديد يرمق (خالد) و(واتسن) بنظرة صارمة مخيفة ، قبل أن يشير إلى الشيخ ، الذى تحدث فى هدوء ، موجهًا كلماته إلى (خالد) و(واتسن) ..

كان صوته عميقًا نقيًا واضحًا ، إلا أن الرجلين لم يفهما حرفًا واحدًا مما نطقه ..

لقد تحدث بلغة عجيبة ، غير مفهومة ، لم يسمع أحدهما مثل مخارجها من قبل قط ، على الرغم من ثقافتهما الواسعة ، وكل ما تلقياه من علوم ولغات ، بالوسائل التكنولوجية للتلقين الحديث ..

ومع الحيرة التى انحفرت على وجهيهما ، وأطلت من عيونهما ، صمت الشيخ لحظة ، ثم عاد يتحدث بلغة جديدة ..

ومرة أخرى ، شفت ملامحهما على حيرتهما ..

ومرة أخرى ، انتقل الشيخ إلى لغة جديدة ..

أطلت الصرامة من عينى صاحب الأنياب البارزة ، مع نفاد صبر واضح ، فى حين واصل الشيخ الانتقال من لغة إلى لغة ، وكأنما يسعى لإيجاد لغة تصلح لتبادل الحديث ، مع (خالد) و(واتسن) ، فغمغم الأخير متوترًا :

ـ هل تفهم شيئًا ؟!

أجابه (خالد) فى توتر أشد :

ـ ولا حرفًا واحدًا .

نقل صاحب الأنياب البارزة عينيه بينهما فى غضب ، فلوّح (واتسن) بيده ، قائلاً فى عصبية :

ـ لسنا نفهم شيئًا .

زمجر صاحب الأنياب البارزة فى وحشية ، واندفع حارساه يلكزان (خالد) و(واتسن) بطرفى رمحيهما ، وكأنهما يوجهان إليهما تهديدًا عمليًا ، فتراجعا هاتفين :

ـ نحن لا نفهم شيئًا بالفعل .

التفت الشيخ الضئيل إلى العملاق ذى الأنياب ، وتحدث إليه بلغة خشنة ، فانعقد حاجبا العملاق ، وأشار إلى حارسيه ، فتراجعا فى صرامة ، والتفت الشيخ إلى (خالد) و(واتسن) وتحدث بلغة جديدة ..

وفى هذه المرة ، ارتفع حاجبا (واتسن) فى دهشة ، وهتف :

ـ رباه !.. إنها اللغة الصينية ؟!

قال (خالد) فى دهشة أكبر :

ـ الصينية ؟! .. وهل تعرف الصينية ؟!

أجابه (واتسن) فى لهفة :

ـ القليل منها فحسب .

لاحظ الشيخ تلك الانفعالات ، وبدا من الواضح أنه فهم فحوى حديثهما ، فقد توجه نحو (واتسن) ، وقال شيئًا ما بالصينية ، فارتبك (واتسن) ، وغمغم بعبارة صينية ركيكة ، قائلاً :

ـ أفهم القليل من هذه اللغة .. القليل جدًا .

مطّ الشيخ شفتيه ، وهزّ رأسه متفهمًا ، ثم انتقل إلى لغة جديدة ، وهو يتطلّع إلى عينى (واتسن) مباشرة ، فغمغم هذا الأخير فى حيرة :

ـ كلا .. لست أفهم هذه اللغة .

وهتف (خالد) فى دهشة بالغة :

ـ كيف أمكنهم معرفة اللغة الصينية على هذا الكوكب؟!

أجابه (واتسن) ، دون أن يرفع عينيه عن عينى الشيخ الدمويتين :

ـ هذا ليس الأمر الوحيد المثير للدهشة هنا يا رجل .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى قال الشيخ بالصينية ، وبلغة بسيطة للغاية :

ـ حاول التفاهم بهذه اللغة .. لا يوجد سواها .

أومأ (واتسن) برأسه إيجابًا ، وقال بحصيلته القليلة من الصينية :

ـ سأحاول .

التفت الشيخ إلى العملاق ، وقال شيئًا بلغتهما ، على نحو يوحى بأنه يترجم ما قاله (واتسن) ، فزمجر العملاق ، وأشار بيده فى صرامة ، وهو يتحدّث فى خشونة ، واستمع إليه الشيخ فى انتباه ، ثم التفت إلى (واتسن) قائلاً :

ـ من أين جئتم ؟

أشار (واتسن) بيده إلى أعلى ، قائلاً :

ـ الفجوة .. الفضاء .

فهم الشيخ ما يعنيه ، فأومأ برأسه معلنًا هذا ، ثم ترجم القول للعملاق ، الذى انعقد حاجباه فى غضب ، وتحدّث فى حدة ، وترجم الشيخ حديثه ، قائلاً :



زمجر العملاق ذو الأنياب فى غضب صارم ، وانعقد حاجبا الشيخ فى تساؤل ..

- أأنتم المسئولون عن الكارثة التى أصابت كوكبنا ، منذ مائة وتسعة وأربعين يومًا ؟!

ارتفع حاجبا (واتسن) فى دهشة ، وهو يهتف بلغته :

- مائة وتسعة وأربعون يومًا ؟!.. كيف ؟!.. الفجوة لم تتكوّن إلا منذ أقلّ من أسبوع واحد ، و ...

ثم بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه فى شدة ، وقبض بأصابعه على معصم (خالد) فى قوة ، وهو يهتف :

- رباه !.. الآن فهمت .. الآن عرفت تفسير ذلك التناقض .

والتفت إلى (خالد) ، مستطردًا فى انفعال :

- الآن عرفت لماذا لم يسقط القمر فى الفجوة السوداء بعد يا رجل ؟

زمجر العملاق ذو الأنياب فى غضب صارم ، وانعقد حاجبا الشيخ فى تساؤل ، فى حين ارتفع حاجبا (خالد) فى دهشة بالغة ..

ولكن (واتسن) لم يشعر بكل هذا ..

لقد توصل إلى تفسير واحد من ألغاز هذا العالم المخيف ..

وكان التفسير مدهشًا ..

مدهشًا بحق .

* * *

٦ - الدقائق ..

ارتفع حاجبا (نشوى) فى دهشة عارمة ، وهى تحدق فى الوجهين الشاحبين ، لأمها (سلوى) وصديقتها (مشيرة) ، قبل أن تفسح لهما طريق الدخول إلى منزلها ، قائلة :

- مرحبًا يا أمى .. مرحبًا يا (مشيرة) .. ماذا بكما .. تبدوان شاحبتين للغاية .

ثم حمل صوتها قدرًا هائلاً من التوتر ، والقلق ، وهى تسأل :

- أهو أمر يتعلق بأبى و(أكرم) ؟

ألقت (سلوى) جسدها على أقرب مقعد إليها ، وهى تقول بصوت أقرب إلى البكاء :

- هذا جلّ ما أخشاه يا بنتى .. هذا جلّ ما أخشاه .

برز (رمزى) من حجرة مكتبه فى هذه اللحظة ، وهو يسأل فى قلق :

- ماذا حدث ؟!

انفرجت شفتا (سلوى) ، فى محاولة للتحدث ، إلا

أن تلك الغصة فى حلقها منعتها من الكلام ، فاكتفت بإشارة من يدها ، جعلت (مشيرة) تندفع قائلة :

- أنتما تعلمان أن (نور) و (أكرم) خرجا على رأس حملة خاصة إلى القمر ، بعد حدوث تلك الظاهرة ، التى أضاءت السماء ليومين كاملين .

غمغم (رمزى) :

- هذا صحيح .

ازدردت لعابها فى صعوبة ، مكملة :

- وأنا واثقة ، مثلما أنتم واثقون ، أن الحملة لم تكن مجرد حملة تفتيش عادية ، كما حاول (نور) و (أكرم) إقناعنا ، وأنه قد حدث أمر ما فى قاعدة القمر ، استوجب إرسال رجلين مثلهما إلى هناك ، ونظرًا لطبيعتهما ، أكاد أجزم بأن لما حدث علاقة بالظاهرة العجيبة ، وأنه هناك خطورة ما تكمن خلف هذا ، وإلا فلماذا (نور) و (أكرم) بالذات ؟!

تبادلت (نشوى) نظرة شديدة القلق مع (رمزى) ، فقال هذا الأخير فى حذر :

- هذا أمر طبيعى وهو من صميم عمل (نور) و(أكرم) .

تنهدت (سلوى) فى مرارة ، قائلة :

- ولكنهما يتعرضان لخطر داهم .

شهقت (نشوى) ، هاتفة :

- يا إلهى !.. أبى !!

ثم ارتجف جسدها فى قوة ، وهى تستطرد :

- الحلم يا (رمزى) .. الحلم .

أسرع زوجها إليها ، واحتواها بين ذراعيه ، وربت عليها فى حنان ، قائلاً :

- اهدئى يا عزيزتى .. إنه مجرد حلم .

تبادلت (سلوى) و (مشيرة) نظرة ذعر صامتة ، قبل أن تسأل الأخيرة فى توتر ملحوظ :

- أى حلم هذا يا (نشوى) ؟!

تركت (نشوى) دموعها تسيل على وجنتيها ، وهى تقول :

- حلم أيقظنى من نومى مذعورة .. حلم رأيت فيه أبى و(أكرم) يسقطان فى فجوة عميقة مظلمة ، وعندما صرخت محاولة الاستنجاد بأى شخص لإنقاذهما ، ظهر (محمود) فجأة .

امتقع وجه (سلوى) ، وانكمشت فى مقعدها ، متمتمة :

- يا إلهى !.. يا إلهى !

أما (مشيرة) ، فقالت بصوت مرتجف :

- وطلب منك ألا تقلقى ، ثم وعدك بأنه لن يتخلى عنهما قط ، وغاص خلفهما فى الفجوة ، فرحت تصرخين وتصرخين ، حتى استيقظت من نومك .

أليس كذلك ؟!

انعقد حاجبا (رمزى) فى شدة ، فى حين حدقت (نشوى) فى وجه (مشيرة) فى ذهول ، مغمغمة :

- كيف عرفت هذا ؟!

زفرت (سلوى) ، وهى تقول فى مرارة :

- يبدو أننا عشنا جميعًا الحلم نفسه هذه الليلة .

اتسعت عينا (نشوى) ، وهى تتطلع إلى (رمزى) فى ارتياع ، فازداد انعقاد حاجبى هذا الأخير ، وهو يقول :

- يبدو أننا مضطرون للاعتراف بالأمر هذه المرة يا رفاق .

وتنهّد بدوره فى عمق ، قبل أن يتابع :

- إنه (محمود) بالفعل .

هتفت (مشيرة) :

- إذن فأنت تؤمن بأنه لم يمت بالفعل .

أشار بيده ، قائلاً فى حزم :

- لا يمكننى الجزم بشىء

ثم شرد ببصره ، مستطردًا فى عمق :

ـ ولكنه يسعى لتحذيرنا من أمر ما بكل تأكيد .

ارتجفت سبّابة (سلوى) ، وهى تشير إلى أعلى ، قائلة :

ـ أمر يتعلّق بـ (نور) و (أكرم) .

أومأ (رمزى) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ هذا صحيح .. ينبغى أن نبذل بعض الجهد ، للحصول على المعلومات بشأنهما .

هزت (مشيرة) رأسها نفيًا ، قائلة :

ـ لا تحاول .. أنت تعلم حجم شبكة المعلومات ، التى أعتمد عليها فى عملى ، للحصول على ما ننشره من أخبار فى (أنباء الفيديو) ، وعلى الرغم من هذا ، فقد عجزت عن الحصول على أية معلومات فى هذا الشأن .. من الواضح أنه يندرج بالفعل تحت بند السرية القصوى ، حتى إن أحدًا لم يسمع حرفًا واحدًا عنه .

تطلّع (رمزى) إلى (نشوى) ، قائلاً :

ـ وماذا لو حاولنا التسلّل إلى شبكة الكمبيوتر الخاصة ؟!

مطّت (نشوى) شفتيها ، وقالت :

ـ هذا مستحيل تمامًا .. إنك تتحدث عن كمبيوتر

إدارة المخابرات العلمية ، ونظام الأمن فيه محكم للغاية ، حتى إننى ، وعلى الرغم من كونى خبيرة كمبيوتر متميّزة ، لاأستطيع تجاوز تلك الحواجز الأمنية ، دون معرفة المفاتيح السرية للدخول ، وإلا فستنطلق صفارات إنذار خاصة ، فى أجهزة الكمبيوتر ، فى كل الأجهزة الأمنية المصرية ، ويتمّ إلقاء القبض علىّ خلال دقائق معدودة ، وكلكم تعلمون أن عقوبة محاولة الاختراق هذه هى الإعدام ، باعتبارها خيانة عظمى .

قالت (سلوى) فى توتر :

ـ ولكننا لا نستطيع الوقوف ساكنين ، و (نور) و (أكرم) يواجهان خطرًا داهمًا فى الفضاء .

ران على المكان صمت ثقيل ، بعد أن نطقت عبارتها ، وتبادل الجميع نظرات متوترة ، قبل أن تهتف (نشوى) بغتة :

ـ وماذا عن مراكز الرصد الفضائى ؟!

تطلّع إليها (رمزى) بنظرة متسائلة ، فاستطردت فى حماس :

ـ لو أن شيئًا ما قد أصاب قاعدة القمر ، لكان من الطبيعى أن ينشغل المرصد الفضائى الجديد على الأقل فى عملية رصد الموقف ؛ لمتابعة أية تغيرات أو أحداث

هناك ، وكما تعلمون ، فكل ما يتمّ رصده يُسجّل أولاً بأوّل فى ذاكرة الكمبيوتر ، ولو أننا استطعنا اختراق هذه الذاكرة ، فسنعلم الكثير حول حقيقةِ الموقف .

كادت (نشوى) تقفز من مكانها ، وهى تهتف فى حماس :

ـ بالتأكيد .

ثم اندفعت نحو جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، وراحت أصابعها تضرب أزراره في سرعة وحماس ، فى نفس اللحظة التى ارتفع فيها بكاء طفل ، فهتفت فى قلق :

ـ (محمود) الصغير يبكى .

هبّت (سلوى) من مقعدها ، هاتفة :

ـ واصلى عملك .. سأهتم أنا به .

ازدردت (مشيرة) لعابها فى توتر ، وهى تتابع (سلوى) ، التى اختفت داخل حجرة الصغير بضع لحظات ، ثم عادت تحمله ، وترضعه من زجاجة صغيرة ، ذات نهاية مطاطية ، فابتسمت (نشوى) لصغيرها ، وواصلت عملها على الكمبيوتر ، فى حين خفضت (مشيرة) عينيها ، وتذكرت حملاً قديمًا لم يكتمل ، ثم لم تلبث أن نفضت الفكرة عن رأسها ، وعادت تتابع عمل (نشوى) ، قبل أن تقول هذه الأخيرة فى حماس :

ـ ها هو ذا .. لقد أصبحنا داخل كمبيوتر المرصد الجديد .

اندفع الجميع فى لهفة إلى شاشة الكمبيوتر ، التى راحت المعلومات المختلفة من المرصد الجديد تتراص عليها فى سرعة ، حاملة كل ما تم رصده ، حول القاهرة ، والفجوة السوداء ، وقاعدة القمر ، والمكوك (القاهرة ٢٠٠٠) ، و ...

واتسعت العيون فى هلع وارتياع ..

وخفقت القلوب فى قوة وذعر ..

ولدقيقتين كاملتين ، لم ينبس أحدهم ببنت شفة ، والمعلومات تتواصل ، وتتواصل .. وتتواصل ..

ثم هتفت (سلوى) فى رعب :

ـ رباه !.. (نور) و (أكرم) والجميع سقطوا داخل فجوة سوداء ..

أما (مشيرة) ، فاتسعت عيناها فى ذعر ، وتراجعت ، قائلة :

ـ هل .. هل لقى الجميع مصرعهم ؟!

وشهقت (نشوى) ، مرددة :

ـ أبى .. يا إلهى !.. أبى .

قال (رمزى) فى توتر :

- مهلاً .. لا أحد يدرى ماذا يوجد خلف الفجوات السوداء .

قالت (سلوى) منهارة :

- العالم المضاد .. ألا تذكر هذا (*).. الفجوة السوداء ستدفعهم إلى عالم مضاد ، تنفجر أجسادهم فور ملامسته .

أجابها فى حزم :

- ليس بالضرورة .. النظريات الخاصة بالفجوات السوداء تقول : إنها ربما تقود إلى عوالم أخرى ، وليس بالضرورة أن تكون عوالم مضادة ..

لقد نقلتنا ذات مرة إلى مسافات بعيدة فى الكون(**) .. كوننا ..

انفجرت باكية ، وهى تقول :

- ولكن لا سبيل للعودة منها .. كل النظريات أجمعت على هذا .. قوة الطرد عند فتحتها الأخرى تمنع أى جسم من الاقتراب منها ، أو عبورها فى الاتجاه العكسى .

(*) راجع قصة (نداء النجوم) .. المغامرة رقم (١٤) .

(**) راجع قصة (لهيب الكواكب) .. المغامرة رقم (٩٧) .

وبكت (مشيرة) بدورها ، هاتفة :

- لقد انتهى أمرهما .. انتهى أمر (نور) و(أكرم) .

صاح (رمزى) فى صرامة :

- لا داعى لأن نسبق الأحداث .. لسنا ندرى شيئًا عن مصيرهما بعد ..

هتفت (نشوى) :

- ولا أحد يدرى أيضًا .. المكوك ابتلعته الفجوة السوداء ، وبات مصيره محتومًا .

قال فى صرامة :

- مازلت أصرّ على عدم القفز إلى استنتاجات مبهمة ، دون مزيد من المعلومات ، حول ما يحدث خلف تلك الفجوة السوداء .

هتفت (مشيرة) من وسط دموعها :

- أى قول هذا يا (رمزى) ؟!.. لا أحد يعلم بالطبع ما الذى يحدث خلف تلك الفجوات السوداء .. ما من عالِم فى الأرض كلها ، يمكنه أن يمنحك أية معلومات مؤكدة ، عما يحدث خلف الفجوة السوداء .

وبكت (سلوى) فى مرارة ، وهى تضيف :

- ثم إن مصير (نور) و (أكرم) لن يختلف كثيرًا عن مصيرنا ، ومصير كوكب الأرض كله ، طبقًا لهذه

المعلومات ، فبعد ما يقرب من ست ساعات ، ستلتهم تلك الفجوة اللعينة أرضنا ، وتقضى علينا جميعًا .. إنها نهايتنا جميعًا .

قال (رمزى) فى إصرار :

ـ لا يمكنك الجزم .. المعلومات أولاً ..

حدّق الجميع فيه بدهشة ، وهتفت (نشوى) :

ـ ماذا دهاك يا (رمزى) ؟.. كيف يمكننا الحصول على معلومات كهذه ، فى مثل ظروفنا :

انعقد حاجباه فى حزم ، وهو يقول :

ـ ما دمنا قد اقتنعنا جميعًا بأن (رمزى) يمكنه الاتصال بنا بوسيلة ما ، فهذا يعنى أن لدينا سبيلاً مؤكّدا ، للحصول عن أية معلومات ، مهما بلغت صعوبة التوصلّ إليها .

تبادلت النساء الثلاث نظرة دهشة وحيرة ، قبل أن تسأل (سلوى) :

ـ وما هذا السبيل يا (رمزى) ؟

التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يجيب فى حزم :

ـ أن ننام .. وبعمق .

وكانت إجابته مدهشة ..

ومنطقية ..

للغاية ..

* * *

لهث (أكرم) فى شدة ، وجذب عنان جواده ؛ ليوقفه وسط تلك الصحراء الصخرية القاحلة ، ورفع يده ليمسح العرق الغزير عن جبهته ، قائلا :

ـ (نور) .. لم يعد بإمكانى أن أواصل .. الطقس حار للغاية ، وحجم تلك الشمس يوحى بأنها أكبر من شمسنا مرتين على الأقل ، وحرارتها تكاد تشوينا ، وسط تلك الصحراء اللعينة .. أضف إلى هذا أننا مجهدون بشدة .

غمغمت (نادية) ، وهى تفتح عينيها فى صعوبة :

ـ هذا صحيح .

ألقى (نور) نظرة على الجبال ، التى تبدو من بعيد ، ومسح عرقه الغزير بدوره ، قبل أن يقول :

ـ فليكن .. القافلة تسير بقدر احتمال أضعفها .. أنا أيضًا مازلت أشعر بالإجهاد .. سنستريح قليلا ، ثم نواصل سيرنا .

وأدار عينيه فيما حوله ، ثم أشار إلى صخرة كبيرة بارزة ، تلقى ظلاً طويلاً على الأرض ، واستطرد :

ـ أعتقد أن هذا أفضل مكان للراحة .

اتجه الثلاثة بالجوادين إلى الظلّ الكبير ، وهبط (أكرم) عن متن جواده ، وألقى جسده المجهد إلى جوار الصخرة ، وهو يقول :

ـ يا له من طقس ملتهب !.. إننى أتساءل كيف يرتدى هؤلاء العمالقة الملاعين تلك الدروع الثقيلة ، فى طقس كهذا .. أراهن أن حرارة تلك الشمس تبلغ ستين درجة مئوية على الأقل .

عاون (نور) (نادية) على الهبوط ، ونزل عن جواده بدوره ، والتقى حاجباه على نحو يوحى بالتفكير العميق ، وهو يتطلّع إلى ما حوله ، قبل أن يقول :

ـ ربما كانت لديهم القدرة على احتمال هذا الطقس ، أو أن أجسادهم لا تمتصّ الحرارة ، بنفس السرعة التى تمتصها بها أجسادنا .

هزّ (أكرم) كتفيه ، وأسبل جفنيه ، قائلاً :

ـ ربما .

ران عليهم الصمت بضع لحظات ، واستلقت (نادية) تحت الظلّ ، وأغلقت عينيها ، ثم لم تلبث أن راحت فى نوم عميق ، فتمتم (نور) :

ـ من الواضح أن (نادية) مجهدة للغاية .. لقد

غرقت فى النوم بسرعة .

تمتم (أكرم) فى خمول :

ـ إننى أحسدها فى الواقع .

سأله (نور) :

ـ ولمَ لا تخلد للنوم مثلها ؟

صمت (أكرم) بضع لحظات ، قبل أن يجيب :

ـ لست أدرى .

ولوهلة ، بدا وكأنه سيكتفى بهذا الجواب المقتضب ، إلا أنه لم يلبث أن استطرد فى خفوت :

ـ الاستغراق فى النوم يحتاج إلى الشعور بالأمان ، وأنا أفتقر إلى هذا الشعور ، منذ حملنا المكوك الفضائى إلى القمر .

قال (نور) ، وهو يسترخى بدوره :

ـ ولكننا نشعر بإجهاد حقيقى هنا ، وكأننا بذلنا جهدًا خرافيًا ، ومن الطبيعى أن نستسلم للنوم ، ولو لبضع دقائق .

هزّ (أكرم) كتفيه ثانية ، وقال :

ـ هذا صحيح ، ولكن حتى شعورنا بالإجهاد هذا يقلقنى ، خاصة وأننى لا أجد له سببًا منطقيًا .

وافقه (نور) بإيماءة من رأسه ، وقال :

– ما يحيرنى أكثر ، بشأن هذا الشعور بالإجهاد ، هو أنه ، وعلى عكس المنطقى ، ينخفض مع مرور الوقت ، على الرغم مما نبذله من جهده وتعب ونشاط .

انعقد حاجبا (أكرم) بشدة ، وفتح عينيه ، وكأنما ينتبه إلى هذه الحقيقة لأول مرة ، ثم اعتدل جالسًا ، وهو يقول فى انفعال :

– هذا صحيح يا (نور) .. يا إلهى !.. هذا صحيح بالفعل .. عندما هبطنا هنا ، كنت أجد صعوبة شديدة ، وأبذل جهدًا حقيقيًا لأقف على قدمىَّ متماسكا ، أما الآن ، فها نحن أولاء نقطع صحراء جرداء على متن جياد قوية ، وتحت شمس حارقة ، دون أن نسقط فاقدى الوعى ، وهذا دليل على أن الإجهاد يقل بالفعل .

ثم التفت إلى (نور) ، متسائلاً :

– كيف هذا فى رأيك ؟!

تلفت (نور) حوله ثانية فى صمت ، قبل أن يقول :

– أعتقد أنه أمر يتعلق بالكوكب نفسه ، أو بهذا العالم الثائر ، خلف الفجوة السوداء .

سأله (أكرم) فى اهتمام :

– ماذا تعنى ؟!

هزَّ (نور) كتفيه ، قائلا :

– هذا هو التفسير الوحيد ، الذى يتفق مع منطق وواقع الأمر ..

هناك شىء ما فى هذا العالم ، يختلف عما اعتدناه فى عالمنا ، وهذا الشىء أصابنا بإجهاد شديد ، عندما وصلنا إلى هنا ، إلا أن أجسادنا راحت تتكيَّف مع هذا الشىء الجديد رويدًا رويدًا ، ومع تكيُّفها ، قلَّ شعورنا بالإجهاد تدريجيًا ، وعندما يصبح التكيُّف تامًا ، سينتهى هذا الشعور إلى الأبد .

صمت (أكرم) لحظات ، وقد انعقد حاجباه فى شدة ، وتعلَّقت عيناه بوجه (نور) ، ثم لم يلبث أن تراجع ، مغمغمًا :

– لا يمكننى استيعاب الأمر تمامًا ، ولكننى أثق بك .

قالها ، وأسبل جفنيه ثانية ، ولاذ بالصمت التام ، وكأنه فى سبيله إلى النوم ..

أما (نور) ، فقد ظلَّ صامتًا ، مفتوح العينين ، وعقله يراجع ذلك المنطق ، ويلقى على خلايا مخه الرمادية سؤالاً ملحًا بلا انقطاع ..

تُرى ما ذلك العامل ، الذى لم تتكيَّف معه أجسادهم بعد ؟!..

ما هو ؟!..

* * *

« الزمن .. » .

هتفت (واتسن) بالكلمة فى انفعال شديد ، جعل (خالد) يحدق فى وجهه بدهشة ، مكررًا فى حيرة متوترة :

- الزمن ؟!

وزمجر العملاق ذو الأنياب ثانية ، وقال الشيخ فى هدوء عميق باللغة الصينية :

- تحدث باللغة التى نفهمها يا رجل .

ولكن (واتسن) تجاهله تمامًا ، وهو يقول لرفيقه فى حماس :

- هذا هو تفسير عدم تحقق نتائج معادلاتى يا رجل .. بل وتفسير ذلك الشعور بالإجهاد ، الذى انتابنا ، منذ وصلنا إلى هذا العالم .. هل سمعت ما قاله ذلك الشيخ .. آه .. معذرة .. نسيت أنك تجهل الصينية .. لقد سألنى عما إذا كنا المتسببين فى تلك الكارثة ، التى حدثت منذ مائة وتسعة وأربعين يومًا .

سأله (خالد) فى حذر :

- وما الذى يعنيه هذا ؟!

هتف (واتسن) :

- الكارثة حدثت منذ ستة أيام وخمس ساعات فى عالمنا يا رجل .. أى منذ مائة وتسع وأربعين ساعة فحسب ، وبحسبة بسيطة ، ستجد أن الزمن فى هذا العالم ، يختلف تمامًا عنه فى عالمنا .. هنا يسير ببطء أكثر .. أكثر بكثير .

تفجر غضب العملاق فى هذه اللحظة ، ولم يرق له حديثهما بلغة يجهلها الشيخ ، فزمجر بوحشية ، ولوح بقبضته فى ثورة ، فانقض حارساه على الرجلين ، ولكم أحدهما (خالد) فى فكه ، فأسقطه أرضًا ، وهو يتأوه فى ألم ، مع إصابة يده ، فى حين لكز الحارس الثانى (واتسن) بطرف رمحه الحاد فى صدره ، فصرخ هذا الأخير فى ألم :

- آه .. حذار أيها الوغد .. إنك تؤلم ضلعى المكسور .

قال الشيخ بالصينية ، فى لهجة صارمة :

- تحدثا بلغة التفاهم .

لوح (واتسن) بسبابته فى وجهه ، وقال :

- أخبر ذلك العملاق أن كل يوم يمضى فى عالمكم ، يساوى ساعة واحدة فى عالمنا .

انعقد حاجبا الشيخ ، ولم تبد عليه علامات الفهم ، وهو يغمغم :

ـ ماذا تعنى ؟!.. لست أفهم شيئاً .

زفر (واتسن) فى توتر ، قائلاً :

ـ وليست لدى حصيلة لغوية تكفى للشرح .

بدا الضيق على وجه الشيخ ، والتفت إلى العملاق ، وتحدث معه بضع لحظات ، سأل (خالد) (واتسن) خلالها فى اهتمام مشوب بالقلق :

ـ ما الذى أخبرته به ؟!

أجابه (واتسن) فى انفعال :

ـ لن يمكنهم الفهم .. كنت أحاول إخبارهم أن كل يوم فى كوكبهم يساوى ساعة واحدة فى كوكبنا .

حدّق (خالد) فى وجهه ، قائلاً فى دهشة بالغة :

ـ ماذا تعنى ؟!.. هل تقصد أن كل ما قضيناه هنا ، لا يساوى فى عالمنا أكثر من دقائق معدودة .

أجابه (واتسن) :

ـ بالضبط .. وهذا يعنى أنه ما زالت أمام قمرنا ثلاثة أيام إلا بضع ساعات ؛ ليسقط فى الفجوة ، ويضرب هذا الكوكب بمنتهى العنف .. وهذا بالنسبة لزمن

عالمهم فحسب ، أما بالنسبة لزمن عالمنا ، فليس أمامه سوى أقل من أربع ساعات .

انعقد حاجبا (خالد) لحظة ، قبل أن يهزّ رأسه ، مغمغماً فى توتر :

ـ هذا أمر معقّد عسير الفهم .

أشار (واتسن) إلى رأسه ، قائلاً :

ـ ليس بالنسبة للعلماء أمثالنا .

سأله (خالد) :

ـ ولكن هل يمكن أن يفيدنا فارق الوقت هذا ؟

مطّ (واتسن) شفتيه ، وهزّ كتفيه ، قائلاً :

ـ من يدرى ؟!.. ربّما .

لم يكد يتمّ عبارته حتى أشار العملاق المخيف إليهما ، وقال عبارة ما ، بلغته غير مفهومة ، فاندفع الحارسان نحوهما ، وهتف (خالد) فى انزعاج :

ـ لا .. ليس ثانية .

ولكن الحارسين لم يهاجماهما هذه المرة ، وإنما دفعاهما أمامهما إلى خارج الزنزانة الرطبة ، فى حين استدار العملاق ، وسار أمامهم باعتداد ، وخلفه الشيخ فى خضوع ..

ولخمس دقائق كاملة ، راحت تلك القافلة الصغيرة

تقطع عددًا من الممرات الجبلية المعقدة المغلقة ، التى توزعت فيها مشاعل بدائية ، تتراقص نيرانها فى بطء ، مع تيار الهواء الخافت ، الذى يجرى فى الممرات طوال الوقت ..

ثم فجأة ، وجد (خالد) و (واتسن) نفسيهما يعبران إلى قاعة ضخمة ، لها سقف صخرى مرتفع ، وتحيط بها تماثيل كبيرة ، لفرسان داخل دروع ثقيلة ، تشبه تلك التى كانت مستخدمة فى العصور الوسطى ، وفى نهايتها عرش ضخم مزدوج ، جلس فوقه عملاق هائل ، أزرق البشرة ، نارى الشعر ، له لحية كثة مهذّبة ، وتطلّ من عينيه الحمراوين نظرة صارمة رهيبة ، تكاد نظرة صاحب الأنياب تبدو إلى جوارها وديعة بريئة ، وإلى جواره جلست امرأة جميلة ، بكل المقاييس الأرضية ، باستثناء شعرها الغزير ، المنسدل على كتفيها ، كحمم بركانية ملتهبة ، وبشرتها المائلة إلى الزرقة ، وشفتيها الزرقاوين الداكنتين ..

وحول ذلك العرش المزدوج ، اصطف عدد من العمالقة ، داخل دروعهم الصلبة القوية ، وكأنهم طاقم الحراسة الخاص لصاحبى العرش ..

أما فى منتصف القاعة بالضبط ، فكانت هناك فتحة كبيرة مستديرة ، ينعكس عبرها ضوء خافت ، وتتصاعد منها أبخرة خفيفة ..

وأمام تلك الفتحة مباشرة ، كان يقف (أوتو) ..

الألمانى (فردريش أوتو) بشحمه ولحمه ، وقد ضمّد بعضهم جرح رأسه ، ونزع قميصه ، فبدا صدره العارى وهو يعلو ويهبط ، مع أنفاسه المضطربة المتلاحقة ..

وفى انفعال ، هتف (خالد) :

ـ رباه !.. إنه (أوتو) .

واتسعت عينا (واتسن) ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين هتف (أوتو) ، عندما لمحهما :

ـ (خالد) .. (واتسن) .. حمدًا لله أنكما على قيد الحياة .

وحاول أن يندفع نحوهما ، إلا أن الحارسين من حوله أمسكاه فى غلظة وقسوة ، فى حين تقدّم العملاق نحو صاحبى العرش ، وضرب صدره القوى بقبضته ، وهو يتحدّث إليهما بلغته ، فرفعت الأنثى عينيها ، وتطلّعت إلى (خالد) و (واتسن) لحظة ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة خفيفة ، قبل أن تتحدّث إلى العملاق ، وهى تشير إلى (أوتو) ، الذى هتف :

- أى قوم هؤلاء ؟!.. ما الذى سيفعلونه بنا ؟!

هتف به (واتسن) :

- تماسك يا رجل .. إنهم يحاولون استجوابنا ، وهذا يعنى أنهم لن يحاولوا قتلنا بسرعة على الأقل .

لكزه حارسه بطرف رمحه فى غلظة ، وصاح فى وجهه بكلمات غير مفهومة ، فلاذ بالصمت ، وراح يراقب الأنثى ، التى حملت شفتاها ابتسامة جذلة ، وهى تواصل حديثها مع العملاق ، الذى التفت إليهما بدوره ، ثم تطلع إلى (أوتو) ، وبعدها أشار إلى الحارسين ، فدفعا (خالد) و (واتسن) أمامهما إلى حيث يقف الألمانى ، وما إن وصلا إلى تلك الفجوة المستديرة ، حتى اتسعت عيونهما فى ارتياع ، وهما يحدقان فيها ، وهتف (خالد) :

- رباه !.. إنها تطلّ على حمم بركانية ملتهبة .

سرت موجة عنيفة من التوتر ، فى جسد (واتسن) ، إلا أنه لم ينبس ببنت شفة ، فى حين اتجه العملاق ذو الأنياب نحوهم ، وتحدث إلى الشيخ ، الذى ابتسم فى هدوء ، والتفت إلى (واتسن) ، قائلاً بالصينية :

- زميلكما ادعى أنه لا يملك أية معلومات بشأن الكارثة .. انظرا مصير من يرفض التعاون معنا .

اتسعت عينا (واتسن) فى ارتياع ، وقال فى عصبية :

- فيم تفكرون أيها الأوغاد ؟!.. فيم ؟!

وسأله (خالد) فى عصبية :

- ماذا قال يا (واتسن) ؟!.. ماذا قال ؟!

قبل أن يجيبه (واتسن) ، أشار العملاق ذو الأنياب إلى الحارسين ، اللذين يحيطان بـ (أوتو) ، فدفعا هذا الأخير نحو حفرة الحمم ، وهو يصرخ فى ذعر :

- لا .. لا .. اتركانى .

وراح يقاوم فى استماتة ، ولكن قوتهما كانت تفوق قوته عشر مرات على الأقل ، فصرخ (واتسن) :

- أيها الأوغاد .. أراهن أنه مجرد تهديد أجوف .. لا يمكن أن تكونوا بهذه القسوة والبشاعة .. مستحيل أن تفعلوا به هذا .. مستحيل !

ولكن العملاق أشار إلى الحارسين ثانية ، فدفعا (أوتو) بلا تردد ، وانطلقت صرخة رعب هائلة ، من حلق المسكين ، وهو يهوى من ارتفاع عشرين متراً ، فى قلب الفجوة ..

وقلب الحمم ..

* * *

٧ - الطغاة ..

انطلق (نور) على جواده الأصفر القوى ، فى قلب تلك الصحراء الصخرية القاحلة ، التى بدت وكأنها تمتد إلى مالا نهاية ، تحت الشمس المحرقة ، وامتدت عبرها شقوق كبيرة ، توحى بأنها لم تذق الماء منذ سنوات طوال ..

وجف حلق (نور) ، حتى كاد ينافس تلك الصحراء الجرداء ..

إنه يفتقر إلى الماء ..

يفتقر إليه بشدة ..

منذ هبط مع رفاقه فى ذلك العالم ، لم يذق أحدهم قطرة ماء واحدة ..

ودرجات الحرارة ترتفع ..

وترتفع ..

وترتفع ..

وكان عليه أن يتوقفا أخيرًا ..

إنه يلهث بشدة ، من فرط التعب والعطش ، وكذلك جواده ، الذى غمر العرق جسمه ، وراح يطلق صهيلاً

منهكًا ، ويضرب الأرض بحوافره ، معلنًا عدم قدرته على المضى قدمًا ، دون أن يبلل حلقه بالماء ..

ولكن أين يجد (نور) الماء ؟!..

أين ؟!..

وفجأة ، لاح له ذلك الفارس من بعيد ..

لم يكن ضخم الجسم كالآخرين ، ولكنه يقود جواده فى مهارة ، ويتجه نحو (نور) مباشرة ، دون أن يرتدى درعًا ، أو يحمل سلاحًا ..

ولسبب ما فى أعماقه ، لم يشعر (نور) بالخوف أو القلق ، وهو يراقب ذلك الفارس ..

بل ، وعلى العكس تمامًا ، لقد شعر بارتياح عجيب .

ارتياح عارم ، غمر جسده وكيانه كله ، وكأنه يثق فى أن ذلك الفارس صديق حميم ..

صديق أتى لإنقاذه ومعاونته فحسب ..

وفى بطء ، راح الفارس يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

ثم اتضحت ملامحه ..

وبلا دهشة أو انبهار ، وكأنه يتوقع هذا وينتظره ، اعتدل (نور) على جواده ، وقال فى ارتياح :

ـ (محمود) ..

اقترب منه (محمود) بجواده ، وهو يحمل على شفتيه ابتسامة كبيرة ، وعدّل منظاره الطبى فوق أنفه ، وهو يقول :

ـ نعم .. هو أنا يا (نور) .

قال (نور) فى هدوء :

ـ كنت أنتظرك ، منذ وصلنا إلى هنا .

تطلّع إليه (محمود) لحظة فى صمت ، ثم قال بلهجة مخلصة :

ـ لن أتخلّى عنك أبدا يا (نور) .

ثم هزّ رأسه ، قبل أن يضيف :

ـ الواقع أننى وجدت بعض الصعوبة ، فى الوصول إليك هنا .

سأله (نور) فى لهفة :

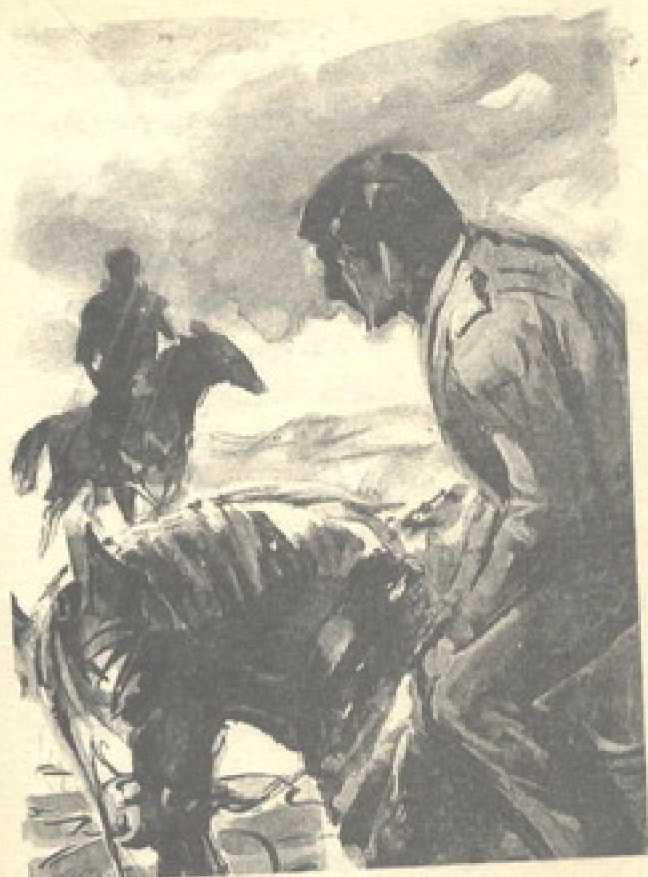
ـ ما هذا العالم يا (محمود) ؟!.. ما طبيعة الخطر ، الذى نواجهه فيه .

تنهّد (محمود) ، قائلاً :

ـ خطر رهيب يا (نور) .. رهيب للغاية .

ثم مدّ يده إليه ، وهو يقول فى هدوء وعمق :

ـ تعال يا (نور) .



ولسبب ما فى أعماقه ، لم يشعر (نور) بالخوف أو القلق ، وهو يراقب ذلك الفارس ..

وبلا تردُّد ، مدَّ (نور) يده إليه ، وتلامست أصابعهما ، و ....

وفجأة ، تغيَّر المشهد كله ..

لم يعودا على متن جوادين ، فى قلب صحراء صخرية جرداء ..

لقد صارا داخل قاعة كبيرة ، تنتصب بالقرب من جدرانها الصخرية تماثيل ضخمة ، لفرسان داخل دروع قديمة ..

وفى أسى ، أشار (محمود) إلى حفرة كبيرة وسط القاعة ، تندلع منها نيران رهيبة ، وهو يقول :

ـ هنا يكمن الخطر يا (نور) .

سأله (نور) فى قلق :

ـ وهل من سبيل للتغلب عليه ؟

هزّ (محمود) رأسه فى أسى ، وقال :

ـ ليتنى أمتلك الجواب يا (نور) .. ليتنى أمتلكه .

ثم التفت إليه ، مستطردًا فى لهفة :

ـ ولكن اسمعنى جيدًا يا (نور) ، فالوقت الذى يمكننى إجراء الاتصال فيه معك قصير للغاية .. هذا العالم ليس شرًا خالصًا .. صحيح أنه يضمّ هؤلاء

الطغاة القساة ، الذين لا تعرف الرحمة سبيلاً إلى قلوبهم ، ولكن هناك الآخرين أيضًا .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول فى توتر :

ـ الآخرون ؟!.. من تعنى يا (محمود) ؟!

كان جسد (محمود) يبتعد ويبتعد ، وصوته ينخفض ، وهو يقول :

ـ (بشت) .. تذكَّر يا (نور) .. (بشت) .

بدت الكلمة عجيبة ، غير ذات معنى ، فى أذنى (نور) ، فقال فى دهشة :

ـ (بشت) ؟!.. ماذا تعنى يا (محمود) ؟

ولكن جسد (محمود) كان يغوص فى ظلام دامس ، انتشر ليحل محلّ تلك القاعة الضخمة ، حول (نور) ، وصوته يزداد عمقًا وخفوتًا ، وهو يكرِّر :

ـ تذكَّر يا (نور) .. (بشت) ..

هتف (نور) :

ـ لا .. لا تذهب الآن .. انتظر يا (محمود) .. انتظر ..

وفجأة ، استيقظ عقله دفعة واحدة ، وفتح عينيه ، و ...

وانتفض جسده كله فى عنف ..

فأمام عينيه مباشرة ، كان يقف جواد قوى ، يصهل

بصوت خافت ، وعلى متنه شخص يتطلع إليه ، والشمس التى توسطت كبد السماء تسطع من خلف رأسه ، فتخفى ملامحه تقريبًا ..

ولكنه لم يكن عملاقًا كالآخرين ..

كانت قامته عادية متوسطة ، وجسده أقرب إلى النحافة ..

أما وجهه ، الذى لم تتضح ملامحه ، فقد كان يحمل ذلك الشىء ، الذى انتفض له جسد (نور) ، على الرغم من بساطته ..

كان يحمل منظارًا طبيًا ..

نفس طراز ذلك المنظار ، الذى رآه فى حلمه مع (محمود) ، منذ لحظات قصار ، حتى إنه وجد نفسه يهتف :

ـ (محمود) ؟!

ولم يكد هتافه ينطلق ، حتى تراجع الجواد بحركة حادة ، وأطلق صهيلاً قويًا ، وانزاح رأس راكبه ، فضربت أشعة الشمس وجه (نور) مباشرة ، وأجبرته على إغلاق عينيه ، وهو يقفز من مكانه ، فى نفس اللحظة التى جذب فيها الراكب عنان جواده ، ووثب به عبر الصخرة الضخمة ، ثم انطلق به عبر الصحراء الصخرية ، ووقع الحوافر يتردد فى المكان ..

ومع قفزة (نور) ، هبّ (أكرم) من رقاده ، وانتزع مسدسه من جيبه ، هاتفًا فى انزعاج :

ـ ماذا حدث ؟!

لم يجب (نور) عن سؤال (أكرم) ، وإنما اندفع نحو جواده ، ووثب على متنه ، وجذب جواده ، ووثب به عبر الصخرة ، وانطلق خلف ذلك الفارس المجهول ، و(أكرم) يهتف فى عصبية :

ـ أجب يا (نور) بالله عليك .. أجب .. ماذا حدث ؟!

هبت (نادية) من رقادها بدورها ، هاتفة :

ـ ماذا هناك ؟

لوّح (أكرم) بمسدسه فى عصبية شديدة ، وهو يقول :

ـ لست أدرى .. اللعنة !.. لست أدرى .

ثم وثب بدوره على متن جواده ، مستطردًا :

ـ انتظرى هنا .. سأعود إليك .

وانطلق بدوره خلف (نور) ، وهو يتساءل فى أعماقه : ما الذى أصاب (نور) ؟.. وما الذى يسعى خلفه بالضبط ؟!..

وفى نفس اللحظة ، التى دار فيها هذا التساؤل فى

أعماقه ، كان (نـور) يعدو بجواده بكل قوته ، خلف ذلك الفـارس الغـامض ، الـذى اختفى بين الصخـور الضخمة ، على الرغم من أن وقع حوافر الجواد ما زال يتناهى إلى مسامعه ..

ولكن فجأة ، توقف وقع حوافر الجواد ..

وانعقد حاجبا (نـور) فى شدة ، وخفق قلبه فـى عنف ، ولكنه واصل انطلاقه نحو آخر منطقة ، سمع منها وقع حوافر الجواد ، وعندما اقترب من صخرة ضخمة ، تصلح لاختفاء الفارس وجواده خلفهـا ، جذب عنان الجواد ، وتوقف مرهفًا سمعه بضع لحظات ، قبل أن يهبط عن جواده ، ويقترب من الصخرة فى حذر ، على أطراف أصابعه ، ثم وثب خلفها ، و ...

واتسعت عيناه فى شدة ..

فخلف تلك الصخرة الكبيرة ، كانت الصحراء تمتد لمسافة شاسعة منتظمة ، لا تحوى أية صخور ضخمة أو أشياء تصلح للاختباء خلفها ..

وعلى الرغم من هذا ، لم يكن هناك أثر للفارس المجهول وجواده ..

أدنى أثر ..

والتقى حاجبا (نـور) فى شدة ، وسرت فى جسده

موجة من التوتر والغضب والحيرة ، وهو يدير عينيه فيما حوله ، فى نفس اللحظة التى وصل فيها (أكرم) إليه ، ولهث هاتفًا :

ـ ماذا حدث يا (نور) بالله عليك ؟.. لماذا فعلت هذا ؟!

أشار (نور) بيده ، قائلاً فى توتر :

ـ الفارس .. إنه ..

لم يستطع إتمام عبارته ، فقال (أكرم) فى دهشة :

ـ الفارس ؟!.. أى فارس يا (نور) ؟!

تردد (نور) لحظة ، ثم اندفع يروى له كل ما حدث .

ذلك الحلم ، الذى رأى فيه (محمود) ..

والفارس المجهول ..

واختفاؤه ..

واستمع إليه (أكرم) فى اهتمام بالغ ، ثم لم يلبث أن هز رأسه ، مغمغمًا :

ـ عجبًا !.. إنها قصة غريبة بحق يا (نور) .

قال (نور) ، بصوت يحمل شيئًا من الإرهاق :

ـ ولكنك تؤمن بقدرة (محمود) على الاتصال بنا بوسيلة ما .. أليس كذلك ؟!

أشار (أكرم) بيده ، قائلاً فى حسم :

- دون أدنى شك يا (نور) .. لقد اختبرت هذا بنفسى ، ولكننى أشك كثيرًا فى قدرته على التجسُّد فى العالم المادى ، ولو للحظة واحدة .

غمغم (نور) :

- ذلك الفارس الغامض كان يشبهه .

تطلَّع إليه (أكرم) لحظة فى صمت ، ثم أدار عينيه فى المنطقة الخالية حولهما ، قبل أن يقول :

- (نور) .. أرجو ألا يضايقك قولى هذا ، ولكننى عندما انطلقت بجوادى خلفك ، لم يكن هناك فرسان غامضون أو عاديون ..

سأله (نور) فى توتر :

- هل تعتقد أننى توهَّمت هذا ؟

لوَّح (أكرم) بكفه ، مجيبًا :

- إنه ليس أمرًا مخزيًا أو مهينًا يا (نور) .. إنها ظاهرة طبيعية إلى حد ما .. قد يستغرق المرء فى نوم عميق ، تراوده خلاله أحلام قوية ، حتى إنه يستيقظ من نومه ، دون أن يتلاشى الحلم من رأسه تمامًا .. ألم يحدث لك هذا من قبل ؟!

انعقد حاجبا (نور) فى غضب ، وهو يميل نحوه ، ملوِّحًا بسبابته فى وجهه بحدة ، ويقول :

- لقد رأيت ذلك الفارس يا (أكرم) .. رأيته كما أراك أمامى الآن .. بل ولقد حجب رأسه الشمس عن وجهى لحظات ، والأحلام لا تفعل هذا ، مهما بلغ عمقها .

تطلع إليه (أكرم) لحظة ، ثم قال :

- فليكن يا (نور) .. أنا أثق تمامًا فى عقليتك ، وليس لدى أدنى شك فى حسن إدراكك للأمور .. إنما كنت أحاول البحث عن تفسير منطقى فحسب ، فلو أنه هناك فارس بالفعل ، فأين اختفى ، فى منطقة جرداء كهذه ؟!

تلفَّت (نور) حوله مرة أخرى ، قبل أن يتنهَّد ، ويهزّ رأسه ، قائلاً :

- لست أدرى يا(أكرم) .. لست أدرى يا صديقى .. حتى المنطقة التى اختفى فيها ذات طبيعة صخرية صلبة لاتسمح بترك آثار يمكن تتبُّعها .

ارتفع حاجبا (أكرم) ، وهتف فجأة فى حماس :

- ولكن المنطقة التى كنا فيها ليست كذلك .

رفع (نور) إليه عينين متسائلتين ، قبل أن يهتف فجأة :

- آه .. بالطبع يا (أكرم) .. لا ريب فى أنه قد ترك آثاره هناك .

ثم عاد إلى جواده ، ووثب على متنه ، مستطردًا :
- وسنجدها بإذن الله .
انطلقا يعدوان بجواديهما ، عائدين إلى الصخرة ، التى تركا عندها (نادية) ، و (أكرم) يسأله لاهثًا :
- هل تعتقد أن تلك الآثار يمكن أن تفيدنا ؟
أجابه (نور) ، وهو يلكز جواده بكعبيه ، ويحثه على الانطلاق أسرع :
- أية معلومات ، يمكننا الحصول عليها هنا ، ستفيدنا حتمًا يا رجل .. على الأقل فى فهم طبيعة ذلك العالم ، الذى أجبرتنا الظروف على التواجد فيه .
غمغم (أكرم) بصوت مبحوح ، من شدة العطش :
- هذا صحيح .
واصلا الانطلاق بجواديهما ، حتى بلغا تلك الصخرة ، فأشار إليها (أكرم) ، قائلًا :
- لو أن ذلك الفارس المجهول ترك آثارًا واضحة ، فسوف ..
قاطعة (نور) ، وهو يهتف فجأة بانزعاج شديد :
- يا إلهى !.. (نادية) !
ومع هتافه ، انتبه (أكرم) إلى الموقف ..
فعند تلك الصخرة الكبيرة ، لم يكن هناك أثر لـ (نادية) ..

لقد اختفت ..
اختفت تمامًا ..

* * *

« فكرتك منطقية ، ولكنها غير قابلة للتنفيذ يا (رمزى) » .
نطقت (نشوى) العبارة فى حزم ، لا يخلو من التوتر ، وهى تتطلع إلى زوجها (رمزى) ، فسألتها (سلوى) فى توتر :
- لماذا يا (نشوى) ؟
أجابتها (نشوى) ، فى شىء من العصبية :
- لأن النوم لن يأتى بهذه السهولة .
قالت (مشيرة) فى توتر :
- ولكنه سيأتى حتمًا ، فالمرء لا يقضى عمره كله بلا نوم .
أومأت (نشوى) برأسها موافقة ، وقالت :
- هذا صحيح ، ولكن متى يأتى النوم ؟!.. هل نسيتم أننا لا نملك سوى أربع ساعات ، إلا قليلًا ، قبل أن يسقط القمر فى تلك الفجوة السوداء .. من أدرانا أن سقوطه فيها لن يسحق أبى ورفاقه ، قبل أن يستغرق أحدنا فى النوم .
امتقع وجه (سلوى) ، وهى تغمغم :

ـ رباه !!. هذا صحيح .

وقالت (مشيرة) فى شحوب :

ـ هل .. هل فقدنا آخر أمل ؟

أجابها (رمزى) فى حزم :

ـ ليس بعد .

استدارت العيون كلها إليه ، فاستطرد :

ـ عندما أشرت إلى النوم ، لم أكن أقصد حالته الطبيعية ، فأنا أعلم أن الوصول إليها يستغرق أكثر مما لدينا من وقت بالفعل ، ثم إن استخدام العقاقير المنوِّمة قد يعوق عملية الاتصال ؛ لوجود مواد غير طبيعية فى المخ ، وهذا يعنى أنه ليست لدينا سوى وسيلة واحدة ، للوصول إلى النوم بالسرعة المنشودة .

هتفت (نشوى) فى حماس ، وقد أدركت ما يرمى إليه :

ـ التنويم المغناطيسى .

أشار بسبابته ، قائلا :

ـ بالضبط .

بدا القلق على وجه (مشيرة) ، وهى تقول :

ـ ولكن هل تعتقد أن الشخص الخاضع للتنويم

المغناطيسى ، يمكنه إتمام الاتصال مع (محمود) ، تمامًا كالشخص النائم ؟!

هزَّ كتفيه ، قائلا :

ـ ربما .. لا يمكننى الجزم بهذا ، فنحن لا نعلم بعد ما إذا كان بإمكاننا إجراء اتصال ما مع (محمود) بإرادتنا أم لا .. كل معلوماتنا ، حتى هذه اللحظة ، هى أنه يستطيع الاتصال بنا فقط ، عندما نستغرق فى النوم ، والتنويم المغناطيسى يمكن أن يدفع المرء إلى حالة من النوم الطبيعى ، لو أننا أمرناه به ، ونحن بإجراء كهذا إنما نمنح (محمود) فرصة إتمام الاتصال ، لو أنه يسعى لهذا .

غمغمت (سلوى) فى مرارة :

ـ إذن فلا يمكن أن يتمّ الاتصال ، إلا لو كان (محمود) يرغب فى هذا .

تطلّع إليها (رمزى) لحظة فى صمت ، ثم اتجه إليها ، ومال يتطلّع إلى عينيها مباشرة ، وهو يقول :

ـ اسمعى يا (سلوى) .. عندما أجرى (محمود) اتصاله بنا جميعًا ، فى ليلة واحدة ، كان يرغب فى توجيه رسالة مشتركة إلينا .. رسالة تؤكد أنه لن يتخلّى عن (نور) و (أكرم) أبدًا ، وأنه سيبذل

قصارى جهده لمعاونتهما ، وهذا يعنى أنه لو كانت لديه أية وسيلة ، يمكننا استخدامها من أجلهما ، فسيسعى للاتصال بنا فى أقرب فرصة .. وثقى فى أنه يراقبنا الآن ، ويدرك ما نفعله للاتصال به .. لست أدرى بالطبع كيف يفعل هذا ، ولا ما الذى تحوّل إليه ، بعد أصابته تلك الصدمة العنيفة من الطاقة ، فى مجرى الزمن(*) ، ولكن الرسائل التى يرسلها إلينا ، فى عالم أحلامنا ، تؤكد أنه ، فى وضعه الجديد ، يستطيع معرفة الكثير .

غمغمت (سلوى) ، والدموع تترقرق فى عينيها :

ـ هل تعتقد هذا ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يجيب :

ـ بالتأكيد .

هتفت (نشوى) :

ـ حسنًا .. هيا نبدأ على الفور يا (رمزى) .. دعنا لا نضيع أية لحظة .

اعتدل ، قائلاً :

ـ فليكن .. من سيتطوّع .

(*) راجع قصة (الزمن - صفر) .. المغامرة رقم (١٠٠) .

قفزت (سلوى) من مقعدها ، هاتفة :

ـ أنا .

وقبل أن تفتح (نشوى) أو (مشيرة) شفاههما للاعتراض أو المناقشة ، أجابها (رمزى) بسرعة :

ـ عظيم .. عودى إلى مقعدك .. سنبدأ فورًا .

عادت (سلوى) إلى مقعدها ، وخفق قلبها فى قوة ، وهى تتطلع إلى عينى (رمزى) ، اللتين بدتا أكثر عمقًا ، كصوته وهو يقول :

ـ استرخى يا (سلوى) .. اتركى جسدك يسترخى على المقعد .. لا تقاومى .. كل شىء سيصبح على ما يرام .. كل شىء ..

خُيّل إليها أنها تغوص فى عينى (رمزى) ، وأنهما قد اتسعتا على نحو عجيب ؛ حتى كادتا تبتلعان جسدها كله ، وصوته يأتى من أعماق سحيقة ، قائلاً :

ـ لا تقاومى يا (سلوى) .. لا تقاومى ..

ولم تقاوم (سلوى) ..

لقد تركت جسدها وكيانها كله يهوى فى عينيه العميقتين ، وأحاط بها ظلام دامس لثوانٍ ، ثم لم يلبث النور أن بدا من بعيد ، وراح يكبر ويشتد ويتسع .. ويتسع ..

ويتسع ..

وفي قلق ، سألت (نشوى) زوجها :

ـ هل تعتقد أن الاتصال سيتمّ بالفعل ؟!

صمت (رمزى) لحظة ، قبل أن يقول :

ـ إنها خاضعة للتنويم المغناطيسى تماماً الآن ، وكل المطلوب منا هو أن ندفعها إلى حالة من النوم الطبيعى ، ثم ..

« أهلاً يا (رمزى) .. » ..

قاطعته تلك العبارة ، التى خرجت من بين شفتى (سلوى) ، فانتفض جسده كله فى عنف ، وارتدّ إلى الخلف ، حتى كاد يرتطم بـ (مشيرة) ، التى تحمل (محمود) الصغير بدلاً من (سلوى) ، التى شهقت هاتفة :

ـ رباه .. مستحيل !..

أما (نشوى) ، فقد تجمّد جسدها كله ، وسرت قشعريرة باردة كالثلج ، وهى تحدّق فى وجه أمها فى ذهول ..

فذلك الصوت ، الذى نطقت به (سلوى) العبارة ، لم يكن أبداً صوتها ..

بل ولم يكن صوتاً أنثوياً على الإطلاق ..

لقد كان صوت شخص آخر ، فقدوه منذ فترة ليست بالطويلة ..

صوت (محمود) ..

وبمنتهى الوضوح ..

* * *

« مستحيل !.. مستحيل !!.. » .

أطلق (خالد) الصرخة فى ألم ومرارة ، وهو يضرب جدار الزنزانة الرطبة بقبضته اليسرى فى سخط غاضب ، فى حين تكاد يده اليمنى المحطّمة تطلق صرخات ألم وعذاب مماثلة ، فرفع (واتسن) عينيه المحمرتين إليه ، وعضّ شفتيه قهراً وألماً ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فاستطرد (خالد) بلهجة أقرب إلى البكاء :

ـ لقد قتله هؤلاء الأوغاد بأبشع وسيلة ممكنة ، دون أن يطرف لهم جفن .. ألقوا (أوتو) المسكين فى قلب الحمم(*) ، لتلتهمه ، دون أن تأخذهم به رحمة أو شفقة .

(*) الحمم البركانية (لابة) صخور متصهرة ، تخرج من باطن الأرض ، خلال شقوق فى سطحها ، أو عبر فوهة البركان ، وينشأ عن تراكمها وتجمّدها مخروطات البراكين ، والهضاب البركانية الواسعة .

عضّ (واتسن) شفتيه مرة أخرى ، وهو يغمغم فى مرارة :

ـ رحمة أو شفقة ؟!.. إن صرخة ذلك المسكين لن تفارق أذنىّ قط ، بكل ما حملته من رعب وألم وعذاب ، ومشهد سقوطه فى قلب الحمم ، وألسنة اللهب التى تصاعدت بعدها ، لن يتمحى من ذهنى ما حييت ، وعلى الرغم من هذا ، فقد أطلقت تلك المرأة الزرقاء اللعينة ضحكة ساخرة عالية ، وكأنها تشاهد عرضًا هزليًا طريفًا .

ضرب (خالد) الجدار بقبضته ثانية ، وهو يصرخ :

ـ أريد أن أقتلهم .. أريد أن أقتل هؤلاء الأوغاد يا (واتسن).. أريد أن ألقيهم وسط تلك الحمم ، كما فعلوا مع (أوتو) المسكين .

هزّ (واتسن) رأسه فى ألم ، قائلاً :

ـ حلم بعيد المنال يا صديقى .. إن كل ما أحلم به الآن هو أن نخرج من هنا أحياء .

وتهدّج صوته فى مرارة ، وهو يستطرد :

ـ وحتى هذا ، يبدو لى الآن حلمًا بعيد المنال .

ضرب (خالد) جبهته براحته ثلاث مرات متتالية فى عنف ، قبل أن يلتفت إليه ، قائلاً :

ـ ولكن لماذا ؟!.. لماذا فعلوا هذا ؟!.. لقد قتلوا (أوتو) المسكين ، بهذه الطريقة البشعة ، ثم أعادونا إلى زنزانتنا ، دون أن يلقوا علينا سؤالا واحدًا .. لماذا ؟! لماذا ؟!

أشار (واتسن) بيده ، مجيبًا :

ـ لأن الغرض تحقق يا رجل ، وانتزع الرعب فى قلوبنا .. هذا ما ينشدونه بالضبط .. نوع من الحرب النفسية .. لقد أرونا ما سيحدث ، لو لم نتعاون معهم ، ثم أعادونا إلى هنا ، وتجاهلونا لأكثر من ثلاث ساعات ، حتى تتحطم أعصابنا أكثر وأكثر .. نفس ما كان يفعله (الجستابو)(*) ، فى الحرب العالمية الثانية(**) :

(*) الجستابو : قوة البوليس السرى لألمانيا النازية ، والاسم اختصار لكلمة(البوليس السرى) بالألمانية ، ظهرت لأول مرة عام ١٩٣٣ م ، وأصبح (هينريش هيملر) رئيسها خلال الحرب العالمية الثانية ، وعمل على استخدامها لقمع كل الدول التى احتلتها (ألمانيا) فى (أوروبا) .

(**) الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ م) : حرب نشبت بسبب السياسة العدوانية لقوات المحور (ألمانيا ـ إيطاليا ـ اليابان) ، واجتاحت (ألمانيا) النازية معظم دول (أوروبا) فى مرحلتها الأولى ، ثم احتدم الأمر بدخول (أمريكا) الحرب ، إلى جوار (إنجلترا) و (فرنسا) ، و(روسيا) ، وبدأت قوات (هتلر) فى التراجع ، وجرت الهزيمة بسرعة ، فانتحر (هتلر) ، وسقطت (ألمانيا) وبعدها (اليابان) .

لتحطيم أعصاب من يرغبون فى استجوابهم ، حتى يصبحوا عجينة لينة ، وتنهار مقاومتهم تمامًا عندما يبدأ الاستجواب الفعلى .

هزّ (خالد) رأسه فى عنف ، وهو يهتف :

ـ يا للبشاعة !.. يا للبشاعة !

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع باب الزنزانة الثقيل ، وبدا عنده ذلك الشيخ الضئيل ، محاطًا بحارسين قويين ، فتراجع (خالد) ملتصقًا بالجدار الرطب ، وهو يهتف :

ـ ماذا هناك ؟!.. ماذا تريدون هذه المرة ؟

انقضّ الحارسان عليه وعلى (واتسن) فى وحشية ، ودفعاهما أمامهما فى قسوة ، والشيخ يبتسم فى هدوء متشفّ ، ويقول بالصينية :

ـ مجرّد حديث قصير .

استعاد (خالد) مشهد حفرة الحمم ، ودوى صرخة الرعب ، التى أطلقها (أوتو) المسكين ، وهو يسقط فى قلبها ، فصاح فى عنف :

ـ لا .. لن أسمح لكما .

ولكن الحارس الذى يقوده انقضّ عليه فى وحشية مخيفة ، وهوى على كتفه بذراع رمحه ، ثم أمسك

شعره فى قسوة ، وضرب رأسه بالجدار فى عنف ، وهو يصرخ بكلمات غير مفهومة ، فهتف (واتسن) :

ـ اتركه أيها الوغد .. اتركه .

انقضّ عليه حارسه بدوره ، ولكمه فى معدته لكمة شديدة العنف ، كاد يفرغ معها معدته الخاوية عبر فمه ، وهو يتأوّه فى قوة ، فابتسم الشيخ ، وقال فى بطء وقور :

ـ بإرادتكما أو قسرًا .. لا فارق لدينا .

لهث (واتسن) ، وهو يمسك معدته بقوة ، ولوّح بيده الأخرى ، وهو يقول فى ألم :

ـ لا داعى للعنف .. لا داعى .

واستسلم مع (خالد) لحارسيهما ، اللذين راحا يدفعانهما فى غلظة وخشونة ، عبر ممرات أخرى صخرية ، فغمغم (خالد) فى عصبية :

ـ هل تعتقد أنهم سيلقوننا فى حفرة النار ؟!

ولم يجب (واتسن) عن السؤال ..

لم يكن باستطاعته فعليًا أن يجيب ..

ليس لأنه لا يستطيع استنتاج الخطوة التالية فحسب ، ولكن لأن حلقه الجاف ، الذى لم ترطّبه قطرة ماء



تطلّعت إليه الأميرة (بلوميا) بنظرة ساخرة ، في حين أطلق (هارلاك) ذو الأنياب زمجرة مخيفة ..

واحدة ، منذ وصولهم إلى هذا الكوكب ، كان عاجزًا عن انتزاع حرف واحد من أعماقه ..

ولكن الشيء الوحيد ، الذى جعله يشعر ببعض الارتياح ، هو أن تلك الممرات الصخرية ، التى كانوا يعبرونها ، تختلف عن تلك التى عبروها من قبل ، عندما ذهبوا إلى القاعة الكبيرة ، حيث حفرة النار ..

ولقد استغرق سيرهم ، عبر تلك الممرات ، ربع ساعة كاملة ، حتى انتهى بهم الأمر إلى حجرة واسعة ، منحوتة فى قلب الصخور ، تقف داخلها تلك المرأة الزرقاء ، مع العملاق ذى الأنياب الحادة ، وبرفقتهما رجل ضخم الجثة ، هائل الحجم ، يصلح كصورة مثالية للقسوة وبلادة التفكير ..

وتحدث الشيخ إلى المرأة ، وهو يشير إليهما ، فتطلّعت إليهما بنظرة لا تقلّ عن ابتسامتها سخرية ، ثم أشارت بعظمة وخيلاء ، فالتفت الشيخ إلى (واتسن) ، وقال بالصينية :

ـ الأميرة (بلوميا) قررت استجوابكما بنفسها ، مع القائد (هارلاك) .

غمغم (واتسن) بالأمريكية :

ـ (بلوميا) و (هارلاك) .. عظيم .. أخيرًا أصبح للأوغاد أسماء .

٨ - نهر الدم ..

عضّ (أكرم) شفته السفلى فى مرارة وقسوة ، حتى كاد يقطعها ، وهو يقول :

- لن أسامح نفسى قط .. أنا السبب فيما حدث .. أنا تركتها وحدها ، دون سلاح أو حماية .. أنا المسئول .

تطلّع إليه (نور) فى صمت ، ثم عاد يفحص تلك الآثار المحيطة بالصخرة ..

كان من الواضح أن عددًا كبيرًا من الخيول كان هنا .

آثار حوافر الجياد تمتزج ببعضها البعض على نحو عجيب ..

ولكن ما يدهشه بحق ، أنه لا يوجد أثر للمقاومة ..

لقد ذهبت (نادية) مع راكبى الخيول أولئك ، دون قتال ..

أو بمعنى أدق ، ذهبت بإرادتها ..

ولكن كيف ؟!..

ولماذا ؟!..

« لن أسامح نفسى أبدًا .. » ..

كرّر (أكرم) العبارة للمرة العاشرة ، منذ عودتهما إلى الصخرة ، فالتفت إليه (نور) هذه المرة ، وقال فى صرامة :

- كف عن لوم نفسك يا رجل .. لست المسئول عما حدث .

هتف (أكرم) ، وهو يلوّح بيده فى حدة :

- ولكننى تركتها وحدها .

قال (نور) فى عصبية :

- لقد دفعوك إلى هذا .

ثم أشاح بوجهه ، مستطردًا فى مرارة :

- أقصد أنهم دفعونا إلى الابتعاد .

حدّق (أكرم) فى وجهه بدهشة ، قبل أن يقول :

- (نور) .. ماذا تعنى بقولك هذا ؟

تنهّد (نور) فى أسى ، وقال :

- كانت خدعة يا (أكرم) .. ظهور ذلك الفارس الغامض كان مجرّد خدعة ، دفعتنا لمطاردته دون تفكير ، حتى تبقى (نادية) وحدها .

ارتفع حاجبا (أكرم) بدهشة أكثر ، وهتف :

- أتعنى أنها كانت خطة مدبّرة لاختطافها ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، فاستطرد (أكرم) فى حدة :

ـ ولكن لماذا ؟.. لماذا هى بالذات ؟!

تنهّد (نور) ، وقال :

ـ من يدرى ؟!

ثم عاد يتطلّع إلى الآثار المحيطة بالصخرة ، مستطردًا :

ـ كل شىء حولنا يحمل قدرًا هائلاً من الغموض والغرابة يا رجل ، والتفسيرات تحتاج إلى جهد يفوق ما لدينا .

اتسعت عينا (أكرم) فى شىء من الارتياع ، قبل أن يهزّ رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ مازلت لن أسامح نفسى أبدًا ، وسأعتبر أننى المسئول ، حتى عن الوقوع فى مثل هذه الخدعة الحقيرة .. لا يمكننى أن أتخيّل مصير تلك المسكينة ، بين أيدى عمالقة قساة كهؤلاء الأوغاد ، ولا ..

قاطعه (نور) ، وهو يقول :

ـ ليسوا هم ..

مرة أخرى حدّق (أكرم) فى وجهه ، مرددًا فى دهشة :

ـ ليسوا هم ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وهو يشير إلى آثار حوافر الجياد ، قائلاً :

ـ هذه الجياد ليست لها حدوة تقليدية كالجياد الأخرى ، بل قطعة بيضاوية ، تلتصق بحوافرها دون مسامير ، وهذا شىء لا يمكن أن يتوصّل إليه العمالقة البدائيون .

سأله (أكرم) فى توتر :

ـ أتعنى أنه يوجد آخرون ؟!

استعاد (نور) حديث (محمود) فى الحلم ، وتمتم :

ـ بالتأكيد يوجد آخرون .

وعاد يتلفّت حوله ، إلى المنطقة الخالية ، الممتدّة إلى مدى البصر ، قبل أن يضيف فى توتر :

ـ فى مكان ما .

حاول (أكرم) أن يقول شيئًا ، ولكنه شعر وكأن جفاف حلقه الشديد يمنعه من هذا ، مع أشعة الشمس الحارقة ، فمسح عرقه الغزير بيده ، وهو يغمغم بصوت متحشرج :

ـ اللعنة !.. سنلقى حتفنا عطشًا على هذا الكوكب الملعون .

كان (نور) يشاركه شعوره بالعطش الشديد ، فتمتم فى صعوبة :

- لا ريب في أنه يوجد ماء هنا ، في مكان ما ، وبصورة ما .. كل الأحياء هنا يحتاجون إلى الماء حتمًا ، حتى ..

وبتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه في شدة ، قبل أن يكمل :

- حتى الجياد .

قالها ، وهو يرفع عينيه إلى الجوادين في لهفة ، فسأله (أكرم) :

- ماذا هناك ؟!

اندفع (نور) نحو الجوادين ، وتحسس عنق أحدهما ، وهو يقول :

- كيف لم أنتبه إلى هذا ؟.. الجوادان لم يصابا بالجفاف ، ولا بأية علامة من علاماته .. وهذا يعني أنهما لا يعانيان من العطش ، مثلما نعاني منه ، على الرغم من أنهما يعدوان تحت أشعة الشمس المحرقة طوال الوقت .

تطلع (أكرم) إلى الجوادين في لهفة ، وهو يقول :

- ربما كانت الجياد على هذا الكوكب ، من الحيوانات المجترّة(*) .

(*) الحيوانات المجترّة : حيوانات يمكنها أن تأكل كميات من الطعام ، تفوق احتياجاتها الفعلية ، وتختزن الزائد لأكله ثانية ، عندما يقلّ الطعام ، ومن أشهر الحيوانات المجترّة البقر .

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

- لست أعتقد هذا .. الحيوانات المجترّة ينبغي أن تكون أكبر حجمًا ، حتى تجد مكانًا لاختزان الطعام والشراب الزائد ، أما هذه الجياد ، فجسدها القوي يشفّ عن أنها لا تملك أية إضافات ، تصلح كمخزن لأي شيء .. الأرجح أن هذه الجياد تحصل على الماء من مصدر ما .

انعقد حاجبا (أكرم) في شدة ، وهو يقول :

- من أين ؟!.. إننا في قلب صحراء جرداء .

أدار (نور) عينيه فيما حوله ، وهو يقول في حزم :

- الجياد تعرف أين يوجد الماء .. إنها تعثر عليه بوسيلة ما .. ربما تشمّ رائحة ، أو تدرك مصادره ، ولكنها تعثر عليه .

ثم التقى حاجباه في تفكير عميق ، مع استطرادته :

- إننا نعدو طوال الوقت ، منذ غادرنا تلك الأطلال ، ولم نتوقّف سوى هنا ، والجوادن لم يغادرا المنطقة ، حتى استيقظنا من نومنا ، وهذا يعني أنهما حصلا على الماء هنا .

وتعلّق بصره بالأرض ، محاولًا تحديد حركة الجوادين ، من آثار الحدوات في حوافرهما ، ثم أشار إلى ركن الصخرة الضخمة ، قائلًا في حماس :

- هناك .

قالها ، واندفع مع (أكرم) إلى ذلك الركن ، وحدّق الاثنان فى فتحة كبيرة ، صنعتها حوافر الجياد هناك ، وفى سائل عجيب ، يجرى فيها بسرعة ، وكأنما هو جزء من نهر خفى ، تحت تلك الصحراء الجرداء ..

وفى دهشة تمتزج بالامتعاض ، تطلّع (أكرم) إلى السائل ، مغمغمًا :

- رباه !.. أى شىء هذا ؟!..

فقد كان لذلك السائل لون قرمزى ، جعله أشبه بنهر من الدم ..

الدم البشرى ..

* * *

فجأة ، انتبهت (نادية) ..

فجأة ، وبلا مقدمات ، أدركت أنها تسير وسط فريق من الرجال ، عبر ممرات صخرية ، ينبعث من سقفها ضوء فسفورى هادئ ..

وتفجّرت فى أعماقها دهشة بالغة ..

كيف وصلت إلى هذا المكان ؟!..

ومن هؤلاء القوم ؟!..

ولماذا تسير معهم فى هذا المكان ؟!..

بل كيف فعلت هذا ؟!..

آخر ما تذكره هو أنها كانت تجلس فى ظل تلك الصخرة الكبيرة ، فى قلب الصحراء الجرداء ، بعد أن تركها (أكرم) ، وانطلق خلف (نور) ..

ثم ضرب ذلك الضوء البنفسجى جانب وجهها ..

والتفتت إليه ، و ...

ووجدت نفسها هنا ..

فما الذى جرى بين الحدثين ؟!..

وماذا أصابها ؟!..

وما ذلك الضوء البنفسجى ؟!..

انطلقت عشرات الأسئلة تتصارع فى عقلها ، فتوقّفت عن السير بغتة ، وهتفت :

- من أنتم ؟ وكيف أحضرتمونى إلى هنا ؟!

توقّفت القافلة الصغيرة على الفور ، وانتبهت إلى ملامح أصحابها لأوّل مرة ، وهم يتطلّعون إلى بعضهم البعض فى قلق ..

لم يكونوا عمالقة كأولئك الآخرين ، بل كانت لهم أجساد عادية ، تشبه فى حجمها وتكوينها الأجساد البشرية ، ولكن بشرتهم كانت تميل إلى الزرقة ، على نحو أقل بكثير من بشرة العمالقة ، وشعورهم كلها بيضاء ناصعة ، وكأنما وخطها الشيب عن آخرها ..

وكان بعضهم يرتدى منظارًا طبيًا ، شبيهًا بذلك المستعمل فى الأرض ، فى حين كانت الغالبية العظمى بدون مناظير ..

وبسرعة ، وكما علمتها تدريباتها المكثفة ، فى مركز إعداد المقاتلين الفضائيين ، تطلعت (نادية) إلى أيديهم ، وأدركت على الفور أنهم لا يحملون أية أسلحة ، باستثناء واحد له لحية قصيرة ، ويحمل شيئًا أشبه بالمسدس ، وينتهى بفوهة متسعة كالبوق ..

وفى هدوء عجيب ، لمس أحدهم كتفها ، وهو يتحدث إليها بلغة لم تفهم منها حرفًا واحدًا ..

ولكن العجيب أنها شعرت مع حديثه بالارتياح .. وبالثقة ..

وبناء على هذا الشعور ، عاودت سيرها عبر الممرات الصخرية ..

وبعد مسيرة دقيقة واحدة إضافية ، وجدت نفسها داخل تجويف صخرى هائل ، تناثرت فيه أكواخ صغيرة ، على جوانب طرقات شبه ممهدة ، تمتدّ فى خطوط مستقيمة ، وتتقاطع فى أكثر من موضع ..

وفى دهشة ، هتفت (نادية) :

ـ ما هذا بالضبط ؟!.. قرية فى باطن الجبل ؟!

لم يجب أحدهم عن سؤالها ، لأنهم لم يفهموا لغتها على الأرجح ، ولكنها واصلت السير معهم ، دون خوف أو وجل ، وهم يتجهون جميعًا نحو كوخ كبير ، بدا وكأنه مقرّ الرياسة أو الزعامة ، لذلك الكيان الاجتماعى المحدود ..

وأثناء مسيرتها القصيرة ، التقطت عينا (نادية) الكثير مما حولها ..

كان من الواضح أن هذا المجتمع المحدود منظم إلى حد كبير ، فهناك كرة ضخمة من الضوء ، فى قمة التجويف الصخرى ، تضىء المكان كله ، وهناك ما يشبه حديقة كبيرة ، يلهو داخلها عدد من الأطفال ، مع ثلاث مربيات هادئات ، والأكواخ أنيقة بسيطة ، تحمل كل مجموعة منها لونًا خاصًا ، وكأنها تشير إلى طبيعة فئة معينة من قاطنى الأكواخ ..

وعندما وصلت القافلة الصغيرة إلى ذلك الكوخ الكبير ، توقّف الجميع فى احترام واضح ، فيما عدا صاحب اللحية القصيرة ، الذى يحمل السلاح الشبيه بالمسدس ، والذى أشار إليها بالدخول ، ثم تبعها إلى الداخل فى هدوء .

وداخل الكوخ ، كان يجلس شيخ هادئ الملامح ، له لحية كبيرة بيضاء ، ورأس أصلع ، تطلع إليها لحظات فى صمت ، ثم منحها ابتسامة هادئة وقور ، خفق لها قلبها ، قبل أن يتحدث إلى ذى اللحية القصيرة ، مشيرًا إلى جهاز ما ، فى ركن الكوخ ..

وفى رفق ، جذب صاحب اللحية القصيرة (نادية) إلى ذلك الجهاز ، وأشار إليها بالجلوس على مقعد كبير فى منتصفه ، فقالت متوترة :

ـ ما هذا بالضبط ؟!.. مقعد الإعدام ؟!

لم يفهم الرجل حرفًا واحدًا مما قالته ، ولكنه دفعها فى رفق ولين ، فجلست فوق المقعد فى هدوء ، وتطلعت إلى نقوش كبيرة ، أشبه بالنقوش الصينية ، فوق رأس الشيخ ، قائلة :

ـ هل يمكننى أن أفهم ما يحدث ؟!

التقط ذو اللحية القصيرة كرة أشبه بالخوذة ، ووضعها فوق رأسها ، ثم ضغط زرًا صغيرًا ، وتراجع مشيرًا بيده ، وهو يتحدث إليها بتلك اللغة ، التى لا تفهم حرفًا واحدًا منها ..

وارتجف جسد (نادية) ..

لقد خيل إليها أن تيارًا كهربيًا محدودًا قد سرى من

الخوذة إلى المقعد ، عبر جسدها ، الذى سرت فيه قشعريرة باردة ، جعلتها تقول فى توتر :

ـ إنه ليس مقعد إعدام بحق .. أليس كذلك ؟!

ابتسم ذو اللحية القصيرة ، وهو يجيب :

ـ إنه ليس كذلك بالتأكيد .

هتفت فى قلق :

ـ حقًا ؟!

ثم اتسعت عيناها فى دهشة بالغة ، وهى تحدق فى وجهه ..

إنها واثقة من أن اللغة التى استخدمها ، لا مثيل لها على كوكب الأرض ، فعلى الرغم من هذا فقد فهمت عبارته جيدًا ..

وأجابته باللغة نفسها ..

بل ولقد كشفت فجأة أنها تستطيع قراءة تلك النقوش ، فوق رأس الشيخ الوقور ..

وتفهمها جيدًا ..

إنها كلمة بلغتهم تعنى (السلام) ..

نعم .. هى كذلك بالتأكيد ..

وفى هدوء ووقار ، ابتسم الشيخ الأصلع ، وقال :

ـ مرحبًا بك فى (بشتوريا) يا بنيتى .

غمغمت ودهشتها تتعاظم :

ـ (بشتوريا) ؟!.. أهذا اسم القرية ؟

أومأ الشيخ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم يا بنيتى ، وهو يعنى فى لغتنا (أرض السلام) ، فالسلام هو هدفنا ، الذى نسعى إليه ، ونحاول تحقيقه واستعادته ، حتى ولو اضطررنا إلى أن نحارب فى سبيل هذا .

قالت فى دهشة :

ـ تحاربون من أجل السلام ؟!

تنهّد ، وهزّ رأسه فى أسف ، قائلاً :

ـ على الرغم من التناقض الظاهرى للعبارة ، إلا أنها كثيرًا ما تكون صحيحة وصادقة للأسف يا بنيتى .

قالت فى عصبية :

ـ وهل اختطافكم لى أيضًا جزء من خطة البحث عن السلام ؟!

أجابها الشيخ فى سرعة :

ـ بالتأكيد .

لم يرق لها ذلك المنطق ، فهزّت رأسها فى قوة ، وسألته فى حدة :

ـ ولكن كيف أحضرتمونى إلى هنا ؟!.. كيف جعلتمونى أسير بينكم بإرادتى .. أقصد على الرغم من إرادتى ؟!.. وأين أنا الآن ؟!.. فى أى مكان نحن ؟!

ابتسم ذو اللحية القصيرة ، وقال :

ـ أسئلتك كثيرة يا سيدتى .

قالت محتدة :

ـ ألن تفعل المثل ، لو أنك فى موضعى ؟!

ابتسم الشيخ ، وقال فى هدوء :

ـ لو أن (آرى) فى موضعك ، لما ألقى الكثير من الأسئلة ، بل لقاتل على الفور ، وبمنتهى القوة والعناد والإصرار .

لم يبد أن هذا القول قد راق للمدعو (آرى) ، فقد أشاح بوجهه ، ومطّ شفتيه فى صمت ، والشيخ يتابع :

ـ ولكنه على حق ، فأسئلتك كثيرة يا بنيتى ، وشغفك للمعرفة يفوق كل مشاعرك الأخرى ، وهذه سمة تميّز العلماء فى كل العصور ، فهل أنت كذلك ؟

هزّت رأسها نفيًا ، وشدّت قامتها فى اعتداد ، وهى تقول :

ـ بل أنا مقاتلة فضائية من طراز خاص .

انعقد حاجبا (آرى) فى شدة ، فى حين ارتفع حاجبا

الشيخ ، وهو يردد فى دهشة :

ـ مقاتلة فضائية ؟!.. عجبًا !

وسألها (آرى) فى اهتمام :

ـ ماذا تعنين بالطراز الخاص ؟!

انفرجت شفتاها لتجيب عن سؤاله ، إلا أن قواعد الأمن ، التى تدرّبت على اتباعها طويلاً ، لم تلبث أن استيقظت فى أعماقها ، جعلتها تقول فى شىء من الحدة :

ـ ليس هذا من شأنك .

أطلّ الغضب من عينيه ، وانقبضت أصابعه فى حركة حادة ، فى حين ابتسم الشيخ الوقور فى هدوء ، وأشار بيده ، قائلاً :

ـ رويدك يا (آرى) .. من الواضح أن ضيفتنا تتميّز بحدة الطباع إلى حد ما .

التفتت إليه (نادية) ، قائلة :

ـ ضيفتكم ؟!.. أتعشم أن يكون التوصيف صحيحًا ، ويعبّر عن حقيقة موقفى هنا يا ....

أجابها فى هدوء :

ـ (كانو) .. الحاكم (كانو) يا بنيتى .. وأعتقد أنه من الواضح أنك ضيفتنا بالفعل ، ولست أسيرة أو سجينة .. لقد أحضرك رجالنا إلى (بشتوريا) دون

عنف أو قسوة ، ولعلك لاحظت أنك لم تعودى جائعة أو عطشى ، فـ (آرى) يجيد العناية بالضيوف .

هتفت فى دهشة :

ـ يا إلهى !.. هذا صحيح .. إننى أشعر بتحسُّن كبير .

أومأ الشيخ برأسه عدة مرات ، ثم مال إلى الأمام ، وسألها فى اهتمام :

ـ والآن أخبرينى يا بنيتى .. كيف وصلت مع رفاقك إلى كوكبنا ؟.. وهل لكم علاقة بتلك الكارثة الفضائية ، التى تهدّد عالمنا كله بالفناء ؟!.. ثم إنك مقاتلة فضائية من طراز خاص ، كما أعلنت بنفسك ، فهل لهذا علاقة بوصولكم إلى هنا ؟!.. أأنتم طليعة غزو أو ما شابه ؟!

ارتسمت على شفتيها ابتسامة ساخرة ، وهى تقول :

ـ وتتحدثون عن كثرة أسئلتى !

أشار الشيخ بيده ، قائلاً :

ـ من حقنا أن نعلم .

صمتت لحظة ، وهى تتطلّع إليه فى حذر ، ثم لم تلبث أن غمغمت :

ـ بالتأكيد .

ثم شدت قامتها فى اعتداد ، وتابعت فى حسم :

ـ سأروى لكما كل ما أعرفه فى هذا الشأن .

أشار الشيخ بسبابته إلى (آرى) ، وهو يقول :

ـ عظيم .. دعينا نستمع إليك .

صوب (آرى) نحوها سلاحه ، بفوهته الواسعة ، إثر إشارة الشيخ ، فتراجعت قائلة فى عصبية :

ـ ماذا سيفعل ؟!

أشار الشيخ بيده ، قائلاً فى هدوء :

ـ اطمئنى .. إنه مجرد إجراء أمنى .

ومع قوله ، ضغط (آرى) زناد سلاحه ، فانطلق منه شعاع وردى ، لم يكد يسقط على جسدها ، حتى أحاطت بها هالة وردية ، والشيخ يتابع :

ـ لو أنك نطقت صدقًا ، فستظل الهالة المحيطة بك على لونها ، أما لو كذبت ، فستتحول إلى اللون الأزرق .

قالت فى توتر :

ـ آه .. شيء أشبه بجهاز كشف الكذب لدينا .. ولكن من أدراك أنه يصلح معنا ؟! ربما يختلف تركيبنا الكيميائى معكم .. بل هذا هو الأرجح ، مع اختلاف لون بشرتنا .

أشار الشيخ (كانو) إلى صدره ، قائلاً :

ـ لون البشرة قد يختلف ، ولكن القلوب واحدة .

كانت العبارة فلسفية تمامًا ، ولا تتفق مع طبيعتها العلمية ، إلا أنها لوحت بكفها ، قائلة :

ـ لا بأس .. لست أخشى شيئًا ، مادمت صادقة .

ثم التقطت نفسًا عميقًا ، وراحت تروى لهما كل ما تعرفه عن الكارثة ..

ذلك الانفجار الهائل فى الفضاء ..

وكارثة القمر ..

وحملة (نور) و (أكرم) ..

والثقب الأسود ، الذى ابتلع المكوك ..

كل شيء ..

وعلى الرغم من أن روايتها قد استغرقت ما يزيد عن نصف ساعة كاملة ، إلا أن الحاكم (كانو) و (آرى) استمعا إليها فى صمت وانتباه كاملين ، دون أن يقاطعاها بحرف واحد ..

ولم يتغير لون الهالة الوردية أبدًا ..

وعندما انتهت من روايتها ، وقفت (نادية) صامتة ، تتطلع إلى الحاكم ، الذى انعقد حاجباه فى شدة ، وارتسمت على وجهه علامات التفكير العميق ، وظل يداعب لحيته البيضاء الكثة بأصابعه طويلاً ، قبل أن يرفع عينيه إليها ، قائلاً :

- من الواضح أنك صادقة فى كل ماذكرته يا بنيتى ، على الرغم من أن قصتك تحوى الكثير من الأمور المحيّرة ، فالكارثة وقعت فى عالمنا منذ فترة طويلة ، وليس منذ أقل من أسبوع ، كما ذكرت عن عالمكم ، ثم إننا لم نسمع قط عما تطلقون عليه اسم (الفجوات السوداء) .. فقط كان علماؤنا يتحدثون عن ثقوب بيضاء ، يمكن أن تهدّد عالمنا يومًا بخطر رهيب ..

ثم تنهّد فى عمق ، واستطرد :

- من الواضح أنه ما زالت هناك أمور كثيرة ، تحتاج إلى الدراسة ، بشأن هذه الكارثة .

وأشار إلى (آرى) ، الذى صوّب سلاحه إليها مرة أخرى ، وأطلق منه شعاعا أبيض هذه المرة ، تلاشت معه تلك الهالة الوردية ، فسألته (نادية) فى اهتمام :

- سلاحك هذا يطلق أنواعا مختلفة من الأشعة .. أهو نفس السلاح ، الذى أطلقت منه تلك الأشعة البنفسجية ، التى سلبتنى إرادتى ، وجعلتنى أتبعكم إلى هنا ؟

ارتسمت على شفتيه ابتسامة خبيثة ، وهو يجيب :

- ليس هذا من شأنك .

انعقد حاجباها فى غضب ، فابتسم الحاكم ، وقال :

- واحدة بواحدة .. حاولى أن تعتادى هذا النمط من التعامل مع (آرى) .

التفتت إليه ، قائلة فى حدة :

- أعتاد ماذا ؟!.. ومن يرغب فى البقاء طويلاً مع هذا المغرور ؟

أشار إليها الحاكم ، قائلاً :

- رويدك يا بنيتى .. الأمر لا يستحق كل هذا الغضب .

بذلت جهدًا حقيقيًا لتتمالك جأشها ، وهى تقول فى اعتداد :

- فليكن .. إنه لا يستحق بالفعل كل هذا .

قالتها ، وهى ترمق (آرى) بنظرة خاصة ، ثم استطردت فى حزم :

- والآن أعتقد أنه قد حان دورى لألقى الأسئلة ، فأنا أريد أن أعرف ، لماذا تمتلكون الكثير من العلم والحضارة ، فى حين يبدو أولئك العمالقة أشبه بالحيوانات البرية الشرسة ؟.. ولماذا يبدو لى وكأنهم يسيطرون على كل شىء ؟!.. ثم ما سر تلك الأطلال القرمزية ؟!

انعقد حاجبا (آرى) فى ضيق واضح ، فى حين



واتسعت عينا (واتسن) فى ذهول ، وهو يحدّق فى تلك المخالب المخيفة ، ولكن الأميرة أطلقت صوتًا عجيبًا ..

زفر الحاكم فى أسى ، وهزّ رأسه ، قائلاً :

- إنها قصة طويلة يا بنيتى ، وتثير فى نفوسنا آلام لا يمكنك تصورّها ، ولكننى سأرويها لك ..

وكما فعلت (نادية) ، التقط الحاكم نفسًا عميقًا ، وراح يروى تاريخ ذلك العالم ..

العالم الغامض ..

والمخيف ..

* * *

من المؤكّد أن ما فعلته الأميرة (بلوميا) مع (واتسن) كان أمرًا رهيبًا بكل المقاييس ..

وحتّى بالمقاييس الطبيعة لمخلوقات شبيهة بالبشر ..

لقد رفعت يدها أمام وجهها ، وتألّقت عيناها ببريق دموى رهيب ، ثم برزت مخالبها ..

نعم ..

لقد برزت من أطراف أصابعها مخالب حادة رفيعة ملتوية ..

تمامًا كمخالب القط ..

أو النمر ..

واتسعت عينا (واتسن) فى ذهول ، وهو يحدّق فى تلك المخالب المخيفة ، ولكن الأميرة أطلقت صوتًا

عجيبًا ، ثم غرست مخالبها فى صدره ..

وانتفض جسد (خالد) فى عنف ، مع صرخة الألم الرهيبة ، التى أطلقها (واتسن) ، وهتف فى ارتياع :

ـ رباه !.. أى قوم هؤلاء ؟!.. أى وحوش ؟!

استدارت إليه الأميرة ، وأطلقت صيحة مخيفة فى وجهه ..

صيحة أشبه بصوت هرة غاضبة متحفزة ..

وفى هدوء عجيب ، وقبل أن تخرج مخالب الأميرة (بلوميا) من صدر (واتسن) ، قال الشيخ الضئيل بالصينية :

ـ أميرتنا تستمتع كثيرًا بما تفعله بك أيها الغريب ، ومن المؤكد أنها ستواصل هذا لفترة طويلة ، ما لم تتعاون معنا .

هتف (واتسن) فى ألم :

ـ كيف ؟!.. إننى لم أعترض على التعاون ، ولكننى أجهل ما تريدونه ..

التفت الشيخ إلى الأميرة ، ونقل إليها ما قاله (واتسن) ، فانعقد حاجباها ، وانقلبت شفتاها ، وكأنما لم يرق لها استسلامه بهذه السرعة ، ثم انتزعت مخالبها من صدره بحركة عنيفة ، جعلته يطلق صرخة

ألم أخرى أكثر عنفًا ، ورفعت يدها إلى شفتيها ، وراحت تلعق الدماء التى علقت بمخالبها فى تلذذ واضح ، جعل (خالد) يكرر فى عصبية :

ـ رباه !.. أى قوم هؤلاء .

أما القائد (هارلاك) ذو الأنياب الحادة ، فقد رفع يده فى غطرسة ، وتحدث إلى الشيخ بصوته الشبيه بزمجرة الحيوانات الوحشية ، واستمع إليه الشيخ فى اهتمام ، ثم أومأ برأسه ، والتفت إلى (واتسن) ، يسأله :

ـ كم عددكم ؟!

لهث (واتسن) من فرط الألم ، وهو يجيب :

ـ ستة .. نحن ستة أفراد .. خمسة رجال وفتاة واحدة .. أعنى أننا كنا كذلك ، قبل أن تقتلوا (أوتو) المسكين ، بتلك الوسيلة البشعة .

انعقد حاجبا الشيخ ، وترجم هذا القول لـ (هارلاك) ، الذى بدا الغضب على وجهه ، وزمجر فى وحشية ، وراح يتكلم فى عصبية واضحة ، فالتفت الشيخ إلى (واتسن) ، يسأله :

ـ أين الباقون ؟!.. أين الرجلان الباقيان والفتاة ؟

خفق قلب (خالد) فى عنف ، وهو يتمتم :

- لا تخبرهم يا (واتسن) .. لا تخبرهم بالله عليك .. (نور) و (أكرم) هما أملنا الوحيد فى الخروج من هذا الجحيم .. لا تخبرهم عنهما .. أرجوك .

وعلى الرغم من أن (واتسن) لم يسمع تمتمة (خالد) ، إلا أنه لهث لحظة ، ثم أجاب فى ألم :

- ماتوا ..

كاد (خالد) يطلق تنهيدة ارتياح قوية ، لولا أن خشى أن يفضح هذا التصرُّف خدعة (واتسن) ، الذى تابع بصوت خافت :

- الثلاثة لقوا مصرعهم ، عندما سقطت مركبتنا على كوكبكم .

نقل الشيخ هذا القول للقائد (هارلاك) ، فانعقد حاجبا هذا الأخير فى شدة ، وأطلّ غضب هادر من عينيه ، فتألقت عينا الأميرة ، واتجهت مرة أخرى إلى (واتسن) ، وبرزت مخالبها ، وهى تقول شيئًا ما ، ترجمه الشيخ إلى الصينية ، قائلاً فى شىء من الشماتة :

- الأميرة تقول : إن كذبتك سخيفة وغير متقنة ؛ لأن فرسانها فحصوا حطام مركبتكم العجيبة ، ولم يعثروا داخلها على سوى أشياء غريبة ، وكرة معدنية صغيرة ، ولكن لا جثث أو ضحايا .

وبوحشية عنيفة ، غرزت الأميرة مخالبها مرة أخرى فى صدر (واتسن) ، فأطلق المسكين صرخة رهيبة ، وراح يلهث وينتحب ، وهى تتحدث بصوت أشبه بمواء القطط ، والشيخ يواصل الترجمة ، قائلاً :

- ثم إن فارسين من فرساننا تعرّضا لهجوم من رجلين وفتاة نجحوا فى الاستيلاء على جواديهما ، وهذا يعنى أن رفاقكما ما زالوا على قيد الحياة ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، ظهر عملاق آخر فى مدخل الحجرة ، وضرب صدره بقبضته فى قوة ، قبل أن يقول عبارة ما ، ثم اتجه نحو (هارلاك) مباشرة ، وأخرج رقعة جلدية من طيات ثيابه ، وفردها أمام القائد الوحشى ..

واتسعت عينا (خالد) فى ذعر ، فى حين أطلق (واتسن) شهقة مكتومة ..

ففوق الرقعة الجلدية هذه ، بدا رسم واضح لوجهين مألوفين ..

وجها (نور) و (أكرم) ..

* * *

٩ - وحوش آدمية ..

لدقيقة كاملة تقريبًا ، حدّق الجميع فى وجه (سلوى) ، التى لاذت بالصمت التام ، وهى غارقة فى حالة التنويم المغناطيسى ، بعد أن خرجت تلك العبارة من بين شفتيها ، حاملة صوت (محمود) ، ثم غمغمت (مشيرة) بصوت مرتجف :

- أ .. أهذا صوت (محمود) ؟

أتاها صوته عبر شفتى (سلوى) ، وهو يقول :

- نعم .. هو أنا يا(مشيرة) .. كيف حالك .. كيف حالكم جميعًا .. صدقونى يا رفاق ، أنا أفتقدكم جميعًا هنا .

وعلى الرغم من أنهم فعلوا كل هذا للاتصال به خصيصًا ، إلا أن سماعهم لصوته أربكهم جميعًا ، وفجّر فى أعماقهم دهشة بلا حدود ..

حتى (رمزى) نفسه أخذته المفاجأة ، وتمتم :

- رباه ! .. إنه هو بالفعل .

أجابه (محمود) :

- لا تجعل هذا يدهشك أو يربكك يا صديقى ، فقد

كانت فكرة التنويم المغناطيسى هذه عبقرية .. لقد منحتنى فرصة نادرة للاتصال بكم ، ثم إن هذه الحالة تضع عقل (سلوى) فى منحنى متوسّط ، ما بين النوم و اليقظة ، وهذا ما سمح لى بالتحدُّث من خلالها .

غمغمت (نشوى) فى اضطراب :

- هذا يشبه جلسات تحضير الأرواح .

أجابها صوت (محمود) :

- كلاّ يا (نشوى) .. هذا اتصال علمى طبيعى ، وليس نوعًا من الشعوذة والخزعبلات .. إننى لم أمت بعد ، ولكننى انتقلت فحسب إلى عالم آخر ، يبدو أنه جزء من نهر الزمن ، فأنا أستطيع التنقّل فى يسر ، بين الزمان والمكان ، ومعى (س - ١٨)(*) هنا ، ولكنه عاجز عن العودة ، ولا يمكنه أن يفعل شيئًا لمعاونتى .

هتفت (مشيرة) :

- سنبذل قصارى جهدنا لاستعادتك يا (محمود) .. لن نتخلّى عنك أبدًا .

حمل صوته الكثير من الحزن والمرارة والألم هذه المرة ، وهو يقول :

(*) راجع قصة (المقاتل الأخير) .. المغامرة رقم (٤٧) .

ـ ليس هذا ممكنًا للأسف يا (مشيرة) .. بالنسبة لما تملكونه من تكنولوجيا على الأقل .

ثم استطرد فى سرعة ، وبلهجة أكثر جدية ، واهتمامًا :

ـ ولكن دعونا من هذا الآن .. أنتم تريدون الاطمئنان على (نور) و(أكرم) .. أليس كذلك !

أجابته (نشوى) فى لهفة :

ـ بلى .. كيف هما ؟! .. أما زالا على قيد الحياة ؟!

أجابها على الفور :

ـ نعم .. مازالا على قيد الحياة ، ولكنهما فى عالم مخيف رهيب ، يحكمه قوم طغاة قساة ، غلاظ القلوب لا يعرفون الرحمة أو الشفقة .

شحب وجهها وهى تهتف :

ـ يا إلهى ! .. يا إلهى !

أما (مشيرة) ، فعلى الرغم من دقات قلبها القوية ، سألته فى اهتمام :

ـ وهل يمكنهم العودة إلينا ؟!

صمت (محمود) بضع لحظات ، قبل أن يجيب :

ـ سأبذل قصارى جهدى لمعاونتهما .

عادت تسأله فى إلحاح :

ـ المهم هل يمكنهما العودة ؟!

صمت لحظة أخرى ، ثم أجاب عبر شفتى (سلوى) :

ـ ذلك العالم يختلف كثيرًا عن عالمنا ، وطبيعته الثائرة تجعله أشبه ببحر عاصف متلاطم الأمواج ، والمخاطر فيه كثيرة ، ولكنهما قويان بما يكفى للتصدى لها ، و ...

قاطعته (مشيرة) فى عصبية شديدة هذه المرة :

ـ (محمود) .. لا داعى للمراوغة .. أجب عن سؤالى بصراحة ووضوح .. هل توجد وسيلة لعودة (نور) و(أكرم) إلى عالمنا ؟!

ران عليهم الصمت طويلاً هذه المرة ، قبل أن يجيب (محمود) فى اقتضاب :

ـ كلا .

شهقت (مشيرة) فى ارتياع ، وارتجفت (نشوى) فى عنف ، فى حين اتسعت عينا (رمزى) بشدة ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

فقد كان الجواب محبطًا ومحطمًا للآمال ..

وإلى أقصى حد ممكن ..

* * *

لم يستطع (أكـرم) منع ذلك الشعور بالاشمئزاز ، الذى انطلق فى أعماقه ، وهـو يتطلّع إلى ذلك السائل الدموى ، الذى يجرى تحت الصحراء الصخرية ، وأشار إليه بيده ، قائلاً فى توتر :

ـ من الواضح أن هذا الكوكب دموى بحق يا (نور) .. انظر ما الذى يجرى فى عروقه ؟!

تطلّع (نـور) إلى السائل بدوره ، وهو يقول فى حزم :

ـ أيًا كان هذا الشىء ، فهو ما ارتوى منه الجوادان يا (أكرم) .

هتف (أكرم) ، مستنكرًا :

ـ هل تريدنا أن نشرب هذا السائل البشع ؟

مدّ (نور) يده فى السائل ، مجيبًا فى حزم :

ـ بالتأكيد .

وحمل بعضًا منه فى راحتيه ، مستطردًا :

ـ وتذكـر أنه ليس لدينـا خيـار آخر .. إمـا أن نجد ما نشربه ، أيًا كانت بشاعته ، أو نلقـى حتفنا عطشًا ، فى هذا العالم الرهيب .

سرت فـى جسد (أكرم) قشـعريرة ، عندمـا رفـع (نور) راحتيه إلى شفتيه ، وتذوّق ذلك السائل ..

وفى عصبية ، قال (أكرم) :

ـ طعمه بشع كهيئته .. أليس كذلك ؟!

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وشرب كل ما حوته راحتاه من السائل ، قبل أن يجيب فى حماس :

ـ على العكس .. إن له طعمًا جيدًا ، يشبه المّاء مع عصير الفواكه ، ورائحته طيبة للغاية .

ثم رفع كفيه أمامه ، مضيفًا :

ـ وهو لا يصبغ الأيدى كما ترى .

هتف (أكرم) بدهشة حقيقية :

ـ حقًا ؟!

وعاد يعقد حاجبيه ، مستطردًا فى شك :

ـ وماذا لو أنه مسموم ؟!

ملأ (نور) راحتيه بالسائل مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ هل يبدو لك أثر السمّ على الجوادين ؟!

تردّد (أكرم) بضع لحظات ، ثـم لـم يلبـث نـداء العطش فى أعماقه أن اتخذ قرارًا حاسمًا ، فجلس إلى جوار (نور) قائلاً فى لهفة :

ـ افسح لى المجـال يـا (نـور) .. إننـى أكاد أموت عطشًا يا رجل .

وفى نهم شديد ، راحـا يرتويان من السائل الأحمر ،

قبل أن يهتف (أكرم) :

- رائع .. إنه سائل رائع .. لو عثرنا الآن على شىء نأكله ، نكون قد ضمنا البقاء فى هذا المكان اللعين .

تطلّع إليه (نور) لحظة فى صمت ، ثم تنهّد ، قائلاً :

- لو أن نظرية (واتسن) سليمة ، فلن يطول بنا البقاء هنا .

التقى حاجبا (أكرم) ، وكأنما استعاد انتباهه إلى الأمر بغتة ، وغمغم :

- آه .. نسيت أمر القمر والفجوة السوداء اللعينة .

التفت إليه (نور) ، قائلاً فى شىء من الحدة :

- ألا تملّ من ترديد تلك اللعنات ، بمناسبة ودون مناسبة ؟!

أجابه (أكرم) فى عصبية :

- سدّ أذنيك عندما أرددها .

صاح به (نور) :

- كفّ عن عناد الأطفال هذا .

هبّ (أكرم) من مكانه ، هاتفًا فى غضب :

- عناد ماذا ؟! .. إياك أن تكرّر هذا القول يا (نور) ، وإلا ..

هبّ (نور) بدوره ، صائحًا :

- وإلا ماذا ؟!

أطلق أحد الجوادين صهيلاً فى هذه اللحظة ، فانتبها إلى سخافة موقفهما ، وهزّ (أكرم) رأسه فى قوة ، قائلاً :

- معذرة يا (نور) .. يبدو أن هذه الحرارة الشديدة جعلت أعصابى ملتهبة للغاية .

ربّت (نور) على كتفه ، قائلاً :

- إنه خطئى أنا يا صديقى .

ثم التقط من حزامه منظارًا مقربًا حديثًا ، وهو يستطرد :

- أعتقد أن أفضل ما نفعله ، حتى نطفئ أعصابنا المشتعلة هذه ، هو هو أن نواصل بحثنا عن (نادية) ، وعن أولئك العمالقة ، الذين اختطفوا الباقين .

قالها ، وقفز يعتلى الصخرة الكبيرة ، ثم وضع المنظار المقرّب على عينيه ، وضغط زر الضبط الآلى فى قمته(*) ، وهو يدير رأسه فيما حوله ، فسأله (أكرم) :

(*) المناظير المقرّبة الحديثة تعتمد فى ضبط الرؤية على نظام ضبط البؤرة الآلى ، أو (Auto focus) .

- أمازلت تصرّ على أن خاطفى (نادية) ليسوا أولئك العمالقة الأوغاد ، الذين اختطفوا الآخرين ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

- هذا يبدو لى واضحًا للغاية .. حتى الأسلوب يختلف ..

هزّ (أكرم) رأسه فى حيرة ، قبل أن يسأله :

- أين ذهبوا إذن باللّه عليك ؟! .. من المستحيل أن يكونوا قد اختفوا فى قلب تلك الصحراء الجرداء ؟

أجابه (نور) ، وهو يتطلّع إلى الجبال بمنظاره المقرّب :

- بالتأكيد ، ولكن ربما كانت لهم ممرات سرية ، تمتدّ تحت الصحراء ، مثل ذلك النهر الأحمر الـ ...

بتر عبارته بغتة ، ليهتف فى دهشة بالغة :

- يا إلهى !

لم يكد (أكرم) يسمع الهتاف ، حتى وثب يعتلى الصخرة بدوره ، وهو يقول فى توتر :

- ماذا هناك ؟

رفع (نور) المنظار عن عينيه ، وناوله إياه ، قائلاً :

- انظر هناك يا (أكرم) .. عند سفح ذلك الجبل الداكن .. عندما كانت الشمس فى وجهنا لم ننتبه إلى هذا ، أما الآن ، فالمكان يبدو غاية فى الوضوح ، بعد أن أصبحت الشمس فى مواجهته تمامًا ..

وضع (أكرم) المنظار على عينيه ، وتطلّع إلى حيث يشير (نور) ..

ثم أطلق شهقة دهشة بدوره ..

فهناك ، عند سفح الجبل ، كان يوجد أغرب شىء يمكن أن يتخيّلوا وجوده فى هذا العالم العجيب ..

أغرب شىء بالفعل ..

★ ★ ★

كان من الواضح أن ما يرويه الحاكم (كاتو) يؤلمه بشدة ، فقد انحفر مزيج من الحزن والأسى والمرارة فى ملامحه ، وانتقل إلى صوته ، وهو يقول :

- منذ ما يقرب من مائة عام من أعوامنا فحسب ، كانت أمتنا قد بلغت شأنًا كبيرًا ، وقطعت شوطًا لا بأس به فى مجال التطوّر والتكنولوجيا ، وأصبحت لنا حضارة مدهشة ، جعلتنا نتفوّق على كل الأمم الأخرى فى كوكبنا ، حتى إننا أصبحنا أقوى قوة ضاربة ، يخشاها الجميع ، وتنحنى أمامها جباه الطغاة .. كانت

لدينا أعظم الأسلحة وأقواها ، وأفضل النظم والقوانين ، وأجمل المدن والطرق ووسائل النقل ، حتى امتلأت نفوسنا بالزهو ، ورحنا نتيه فخرًا بحضارتنا ، ونفرض إرادتنا على عالمنا كله ، ونسنّ قوانينه ، ونعمل على أن يحترمها الآخرون ، ثم نتجالها نحن بلا مبالاة ، إذا ما تعارضت مع مصالحنا ، حتى ولو فعلنا هذا على نحو واضح صريح ، دون تورية أو مواربة ..

وأشار بيده إلى ما حوله ، متابعًا :

- وأصبحت لنا مشروعاتنا الفضائية .. مركبات عملاقة تجوب الفضاء ، ومحطات انتظار هائلة ، وأقمار صناعية دفاعية ، وأسلحة فضائية قتالية ، بل وتمادينا إلى حد وضع برنامج علمى شديد التطوّر ، لتوليد الهواء فى الفضاء ، بحيث يصبح السفر عبره أقل تكلفة وخطورة .

ثم هزّ رأسه ، وتنهّد فى أسى وأسف ، قبل أن يضيف :

- وفى غمرة كل هذا ، نسينا أمر (المولاك) .

ردّدت (نادية) فى تساؤل :

- (المولاك) ؟!

أومأ برأسه ، قائلاً :

- نعم .. (المولاك) .. أولئك العمالقة ، الذين يسيطرون على كوكبنا الآن ، ويخضعونه لطغيانهم وجبروتهم وقسوتهم .. فى الماضى ، وعندما بلغنا نحن ذلك الشأن ، لم يكن (المولاك) سوى شعب بدائى نصف متوحّش ، سمحنا له بالبقاء والاستقرار فى منطقة الجبال ، ونحن نتصوّر أن فارق التقدّم بيننا وبينه ، لن يجعله يمثّل لنا أدنى تهديد ، حتى إن أحد كبار أدبائنا أشار يومًا إلى أن (المولاك) مجرّد حيوانات متطوّرة ، لا ضرر فى أن يخرج شبابنا يومًا لاصطيادها ، وتخليص العالم من شرورها ، كنوع من الرياضة والقنص .

وتنهّد مرة أخرى ، ثم تابع فى أسى :

- وفى الوقت الذى انشغلنا فيه بقوتنا وغرورنا ، راح شعب (المولاك) ، الذى تحكمه سلالة من أنصاف الوحوش ، يدرّب أجياله الجديدة على القتال ، مستخدمًا نفس الأسلحة والأساليب البدائية الهمجية ، التى يستخدمها منذ عشرات القرون ، وساعدتهم بنيتهم القوية وأجسادهم العملاقة ، على أن يصبحوا مقاتلين أشدّاء ، لا تعرف الرحمة أو الشفقة طريقها إلى قلوبهم ، وانتشر جواسيسهم فى الصحراء الصخرية

المحيطة بنا ، يراقبون تحركاتنا ، ويبحثون عن ثغرة لاقتحام عالمنا والسيطرة عليه .

وانكسر صوته فى مرارة شديدة ، قبل أن يضيف :

ـ ونحن منحناهم الفرصة للأسف .

مطَّ (آرى) شفتيه ، وأشاح بوجهه فى ألم ، عندما بلغ الحاكم هذا الجزء من روايته ، وكأنما يحمل فى أعماقه المرارة نفسها ، و(كاتو) يستطرد :

ـ ومنذ ثلاثة وثمانين عامًا ، وفى إطار مشروعنا لتطوير الفضاء الخارجى ، أطلق علماؤنا قنبلة خاصة ، لاختبار إمكانية توليد الهواء فى قلب الفضاء ، واتجهت القنبلة نحو الموقع المحدود لها بالضبط ، ثم انفجرت .

والتقط نفسًا عميقًا ، وهو يقول :

ـ وكانت هذه بداية الدمار .

همهم (آرى) بكلمات غير مفهومة ، أجابها الحاكم بإيماءة من رأسه ، قبل أن يتابع :

ـ انفجار القنبلة أدى إلى ردود أفعال فيزيائية غير متوقعة على الإطلاق ، وإلى سلسلة من التفاعلات المخيفة ، تغيَّر معها الفضاء المحيط بنا تمامًا ، وتكوَّنت فيه سحب عملاقة ، انطلقت منها صواعق هائلة ، أحاطت بنا من كل جانب ، وبثت فى قلوبنا رعبًا

لا مثيل له ، وعلماؤنا يبذلون قصارى جهدهم لدراسة الموقف ، والبحث عن وسيلة للسيطرة عليه ، قبل أن تسقط بعض هذه الصواعق على أمتنا ، وتتسبب فى كارثة رهيبة .

غمغم (آرى) فى مرارة شديدة :

ـ وهذا ما حدث بالفعل .

شهقت (نادية) ، متمتمة :

ـ يا إلهى ! ..

وتابع الحاكم فى ألم واضح :

ـ هوت الصاعقة على مدينتنا قبل دقائق من مطلع شمسنا ، وكان لها تأثير عشرات القنابل الرهيبة ، فانهارت المدينة ، وتحطَّم مخزون أسلحتنا الرئيسى ، وسقطت طرقنا ومواصلاتنا ، وحتى شبكة الطاقة الرئيسية .. باختصار .. كان الدمار رهيبًا شاملاً ، وكان يحتاج إلى جهد رهيب لإعادة البناء ، واستعادة كل ما سقط .

سألته (نادية) فى اهتمام :

ـ ولماذا لم تبذلوا هذا الجهد ؟

أشار بيده ، قائلاً :

ـ لأن (المولاك) لم يمنحونا الفرصة لنفعل .. كانوا

وكأنهم ينتظرون هذه اللحظة منذ عشرات السنين ، فلم تكد الكارثة تقع ، حتى انقضوا علينا فى وحشية رهيبة ، وراحوا يقتلون ويذبحون ويحرقون ويدمرون بلا رحمة أو شفقة ، وكأنهم يتلذذون بكل قطرة دم تراق ، وكل روح بريئة تزهق .

والتقط نفسًا عميقًا ثانيًا ، قبل أن يتابع فى أسى :

ـ والعجيب أنه حتى فى تلك المرحلة ، كانت لدينا القدرة على التصدى لهم ، بما تبقى لدينا من أسلحة ، ولكن مسئولينا تصوروا أن (المولاك) شعب بدائى غبى ، وأننا نستطيع الانتصار عليهم فى أية لحظة ، فراحوا يوجهون إليهم الإنذار تلو الآخر ، وهم يتجاهلونه ، ويواصلون غيهم وجبروتهم ، حتى فات الأوان ، ولم يعد القتال أو حتى المقاومة مجدية ، عندما بدأنا فى استخدام الأسلحة فعليًا .

همهم (آرى) مرة أخرى بكلمات مبهمة ، تفيض حنقًا ومرارة ، والحاكم يقول :

ـ وانتصر (المولاك) ..

كادت (نادية) تطلق شهقة أخرى ، وتصرخ فى وجهيهما بأن هذه هى أكبر حماقة وقع فيها شعب ما ، فى التاريخ كله ، إلا أنها لم تلبث أن تذكرت أنها

لا تنتمى إلى هذا العالم ، ولا تعلم شيئًا عن تاريخه ، فآثرت الصمت ، والحاكم يتابع :

ـ والعجيب أنه حتى بعد انتصارهم ، لم يحاول (المولاك) الاستفادة من أسلحتنا المتطورة ، ربما لأنهم يجهلون كيفية استخدامها ، لذا فقد عمدوا إلى تدميرها ، فى احتفال همجى ضخم ، وأعلنوا أنفسهم سادة هذا الكوكب ، وتهددوا كل من يقاومهم بالويل والثبور ، وعظائم الأمور ، ثم بدءوا عهدهم الجديد فى عالمنا .. عهد القسوة والطغيان والوحشية ، وأصبح شعبنا ، الذى كان يومًا أرقى شعوب الكوكب ، مجرد خدم وعبيد ورعايا لعمالقة (المولاك) ، الذين أقاموا معسكرات ضخمة ، يعمل فيها أهلنا ، فيزرعون ويقلعون ، ويصنعون الغذاء والكساء للعمالقة ، دون أن يظفروا منه إلا بما يقيم أودهم ، أو يستر عوراتهم فحسب ، وحولهم حراسة قوية شديدة ، لا يتردد رجالها فى سحق كل من يقاوم ، أو يبدى أدنى اعتراض على تلك المعيشة المهينة ، التى ترفضها حتى أدنى الحيوانات .

قالت (نادية) فى حذر :

ـ ولكنكم تعيشون فى مجتمع جيد نظيف منظم .

أجابها (آرى) فى صرامة وحزم :

- نحن لا نخضع لعمالقة (المولاك) .

أشار إليه الحاكم بالصمت ، وهو يقول :

- هذا صحيح يا بنيتى .. نحن الشوكة التى بقيت فى ظهر (المولاك) ، والأمل الأخير فى استعادة عزة وكرامة شعبنا .. نحن رجال المقاومة ، الذين يهاجمون (المولاك) ومستعمراتهم ، ويكبدونهم خسائر فادحة .. نحن الذين نسعى للقضاء على الطغاة ، وإعادة السلام إلى كوكبنا .. ولهذا أطلقنا على مدينتنا الخفية اسم (أرض السلام) (بشتوريا) .

ارتفع حاجباها فى تأثر ، وهى تقول :

- يبدو أن الأمور لا تختلف كثيرًا ، من كوكب إلى كوكب ، ومن عالم إلى آخر ، فحيثما وُجد الطغيان تولد المقاومة السرية ، ويولد معها الأمل فى الحرية والسلام .

استدار إليها (آرى) فى حركة حادة ، وأشار إليها بسبابته فى غضب ، هاتفًا :

- كان هذا فيما مضى ، ولكنكم أنتم حطمتم الأمل .. أنتم وضعتم نهاية لكل أحلامنا وطموحاتنا .

تراجعت (نادية) كالمصعوقة ، وهى تحدق فى وجهه بدهشة بالغة ، وعقلها يصرخ بسؤال واحد ، لم ينطقه لسانها من فرط الدهشة وأثر الصدمة ..

كيف يمكن أن نكون السبب فى تحطيم أحلامكم وطموحاتكم ؟!

كيف ؟! ..

كيف ؟! ..

ودون أن يسمع سؤالها ، منحها (آرى) الجواب فى غضب وسخط وثورة ..

وكان جوابه عجيبًا !!..

عجيبًا بحق !!..

* * *

« إنها صورة (نور) و(أكرم) !! » .

هتف (واتسن) بالعبارة فى توتر شديد ، وهو يحدق فى رقعة الجلد ، التى تحمل ذلك الرسم المتقن ، فقال (خالد) فى انهيار :

- هذا يعنى أن هؤلاء الأوغاد توصلوا إليهما ، أو .. أو ...

لم يقو على نطق العبارة ، ولكن (واتسن) أكمل قائلاً بصوت مرتجف :

- أو قتلوهما .

شعر (خالد) بغصة فى حلقه ، وتمنى لو ينقض على الأميرة (بلوميا) ويقبض على عنقها الطويل

بكفيه ، ويعتصره حتى الموت ، وخاصة عندما نقلت بصرها بينه وبين (واتسن) ، وتحدثت مع الشيخ بلهجة ساخرة ، فترجم حديثها إلى (واتسن) ، الذى احتقن وجهه بشدة ، فقال له (خالد) فى عصبية :

- ماذا قال ؟.. ماذا قال بالله عليك ؟!

عض (واتسن) شفتيه قائلاً :

- الأميرة قالت : إن فرسانها توصلوا إلى مكان رفيقينا ، وقام ضابط استطلاعها برسم صورتيهما ، وهما محاصران الآن ، دون أن يدركا هذا ، وما هى إلا ساعة واحدة ، وينضمان إلينا هنا ..

هتف (خالد) من أعمق أعماق قلبه :

- اخذلهم يا إلهى ! اخذلهم وأنقذ (نور) و(أكرم) من قبضتهم القذرة .. انصر الأخيار واهزم الأشرار يارب العالمين .

انعقد حاجبا الأميرة فى غضب ، وهى تتطلع إلى (خالد) ، على الرغم من أنها لم تفهم حرفًا واحدًا مما قاله ، ثم اتقدت عيناها الحمراوان كقطعتين من الجمر ، قبل أن تتجه إليه ، وتلتقط يده المكسورة ، وتتطلع إليها بنظرة عجيبة ، ثم ترفع عينيها إليه وتموء كالقط المتحفز ، فامتقع وجه (خالد) ، وهو يقول :

- إياك .. إياك أن تنشبى مخالبك القذرة فيها .

ولكن الأميرة لم تبرز حتى مخالبها ..

كل ما فعلته هو أن أحاطت كفه بأصابعها ، وهى تتطلع إلى عينيه مباشرة ، و ..

وضغطتها بغتة ..

ضغطتها بقوة هائلة ، دارت لها عينا المسكين فى محجريهما ، واختنقت لها صرخته فى أعماقه لحظات ، وهو يحدق فى وجهها ذاهلاً ، ثم لم تلبث تلك الصرخة أن انطلقت عالية مدوية ، تجلجل فى الحجرة ، حاملة قدرًا هائلاً من الألم والعذاب ، أحاطت معهما سحابة ضبابية بعقله ، وعجزت قدماه عن حمله ، فهوى فاقد الوعى ، من فرط الألم والذعر ..

وفى ثورة ، هتف (واتسن) :

- ماذا فعلت به أيتها الحقيرة ؟! .. ماذا فعلت به ؟!

التفتت إليه (بلوميا) بنظرة ساخرة ، وهى تفلت كف (خالد) ، التى فقدت شكلها الطبيعى ، وأصبحت أشبه بكومة من اللحم المفرى ، اختلط لحمها بدمها وعظامها وجلدها ..

وأطلقت الأميرة بخة القط فى وجهه ، وهى تبرز مخالبها ، فتراجع هاتفًا :

- ماذا تريدون منا ؟! .. ماذا تفعلون بنا ؟!

اتجهت الأميرة نحوه فى شراسة مخيفة ، ومخالبها مشهورة فى وجهه ، تستعد للغوص مرة أخرى فى صدره ، ولكن (هارلاك) أطلق زمجرة وحشية ، وهو يشير إليها بيده ، فالتفتت إليه فى غضب شرس ، ولكنه تبادل معها حديثًا قصيرًا ، تراجعت بعده مخالبها ، وأشارت إلى حراسها فى شىء من السخرية والتلذذ ، لحمل أحد الحرّاس (خالد) ، ودفع الثانى (واتسن) أمامه ، وغادروا الحجرة إلى تلك الممرات الصخرية المتشابكة ..

وفى هذه المرة لم يشعر قلب (واتسن) بالارتياح أبدًا .

صحيح أنه أسير منذ البداية ، فى ذلك الجحيم الرهيب ، إلا أنه ، وفى هذه المرة بالذات ، كان يشعر وكأنه يسير إلى حتفه ..

ولم يعد بهما الحرّاس إلى زنزانتهما الرطبة ..

لقد نقلوهما إلى مكان آخر ، به فجوة واسعة ، عمقها ثلاثة أمتار ، ودفع أحد الحراس (واتسن) فى غلظة وقسوة ، وهو يصرخ بكلمة ما ، أدرك الأمريكى أنها أمر بالقفز فى الفجوة ، ففعل ، ووثب داخلها وقلبه

يخفق فى قوة ، وانطلقت من حلقه صرخة استنكار وذعر ، عندما ألقى حارس آخر جسد (خالد) داخل الفجوة فى غلظة ، فارتطم هذا الأخير بالأرض فى عنف ، وتأوّه فى شدة ، فهرع إليه (واتسن) ، هاتفًا :

- أيها الأوغاد .. إنه ليس قطعة من الحجر لتفعلوا به هذا .. إنه بشر من لحم ودم .

لم يفهم الحرّاس العمالقة قوله ، ولكنهم أطلقوا ضحكات ساخرة شرسة ، وهم يشيرون إليه وإلى (خالد) فى تهكم واضح ، فى حين تأوّه هذا الأخير فى ألم ، وتمتم فى تهالك واضح :

- ألم رهيب يا (واتسن) .. ألم رهيب يا رجل .. تلك الحقيرة سحقت كفى سحقًا .

تطلّع (واتسن) فى ارتياع الى كف (خالد) بشكلها البشع ، وغمغم :

- إنهم وحوش يا (خالد) .. وحوش .

حاول (خالد) أن يعتدل ، فى ألم شديد ، وأدار عينيه فيما حوله فى ارتياع ، قائلاً :

- أين نحن ؟!

استدار (واتسن) يلقى على المكان نظرة بدوره ، ثم سرت فى جسده ارتجافة ، على الرغم من إرادته ..



لم يكد يتمّ عبارته ، حتى تناهى إلى مسامعهما صوت سائل يجرى ..

فالمكان عبارة عن فجوة مستديرة ، نصف قطرها متران على الأقل ، وارتفاعها يقارب الأمتار الثلاثة ، وكانت هناك فتحات صغيرة مستديرة فى جدارها ، بالقرب من قمتها ، وأخرى بنفس الاتساع تقريبًا فى قاعدتها ..

وفى رهبة تمتزج بالألم ، غمغم (خالد) :

ـ هذا المكان يبعث فى نفسى خوفًا مبهمًا .

تمتم (واتسن) :

ـ وأنا كذلك .

ثم أشار إلى الفتحات الصغيرة ، مستطردًا :

ـ لماذا هذه الفتحات فى رأيك ؟

نقل (خالد) بصره بين الفتحات العلوية والسفلية ، ثم تمتم فى خوف شديد :

ـ أتعشّم ألا تكون مخارج أنابيب لصب الحمم الملتهبة فى هذه الفجوة .

شهق (واتسن) فى ارتياع ، وهو يقول :

ـ يا إلهى ! .. الحمم ! .. لا .. لن أحتمل هذه الميتة البشعة .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى تناهى إلى مسامعهما صوت سائل يجرى ، فهتف (خالد) ، وهو ينهض مذعورًا :

- الحمم ؟!

اتسعت عينا (واتسن) فى رعب هائل ، وهو يلتصق بالجدار ، وراح جسده يرتجف ..

ويرتجف ..

ويرتجف ..

ثم فجأة ، تدفق السائل عبر الفتحات العلوية والسفلية ..

ولكنه لم يكن الحمم المتوقعة ..

لقد كان ذلك الماء الأحمر ، الشبيه بالدماء البشرية ، والذى أخذ يتدفق فى غزارة ، من أعلى وأسفل ، ويغمر الفجوة ، ومنسوبه يرتفع فيها بسرعة ، فهتف (خالد) :

- رباه ! .. إنهم يقتلوننا غرقًا يا (واتسن) .. سنلقى حتفنا فى هذه الفجوة الحقيرة كالفئران .

ولم يجب (واتسن) ..

لقد أدرك أن (خالد) على حق فى هذا الأمر ..

لقد قرر أولئك العمالقة الطغاة قتلهما غرقًا ، داخل تلك الفجوة ، التى راح السائل يرتفع فيها بسرعة ..

ويرتفع ..

ويرتفع ..

* * *

١٠ - شبكة الموت ..

« قدومكم إلى هنا جلب إلينا مصيبة جديدة .. » .

هتف (آرى) بالعبارة فى غضب شديد ، وهو يلوّح بسبّابته فى وجه (نادية) ، قبل أن يستطرد فى حدة :

- أكثر من عشرين عامًا ونحن نعدّ العدة ، ونتأهب لشن حرب شعواء على (المولاك) ، الذين بلغ طغيانهم مداه ، بعد ان مات أميرهم السابق ، وترك العرش لابنه (مولان) وابنته (بلوميا) ، بكل شراستهما ووحشيتهما ، وساديتهما التى لا تنتهى ، خاصة وقد أسندوا قيادة فرسانهم إلى (هارلاك) ، شقيقهما الأصغر ، الذى يفوقهما ضراوة ووحشية .. وبعد أن استعددنا لساعة الصفر ، وبدأنا العد التنازلى لها بالفعل ، وقعت تلك الكارثة الجديدة .

سألته فى توتر :

- أتقصد تلك الفجوة السوداء ؟!.. ولكنها كارثة أصابتنا ، ولم نجلبها إليكم .. نحن ضحايا لها مثلكم تمامًا .

قال فى عصبية :

- لست أقصد هذا .

قالت فى حدة :

- ماذا تقصد إذن أيها العبقرى ؟!

صاح فى وجهها :

- استمعى إلىّ أيتها المتحذلقة ، وستعرفين ما أقصده .

نقل الحاكم (كانو) بصره بينهما ، قبل أن يشير بيده ، قائلاً :

- مهلاً يا (آرى) .. رويدك يا بنيتى .. لا يوجد ما يستوجب شجاركما .. إنه يروى شيئًا وأنت تستمعين .

زفرت (نادية) فى حدة ، وقالت :

- فليكن .. هات ما لديك أيها الراوى .

عقد (آرى) حاجبيه ، وهو يقول :

- عندما حدثت تلك الكارثة الجديدة ، كنا فى منتصف النهار ، وفوجئنا بانفجار صامت هائل فى الفضاء ، فتصوّرنا أنه رد فعل جديد متأخر ، لتلك القنبلة التى أفسدت فضاءنا ، وقرّرنا تأجيل ساعة الصفر ، حتى تتضح الأمور ، خاصة وأن (المولاك) أصابهم الذعر أيضًا ، وراحوا يراقبون السماء ليلاً ونهارًا ، وقد أقلقهم أن تظهر فجوة بيضاء ، تلقى ضوءًا مبهرًا على الجانب المظلم للكوكب ، بحيث لم يعد هناك ليل تقريبًا .

وتنهّد فى عصبية ، قبل أن يستطرد :

- كان هذا يُفسد خططنا بالتأكيد ، فقد كانت تعتمد ، فى جزء كبير منها ، على التسلُّل تحت حجب الظلام ، الذى لم يعد له وجود فى عالمنا قط ، فالشمس تشرق على نصف الكوكب ، والفجوة البيضاء تضىء نصفه الآخر طوال الوقت ، خاصة وأنها تواصل الاتساع ، طوال العامين الماضيين ، وتقذف كوكبنا ، بين الحين والآخر بقطع ضخمة ، من الصخور والنيازك .

وعاد حاجباه ينعقدان فى غضب ، وهو ينظر إليها ، متابعًا :

- ومع مرور الوقت ، اعتاد (المولاك) وجود هذه الفجوة البيضاء ، ولم يعد أمرها يثير اهتمامهم ، كعادة الهمج إزاء أية ظاهرة ممتدّة ، مما منحنا فرصة وضع خطط جديدة ، لا تعتمد مطلقًا على ظلام يفتقر كوكبنا إليه ، وإنما تتناسب مع الظروف الجديدة ، التى لم يتوقّف علماؤنا عن دراستها ، والبحث عن تأثيراتها المختلفة ، منذ لحظة حدوثها ، وحددنا ساعة صفر جديدة بالفعل ، وبدأنا العد التنازلى مرة أخرى .

وتضاعف الغضب المطلّ من عينيه ، وهو يلوّح بسبّابته ثانية فى وجهها ، هاتفًا :

- ثم وصلتم أنتم .
هتفت به :
- لا تقل لى : إننا أفسدنا خططكم .
صاح فى حنق :
- هذا ما فعلتموه بالفعل .
ثم استطرد ، وهو يلوّح بذراعيه محتدًا :
- مركبتكم الفضائية سقطت وسط أطلالنا ، وانفجرت ، وفجّرت معها قلق (المولاك) وذعرهم ثانية ، وجعلتهم يرفعون درجة استعداداتهم إلى الحد الأقصى ، وينشرون جنودهم وجواسيسهم فى المنطقة كلها ، بحيث بات من المستحيل أن ننفذ خطتنا ، أو أن نحقق عامل المفاجأة ، الذى تعتمد عليه .
احتقن وجهها فى غضب ، وهى تهتف :
- وما ذنبنا فى هذا الأمر ؟!
صاح فى حنق :
- بل ما ذنبنا نحن ؟ .. كلما استعددنا للقتال يعاندنا القدر .
قالت فى حدة :
- أرأيت ؟ .. أنت قلتها .. إنه قدركم .
همّ (آرى) بقول شىء ما ، لولا أن رفع الحاكم سبابته ، وقال فى وقار :

- صدقت يا بنيتى .. إنه قدرنا .
ثم التفت إلى (آرى) ، مستطردًا :
- وينبغى أن تؤمن بهذا يا ولدى .
هتف (آرى) فى مرارة :
- إلى متى ؟!
أجابه الشيخ فى حزم :
- إلى الأبد .. الإيمان بالقضاء والقدر لا ينتهى قط .. إنه جزء من حسن إيمان المرء ، يمتزج بدمائه ، ويجرى معها فى عروقه ، وتنبض به كل خلية من خلاياه، مادام فى صدره نفس يتردد ، وفى جسده عرق ينبض .
خفض (آرى) عينيه ، وهو يغمغم :
- سامحنى يا عماه .. إنها رغبتى فى الثأر والنصر فحسب .
نطقها فى حزن شديد ، أثار دهشة (نادية) ، وشيئًا من شفقتها وعطفها ، حتى إنها كادت تسأله عن سر هذا الحزن الدفين ، لولا أن منعها خجلها وحياؤها من هذا .
ثم إن أحد الرجال برز فى هذه اللحظة ، وانحنى أمام الحاكم ، ثم اندفع نحوه ، وهمس فى أذنه بشىء ما ، انعقد له حاجبا (كاتو) ، قبل أن يومئ برأسه متفهمًا ، ويهمس فى أذن الرجل ببضع كلمات أخرى ..

وكان من الطبيعى أن يتفجّر فضول الأنثى فى أعماق (نادية) ..

ما الذى حدث بالضبط ؟!..

وما الذى همس به الرجل فى أذن الحاكم ؟!..

والعجيب أن الحاكم رفع عينيه إليها ، وكأنما سمع تلك الأسئلة ، التى دارت فى أعماق عقلها ، وقال :

ـ إنه أمر يخصّ رفيقيك .

هتفت منزعجة :

ـ (نور) و (أكرم) ؟!

هزّ كتفيه ، قائلاً :

ـ أيًا كان اسماهما .. إنهما اللذان كانا معك عند الصخرة .

اتسعت عيناها فى ارتياع ، وهى تهتف :

ـ رباه !.. ماذا أصابهما ؟!

تنهّد ، قائلاً :

ـ لم يصبهما شىء بعد ، ولكنهما يواجهان خطرًا رهيبًا .. رهيبًا بحق .

وهوى قلب (نادية) بين قدميها ..

★ ★ ★

ارتفع منسوب السائل الأحمر فى سرعة ، داخل الفجوة الصخرية ، وهو مستمر فى التدفُّق بسرعة ، عبر الفتحات العلوية والسفلية ، حتى بلغ أكتاف (خالد) و (واتسن) ، اللذين أصابهما ذعر شديد ، وبدا لهما أن نهايتهما آتية لا ريب ، وأنهما لن يلبثا أن يموتا غرقًا ، فى أعماق ذلك السائل الدموى ..

وفى هلع ، هتف (خالد) :

ـ لن يمكننا أن نسبح طويلاً .. كفى المسحوقة تطلق فى جسدى آلامًا رهيبة ، ولن تضرب الماء لأكثر من دقائق معدودة ، وبعدها .

أمسكه (واتسن) جيدًا ، وهو يقول :

ـ سأبذل قصارى جهدى من أجلك يا رجل .. إننى أجيد السباحة إلى حد ما .. سأحملك بقدر ما أستطيع ، وربما أمكننا التشبث بالحافة .

ارتفع السائل إلى عنقيهما ، و (خالد) يهتف :

ـ هؤلاء الأوغاد لن يسمحوا لنا بهذا .. أراهن أنهم سيطعنوننا برماحهم ، إذا ما اقتربنا منها ، ثم إنك مصاب بالفعل ، وصدرك ينزف ، بسبب مخالب تلك اللعينة ، وضلعك المكسور سيؤلمك حتمًا ، و ....

جذبه (واتسن) إليه ، وهو يسبح بقدميه بالفعل ، مع ارتفاع منسوب السائل ، وقاطعه فى صرامة :

- اصمت يا رجل .. اصمت واضرب الماء بقدميك .

راحا يبذلان قصارى جهديهما ، لإبقاء وجهيهما خارج الماء ، والمنسوب يرتفع أكثر وأكثر ..

ولكن كليهما كان منهكًا بالفعل ..

الألم والخوف والعذاب نالا منهما ، وأجهدا جسداهما وعقولهما ، وأصبحت المقاومة عسيرة ومرهقة ..

وابتسامة الحرّاس الساخرة المتشفية تنال منهما أكثر وأكثر ..

وفى مرارة وتهالك ، قال (خالد) :

- اتركنى يا (واتسن) .. لن يمكنك أن تقاوم من أجلنا معًا .. اتركنى وقاتل من أجل حياتك .

أجابه (واتسن) فى حزم :

- مستحيل !.. إنها مسألة وقت فحسب .. من الواضح أن كلينا سيموت غرقًا فى النهاية ، وأنا أفضّل أن نموت معًا .

كانت المقاومة تزداد صعوبة فى كل دقيقة تمضى ، والتعب يتزايد ويتزايد ، ومنسوب السائل يرتفع ، ويرتفع ، و ...

وفجأة ، توقف تدفق السائل من الفتحات العلوية ..

وفجأة أيضًا ، بدأ منسوبه ينخفض ..

وينخفض ..

وينخفض ..

وفى دهشة تمتزج بالفرح ، هتف (خالد) :

- رباه !.. لن نموت يا (واتسن) .. هؤلاء الأوغاد كانوا يتسلّون بتعذيبنا فحسب ، ولكنهم لن يقتلونا .. لن نموت غرقًا .

كان (واتسن) يشعر بالدهشة لهذا التصرّف السادى العجيب ، ولكنه لم يعلّق على قول (خالد) ، وواصل ضرب الماء بقدميه ، حتى لامستا أرضية الفجوة ، فتوقّف فى حذر ، وانتظر حتى تم تصريف السائل كله ، عبر الفتحات السفلية ، ثم غمغم :

- عجبًا !..

ألقى (خالد) جسده أرضًا ، وهو يلهث بشدة ، هاتفًا :

- كانوا يتسلون بتعذيبنا !.. يا لهم من وحوش .

صمت (واتسن) بعض الوقت ، وهو يتطلّع إلى عيون الحراس ، التي ما زالت تحمل شماتة ساخرة واضحة ، مع لمحة ترقّب ، جعلته يدير عينيه إلى الفتحات

السفلية ، ويتساءل عما ينتظرون قدومه منها ، بكل هذه اللهفة ..

ثم تناهى إلى مسامعه ذلك الصوت ..

صوت أشبه بوقع أقدام صغيرة ، يأتى عبر الفتحات السفلية ..

وفى توتر ، قال :

ـ هل تسمع هذا يا (خالد) ؟!

أرهف (خالد) سمعه لحظة ، ثم اتسعت عيناه فى ارتياع ، وهو يقول :

ـ رباه !.. هذا يشبه الـ ..

قبل أن يتم قوله ، برز حيوان صغير من إحدى الفتحات السفلية ..

حيوان أشبه بالفأر ، بدون ذيل ، ويغطى جسده جلد سميك ، بدلاً من ذلك الفراء الرمادى ..

وحدق (خالد) و (واتسن) فى ذلك الحيوان الصغير ، فى مزيج من الدهشة والقلق ، فى نفس الوقت الذى ظهر فيه حيوان آخر ، من فتحة أخرى ، ثم تلاه ثالث ، ورابع ، وخامس ، وعاشر ..

وهتف (واتسن) :

ـ رباه !.. تلك الحيوانات الصغيرة تبدو وكأنها ..

لم يكن قد أكمل عبارته هذه المرة ، عندما انقض عليه أحد تلك الحيوانات الصغيرة ، وغرس أنيابه فى ساقه ، ثم انتزع منها قطعة من اللحم فى وحشية ، جعلته يطلق صرخة ألم وذعر رهيبة ، فى حين اتسعت عينا (خالد) ، وهو يردد فى رعب هائل :

ـ لا .. لا .. إننى أفضل الموت غرقًا ..

فقد كان من الواضح أن الرحمة لم تعرف سبيلها إلى قلوب الطغاة ، عندما تراجعوا عن فكرة قتلهما غرقًا ..

كل ما فى الأمر أنهم اختاروا لهما ميتة أكثر عذابًا .

وأكثر بشاعة ..

أكثر بكثير ..

* * *

امتلأت نفس (أكرم) بدهشة بالغة ، وهو يحدق فى ذلك المشهد ، الذى نقلته إليه عدسات المنظار المقرب ، وهتف فى انفعال :

ـ رباه !.. أهذا حقيقة يا (نور) ، أم أننا نطالع فيلمًا من الأفلام التاريخية القديمة ؟!

أجابه (نور) ، وهو يستعيد المنظار ، ويتطلع ثانية إلى ذلك المشهد العجيب :

- بل هو حقيقة يا (أكرم) .. إنها قلعة حقيقية .. قلعة تشبه تمامًا تلك القلاع القديمة ، التى بناها الملوك والإقطاعيون ، فى العصور الوسطى ، بأسوارها المرتفعة ، وأبراجها ، وحتى الجسر المقام على الخندق المحيط بها .. ومن الواضح أنها قلعة هائلة ، ذات استحكامات قوية ، وأسوار حصينة .

ثم رفع المنظار عن عينيه ، وهزّ رأسه ، مستطردًا :

- يا للعجب !.. لقد قرأت العديد من النظريات ، التى تؤكد أنه لو توافرت لكوكب آخر ، نفس الظروف المعيشية ، والتطوّر الجيولوجى ، الذى مرّت به الأرض ، فمن المحتمل أن تنشأ فيه حضارة مشابهة فى تطوّرها لحضارة الأرض(*) ، ولكننى لم أتصوّر أبدًا أنه من الممكن أن يبلغ الأمر هذه الدرجة من التماثل .

هتف (أكرم) مستنكرًا :

(*) نظرية علمية بالفعل ، تقول : إن البدايات المتشابهة ، تؤدى على الأرجح إلى نتائج متشابهة ، وهناك تيار يميل إلى هذه النظرية ، وآخر يخالفها ويعارضها بشدة ، مؤكدًا استحالة نشوء حضارتين متشابهتين ، مهما تماثلت الظروف .

- التماثل ؟!.. أى تماثل يا (نور) ؟!.. الأمر ليس مجرّد قلعة ، تشبه القلاع التى عرفتها أرضنا فى الماضى .. كل شىء فيما عدا هذا يختلف تمامًا عن مثيله فى الأرض .. الأحجام ، والمياه ، والطبيعة ، وحتى درجات الحرارة .

ابتسم (نور) ، قائلاً :

- وماذا عن الخيول ؟

أجابه (أكرم) فى سرعة :

- هل رأيت ألوانها ؟!

هزّ (نور) رأسه ، وقال :

- فليكن .. الظروف لا تسمح بمناقشة النظريات العلمية وتداعياتها الآن .. المهم أننا حدّدنا المكان الذى أتى منه هؤلاء العمالقة .

قال (أكرم) فى سخرية عصبية :

- وهل تعتبر هذا نجاحًا ؟

مطّ (نور) شفتيه ، وقال :

- أعترف أن القلعة ضخمة ومنيعة ، وأصحابها عمالقة أشداء ، ولكن التوصّل إليها يعد خطوة على الطريق .

واصل (أكرم) حديثه العصبى الساخر ، وهو يقول :

- وكيف تتوقّع منا أن ندخل هذه القلعة الحصينة ؟!.

هل نطرق بابها ، ونلوّح بأيدينا ، ونبتسم فى أناقة قائلين : مرحبًا .. هل يمكننا زيارة رفاقنا ؟

انعقد حاجبا (نور) فى ضيق ، وهو يقول :

ـ الموقف لا يحتمل السخرية يا (أكرم) .. ينبغى أن تعتصر ذهنك ؛ لتبحث معى عن وسيلة ، لمواجهة هذا الموقف .

شعر (أكرم) بالخجل فى أعماقه ، وغمغم :

ـ معذرة يا (نور) .. يبدو أن الموقف الصعب أثار أعصابى .

تنهّد (نور) ، قائلاً :

ـ أنا مثلك يا صديقى ، ولكننى أبذل قصارى جهدى للسيطرة على أعصابى ، لأن الموقف يحتاج إلى كل طاقتنا ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يدور على عقبيه ، هاتفًا :

ـ احترس يا (أكرم) .

استدار (أكرم) فى سرعة مدهشة ، إثر هتاف (نور) ، ورأى واحدًا من هؤلاء العمالقة ينقضّ عليه ، رافعًا هراوة ثقيلة ، ويهم بضرب رأسه بها ، فقفز جانبًا ، وهو يستلّ مسدسه من حزامه ، هاتفًا :

ـ أيها الوغد .

وأطلق رصاصات مسدسه ..

ولأنه مقاتل محترف ، يعى دروسه ويستوعبها جيدًا ، فقد أدرك أن تلك الدروع الصلبة تتصدّى لرصاصاته ، لذا فقد أطلقها نحو رأس العملاق مباشرة ..

وضربت هراوة العملاق الهواء ، بعد أن تفاداها (أكرم) ، فى حين أصابت رصاصة هذا الأخير رأس العملاق ، بين عينيه مباشرة ، وقذفته إلى الخلف فى عنف ، فى نفس اللحظة التى ظهر فيها عملاقان آخران ، يطلقان صرخات قتالية رهيبة ، وينقضّان بسيفين هائلين ..

ومن خلفهما ظهر آخرون ..

وصاح (نور) ، وهو يثب على متن جواده :

ـ أسرع يا (أكرم) .. لن يمكننا أن نقاتل كل هؤلاء العمالقة وحدنا .

قفز (أكرم) على صهوة جواده بدوره ، وهو يهتف :

ـ صدقت .

وانطلق الاثنان يركضان بجواديهما ، فى قلب الصحراء الصخرية ، فهتف قائد فريق العمالقة برجاله ، الذين قفزوا على جيادهم بدروهم ، وبدأت مطاردة عنيفة فى قلب الصحراء ..

وفى توتر شديد ، هتف (أكرم) :

- أين نذهب يا (نور) ؟!.. إنها صحراء جرداء ، ولا يوجد مكان واحد يصلح للاختباء .

أجابه (نور) فى حزم :

- لن نستسلم بسهولة يا (أكرم) .

هتف (أكرم) :

- بالتأكيد ، ولكن هل نواصل العدو هكذا إلى الأبد ، أم ..

قبل أن يتمّ عبارته ، ظهر فريق آخر من العمالقة ، يتجه نحوهما ، من الاتجاه الآخر ، فصاح (أكرم) :

- رباه !.. هؤلاء الأوغاد حاصرونا يا (نور) .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يدير عينيه فيما حوله ، محاولاً تقييم ذلك الموقف ، الذى بدا له شديد الصعوبة والتعقيد ..

هناك خمسة عمالقة أشداء يطاردونهما ، على متن جياد قوية ، وستة آخرون يعترضون طريقهما ، على مسافة كيلو متر واحد ، وإلى يسارهما ، وعلى بعد عشرة كيلومترات تقريبًا ، قلعة ضخمة حصينة ، يعلم الله (سبحانه وتعالى) وحده ، كم تحوى من هؤلاء الطغاة .. وإلى يمينهما تمتد الصحراء الصخرية ، بتضاريسها المعقدة وطرقها الوعرة ..

ولم يكن هناك سوى سبيل واحد ..

وبلا تردُّد ، جذب (نور) عنان جواده إلى اليمين ، وهو يهتف بـ (أكرم) :

- اتبعنى .

هتف (أكرم) ، وهو يتبعه بلا تردُّد :

- إلى أين ؟!

ولم يجب (نور) ..

لم يكن لديه بالفعل ما يجيب به ..

فالصحراء تمتدّ أمامهما جرداء وعرة ، ليس بها سوى بعض الصخور البارزة الضخمة ، التى قد تصلح للاختباء من عدو يجهل وجودك ، ولكنها لا تفيد مطلقًا ، فى مثل هذه الظروف ..

وعلى الرغم من هذا ، فقد اتجه (نور) و (أكرم) نحوها ..

ربما لأنه لم يكن أمامهما سبيل آخر سواها ..

أو أنه قدرهما ، الذى قادهما إليها ..

وفى توتر بالغ ، كرّر (أكرم) سؤاله :

- إلى أين يا (نور) ؟!

هتف (نور) ، وهو ينطلق بجواده نحو أضخم صخرة فى المنطقة :

- ألديك اقتراح آخر ؟

أجابه (أكرم) ، وهو يلحق به فى سخرية عصبية :

ـ ما رأيك فى الانتحار ؟!

لم يكد يتم عبارته ، حتى برز أربعة من العمالقة بغتة ، من خلف الصخرة الضخمة ..

برزوا وهم يحملون شبكة ضخمة ثقيلة ، اندفعوا بها نحو (أكرم) و (نور) ..

وصهل الجوادان فى ذعر ، وحاول (نور) التراجع ، فى حين لوّح (أكرم) بمسدسه ، هاتفًا :

ـ اللعنة !

وألقى العمالقة الأربعة شبكتهم ، التى أحاطت بـ (نور) و (أكرم) ، وجواديهما ، ثم جذبتهم جميعًا إلى الأرض ، مع تلك الكرات المعدنية الثقيلة فى أطرافها ..

وأطلق (أكرم) ما تبقى فى خزانة مسدسه من رصاصات ، وهو يقاوم تلك الشبكة الثقيلة ، ثم انتبه فجأة إلى أن العمالقة الخمسة عشر قد أحاطوا بهما فى دائرة واسعة ..

دائرة تعنى أنهما قد سقطا فى قبضة الطغاة ..

طغاة الكوكب الدموى .

* * *

انتهى الجزء الثانى بحمد الله ويليه الجزء الثالث والأخير (كوكب الطغاة)

رقم الإيداع ٣٢١٥

الفجوة السوداء

• مامصير (نور) ورفاقه ، بعد سقوط مكوكهم فى قلب الفجوة السوداء ؟!..

• لماذا وصف (محمود) ذلك العالم بأنه رهيب مخيف ، وماسر ثورة الطبيعة فيه ؟!..

• ترى هل يجد (نور) و (أكرم) سبيلا للعودة ، أم تنتهى حياتهما خلف (الفجوة السوداء) ؟!..

• اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) ورفاقه .. من أجل الأرض .



العدد القادم : كوكب الطغاة



د. نبيل فاروق

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

110

الثمن فى مصر ٢٠٠
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

ملف المستقبل
سري جدا!!

كوكب الطغاة

111



ملف المستقبل

فى مكانٍ ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ـ الهمم ..

انطلق أزيز متصل من الهاتف الساخن(*) ، فى مكتب رئيس الجمهورية المصرى ، فى تلك الليلة من ليالى القرن الحادى والعشرين ، فامتدّت سبّابة الرئيس تضغط زر الاتصال المرئى ، وظهرت على الشاشة صورة رئيس الجمهورية الأمريكى ببشرته الداكنة ، والتوتر يبدو واضحًا على وجهه ، فبادره الرئيس المصرى ، قائلاً :

ـ مرحبًا يا مستر (روجرز) .. كنت أتوقّع اتصالك فى الواقع ، منذ ست دقائق تقريبًا .

لوّح الرئيس الأمريكى بيده ، وقال :

ـ معذرة يا فخامة الرئيس ، ولكن الوضع لدينا متوتر للغاية ، وكان علىّ أن أعقد اجتماعًا مع هيئة الأمن القومى ، قبل اتصالى بكم .

(*) الهاتف الساخن : مصطلح يقصد به وجود اتصال مباشر ، بين هيئات تنفيذية ، أو حكومات متعاونة ، بحيث يكفى رفع سماعة الهاتف ، ليتم الاتصال مباشرة بالطرف الآخر .

ثم مال إلى الأمام ، وتضاعف توتره على نحو ملحوظ ، وهو يسأل :

ـ قل لى يا فخامة الرئيس : هل الأنباء التى وصلتنا عن حملة القمر صحيحة ؟!

تنهّد الرئيس المصرى ، وعقله يسترجع تلك الأحداث القريبة ، التى بدأت مع ذلك الانفجار الهائل فى قلب الفضاء ، والذى أدّى إلى تدمير قاعدة القمر عن آخرها ، ونشوء دوّامة عجيبة ، تجذب إليها كل ما حولها ، بقوة تتزايد تدريجيًا ..

ومع الغموض الذى أحاط بالحادث ، ونتائجه التدميرية الرهيبة ، صدر قرار عالمى بالقيام بحملة فضائية محدودة ، إلى قاعدة القمر ؛ لتحديد الأسباب الحقيقية للكارثة ، وإمكانية تفادى تداعياتها السلبية ..

وخرج (نور) و (أكرم) على رأس الحملة ، التى ضمت اثنين من الروس ، ومثلهما من الأمريكيين ، وثلاثة من العرب ، وألمانيًا واحدًا ..

وعلى القمر ، بدأت سلسلة من الحوادث الغامضة ، راح ضحيتها عدد من أفراد الحملة المحدودة ، وتم تخريب المكوك (القاهرة ـ ٢٠٠٠) ، وسُرقت كرة المعلومات ، التى تحوى تفاصيل الكارثة ، وكل هذا

بسبب جاسوس مجهول ، لم يلبث أمره أن انكشف ، ولكن ..

بعد فوات الأوان ..

ففى نفس اللحظة ، التى لقيت فيها الجاسوسة مصرعها ، كانت قوة جذب الفجوة السوداء ، التى نشأت عن الانفجار ، قد بلغت حدًا كبيرًا ، جعلها تجتذب المكوك الفضائى براكبيه إلى مركزها ، وتبتلعهم ؛ لتلقى بهم فى عالم رهيب ..

ومخيف(*) ..

« لماذا لا تجيب يا فخامة الرئيس ؟! .. »

نطق الرئيس الأمريكى السؤال فى قلق شديد ، فانتزع الرئيس المصرى من ذكرياته وتصوّراته ، وجعله يعتدل فى مقعده ، قائلاً :

ـ وما الأخبار التى وصلتكم بالضبط ، حتى يمكننى إبلاغك ما إذا كانت صحيحة أم لا ؟

أجابه الرئيس الأمريكى بكل توتره :

ـ يقولون : إن الحملة قد فشلت ، وأن الكارثة قد أدت إلى تكوين فجوة سوداء ، تتسع باستمرار .. أهذا صحيح ؟!

(*) راجع الجزء الأول (الدوامة) ... المغامرة رقم (١٠٩)

قال الرئيس المصرى فى شىء من الحزم :

علماؤنا أبلغوا علماءكم بأمر هذه الفجوة السوداء ، منذ اللحظة الأولى ، التى انتبهوا فيها إلى وجودها يا مستر (روجرز) ، وطلبوا منهم التعاون فى إيجاد وسيلة لمنع خطرها ، أو إيقاف اتساعها ، خاصة وأنها صارت تهدد القمر ، ومن بعده الأرض ، أما بالنسبة للحملة القمرية ، فالأخبار التى لديكم صحيحة للأسف .

هتف الرئيس الأمريكى ، منزعجًا :

ـ فشلت ؟! .. يا إلهى ! .. كيف هذا ؟! .. لقد كانت فرصتنا الوحيدة ، لجمع المعلومات ، والبحث عن وسيلة لتفادى الكارثة الرهيبة القادمة !.. كيف يمكن أن تفشل ؟!

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يستطرد فى عصبية :

ـ عندما كانت الأمور فى أيدينا ، لم يكن من الممكن أن نفشل فى مهمة تقليدية كهذه .

أجابه الرئيس المصرى فى صرامة :

عندما كانت الأمور فى أيديكم ، كدتم تدمرون العالم كله ، فى حماقة متغطرسة مجنونة ، لكم يكن لها آنذاك ما يبررها .

هتف الرئيس الأمريكى :

ـ وماذا تسمى فشل حملتكم ؟! .. ألا يمكن أن تؤدى إلى ما هو أكثر بشاعة ؟!

احتدَّ الرئيس المصرى ، وهو يقول :

ـ رجالنا بذلوا قصارى جهدهم ، وفعلوا كل ما باستطاعتهم يا مستر (روجرز) ، ولكن تلك الفجوة السوداء ابتلعتهم بسرعة ، قبل أن يجدوا وسيلة لتفادى قوة جذبها ، التى تتزايد على نحو مخيف :

امتقع وجه الرئيس الأمريكى ، وهو يقول :

ـ ابتلعتهم ؟! .. رباه ! .. أتعنى أن المكوك كله لم يعد ينتمى إلى عالمنا .

أجابه الرئيس المصرى بإيماءة صامتة مريرة ، فهتف فى ارتياع :

ـ ومتى ؟! .. متى حدث هذا ؟!

ألقى الرئيس المصرى نظرة على ساعته ، قبل أن يجيب فى أسى ومرارة بلا حدود :

ـ منذ ثلاثين دقيقة .. ثلاثين دقيقة فحسب ..

نطقها دون أن يدرى أن هذه الدقائق الثلاثين ، فى زمن الأرض ، كانت تعنى الكثير والكثير ، فى ذلك العالم المخيف ، الذى ألقت تلك الفجوة السوداء (نور) ورفاقه فيه ..

ففى ذلك العالم ، كان الزمن يسير على نحو أكثر بطئًا ، حتى إن الساعة الواحدة من عمر الأرض كانت تساوى هناك يومًا كاملاً ..

ولهذا شعر (نور) ورفاقه بإجهاد شديد ، عندما وصلوا إلى ذلك العالم ..

ومنذ الوهلة الأولى ، أدركوا أنهم فى عالم رهيب ..

حتى فضائه كان عاصفًا ثائرًا ، تنطلق فيه صواعق عجيبة ، يشيب لهولها الولدان ..

وبمعجزة ، نجا الجميع من موت محتوم ، عند هبوطهم وسط أطلال قرمزية عجيبة ، على سطح كوكب دموى ..

ثم توالت المفاجآت ..

والمتاعب ..

عمالقة بدائيون أشداء ، هاجموا نصف الفريق ، واختطفوا (خالد) و (واتسن) و (أوتو) ، فى نفس الوقت الذى كان (نور) و (أكرم) يبحثان فيه عن سبل للعيش ، وسط الأطلال القرمزية ..

وأثبتت الأحداث أن هؤلاء العمالقة طغاة قساة ، لا تعرف الرحمة أو الشفقة سبيلاً إلى قلوبهم ..

وأنهم سادة الكوكب الدموى ، فى هذه الحقبة من تاريخه ..

وبكل قسوة وبشاعة ، قتل هؤلاء العمالقة (أوتو) ، فى حفرة حمم رهيبة ، وعذبوا (خالد) و (واتسن) بلا رحمة ، على يد أميرتهم السادية (بلوميا) ، وقائدهم الرهيب (هارلاك) ..

وفى الوقت ذاته اختطف فريق آخر من سكان الكوكب (نادية) ، المقاتلة الفضائية الفذة ، ونقلوها إلى موطنهم (بشتوريا) ، فى قلب الصحراء الصخرية ، وروى لها حاكمهم تاريخ صراعهم الطويل مع عمالقة (المولاك) القساة ..

وانطلق (نور) و (أكرم) يبحثان عن رفاقهم ، الذين اختفوا فى هذا العالم البغيض ..

ولكنهما سقطا فى فخ محكم أعدّه لهما عمالقة (المولاك) ..

وعندما أصبحا أسيرين ، تحت شبكة بدائية قوية ، أدرك (نور) و (أكرم) أنهما قد وقعا فى قبضة الطغاة .. طغاة الكوكب الدموى(*) ..

★ ★ ★

« مستحيل ! .. » .

(*) راجع الجزء الثانى (الفجوة السوداء) .. المغامرة رقم (١١٠)

نطق (آرى) ، فارس فرسان (بشتوريا) الكلمة ، فى صرامة شديدة ، فى وجه (نادية) ، قبل أن يلوّح بيده فى حدة ، مستطردًا :

- ما تفكرين فيه مستحيل تمامًا يا سيدتى ! .. إننا لن نضحى أو نجازف بفريق من أفضل رجالنا ، لإنقاذ رفيقيك ، بعد أن وقعا فى أسر طغاة (المولاك) بالفعل .. مستحيل ! .. مستحيل !

صاحت فى غضب :

- ولماذا مستحيل ! .. أنت لا تدرك ما يمكن أن يفيدكم به (نور) ، لو أنكم استعنتم به ، فى حربكم مع (المولاك) .. إنه عبقرى فى هذا المضمار .. قائد حقيقى ، يستطيع اتخاذ قراراته فى سرعة وحزم ، وبأقل قدر ممكن من الأخطاء .

أجابها فى صرامة :

- أشكرك يا سيدتى ، ولكننا لسنا بحاجة إلى غرباء ، يقاتلون من أجلنا .. سنقود حربنا بأنفسنا ، وفى الوقت الذى نحدده نحن .

قالت فى سخرية عصبية :

- متى ؟! .. بعد خمسين عامًا أخرى ؟! .. هل تتصور أنكم ستعيشون لخمسين عامًا تالية ؟! .. ألا تدرك أيها

العبقرى أن تلك الفجوة اللعينة لن تلبث أن تجذب قمرنا إليها ، وتضرب به كوكبكم هذا ، بمنتهى العنف والقوة ؟! .. هل تعلم ما الذى سيحدث عندئذ ؟!

اعتدل الحاكم (كانو) ، وبدا عليه التوتر ، وهو يقول :

- يمكننا أن نتخيل هذا يا بنيتى ، لو أنك أخبرتنا بحجم قمركم ، وبالنظرية العلمية التى استندت إليها للوصول إلى هذا الاستنتاج المخيف .

لوّحت بذراعها ، قائلة :

- إنها نظرية وضعها أحد علمائنا ، وهو أمريكى الأصل ، لو أن هذا يعنيكم ، أو يعنى عندكم شيئًا ، ومن المؤكد أنها ليست مجرد استنتاجات علمية ، فقد مر معنا بتلك التجربة الرهيبة ، عندما اجتذبتنا تلك الفجوة ، وألقت بنا هنا .. أما بالنسبة للقمر ، فهو التابع الوحيد لكوكبنا ، وكل ما أعلمه عنه هو أن قطره يبلغ ثلاثة آلاف وأربعمائة كيلو متر تقريبًا ، والصخور التى سقطت على كوكبكم من تلك الفجوة ، هى صخوره .

أومأ برأسه متفهمًا ، وغمغم فى اهتمام قلق :

- فليكن .. سنجعل علماءنا يدرسون هذا الأمر .

ثم سألها فى اهتمام أكثر :

- هل تعلمين كم يبعد قمركم هذا عن الفجوة ؟!

هزت رأسها ، مغمغمة :

- كلا .. لست أظنكم تجدون هذه المعلومة ، إلا عند (نور) ، أو (واتسن) .

مطّ (كاتو) شفتيه في توتر شديد ، ثم أدار عينيه إلى (آرى) بنظرة خاصة ، فهم هذا الأخير مغزاها على الفور ، فقال في عصبية :

- لايمكننا أن نجازف بمحاولة إنقاذ أحد ، في ظل هذه الظروف .. (المولاك) متحفزون للغاية ، ومهاجمتهم الآن تبدو أشبه بالهجوم على وحش مفترس ، في نفس اللحظة التي كشّر فيها عن أنيابه واستعدّ لالتهام فريسة جديدة .. هذا مستحيل !

أشار الحاكم بسبابته ، مغمغمًا :

- من الضروري أن نعرف بعض المعلومات ؛ فكوكبنا كله مهدّد بالخطر .

لوّح (آرى) بذراعه كلها ، قائلاً في حدة :

- ربما وجد العلماء حلاً آخر .. إنك لم تستشرهم بعد .

وهتفت (نادية) في عصبية :

- ماذا دهاك أيها الحاكم ؟! .. ألست تملك ناصية الأمور هنا .. أصدر له أمرًا بقيادة حملة لإنقاذ (نور) و (أكرم) .

هزّ الحاكم رأسه نفيًا في بطء ، وهو يقول :

- ليس هذا أسلوب الحكم في (بشتوريا) يا بنيتي .. صحيح أنني الحاكم ، ولكن (آرى) هو قائد الفرسان ، والمسئول الأوّل عن كل العمليات العسكرية .

هتفت مستنكرة :

- هذا العنيد المتحذلق ؟!

صاح بها (آرى) في غضب :

- نعم أيتها الغريبة المغرورة .. هذا العنيد المتحذلق هو القائد العسكري هنا .. هل يمكنك استيعاب هذه الحقيقة ، أم أنك تحتاجين إلى أسلوب أكثر وضوحًا ؟!

قالت في حدة :

- بل أحتاج إلى رجل شجاع ، لا يبالي بالمخاطر ، ولا يرتجف دائمًا أمام فكرة مواجهة أولئك العمالقة .

احتقنت بشرته المائلة إلى الزرقة ، وهو يقول :

- وماذا تعرفين أنتِ عن الشجاعة ، ومواجهة (المولاك) ؟! .. فارق كبير جدًا بين الشجاعة والحماقة يا سيدتي ، فليس من الشجاعة أن أخوض معركة ، لم أستعدّ بعد لخوضها ، أو أن أبدأ قتالاً ، مع عدوٍّ يفوقني قوة ، في الوقت الذي يتحفّز فيه لملاقاتي .. ومن الحماقة ، كل الحماقة أن أقاتل في سبيل غرباء ، مهما كانت أهمية بعضهم ، عند البعض .

قالها ، وعيناه تتطلعان إلى عينيها مباشرة ، وانتهى من قوله ، فران عليهما صمت رهيب ثقيل ، استغرق ما يزيد على نصف الدقيقة ، قبل أن تقول (نادية) فى صرامة :

- فليكن .. سأذهب وحدى .

قالتها ، واستدارت فى حزم ، وكأنها تستعد لمغادرة المكان ، فأمسك (آرى) بذراعها فى قوة ، قائلاً فى حدة :

- ومن سيسمح لك بالذهاب ؟!

التفت إليه بحركة عنيفة ، وهو تهتف :

- كنت أظننى ضيفة هنا ، ولست أسيرة !

أجابها فى غضب :

- هذا صحيح ، ولكنه لا يمنحك الحق فى تهديد أمن شعبنا كله ، كلما قفزت إلى ذهنك نزوة حمقاء .

صرخت فى ثورة :

- نزوة حمقاء ؟! .. هل تسمى رغبتى فى الذود عن رفاقى ، والسعى لإنقاذهم نزوة حمقاء ؟!

صاح فى حدة :

- بالتأكيد ؛ لأنها لا تستند إلى أى عقل أو منطق سليم ، ولا ..

بتر عبارته بغتة ، عندما ارتفع من يده أزيز متقطع ، فرفع معصمه ؛ ليلقى نظرة على جهاز شبيه بالكمبيوتر ، أحيط بمعصمه كساعة اليد ، ثم انعقد حاجباه فى شدة ، قبل أن يرفع عينيه إليها ، ويقول فى توتر :

- ولم تعد هناك فائدة لكل هذا .

سألته وجسدها يرتجف :

- ماذا تعنى ؟!

اعتدل ، وشدّ قامته ، وهو يجيب فى حزم :

- رفيقاك أصبحا داخل قلعة الطغاة بالفعل ، وهذا يعنى أن إنقاذهم صار مستحيلاً .

وانتفض جسد (نادية) كله ..

وبعنف ..

* * *

على الرغم من الشبكة الثقيلة ، والعمالقة الخمسة عشر ، المحيطين بهما ، راح (نور) و (أكرم) يقاومان فى استماتة ، وجاهد هذا الأخير ، فى محاولة لالتقاط بعض الرصاصات من جيبه ؛ ليعيد بها حشو مسدسه ، وهو يهتف :

- اللعنة ! .. لن تهزمونا بهذه البساطة أيها الأوغاد .. سأقاتل حتى آخر نفس يتردد فى صدرى .

ولكن أحد العمالقة هبط عن صهوة جواده ، واندفع نحوه ، وهوى على مسدسه بهراوته ، فأطاح به إلى آخر الشبكة ، عند قدمى (أكرم) ، الذى صرخ فى غضب هادر :

ـ أيها الوغد .. أيها الحقير .. أيها الـ ..

أمسك (نور) يده فى قوة ، وهو يقول فى حزم :

ـ اهدأ يا (أكرم) .. اهدأ يا صديقى ، وإلا أطاحت الضربة التالية برأسك .

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ ماذا دهاك يا (نور) ؟! .. هل تحضننى على الاستسلام ؟!

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ أى استسلام يا رجل ؟! .. لقد وقعنا فى قبضتهم بالفعل ، ومن الذكاء أن تجيد الانهزام ، عندما تدرك أنك قد خسرت الجولة ، حتى لا تهدر جهدك ، عندما تحين لحظة حسم المباراة .

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، دون أن يناقش الأمر ، فى حين راح بعض العمالقة يجذبون أطراف الشبكة ، ثم ربطوها بحبل قوى ، ألقوه إلى قائدهم ، الذى كشّر عن أنيابه ، وأطلق زمجرة قوية متشفية ، ثم ربط طرف

الحبل حول عنق جواده القوى ، وجذب عنانه ، فأطلق الجواد صهيلاً عاليًا ، وضرب الهواء بقائمتيه الأماميتين ، قبل أن ينطلق نحو القلعة ..

وفى انطلاقته ، جذب الشبكة خلفه ، وداخلها (نور) و (أكرم) ، اللذان راحا يرتطمان بالصخور الصغيرة ، وبالأرض الوعرة فى قوة ، والجواد يجرّهما خلفه فى عنف ، ومن حولهما العمالقة الآخرون ، يطلقون صيحات بدائية همجية ظافرة ، ويلوّحون بهراواتهم فى الهواء ..

وهتف (أكرم) فى غضب :

ـ أيها الأوغاد .. أيها الحقراء .. اللعنة ! .. هذا مؤلم جدًا .

أما (نور) ، فعلى الرغم من آلامه المبرحة ، راحت عيناه تسجلان كل ما حوله ، وعقله يختزن الملاحظات والمشاهد ، كما لو أنه جهاز كمبيوتر متطوّر ..

وبسرعة كبيرة ، وضجيج هائل ، اقترب العمالقة الخمسة عشر من القلعة الضخمة وأطلق قائدهم صرخة هادرة ، فانخفض الجسر ، حتى لامس الجانب الآخر من الأخدود العميق الواسع ، المحيط بالقلعة ، وارتفع باب من القضبان المعدنية الثقيلة ، وانطلق العمالقة يعبرون

الجسر ، وهم يجرون الشبكة خلفهم فى قسوة ، غير مبالين بـ (نور) و (أكرم) ، اللذين يتخبطان ويرتجّان فى عنف ، وصيحات الظفر والانتصار الوحشية تحيط بهما ، و ..

« يا إلهى ! .. هذا رهيب يا (نور) .. » ..

هتف (أكرم) بالعبارة فى توتر واضح ، وهو يحدّق فى الحمم الملتهبة ، التى تتدفق عبر الأخدود المحيط بالقلعة الهائلة ، فانعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وبدا له المشهد رهيبًا مخيفًا ، أكثر مما كان يتوقّع بكثير ..

وعلى الرغم منه ، سرت فى جسده قشعريرة باردة ، تساءل فى أعماقه : أى قوم هؤلاء ، الذين يحيطون أنفسهم بكل هذا القدر من الرهبة والعذاب ؟! ..

بل أى طغاة ، الذين يتعاملون بكل هذه القسوة والوحشية ..

وفى الوقت نفسه ، تمنى أن يعبروا ذلك الجسر بسرعة ، حتى يتجاوزوا مشهد الحمم الرهيب ..

ولكن لم تكد الفكرة تملأ رأسه ، حتى جذب قائد العاصفة عنان جواده القوى ، ورفع يده ، وهو يطلق زمجرة مخيفة ، فتوقّف الجميع فوق الجسر ، وصهلت الخيول فى توتر ، وتدحرج (نور) و (أكرم) داخل الشبكة فى عنف ، مع التوقف المفاجئ ، وهتف الأخير :

ـ ما الذى يفعله بنا هذا الوغد ؟!

سرت فى جسد (نور) موجة عنيفة من التوتر ، وهو يغمغم :

ـ كل ما أرجوه ألا يفكر فيما أخشاه يا رجل .

سأله (أكرم) فى توتر :

ـ وما الذى تخشاه يا (نور) ؟!

ودون أن يجيب ، أشار (نور) إلى الحمم المتدفقة ، فحدّق فيها (أكرم) فى ارتياع ، قبل أن يهتف :

ـ مستحيل ! .. لا يمكن أن يفكر فى هذا يا (نور) .. لا يمكن أن ..

وبتر عبارته بغتة ، وهو يحدّق فى العملاق ، الذى هبط عن صهوة جواده ، واتجه نحوهما ، ثم استطرد فى عصبية :

ـ اللعنة ! .. إنه لن يتورّع عن أى عمل حقير يا (نور) .

توقّف العملاق أمامهما ، وتألّقت عيناه الحمراوان ببريق وحشى ظافر شامت ، ثم رفع يده ، ولوّح بهراوته فى الهواء ، مطلقًا صيحة مخيفة ، ردّدها الآخرون خلفه ، وهم يلوّحون بهراواتهم بدورهم ، ثم خفضوها ، وراحوا يهمهمون بعبارات عجيبة ، وكأنما ينشدون نشيدًا همجيًا قديمًا ، فقال (أكرم) فى عصبية :



سأله (أكرم) فى توتر :

ـ وما الذى تخشاه يا (نور) ؟!

ـ ما الذى يفعلونه يا (نور) ؟

غمغم (نور) ، وهو يراقب ما يحدث فى توتر :

ـ إنه نوع من الطقوس الوثنية على الأرجح .

هتف (أكرم) فى حدة :

ـ طقوس وثنية ؟! .. ولماذا ؟!

قبل أن يجيب (نور) ، اندفع العملاق نحوهما ، وانطلقت من حلقه صرخة رهيبة ، ثم دفعهما بكل قوته ، فصرخ (أكرم) :

ـ ربّاه ! .. ما الذى يفعله هذا الوغد ؟ .. ما الذى يفعله ؟!

ومع آخر حروف صرخته ، وقبل أن يتلاشى صداها ، هوى جسداهما داخل الشبكة من فوق الجسر .. ونحو الحمم المتدفقة مباشرة .

* * *

٢ـ الجحيم ..

انقضت تلك الحيوانات الصغيرة ، الشبيهة بالفئران ، على (واتسن) و (خالد) ، وراحت تنتزع قطعًا صغيرة من جسديهما فى سرعة وعنف ، فانطلقت صرخاتهما عالية قوية ، تحمل مزيجًا من الألم والذعر والعذاب ، وصاح (خالد) ، وهو يضرب تلك الحيوانات بذراعيه فى قوة ، محاولاً إبعادها عن جسده :

ـ لماذا ؟! .. لماذا لم يقتلونا غرقًا ؟! .. لماذا هذا العذاب الوحشى الرهيب ؟!

لم يكد يتم عبارته ، حتى انطلقت ضحكة الأميرة (بلوميا) تتردد فى المكان ، ورددت الجدران الصخرية صداها ، بكل ما تحمله من لذة واستمتاع ، فهتف (واتسن) ، وهو يحاول بدوره عبثًا إبعاد الأنياب الصغيرة :

ـ ها هو ذا الجواب يا رجل .. تلك السادية اللعينة تستمتع بتعذيبنا .. هل تسمع ضحكاتها الساخرة ؟! .. إنها تراقبنا من مكان ما ، وتتلذذ بكل صرخة ألم نطلقها .

صرخ (خالد) :

ـ اذهبى إلى الجحيم أيتها الحقيرة ، فأنت تنتمين فعليًا إليه .

تضاعفت أعداد تلك الحيوانات الوحشية على نحو مخيف ، وراحت تهاجم بشراسة أكثر ، وتضاعف معها العذاب والألم ، حتى كاد (خالد) يفقد وعيه ، فهتف فى مرارة :

ـ وداعًا يا (واتسن) .. وداعًا يا صديقى .. لعل موتنا ينهى العذاب المستمر ، الذى عانيناه فى هذا العالم الرهيب ، وداعًا .

هتف بعبارته ، وسقط على وجهه ، فاندفعت نحوه تلك الحيوانات الصغيرة بأعداد كبيرة ، وصرخ (واتسن) :

ـ لا .. ليس بهذه الوسيلة البشعة .. لا .

امتزجت صرخته بضحكات (بلوميا) السادية الساخرة ، فاندفع نحو (خالد) ، وراح يضرب تلك الحيوانات الصغيرة بقدميه وذراعيه ، صارخًا :

ـ ابتعدى أيتها الحيوانات الحقيرة .. ابتعدى .

كان الأمر يبدو وكأنه ضرب من العبث ، مع كل تلك الأعداد ، التى تتزايد بسرعة مخيفة ، ومع الأنياب الصغيرة الشرسة ، التى تنغرس فى أى شىء تبلغه ، و ..

ولكن فجأة ، انطلق ذلك الصفير ..

صفير قوى ، عجيب ، تجمدت معه تلك الحيوانات ، ثم راحت تطلق صيحات رفيعة ، وهى تتراجع فى ألم ، وتهرع إلى الفتحات السفلية ، وتختفى داخلها ، وكأنما يؤلمها ذلك الصفير ، ويثير انزعاجها وخوفها بشدة ..

ولم تمض نصف الدقيقة ، حتى خلت الفجوة منها تمامًا ، فاتسعت عينا (واتسن) لحظة فى دهشة ، ثم لم يلبث أن هتف وهو يهزّ (خالد) فى قوة :

ـ ربّاه ! .. لقد ذهبت .. تلك الوحوش الصغيرة رحلت يا رجل .. هيا .. استيقظ .. لقد لفظنا الموت مرة أخرى يا صديقى .. لم يرض لنا بتلك النهاية البشعة الـ ..

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدّق فى جسد (خالد) ، ثم لم يلبث أن دفعه فى قوة ، ليقلبه على ظهره ، وهو يقول فى توتر شديد .

ـ لا يا (خالد) .. لا يا صديقى .. لا تستسلم الآن .. لا تتركنى وحدى مع هؤلاء الطغاة .. قاوم يا رجل ، قاوم ذلك الشعور بالـ ..

مرة أخرى بتر عبارته ، واتسعت عيناه فى ارتياع ، وهو ينظر إلى العينين المفتوحتين ، اللتين فقدتا بريق الحياة ، فى نفس الوقت الذى ألقى فيه أحد العمالقة

سلمًا داخل الفجوة ، وهبط إليها ، ولكز (واتسن) بطرف رمحه ، وهو يزمجر بعبارة ما ..

ولم يحتمل (واتسن) هذه المرة ..

كان جسده مثخنًا بالجراح ، من جراء تلك الأنياب الوحشية الصغيرة ، وضلعه مكسور ، وصدره ممزق بمخالب الأميرة ، إلا أنه ، وعلى الرغم من كل هذا ، استدار إلى الحارس العملاق ، صارخًا بكل الغضب الهادر فى أعماقه ، وكل الثورة التى يرتجف بها كيانه :

ـ لقد مات .. مات .. اذهبوا إلى الجحيم أيها الأوغاد .

تراجع الحارس فى دهشة ، مع هذه الثورة المباغتة ، فانقض عليه (واتسن) فى غضب هادر ، وراح يلكمه بقبضتيه فى وجهه ، وصدره ، وعنقه ، وهو يواصل صراخه الثائر :

ـ أنتم قتلتموه .. فعلتموها فقط ؛ ليستمتع ذلك الوحش الكاسر فى أعماقكم .. أنتم فعلتموها أيها الأوغاد .. قتلتم أفضل رجل عرفته فى حياتى كلها .

وثب حارسان آخران إلى الفجوة ، وانقضا على (واتسن) فى وحشية ، فتحوّل إليهما فى ثورة غاضبة ، وأطلق زمجرة شبيهة بزمجرتهم ، ولكن هراوة ارتفعت بسرعة ، ثم هوت على رأسه ، فألقته مترين فى عنف ،

ليرتطم بجدار الفجوة ، ثم يسقط على وجهه فاقد الوعى ..

وفى تلك اللحظة فقط ، ظهرت الأميرة عند قمة الفجوة ، وتطلعت إلى الموقف كله فى صمت ، ثم أشارت بيدها فى سطوة ، وألقت بضع كلمات بلهجة آمرة ، فأسرع الحراس يحملون (واتسن) الفاقد الوعى ، إلى خارج الفجوة ، واندفعوا معه عبر الممرات المتشابكة ، فى حين جذب حارس آخر سلسلة معدنية كبيرة ، فعادت تلك الحيوانات الصغيرة تخرج من الفتحات السفلية بأعداد كبيرة ، واندفعت كلها نحو جثة (خالد) حتى غطتها تمامًا ، وراحت الأنياب الصغيرة تلتهمها فى نهم ، دون أن تبقى على عظام أو دماء ..

وفى استمتاع شديد ، راحت (بلوميا) تراقب ذلك المشهد البشع ، وهى تموء كالهرة ، وعيناها الدمويتان تبرقان ..

وتبرقان ..

وتبرقان ..

* * *

انطلقت من حلق (أكرم) شهقة مكتومة ، وتعلق بحبال الشبكة فى قوة ، وعلى نحو غريزى تمامًا ، وهو

يسقط داخلها مع (نور) ، فى الأخدود العميق ، الذى تجرى فيه الحمم الملتهبة ، فى حين ندت من (نور) حركة عصبية عنيفة ، تشف عن توتره وعدم وجود وسيلة للنجاة ..

وصرخ (أكرم) بكل غضبه وثورته :

ـ أيها الأوغاد .

ومع آخر حروف صرخته ، توقفت الشبكة بغتة فى عنف ، وانطلق من الجواد صهيل قوى ، وهو يضرب الجسر الخشبى بقوائمه ، وامتزج صهيله بضحكات ساخرة عالية ، انطلقت من حناجر العمالقة ، فاحتقن وجه (أكرم) فى غضب ، وقال (نور) فى عصبية :

ـ رباه ! .. إنهم يعبثون بنا فحسب .

هتف (أكرم) :

ـ الأوغاد !

قهقه العمالقة ساخرين ، دون أن يفهموا هتافه ، ثم تآزر اثنان منهم ، وجذبا الشبكة ، لإعادتها إلى الجسر ، والجواد يطلق صهيلاً غاضبًا ، لما يسببه له الحبل المربوط حول عنقه من ألم ، ولكن صاحبه وثب على متنه ، وصفعه على عنقه ، وهو يزمجر فى غضب ، ثم لكز بطنه بكعبيه ، وانطلقت القافلة ثانية عبر الجسر ،

والجواد يجرّ الشبكة خلفه ، وداخلها (نور) و (أكرم) ، والعمالقة يطلقون صيحات الظفر .

ومع عبورهم البوابة الضخمة ، أصبحوا داخل ساحة كبيرة ، امتلأت بحرّاس عمالقة ، في تلك الدروع الثقيلة ، وارتفع الجسر من خلفهم ، وهبطت القضبان الثقيلة ، ولكن القافلة لم تتوقّف ، وإنما واصلت انطلاقها ، عبر ممرات واسعة ، رددت جدرانها الصخرية وقع حوافر الجياد في قوة ، حتى بلغوا قاعة شبه مظلمة ، فتوقّف الجميع ، وهتف القائد بعبارة ما ، فاندفع بعض رجاله نحو الشبكة ، وحلّوا حبلها من حول عنق الجواد ، ثم جذبوها في خشونة ، و (أكرم) يهتف في غضب :

ـ كفى أيها الأوغاد .. إنكم تؤلموننا بشدة .

ارتفعت ضحكاتهم القاسية ، وكأنما يروق لهم كثيرًا أن يصرخ (أكرم) ويحتجّ ، دون أن يبالوا باحتجاجه ، حتى بلغوا حفرة كبيرة ، تغطيها قضبان معدنية ثقيلة ، تعاونوا لجذبها بعيدًا ، ثم دفعوا طرف الشبكة ، فانفتحت في عنف ، وألقت (نور) و (أكرم) خارجها ، داخل تلك الحفرة ، فسقطا من ارتفاع أربعة أمتار ، وارتطما بالأرض في عنف ، فتأوّه (نور) في ألم ، وأطلق (أكرم) سبابًا غاضبًا ، والعمالقة يعيدون وضع القضبان

المعدنية الثقيلة على الحفرة ، ثم يبتعدون وضحكاتهم الساخرة الشامتة تتردّد في المكان ..

وفي مزيج من الغضب والألم ، اعتدل (أكرم) جالسًا ، وهو يهتف :

ـ يا للأوغاد ! .. إنهم يتعاملون معنا كما لو كنا مجرّد دمى من الخشب ولسنا مخلوقات من لحم ودم .

لهث (نور) ، وهو يجلس بدوره ، قائلاً :

ـ لست أظن هذا يعني الكثير بالنسبة لهم .

مطّ (أكرم) شفتيه في حنق ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه في توتر ، وهو يسأل :

ـ (نور) .. أهذا ما انتهى إليه مصيرنا ، في هذا العالم ؟! .. هل كتب علينا أن نلقى حتفنا داخل حفرة حقيرة ؟!

تنهّد (نور) في عمق ، قبل أن يقول :

ـ لست أعتقد أنهم ينوون قتلنا ، في هذه المرحلة على الأقل ، وإلا لما أبقوا علينا حتى هذه اللحظة .

أجابه (أكرم) في عصبية :

ـ هل تعتقد هذا ؟! .. هؤلاء القوم ساديون قساة القلوب يا (نور) ، وربما أبقوا علينا فحسب لأن اللعبة لم تنته بعد ، ولم تشبع ساديتهم بالقدر الكافي .

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لست أعتقد هذا .. إنهم ساديون قساة بالفعل ، ولكنهم لن يبقوا علينا لهذا السبب وحده .. إنهم يحتاجون أيضًا إلى معرفة الكثير عنا ، وعن سبب وجودنا فى عالمهم ، وهذا بـ ..

قبل أن يتم عبارته ، تناهى إلى مسامعه أنين خافت ، انعقد له حاجباه فى شدة ، وهو يتلفت حوله فى توتر ، محاولاً اختراق حجب الظلام المحيطة به ، فى حين أتى (أكرم) برد فعل عنيف ، وهو يقول فى حدة :

ـ يبدو أننا لسنا وحدنا هنا يا (نور) .

أرهف (نور) سمعه جيدًا ، وأدار رأسه نحو مصدر الأنين الخافت ، وهو يغمغم :

ـ بالتأكيد .. هناك شخص مصاب على الأرجح .

لم يكد يتم عبارته هذه المرة ، حتى تأوه صاحب الأنين بصوت واضح ، وقال فى ألم وتهالك :

ـ رباه ! .. أهذا صوت (نور) و (أكرم) بالفعل ، أم أننى أهذى ؟!

هتف (نور) :

ـ يا (إلهى) ! .. إنه (واتسن) .

واندفع مع (أكرم) نحو مصدر الصوت ، وتحسس جسد (واتسن) فى الظلام ، وهو يستطرد فى توتر بالغ :

ـ رباه ! .. (واتسن) .. إنه أنت بالفعل ، ولكن جسدك مصاب بشدة ، وتغمره جروح ودماء كثيرة ! .. ماذا أصابك ؟! .. وأين (خالد) و (أوتو) ؟!

أجابه (واتسن) فى مرارة :

ـ ذهبا يا (نور) .. (خالد) و (أوتو) ذهبا ... هذا الكوكب اللعين قطعة من الجحيم يا (نور) ، وأنت و (أكرم) كنتما أملنا الوحيد فى النجاة منه ، ولكن يا للخسارة ! .. لقد سقطتما مثلنا .

سأله (أكرم) :

ـ ماذا حدث يا (واتسن) ؟ .. ماذا أصابكم بالله عليك ؟!

سعل (واتسن) فى شدة ، وتناثرت الدماء من بين شفتيه على صدر (نور) ، قبل أن يلتقط نفسًا عميقًا ، ويلهث مغمغمًا :

ـ سأروى لكما كل شىء .. كل شىء .

وبكلمات منهكة وعبارات لاهثة ، راح (واتسن) يروى لهما كل ما حدث ، شارحًا نظريته الخاصة باختلاف الزمن ، وواصفًا ما فعله العمالقة بـ (أوتو) و (خالد) ، حتى انتهى إلى مصرع هذا الأخير ، ثم سعل ثانية ، مستطردًا :

ـ ومن الواضح أننى فى طريقى للحاق به يا (نور) ..

عزائى الوحيد هو أن هؤلاء الطغاة لن يبقوا إلى الأبد ، فبعد ثلاثة أيام وبضع ساعات من زمنهم ، ستجذب الفجوة قمرنا ، وتضرب به عالمهم فى عنف ، أتعشم أن يكفى لتدميره تمامًا .

أجابه (نور) فى توتر :

ـ وتدمير عالمنا أيضًا يا رجل .. هل تعتقد أن انهيار تابع ضخم كالقمر ، لن يؤثر فى الأرض ، وبعنف ؟! .. ألا تعلم أن القمر هو أكبر تابع لكوكب ، فى المجموعة الشمسية كلها ؟!(*)

هزّ (واتسن) رأسه فى ألم ، وهو يقول :

ـ وما الفارق يا (نور) ؟! .. طبقًا لحساباتى ، سيكون سقوط القمر مجردُ بداية ، فبعد أقل من ساعتين من سقوطه ، بزمن عالمنا ، ستلحق به الأرض ، وينتهى كل شىء .

ردّد (أكرم) مبهوتًا :

ـ يا إلهى !

وقال (نور) فى عصبية :

ـ لا ينبغى أن نسمح بحدوث هذا .

قلب (واتسن) كفيه فى مرارة ، قائلاً :

(*) حقيقة ..

ـ وماذا بيدنا لنفعله ؟!

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال فى حزم :

ـ لست أدرى بعد ، ولكننى أومن دائمًا بأن المصادفات لا تأتى عبثًا ، فلو أننا فى عالمنا لما كان أمامنا أكثر من ثلاث ساعات وبضع دقائق ، للبحث عن وسيلة لإنقاذ القمر والأرض ، ثم إن المسافة بيننا وبين الفجوة ستكون هائلة ، على عكس الموقف فى هذا العالم ، الذى يمنحنا أكثر من ثلاثة أيام كاملة ، ويجعلنا قريبين نسبيًا من الفجوة .

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ يالك من متفائل يا (نور) ! .. هل تعتقد أنك ستجد فى هذا العالم الهمجى وسيلة لإنقاذ الأرض ؟! .. هل تتصوّر أنك تستطيع إنقاذها بهراوة ضخمة ، وعلى متن جواد قوى ؟!

أجابه (نور) فى عصبية :

ـ لا يمكننى أن أقف ساكنًا ، ومستقبل الأرض كله يتعرّض لخطر رهيب .

صاح (أكرم) فى حدة :

ـ ماذا دهاك يا (نور) ؟! استيقظ يا رجل .. استعد وعيك .. إننا هنا داخل حفرة حقيرة ، بعد أن وقعنا فى

قبضة هؤلاء الطغاة القساة .. ألا يبدو لك هذا أشبه بالهزيمة ؟!

اعتدل (نور) واقفًا ، وهو يجيب فى حزم :

ـ لا أحد يدرى ماذا يمكن أن يحدث ، فى اللحظة التالية يا رجل !

هب (أكرم) واقفًا بدوره ، بعد أن اعتادت عيناه ذلك الظلام نسبيًا ، وقال فى غضب :

ـ بالتأكيد .. لا أحد يعلم متى يأتى هؤلاء الأوغاد ، لانتزاعنا من هنا ، وإلقائنا فى الـ ..

سعل (واتسن) بشدة ، فى هذه اللحظة ، وقال فى ضعف شديد :

ـ مهلاً أيها السادة .. لست أرغب فى الموت وسط شجار كهذا .

استدار الاثنان إليه ، وانحنى (نور) يربت عليه ، قائلاً :

ـ معذرة يا رجل .. يبدو أن أعصابنا الثائرة جعلتنا ننسى قواعد اللياقة .

سعل (واتسن) مرة أخرى ، وحاول أن يبتسم فى صعوبة ، وهو يتمتم :

ـ لا بأس يا (نور) .. لا بأس .. إننى أحمد الله (سبحانه وتعالى) ، لأننى أموت بين رفاقى .

أجابه (أكرم) فى رقة عجيبة ، لا تتناسب قط مع شخصيته :

ـ لن تموت بإذن الله يا رجل .. أنت مجهد ومرهق فحسب ، بسبب جراحك ، وما فقدته من دماء ، ولكنك لن تلبث أن تستعيد حيويتك ، بعد فترة من النوم العميق ، و ...

قاطعه (واتسن) بسعال آخر ، قبل أن يقول :

ـ لا تقلق بشأنى يا (أكرم) ، ولا تحاول الدوران حول الحقائق من أجلى .. أنا أعلم أننى سأموت .. شىء ما فى أعماقى ينبئنى بهذا .. أنا أعلم .

أجابه (أكرم) فى سرعة :

ـ لا تستمع إلى هذا الشىء يا رجل .. تجاهله .. لا تستسلم لليأس ، وإلا حكمت على نفسك بالموت فعلاً .

تنهّد (واتسن) فى عمق ، وغمغم فى ضعف :

ـ سأحاول يا (أكرم) .. سأحاول .

ومع آخر حروف كلماته ، انزاحت القضبان الثقيلة عن الحفرة ، وتراقصت نيران مشاعل عديدة ، أضاءت المكان كله ، وأغشت أبصارهم لحظات ، وصوت خشن غليظ يهتف بكلمات صارمة ، قبل أن يلقى أحد العمالقة سلمًا من الحبال داخل الفجوة ، فغمغم (واتسن) :

- إنهم يطلبون منا الصعود .

سأله (نور) :

- هل تفهم لغتهم ؟!

هزّ رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

- مطلقًا .. لقد تعلّمت فهم لغة إشاراتهم فحسب .

ثم استدرك فى سرعة واهتمام :

- ولكن أحدهم هنا يتحدّث الصينية .

هتف (أكرم) فى دهشة :

- الصينية ؟! .. كيف ؟!

صاح العملاق مرة أخرى بعبارة غاضبة ، فانحنى (نور) يعاون (واتسن) على النهوض ، وهو يغمغم :

- يبدو أنه لامفر من طاعتهم ، وصعودنا إلى السطح . .

تمتم (واتسن) فى ألم :

- هذا أفضل ما يمكننا فعله .

تسلّق الثلاثة سلّم الحبال ، وأحاط بهم العمالقة برماحهم القوية ، وأجبروهم على السير عبر ممرات صخرية طويلة ، و (نور) يسأل (واتسن) فى اهتمام :

- من أين عرفوا اللغة الصينية ؟!

هزّ (واتسن) رأسه ، وهو يقول فى ضعف :

- لست أدرى .. هناك شيخ ضئيل ، يتحدّث عددًا كبيرًا من اللغات ، من بينها الصينية ، ولست أدرى كيف تعلّم كل هذا ، فى عالم بدائى همجى !

التقى حاجبا (نور) ، وهو يغمغم :

- من الواضح أنه هناك سر ما فى هذا العالم .. سر ربما يربطه بعالمنا على نحو ما .

ثم أخرج من جيبه قرصًا صغيرًا ، دفعه داخل فتحة أذنه اليمنى ، فسأله (أكرم) فى دهشة :

- ما هذا بالضبط ؟!

أجابه (نور) :

لاتشر إليه يا صديقى .. من حسن الحظ أن هؤلاء الأوغاد لايمتازون بدقة الملاحظة ، فهذا الشىء ، الذى وضعته فى أذنى ، فى غفلة منهم ، عبارة عن أحدث أجهزة الترجمة الفورية ، فى عالمنا كله ، وبوساطته يمكننى فهم ما يتم نطقه بأى لغة ، من اللغات المعروفة عندنا .

سأله (واتسن) فى اهتمام :

- أتعنى أنك تستطيع فهم الصينية ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، فسأله (واتسن) :

- وماذا عن نطقها ؟!

أجابه (نور) فى حذر :

- هذا يحتاج إلى جهاز آخر ، أحمله فى حزامى أيضًا .

بدا القلق على وجه (واتسن) ، وهو يفكر فى عمق ، ثم قال :

- أرجو ألا تبدى معرفتك بالصينية ، أو قدرتك على فهمها .

بدت الدهشة على وجه (أكرم) ، فى حين أجاب (نور) بسرعة وحسم :

- بالتأكيد .

لم يفهم (أكرم) ما يعنيه هذا ، ولا لماذا يخشى (واتسن) أن يعلن (نور) قدرته على فهم الصينية ، إلا أنه لم يحاول السؤال عن هذا الأمر ، وإنما عقد حاجبيه فى صمت ، وسار إلى جوارهما ، فى حراسة العمالقة الأشداء ، حتى انتهى بهم الأمر إلى تلك القاعة الصخرية الهائلة ، التى تحوى تماثيل الفرسان العمالقة ، والعرشين المزدوجين ، فاتسعت عينا (نور) فى دهشة بالغة ، وغمغم :

- يا إلهى ! .. الحلم .

سأله (أكرم) فى توتر :

- هل شاهدت هذا المكان فى الحلم ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وهو يتطلع إلى الأمير والأميرة ، ببشرتهما الزرقاء ، وشعرهما النارى ، و (هارلاك) الذى يقف إلى جوار العرش المزدوج ، بأنيابه المخيفة ، ونظراته الصارمة الرهيبة ، فسأله (أكرم) ثانية :

- بوساطة (محمود) ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- نعم .. بوساطة (محمود) .

زمجر (هارلاك) فى هذه اللحظة ، وأشار إلى الشيخ الضئيل ، الذى اقترب منهم ، وقال بالصينية :

- هذان هما الرجلان ، اللذان هبطا معك إلى عالمنا ، فماذا عن الفتاة ؟

هزّ (واتسن) رأسه ، قائلاً :

- لست أدرى .. لقد فقداها فى قلب الصحراء ، و ..

بتر عبارته بغتة ، عندما انتبه إلى أن الشيخ يتطلع إلى (نور) فى اهتمام بالغ ، ثم قال فى عصبية :

- ترى هل تستمع إلىّ ؟!

استدار إليه الشيخ فى بطء ، وقال :

- بالتأكيد .

شعر (نور) بالقلق لموقف الشيخ ، وخيّل إليه أنه انتبه إلى اهتمامه بسماع السؤال ، وأدرك على نحو ما أنه يفهم الصينية ...

وأن هذا قد أقلقه بشكل أو بآخر ..

ولقد نطق الشيخ كلمته ، وعاد يتطلّع إلى (نور) فى شك حذر ، قبل أن يقول له بالصينية :

ـ أنت تفهم هذه اللغة .. أليس كذلك ؟!

رسم (نور) على وجهه علامات الحيرة ، وهو يقول :

ـ ماذا ؟!

رمقه الشيخ بنظرة طويلة ، حتى مالت الأميرة (بلوميا) إلى الأمام ، وألقت عليه سؤالاً بلغتها ، فالتفت إليها ، وانحنى فى احترام ، وراح يتحدّث معها بعض الوقت ، وعيناها تتألقان فى جذل ، وتتطلعان إلى (نور) و (أكرم) فى سخرية ، جعلت هذا الأخير يغمغم :

ـ كم أتمنى لو اقتلعت عينيها الدمويتين بأصابعى ، دون مخدّر أو مسكنات .

قال (نور) :

ـ عظيم .. هذا يثبت أنه قادر على التعايش مع هذا العالم الهمجى .

انعقد حاجبا (أكرم) فى غضب ، وهو يقول :

ـ هل تعتقد هذا ؟!

وقبل أن يجيب (نور) ، التفت الشيخ إلى الحراس العمالقة ، وتحدّث إليهم بلهجة آمرة ، فاندفع اثنان منهم نحو (واتسن) ، ودفعاه أمامهما فى قسوة ، حتى أوقفاه على حافة حفرة الحمم ، فاتسعت عيناه فى رعب هائل ، وهو يصرخ :

ـ لا .. ليس هذا الجحيم .. ليس بهذه الوسيلة البشعة .

تحرك (نور) و (أكرم) فى حدة ، فى محاولة لإنقاذه ، ولكن الرماح الحادة انغرست فى جسديهما بقسوة ، و (واتسن) يتابع فى رعب :

ـ (نور) .. (أكرم) .. لا تجعلا هؤلاء الطغاة يقتلوننى، بهذه الوسيلة البشعة .. لن أحتمل النيران .. افعلا شيئًا بالله عليكما .

صاح (أكرم) فى مرارة :

ـ أيها الأوغاد .

أطلقت (بلوميا) ضحكة شرسة ، وهى تتطلّع إليهم فى تلذّذ ، فى حين ابتسم الشيخ فى هدوء ، وهو يقول بالصينية ، موجّهًا حديثه إلى (نور) :

ـ نحن نعلم أنك تفهم حديثنا .. أنا خبير بقراءة الملامح وإدراك الانفعالات المختلفة .. لقد سمعت السؤال وفهمته .. أليس كذلك ؟

تجاهله (نور) تمامًا ، ولكنه تابع بابتسامته الواثقة :

ـ ونعلم أيضًا أنك ستتظاهر بالعكس ، لذا فقد وضعناك أمام خيارين لا ثالث لهما ، فإما أن تعترف بالحقيقة ، أو تلقى زميلك فى حفرة الجحيم .

واصل (نور) صمته ، وهو يتساءل فى قلق ، عما إذا كانوا جادين فى تهديدهم هذا أم لا ، فى حين سأله (أكرم) فى توتر :

ـ ماذا يقول هذا الرجل يا (نور) ؟

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ اصمت .

ابتسم الشيخ فى سخرية ، وهو يراقبهما فى إمعان ، ثم التفت إلى الأمير ، وقال شيئًا ما ، فأشار الأمير إلى (بلوميا) ، التى نهضت من عرشها ، واتجهت فى خطوات بطيئة نحو (نور) و (أكرم) ، وراحت تدور حولهما فى صمت ، وعيناها الدمويتان تتألقان بوحشية سادية عجيبة ، ثم توقفت أمام (أكرم) ، وبرقت عيناها فى شدة ، قبل أن تطلق صوتًا أشبه بمواء عصبى ، وترفع يدها أمام عينيه ، فحدق فى المخالب التى تبرز منها فى ذهول ، وهو يهتف :

ـ رباه ! .. ما تلك المرأة بالضبط يا (نور) ؟!

ولم يكد هتافه ينتهى ، حتى انغرست مخالبها فى صدره ، على نحو جعله يطلق آهة ألم قوية ، صائحًا :

ـ أيتها الحقيرة المتوحشة !

وتحركت قبضتاه فى عنف ، وكأنه يهمّ بلكمها فى وجهها ، فانتزعت مخالبها من صدره فى قسوة ، وقفزت إلى الخلف ، وهى تطلق ضحكة عالية ، جعلته يضيف فى غضب :

ـ سأقتلك .. أقسم أن أقتلك يومًا .

قهقهت ضاحكة ثانية ، على الرغم من أنها لم تفهم حرفًا واحدًا مما قاله ، ورفعت مخالبها إلى شفتيها ، لتلعق ما علق بها من دماء ، وهى تتحدث مع الشيخ الذى استمع إليها بابتسامة كبيرة ، ثم ترجم حديثها ، قائلاً :

ـ الأميرة تقول : إن تجاهل الحقيقة لن يؤدى إلا لإصرارنا على تعذيبكم أكثر ، وأنك لو أصررت على الخداع ، فستلقى رفيقك وسط الحمم أمام عينيك .

ومن المؤكد أن ما فعلته (بلوميا) مع (أكرم) كان مؤثرًا للغاية ، فقد جعل (نور) يدرك أن القسوة والوحشية لا ينقصان هؤلاء الطغاة ، وأن تهديدهم بإلقاء (واتسن) فى قلب الحمم ليس مجرد تهديد أجوف ، وأنهم يمتلكون القسوة اللازمة لتنفيذه ، دون رحمة أو شفقة ..



ورفعت مخالبها إلى شفتيها ، لتلعق ما علق بها من دماء ..

بل ودون أن يهتزّ لهم جفن ..

وفى الوقت نفسه ، كان (واتسن) يرتجف فى رعب هائل ، وهو يصرخ :

ـ ليس الحمم .. اقتلونى بأية وسيلة أخرى ، ولكن ليس الحمم .. الرحمة .. الرحمة .

وهكذا اتخذ (نور) قراره ..

وفى حزم ، انتزع من حزامه جهازًا صغيرًا ، وضعه أمام شفتيه ، وهو يقول :

ـ الانتقال إلى اللغة الصينية .

انعقد حاجبا (بلوميا) ، وتوتّر (هارلاك) على نحو ملحوظ ، فى حين تحدّث الأمير مع الشيخ فى عصبية ، فترجم هذا الأخير حديثه ، قائلاً :

ـ ما الذى تحمله بالضبط ؟

أجابه (نور) بالعربية ، ولكن الجهاز ترجم كلماته فورًا إلى اللغة الصينية ، وهو يقول :

ـ اطمئن .. إنه ليس سلاحًا ، ولكنها وسيلة للتحدُّث بلغة يمكنك فهمها .

ارتفع حاجبا الشيخ فى دهشة ، وأسرع يترجم كلمات (نور) إلى الأمير والأميرة و (هارلاك) ، فبدت الدهشة على وجوههم جميعًا ، واندفعت (بلوميا) نحو

(نور) ، وانتزعت الجهاز من يده فى عنف ، وتحدثت عبره ، فانبعث منه صوت آلى ، يقول بالصينية :

ـ لا يمكن ترجمة هذه العبارة .. اللغة غير مسجلة .

فارتفع حاجبا الشيخ مرة أخرى فى دهشة أكثر ، وتطلع إلى (نور) فى حيرة ، ثم تحدث إلى الأميرة (بلوميا) ، فانعقد حاجباها فى غضب ، قبل أن تعيد الجهاز إلى (نور) فى عصبية ، وتبتعد فى خطوات مختنقة ساخطة ..

وفى اهتمام ، سأل الشيخ (نور) :

ـ ولكنك فهمت اللغة ، قبل أن تخرج ذلك الشىء .. أليس كذلك ؟

أجابه (نور) عبر الجهاز :

ـ هذا صحيح ، لأننى أستخدم جهازًا آخر لترجمة ما تقوله .

سأل الشيخ فى حذر :

ـ وأين هذا الجهاز الآخر ؟

أجابه (نور) ، وهو يشير إلى أذنه :

ـ هنا .

نقل الشيخ حديثه إلى الآخرين ، فبدت عليهم الدهشة ، وراحوا يتحدثون مع بعضهم فى حدة ، وزمجر (هارلاك)

مرتين ، وصرخت الأميرة مرة فى وحشية ، واحتد الأمير عدة مرات ، ثم راح الثلاثة يتهامسون لبعض الوقت ، و (واتسن) يرتجف فى شدة ، وهو يحدق فى الحمم الملتهبة فى رعب ، فى حين قال (أكرم) فى عصبية :

ـ فيم يتهامس هؤلاء الأوغاد ؟

أجابه (نور) ، وهو يراقبهم فى اهتمام حذر :

ـ من الواضح أن جهاز الترجمة يثير اهتمامهم أو قلقهم إلى حد كبير .

ابتسم (أكرم) فى سخرية عصبية ، ومسح الدم عن صدره ، وهو يقول :

ـ عظيم .. هناك إذن شىء ما ، يمكن أن يثير قلق هؤلاء الحقراء .

انتهى الثلاثة من تهامسهم ، فى هذه اللحظة ، وقالت الأميرة شيئًا ما للشيخ ، الذى ابتسم فى ارتياح عجيب ، وتقدم نحو (نور) ، وألقى نظرة على أذنه ، ثم اعتدل قائلاً بالصينية :

ـ تلك الأشياء ، التى تساعدك على السمع والحديث ، تحل لنا مشكلة كبيرة .

ثم أشار إلى (واتسن) ، مستطردًا :

- لقد كنا مضطرين طوال الوقت ، للحفاظ على حياة رفيقكما هذا ، على الرغم من إصاباته العديدة ، لمجرَّد أنه الوحيد الذى يمكنه فهمنا ، أما الآن ، فلم تعد لنا حاجة به .

اتسعت عينا (واتسن) فى ارتياع ، وصرخ فى رعب :

- لا .. لا تجعلهم يفعلون هذا يا (نور) .. ليس بهذه الوسيلة البشعة الرهيبة .. لا .

وهتف (نور) :

- يا إلهى ! .. لا يمكنكم أن تفعلوا هذا .

وقال (أكرم) فى توتر شديد :

- ماذا يحدث يا (نور) .. هل سيقتله هؤلاء الأوغاد ؟ .. هل سيلقونه وسط الحمم الملتهبة ؟

ومع آخر حروف كلماته ، دفع الحرَّاس (واتسن) إلى فجوة الحمم ، وأطلق ذلك المسكين صرخة رعب رهيبة ، وهو يهتف :

- لا ليس بهذه الوسيلة .

وامتزجت صرخته بصيحة (أكرم) :

- أيها الأوغاد .

ثم تحرك (أكرم) بسرعة مذهلة ..

وكان ما فعله هو آخر شىء يمكن أن يتوقَّعه الجميع .. آخر شىء على الإطلاق .

★ ★ ★

٣ ـ قلعة الطغاة ..

بكت (نشوى) فى حرارة ، وانهمرت دموعها ملتهبة غزيرة ، عندما أعلن (محمود) بصوته ، عبر شفتى (سلوى) ، أنه لا توجد أية وسيلة ، لعودة (نور) و (أكرم) إلى عالمهما ..

وانهارت (مشيرة) ، وهى تدفن وجهها بين كفيها ، وتغمرهما بدموعها ، فى حين بذل (رمزى) جهدًا بالغًا ، للسيطرة على مشاعره ، وهو يسأل (سلوى) ، الخاضعة تمامًا لحالة التنويم المغناطيسى :

- (محمود) .. أأنت واثق من أنه لا توجد أية وسيلة لعودة (نور) و (أكرم) إلينا ؟!

تنهَّدت (سلوى) بصوته ، قبل أن يجيب :

- صدقنى يا (رمزى) .. لو أنه توجد وسيلة واحدة لعودتهما إليكم ، لما تردَّدت فى السعى خلفهما ، حتى ولو كلفنى هذا حياتى نفسها ..

وصمت لحظة ، ثم قال فى تردُّد حذر :

- ولكن ..

سأله (رمزى) فى لهفة :

ـ ولكن ماذا ؟!

التفتت (نشوى) و (مشيرة) إلى (سلوى) فى اهتمام ، وتجمّدت دموعهما فى عيونهما لحظة ، صمتت هى خلالها ، قبل أن يخرج صوت (محمود) من بين شفتيها ، قائلاً :

ـ ولكن ربما كانت هناك وسيلة لأنضم إليهما ، فى صراعهما هناك .

اتسعت عينا (مشيرة) بدهشة بالغة ، وغمغمت (نشوى) :

ـ تنضمّ إليهما ؟! .. ماذا تعنى يا (محمود) ؟

صمت لحظة أخرى ، قبل أن يجيب :

ـ ذلك العالم يختلف كثيراً عن عالمنا يا (نشوى) ، وفيه نقاط قد يمكننى عبورها إليه .

هتف (رمزى) :

ـ حقًا ؟!

أجابه (محمود) :

ـ نعم يا صديقى .. إننى أعلم هذا منذ فترة طويلة ، وأعلم أيضًا أنه لو استطعت القفز إلى ذلك العالم ، فربما يستعيد جسدى حالته المادية هناك .

سألته (مشيرة) فى لهفة :

ـ ولماذا لم تفعل هذا ؟!

صمت لحظة أخرى ، قبل أن يجيب :

ـ لأنه عالم رهيب يا (مشيرة) .. عالم ثائر ، مخيف ، جعلنى أفضّل البقاء إلى الأبد فى حالتى اللامادية ، عن استعادة ماديتى على سطح كوكب مثله .. والواقع أننى لم أجد ما يدعونى لقضاء عمرى عليه ، أما الآن فالأمر يختلف .. (نور) و (أكرم) هناك ، ويحتاجان إلى معاونتى .. ربما أمكننى أن أفعل شيئًا بوجودى إلى جوارهما .

قالت (نشوى) فى انفعال :

ـ ولكنك تقول : إنه لا توجد وسيلة للعودة إلى هنا .

أجاب متنهّدًا :

ـ هذا صحيح .. إذا ما نجحت فى الانضمام إليهما ، فلن يجد ثلاثتنا وسيلة للعودة إلى عالمكم قط ، ولكن هذا لا يقلقنى .. يكفى أننى سأموت إلى جوار رفاقى ، بدلاً من أن أبقى وحيدًا هنا إلى الأبد .

سألته (مشيرة) بصوت مرتجف :

ـ هل تضحى بحياتك مرة أخرى من أجلهما ؟

أجاب بصوت يحمل مشاعر الدنيا كلها :

ـ أنا مستعد للتضحية بحياتى ألف مـرة ، لو أن هذا بمقدورى ، فى سبيل من أحب .

ارتجفت شفتا (مشيرة) ، وهى تغمغم :

ـ وأنا أيضًا .

ثم انفجرت باكية فى حرارة ، فران على المكـان صمت رهيب ، قطعه صوت (محمود) ، وهو يخرج من بين شفتى (سلوى) ، قائلاً :

ـ صدقينى يا (مشيرة) .. صدقونى جميعًا يـا رفـاق .. إننى لن أدّخر وسعًا لإنقاذ (نـور) و (أكرم) من ذلك الجحيم .. ومهما كان الثمن ..

كانت هذه آخر كلمات نطقتها (سلوى) بصوته ، قبل أن يذهب ..

ولكنه كان يعنى كل حرف منها ..

وبالذات تلك العبارة الأخيرة ..

مهما كان الثمن ..

* * *

من المؤكد أن ما فعله (أكرم) ، فى تلك اللحظة التى دفع فيها العمالقة (واتسن) ، إلى حفرة النـار ، كـان عجيبًا وعنيفًا بحق ..

وأنه لن ينمحى مـن ذهن (نـور) ، مـا بقى لـه من العمر ..

ففى نفس اللحظـة ، التى بدأ جسد (واتسن) فيها سقوطه ، ومع الصرخة المدوية الرهيبة ، التى انطلقت من حلقه ، حاملة كل رعب الدنيا وعذابها ، دار (أكرم) على عقبيه فى سرعة مذهلة ، وضمّ قبضتيه ، وهـوى بهما ، بكل ما يملك من قوة ، على فك الحارس العمـلاق خلفه ، ثم لم ينتظر ليعرف حتى ما أصابه ، وإنما اختطف رمحه ، ودار به مرة أخرى ، ثم أطلقه بكل قوته ..

نحو (واتسن) مباشرة ..

وانتفض جسد (نور) فى عنف ، وانطلقت من حلقه ، على الرغم منه ، شهقة مكتومة ، وكاد الأمير يقفز مـن عرشه ، وتحرك (هارلاك) فى عصبية واضحـة فى حين أطلقت (بلوميا) صرخة أشبه بصرخـة قط يستعد لخوض قتال ما ..

هذا لأن الرمح اخترق جسد (واتسن) ، فى موضـع القلب تمامًا ، فجحظت عينا هذا الأخير ، وهوى والرمح فى جسده ، فى قلب حفرة النار ، التى التهمته فى ثـوان معدودة ، قبل أن يفيق (هارلاك) من ذهوله ، ويصـرخ فى رجاله ، الذين اندفعوا نحو (أكرم) ، وأحـاطوا بـه برماحهم فى تحفز ، والعمـلاق الـذى لكمـه هذا الأخير يزمجر فى غضب وثورة ، فهتف (نور) :

- ماذا فعلت أيها التعس ؟!

أجابه (أكرم) فى حزم وصرامة :

- لبيت للرجل رغبته الأخيرة يا (نور) .

ردّد (نور) فى دهشة :

- رغبته الأخيرة ؟!

شدّ (أكرم) قامته ، دون أن يبدى أدنى خوف أو قلق ، من الرماح المصوّبة إلى جسده :

- نعم .. ليس بهذه الطريقة .. إنه لم يرغب فى الموت بهذه البشاعة .

بهت (نور) للجواب ، وحدّق فى وجه (أكرم) لحظات فى دهشة ، وإن تصاعدت فى أعماقه نبرة احترام ، قبل أن تشير (بلوميا) بمخالبها ، وعيناها تبرقان بشدة ، وتتحدث مع الشيخ ، الذى استمع إليها فى اهتمام ، قبل أن يلتفت إلى (نور) ، ويسأله :

- لماذا فعل رفيقك هذا ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- كان يختار وسيلة موت أقل بشاعة لزميلنا .

نقل الشيخ الجواب إلى (بلوميا) ، فارتفع حاجباها لحظة فى دهشة ، ثم لم تلبث أن انفجرت ضاحكة بشدة ، فى حين عقد الأمير (مولون) حاجبيه الكثين ، وانطلقت

من بين شفتيه زمجرة أشبه بزمجرة الذئاب ، شاركه إياها القائد (هارلان) ، الذى تحدث إلى الشيخ بصرامة ، فابتسم هذا الأخير فى تشفٍ ، قبل أن يترجم حديثه إلى (نور) ، قائلاً :

- القائد (هارلاك) يقول : إنه ما دام رفيقك قد أنقذ زميله من الموت فى حفرة النار ، فليلق هو هذا المصير .

هتف (نور) فى عصبية :

- حذار أن يمسّ أحدكم شعرة من رأس رفيقى ، وإلا ..

لم يجد ما يتم به عبارته ، وهو يبحث عن تهديد مناسب ، فى هذه الظروف القاسية ، فابتسم الشيخ فى سخرية ، وسأله :

- وإلا ماذا ؟!

صمت (نور) لحظة ، ثم عقد حاجبيه فى صرامة ، مجيبًا :

- وإلا فستدفعون الثمن غاليًا .

لم يكد الشيخ يسمع الجواب ، حتى اهتزّ جسده كله ، وتألقت فى عينيه ضحكة ، لم تلبث أن انتقلت إلى حلقه ، فانفجرت مدوية ، داخل القاعة الصخرية ، التى رددت صداها فى قوة ، فسألته (بلوميا) فى لهفة وشغف عما يضحكه ، ولم يكد يخبرها ، حتى انفجرت ضاحكة

بدورها ، فى حين بدا الغضب على وجه الأمير و (هارلاك) ، وأشار الأخير إلى رجاله ، وهو يلقى أمرًا ما ، فانقض اثنان منهم على (نور) ، وكبلا حركته فى قوة ، فى حين أمسك آخران (أكرم) من ذراعيه ، ودفعاه نحو حفرة الحمم ، فصاح فى غضب :

- أيها الأوغاد القتلة .

وصرخ (نور) :

- ستدفعون الثمن أيها الحقراء .. ستدفعونه غاليًا .

ولكن أحدًا لم يبال بصياحهما وصراخهما ، وإنما واصل العملاقان دفع (أكرم) نحو حفرة الحمم ، وهو يقاومهما فى استماتة ، فى حين أشار (هارلاك) بإبهامه فى صرامة ، مصدرًا أوامره بإلقائه فى الحفرة .

وصرخ (نور) ..

وصرخ ..

وصرخ ..

وكان من الواضح أن هذا لم يعد مجديًا ..

لقد صدر أمر بإعدام (أكرم) على الفور ..

وبأبشع وسيلة فى الكون ..

* * *

تقلبت (نادية) كالمحمومة ، على ذلك الفراش الوثير ، الذى ترقد عليه فى حجرتها الأنيقة المريحة ، فى قلب (بشتوريا) ، وبدا لها الفراش ، على الرغم من نعومته ، أشبه بأشواك حادة ، تمزق جسدها بلا رحمة ، وهى تؤنب نفسها فى شدة ، على استسلامها للأمر فى مكان أنيق كهذا ، فى حين وقع رفاقها أسرى العمالقة الطغاة بكل جبروتهم وقسوتهم ..

والعجيب أن هذه المشاعر كانت تدهشها كثيرًا ..

فالذين وضعوا برنامج المقاتلين الفضائيين ، وزرعوا ذلك الكمبيوتر الدقيق فى مخها ، وأوصلوه بمراكزها الحيوية ، كانوا يتصورون أنهم أصبحوا قادرين على إلغاء كل المشاعر المرهفة فى كيانها ، وزرع مشاعر أخرى مكانها ، تجعلها تتحرك وتتعامل من منطلق عملى بحت ..

ومن الواضح أنهم قد أقنعوها بنجاحهم فى تحقيق هذا لفترة ما ، حتى إنها راحت تتصرف وتتعامل طوال الوقت ، داخل القاعدة القمرية ، كما لو أنها مجرد شخص آلى ، مجرد من كل المشاعر والأحاسيس ..

حتى وقعت الكارثة ..

الدمار الرهيب ، والآلام المبرحة ، وانهيار خطيبها (عماد) كل هذا أيقظ المشاعر الآدمية فى كيانها إلى حد ما ..

ومع مصرع (عماد) ، استعادت شعورها بآدميتها كاملاً ..

وبكت ..

وتألمت ..

وانهارت ..

واليوم ، وهى تتعذب لوجود رفاقها فى الأسر ، أدركت أنها لم تعد تلك المقاتلة الفضائية الفذة ، الخالية من أية مشاعر وعواطف ..

لقد أصبحت أنثى ..

أنثى حقيقية ، بكل ما يفيض به كيانها من انفعالات وأحاسيس مرهفة ...

ولكنها ، فى الوقت ذاته ، لم تفقد قدراتها كمقاتلة فضائية من طراز خاص ..

لذا ، فلن تقبع ساكنة هنا ..

ستقاتل من أجل رفاقها ..

ستفعل ما يمليه عليها ضميرها وواجبها ..

وفى حزم ، قفزت من الفراش الوثير ، وارتدت زيها الفضائى ، بكل ما يحويه من أسلحة وأجهزة اتصال ورصد ، وقبل أن تلف حزامها حول وسطها ، ارتفعت فجأة دقات هادئة على باب حجرتها ، فهتفت بانفعال مبالغ :

ـ من بالباب ؟!

أتاها صوت شخص يتنحنح فى حرج ، قائلاً :

ـ احم .. معذرة .. أنا (آرى) .. أردت التحدث معك قليلاً فحسب .

أدهشها قدومه إليها ، ولكنها ارتدت حزامها على عجل ، قائلة :

ـ لحظة يا (آرى) .

ثم أسرعت تفتح بابها ، فبدا فارس الفرسان البشتورى على عتبته بشعره الأبيض ، ولحيته القصيرة ، وملامحه الوسيمة ، وهو يقول :

ـ هل تسمحين لى بالدخول ؟

كان أسلوبه الرقيق المهذب يدهشها بحق ، إلا أنها أفسحت الطريق أمامه ، قائلة :

ـ تفضل .

بدا عليه الحرج بعض الشيء ، وهو يدلف إلى حجرتها ، وتركت هى بابها مفتوحًا ، وهى تسأله فى فضول حقيقى :

ـ خيرًا .

أومأ برأسه ، وهو يبتسم ابتسامة مرتبكة ، قبل أن يشد قامته ، ويحسم أمره ، قائلاً :

ـ الواقع أننى أتيت لأعتذر .

غمغمت فى دهشة :

ـ تعتذر ؟!

أجابها فى حسم .

ـ نعم يا سيدتى .. لقد تعاملت معك بخشونة وغلظة شديدتين ، عندما طلبت منا الخروج لإنقاذ رفيقيك .. هذا لا يعنى أننى أتراجع عن قرارى برفض القيام بهذا ، فأنا مسئول عن المقاتلين هنا ، وعددهم ليس كبيرًا ، حتى يمكننى المخاطرة بهم فى عملية غير محسوبة ، تحمل من عوامل الفشل ثلاثة أضعاف ما تحمله من عوامل النجاح .

سألته فى حيرة حذرة :

ـ عن أى شيء تعتذر إذن ؟!

أجابها بسرعة :

عن الأسلوب الذى استخدمته ، لأشرح لك هذا .. كان ينبغى أن أقدّر اهتمامك برفيقيك ، ورغبتك الشديدة فى إنقاذهما ، فالمرء لا يمكن أن يحتمل فكرة التخلى عن رفاقه ، مهما كانت الظروف والملابسات .

ارتفع حاجباها فى دهشة حقيقية ، وهى تغمغم :

ـ عجبًا ! .. هل تعلم يا (آرى) .. أنك تبدو لى مختلفًا تمامًا ، عما كنت عليه فى مقر الحاكم !

أومأ برأسه موافقًا ، وهو يتمتم :

ـ أعلم هذا .

وأشاح بوجهه لحظة ، وكأنما يخفى انفعالاً ما ، قبل أن يتابع :

ـ ربما لأننى استعدت ذكرى سابقة ..

خُيّل إليها أن نبراته الحزينة قد اعتصرت قلبها ، وهو يضيف فى خفوت :

ـ ومؤلمة .

كم تمنت لحظتها لو أنه أفاض فى حديثه ، وروى لها شيئًا عن تلك الذكرى المؤلمة ، إلا أنه سيطر على مشاعره فى سرعة ، وسألها :

ـ لماذا ترتدين ملابسك كاملة ؟!

فاجأها سؤاله ، فارتبكت مغمغمة :

ـ وماذا فى هذا ؟

ارتسمت على شفتيه ابتسامة ، وهو يتطلّع إليهـا فى صمت ، ثم لم يلبث أن جلس على طرف فراشها ، وقال :

ـ هل تعلمين أننا نتشابه ، فى كثير من الأمور ؟!

وعلى الرغم منها ، وجدت نفسها تقول فى لهفة :

ـ حقًا ؟!

أومأ برأسه ، قائلاً :

ـ بالتأكيد ، حتى إننى أستطيع أن أخبرك لماذا ارتديت ثيابك الآن .

ثم مال نحوها ، مستطردًا :

أنت تفكرين فى التسلل من هنا ، والسعى لإنقـاذ رفيقيك وحدك .

بُهتت لقوله ، وحدّقت فى وجهه بدهشـة وصمت ، فتابع مبتسمًا :

ـ هذا نفس ما كنت سأفعله ، لو أننى فى موضعك .

هتفت مرة أخرى مبهورة :

ـ حقًا ؟!

أومأ برأسه ثانية ، ثم نهض قائلاً فى حزم :

ـ ولكن صدقينى .. هذا منتهى الحماقة .

هتفت فى دهشة :

ـ الحماقة ؟!

أجاب بسرعة :

ـ بالتأكيد .. ضعى نفسك فى موضع هؤلاء العمالقة ، الذين يتحفّزون لصد هجوم ما ، ثم يجدون أمـامهم بغتة فتاة وحيدة ، تتصوّر أنها مقاتلـة فذة ، وتحـاول اقتحام قلعتهم المنيعة ، لإنقاذ رفيقيها داخلها .. ما الذى تفعلينه لو كنت مكانهم ؟

قالت فى عصبية :

ـ ربما أسخر منهـا فى البداية ، ولكن عندمـا أذوق نيران أسلحتها ، وأدرك قدراتها الفـذة علـى القتـال ، فسوف ..

قاطعها فى حزم :

ـ فسوف يرسلون أفواجًا وأفواجًا من العمالقة لمواجهتك والتصدى لك .

هتفت فى حدة :

ـ سأقتلهم جميعًا بأسلحتى المتطوّرة .

ابتسم فى سخرية ، قائلاً :

ـ وحتى لـو أمكنك هـذا ، فسيرسلون آخريـن ، وآخرين .. أنت لاتدركين طبيعة هؤلاء القـوم .. إنهم طغـاة قسـاة بحق ، ولا وزن عندهـم للحيـاة .. إنهم

سيضحون بألف رجل منهم ، فى سبيل القضاء عليك ، وصدقينى ، لن يمكنك الصمود بكل أسلحتك ، فى وجه جيش بربرى همجى ، ينقضّ عليك من كل صوب ، ويقاتل بوحشية لم تعديها ، حتى فى أبشع كوابيسك .

احتقن وجهها بشدة ، وهى تقول :

ـ إنك تبالغ كثيرًا .

هزّ رأسه نفيًا ، وهو يقول فى حزم :

ـ مطلقًا .

بدت عليها الحيرة ، وهى تقول فى توتر :

ـ ولكننى لا أستطيع التخلى عن الرفاق .. لا يمكننى أن أقف ساكنة ، وهم يلاقون الأمرين داخل قلعة الطغاة .

هزّ رأسه ، قائلاً :

ـ رباه ! .. من العسير إقناعك بحق .. ربما لو ..

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتجّ المكان كله فى عنف ، فصرخت :

ـ رباه ! .. ماذا يحدث ؟!

هتف ، وهو يندفع خارج الحجرة :

ـ لست أدرى .. هذا لم يحدث قط من قبل .

انطلقت تعدو خلفه ، عبر شوارع (بشتوريا) ، التى أصيب سكانها بالفزع ، مع ذلك الارتجاج ، الذى استمرّ

لربع دقيقة كاملة ، وتساقطت معه بعض الصخور الصغيرة ، حتى بلغا مقر الحاكم ، الذى بدا منزعجًا بشدة ، فسأله (آرى) فى توتر :

ـ ماذا حدث هذه المرة ؟

أشار الحاكم بسبّابته إلى أعلى ، مجيبًا فى شحوب :

ـ إنها تلك الفجوة البيضاء .

سألته (نادية) :

ـ ماذا أصابها ؟!

ارتجف صوت الرجل ، وهو يجيب :

ـ أصابها تطورّ جديد .. تطورّ مباغت ، و ..

وارتجف صوته أكثر ، مع استطرادته :

ـ ومخيف .

وكانت مفاجأة جديدة ..

* * *

عبر الدكتور (ناظم) الممر الرئيسى للمرصد الفضائى الجديد ، فى خطوات واسعة سريعة ، حتى بلغ قبة الرصد ، فاستقبله مدير المرصد فى اهتمام ولهفة واضحين ، جعلاه يسأله فى توتر :

ـ ماذا حدث ؟! .. ما ذلك التطورّ الجديد ، الذى تحدثتم عنه ؟!

هزّ المدير رأسه فى قوة ، وهو يقول :

ـ أمر مدهش يا دكتور (ناظم) ، لم نرصد مثله من قبل قط .

سأله الدكتور (ناظم) بنفاد صبر :

ـ أى أمر يا رجل ؟! .. أفصح .

جذبه المدير من ذراعه إلى شاشات الرصد ، وهو يقول :

ـ تلك الفجوة السوداء .. لقد انتزعت صخرة هائلة ، فى حجم جبل كامل ، من سطح القمر ، وجذبتها إليها بسرعة خرافية ، ولم تكد الصخرة تعبرها ، حتى تضاعف نشاط الفجوة على نحو مباغت ، وتألقت أطرافها لجزء من الثانية .. انظر .

قالها ، وهو يضغط زر الاستعادة فى شاشة الرصد ، ويقول عبر جهاز الاستقبال الصوتى أعلاها :

ـ إعادة المشهد الخاص .

مضت لحظة صامتة ، أظلمت خلالها شاشة الرصد تمامًا ، ثم بدأت إعادة البث مباشرة ، وتابع الدكتور (ناظم) نفس المشهد ، الذى وصفه مدير المرصد الجديد ، ثم هزّ رأسه ، قائلاً فى توتر :

ـ ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

أجابه المدير فى انفعال :

ـ الفجوة تتسع أكثر ، وبسرعة أكبر من المتوقع ، ونشاطها يتزايد على نحو عجيب ، حتى إن قوة جذبها تضاعفت فى الدقائق القليلة الماضية .

شحب وجه الدكتور (ناظم) ، وهو يسأله :

ـ أتعنى أن المهلة المتاحة قد انخفضت ؟!

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، قبل أن يغمغم :

ـ للأسف .

اتسعت عينا الدكتور (ناظم) فى ارتياع ، وتراجع فى هلع ، وهو يقول :

ـ رباه ! .. إذن فقد اقترب مصير الأرض .

هزّ الرجل رأسه فى مرارة ، مكررًا :

ـ للأسف يا دكتور (ناظم) .. للأسف .

التصق الدكتور (ناظم) بالجدار فى ذعر ، وتصبب على وجهه عرق غزير ، وهو يحدّق فى وجه مدير المرصد ، قبل أن يسأل :

ـ وكم تبقى لنا من الوقت .

ازدرد المدير لعابه فى صعوبة ، قبل أن يجيب :

ـ ساعة واحدة تقريبًا ، قبل أن ينهار القمر ، ويسقط فى قلب الفجوة السوداء .

سأله الدكتور (ناظم) بصوت مرتجف :

ـ وماذا عن الأرض ؟!

التقط مدير المركز نفسًا عميقًا ، وتنهَّد في حرارة ، قبل أن يجيب :

ـ ستصمد لأربعين دقيقة أخرى ، على أحسن تقدير .

واتسعت عينا الدكتور (ناظم) في ارتياع شديد هذه المرة ..

لقد كانت تلك النتائج الأخيرة مخيفة ، رهيبة .. وبحق ..

★ ★ ★

فجأة ، وفي نفس اللحظة التي هم فيها الحارسان العملاقان بإلقاء (أكرم) في فجوة الحمم ، دون مبالاة بمقاومته العنيفة ، وصيحاته الغاضبة ، نهضت (بلوميا) عن عرشها ، ورفعت يدها ، هاتفة بكلمة ما ، بلهجة صارمة للغاية ، تجمَّد لها الجميع لحظة ، وتراجع معها الحارسان في احترام ، فالتفت إليها الأمير ، وتحدَّث معها بحدة ، إلا أنها واجهته في صرامة ، جعلت (هارلاك) يتدخَّل محتدًا ، فالتفتت إليه ، وصرخت في وجهه بعنف شرس ..

وفي دهشة عصبية ، قال (أكرم) :

ـ ما الذي يحدث بالضبط يا (نور) ؟! .. لماذا يتشاجر هؤلاء الأوغاد ؟!

أجابه (نور) في توتر ، وهو يتابع المشهد :

ـ يبدو أنهم اختلفوا حول مصيرك يا رجل .

قال (أكرم) في سخرية ، تغلَّب عليها العصبية :

ـ حقًا ؟! .. ربما تفكر تلك المتوحشة في وضع بعض الزبد الطازج على جسدي ، قبل إلقائي في الفرن ، وهما يفضلان زيت الذرة .

لم ترق سخريته لـ (نور) ، في هذا الموقف العصيب ، فغمغم :

ـ ربما .

ولكنه لاحظ أن (بلوميا) سيطرت على الموقف تمامًا ، كما لو أنها الآمرة الناهية ، في تلك القلعة ، وأنها وقفت أخيرًا في اعتداد ، وأشارت بيدها للحراس ، وتحدَّثت قليلاً مع الشيخ ، فأومأ برأسه إيجابًا ، واتجه نحو (نور) ، قائلاً :

ـ نحن نحتاج إلى أجهزتك هذه .

قالها ، ودسّ إصبعه في أذن (نور) في عنف ، وانتزع منها جهاز الترجمة الفورية الدقيق ، وتطلَّع إليه في اهتمام ، ثم جذب جهاز التحدُّث من يده في قسوة ،



وفى عنف ، دفع الحارسان (نور) أمامهما ، حتى بلغا تلك الحفرة ، فألقياه داخلها ..

واتجه بهما إلى (بلوميا) ، التى التقطتهما فى لهفة ، وبرقت عيناها ببريق دموى ظافر مخيف ، ثم أشارت مرة أخرى إلى الحارسين ، اللذين يمسكان (نور) ، فجذباه فى غلظة إلى خارج القاعة ، وهو يهتف :

ـ لاتستسلم لهم يا (أكرم) .. قاتل حتى آخر رمق يا رجل .

هتف (أكرم) :

ـ القول نفسه لك يا (نور) .

ولم يفهم الحاضرون حرفًا واحدًا ، مما نطقاه بالعربية ، فانعقد حاجبا الأمير و (هارلاك) ، فى حين أطلقت (بلوميا) ضحكة عالية ، واتجهت نحو (أكرم) ، ومخالبها تبرز من كفها على نحو مخيف ..

وفى نفس اللحظة ، التى غادر فيها (نور) القاعة الصخرية مجبرًا ، تناهت إلى مسامعه صرخة ألم من (أكرم) ، أعقبها صوته يهتف :

ـ أيتها الحقيرة .

وفى عنف ، دفع الحارسان (نور) أمامهما ، حتى بلغا تلك الحفرة ، فألقياه داخلها ، وهما يطلقان ضحكاتهما الساخرة الشامتة الوحشية ..

وفى هذه المرة لم يكن السقوط عنيفًا كالمرة السابقة .

لقد أدرك (نور) طبيعة المكان ، واستخدم ما تدرب عليه من مهارات ؛ ليهبط داخله على قدميه ..

ولكن الظلام كان يحيط به من كل جانب ..

وفى مرارة ، غمغم :

ـ أيها الأوغاد .. لو مسستم شعرة واحدة من رأس (أكرم) ، فستدفعون الثمن غاليًا حقًا .

سمع من فوقه صوت القضبان الثقيلة ، والحارسان العملاقان يعيدانها إلى موضعها ، لإغلاق الحفرة ، فدفع ساقيه فى الأرض ، حتى شعر بالجدار خلف ظهره ، فاستند إليه ، وتنهد متمتمًا :

ـ ترى هل ينتهى مصيرنا هنا حقًا ؟!

كانت الفكرة مخيفة ومزعجة ، إلى أقصى حد ، إلا أنه حاول أن يتقبلها كوسيلة لافتراض أسوأ العواقب الممكنة ، وهو يفكر فيما سمعه من (واتسن) قبيل مصرعه ..

إذن فوجودهم فى هذا العالم يمنحهم ثلاثة أيام إضافية ؛ للبحث عن وسيلة لإنقاذ الأرض .

وربما لم يحدث هذا عبثًا ..

من المؤكد أنه لم يحدث عبثًا ..

هناك حكمة إلهية حتمًا وراء هذا ..

إنه يؤمن بهذا الأمر ..

وبكل كيانه ..

ولكن كيف يمكن العثور على وسيلة لإنقاذ الأرض ، فى كوكب بدائى كهذا ؟! ..

كيف ؟! ..

كان السؤال يملأ رأسه تمامًا ، عندما التقط أنفه بغتة تلك الرائحة ..

رائحة غير طبيعية ، أشبه برائحة حظيرة خيول ، لم يتم تنظيفها منذ عام كامل ..

ثم تناهت إلى مسامعه تلك الأصوات الخافتة ..

وسرت فى جسده قشعريرة باردة كالثلج ..

هناك شىء ما يتحرك داخل الحفرة ..

شىء غير آدمى ..

وبأصابع متوترة ، بحث (نور) فى حزامه عن مصباحه اليدوى الصغير ، وأذناه مرهفتان لالتقاط تلك التحركات الخافتة ، التى بدت وكأنها تقترب منه أكثر وأكثر ، فى كل لحظة تمضى ..

وأخيرًا ، عثر (نور) على المصباح اليدوى الصغير ، ورفعه مغمغمًا فى توتر بالغ :

ـ والآن أيًا كنت ، دعنا نر وجهك .

قالها ، وأشعل المصباح ذا الضوء الخافت ..

ثم انتفض جسده كله فى عنف .

فأمامه مباشرة ، وعلى قيد متر واحد منه ، كان يقف حيوان مخيف ..

مخيف إلى أقصى حد ..

وفى نفس اللحظة ، التى وقع فيها بصر (نور) عليه ، أطلق ذلك الحيوان زمجرة رهيبة ، برزت معها أنيابه الحادة الطويلة ، التى جعلته أشبه بالنمر و ...

وانقض ..

وبكل وحشية .

* * *



٤ ـ عبر الخطر ..

لم يشعر (أكرم) لحظة واحدة بالارتياح ، منذ نقله الحارسان القويان من قاعة العرش ، إلى تلك الحجرة الواسعة ، التى يحتلها عملاق بدين ضخم الجثة ، قيده فى إحكام إلى جدار رطب ، بأغلال معدنية قوية ، قبل أن تدلف (بلوميا) إلى الحجرة ، وخلفها ذلك الشيخ السادى الضئيل ، وعيناها تتألقان ببريق دموى مخيف ..

وبنظرة عجيبة ، راحت تتطلع إلى (أكرم) ، وشفتاها الزرقاوان تحملان ابتسامة وحشية غريبة ..

ثم تحدثت إلى الشيخ ..

تحدثت إليه طويلاً ، وهى ترمق (أكرم) بنظرة غريبة ، فابتسم الشيخ فى خبث ، ثم اتجه إلى (أكرم) ، ودفع جهاز الترجمة إلى أذنه فى قسوة ، جعلته يهتف :

ـ احترس أيها الوغد .. إنك لا تتعامل مع لوح مثلك .

أطلقت (بلوميا) ضحكة عالية ، وكأنما تروق لها ردود أفعاله ، فى حين تجاهل الشيخ قوله ، وهو يدفع جهاز التحدث أمام شفتيه ، ويقول بالصينية :

- أميرتنا تقول : إنك تروق لها كثيرًا ، وأنها لم تر شخصًا يفعل مثلك قط ، طوال عمرها كله .

أجابه (أكرم) فى سخرية :

- أمر طبيعى ، فهى تحيا منذ مولدها مع أوغاد .

انعقد حاجبا الشيخ ، وتجاهل ترجمة العبارة ، ولكن الأميرة سألته عنها فى خشونة ، ودار بينهما حديث قصير ، حسمته هى بعبارة صارمة ، فخفض الشيخ عينيه لحظة ، ثم ترجم لها عبارة (أكرم) ، فارتفع حاجباها لحظة فى دهشة ، ثم لم تلبث أن أطلقت ضحكة مجلجلة ، واقتربت من (أكرم) ، وراحت تموء فى وجهه على نحو أدهشه ، وجعله يغمغم :

- عجبًا ! .. دور القطة لا يناسبك أيتها الأميرة .. ما رأيك فى لعب دور أنثى ذئب مسعورة ؟!

لم تسأل الأميرة شيخها عما قاله (أكرم) هذه المرة ، وإنما أطلقت مواءً آخر ، ثم برزت مخالبها الحادة الرفيعة من أناملها ، وراحت تخمش بها صدره ، فى بطء ، فقال فى عصبية :

- ماذا تنتظرين أيتها اللعينة ؟! .. اغرسيها .. هيا .. أشبعى تلك السادية الدموية فى أعماقك .. تمتعى برؤية دمى يراق .

كان واثقًا من أنها لم تفهم حرفًا واحدًا مما قاله ، وعلى الرغم من هذا ، فقد انغرست مخالبها بغتة فى صدره ، فكتم صرخته بإرادة فولاذية ، وهو يقول فى غضب :

- لن أمتعك بسماع صراخى أيتها اللعينة .

انتزعت مخالبها من صدره فى قسوة ، وعادت تغرسها فى موضع آخر ، وسالت الدماء من جروحه ، إلا أنه لم يطلق صرخة ألم واحدة ، وإنما أفرغ عذابه فى هتاف واحد :

- أيتها السادية اللعينة المجنونة .

انعقد حاجباها فى غضب ؛ لأنه لم يبد ألمه ، وتراجعت فى حركة حادة ، وهى ترمقه بنظرة وحشية ، قبل أن تلتفت إلى الشيخ ، وتتحدث إليه فى عصبية ، فاستمع إليها فى اهتمام ، ثم التفت إلى (أكرم) ، قائلاً :

- الأميرة تقول : إنه يبدو أنك تفضّل حفرة النار .

أجابه (أكرم) على الفور :

- بالتأكيد ، لو أن هذا يعفينى من رؤية وجهها البغيض .

احتقن وجه الشيخ ، وزادت زرقته على نحو ابتسم له (أكرم) فى سخرية ، قائلاً :

- ماذا دهاك أيها الوغد ؟! .. ألا تجرؤ على ترجمة كلماتى إليها ؟!

رمقه الشيخ بنظرة غاضبة ، ثم التفت إلى الأميرة ، وترجم لها عبارته بلهجة حادة مستفزة ، وكأنه يحثها على الانتقام ، إلا أن الأميرة فاجأته بضحكة مجلجلة ، قبل أن تلتفت إلى البدين الضخم ، وتشير إليه بأناملها ، فشدّ قامته ، وبرقت عيناه فى ارتياح ، ثم تقدّم بدوره نحو (أكرم) ، فابتسم الشيخ فى شماتة ، قائلاً :

الآن ستذوق قبضة (مونستار) .

ولم يكد يتم عبارته ، حتى هوى الضخم بقبضته كالقنبلة على معدة (أكرم) ، الذى انطلقت منه شهقة عنيفة ، وخيّل إليه أن معدته قد قفزت عبر حلقه ، قبل أن يعيدها ذلك البدين إلى أعماقه بلكمة أخرى فى فكه ، كادت تحطم أسنانه ..

ولم يتوقّف (مونستار) عند هذا الحد ..

لقد توالت لكماته القوية على معدة (أكرم) وصدره ، وفكه ، فى قسوة منقطعة النظير ، والأميرة (بلوميا) تطلق ضحكاتها الساخرة ، وعيناها الدمويتان تبرقان أكثر وأكثر ..

وبوحشية تامة ..

★ ★ ★

انقضّ ذلك الوحش الشبيه بالذئب على (نور) فى عنف وشراسة ، وهو يطلق زمجرة مخيفة ، كفيلة ببث الرعب فى أكثر الرجال قوة وشجاعة ، ومخالبه الحادة مستعدة لتمزيق جسد ضحيته بلا رحمة ..

ولكن (نور) لم يكن بالرجل العادى ، الذى يمكن أن ينهار ، أو يفقد عقله وقدرته على التفكير ، إزاء موقف كهذا ..

إنه رجل مخابرات علمية متميّز ..

ومقاتل من طراز فذّ ..

كما أن تجاربه وخبراته ، فى مواجهة المخاطر المختلفة ، جعلته أكثر قوة وصلابة من أقرانه ، على الرغم من تفوقهم وتميُّزهم ..

لذا فقد تحرك بسرعة مدهشة ، عندما انقضّ الوحش فمال جانبًا متفاديًا انقضاضته ، ثم هوى على فكه بلكمة ، أودعها كل قوته ..

وكانت المفاجأة هذه المرة من نصيب الوحش ، الذى أدهشته اللكمة القوية ، وأربكته ، فتراجع فى حدة ، وزمجر مرة أخرى فى غضب ..

وفى سرعة ، استدار (نور) لمواجهته ثانية ، على ضوء المصباح الخافت ، والتقت عيونهما لحظة ، قبل أن يتراجع الوحش ، ويطلق زمجرة ثانية ، ثم ينقض ..

وتحرك (نور) بسرعة ، محاولاً تفادى انقضاضته ، كما فعل فى المرة الأولى ، إلا أنه ارتطم بجدار الحفرة فى عنف ، فسقط مصباحه اليدوى ، وانغرست مخالب الوحش فى كتفه ، فى نفس الوقت الذى انطلقت فيه زمجرة هذا الأخير فى أذنه اليسرى مباشرة ، ولفحت أنفاسه الحارة وجهه ..

وعلى الرغم من آلامه ، دار (نور) على عقبيه فى سرعة ، وأمسكت يده القوية عنق الحيوان ، وانغرست فيه أصابعه الفولاذية ، وهو ينتزعه عن ظهره ، ويضرب به الجدار فى عنف ..

وانطلقت من الحيوان صرخة ألم وغضب ، وهو يتراجع بسرعة ، ثم يزمجر مستعداً لهجوم جديد ..

ولهث (نور) ..

لهث من فرط الجهد والانفعال ، وهو يتطلّع إلى الوحش الغاضب ، على ضوء المصباح الخافت ..

كان يعلم أن القتال غير متكافئ بحق ..

وأن ذلك الحيوان يفوقه قوة ..

واحتمالاً ..

ويدرك جيداً أن النهاية لن تأتى لصالحه أبداً ..

وكان هذا يقلقه بشدة ..

يقلقه ؛ لأن مصيره ربما يرتبط بمصير الأرض ..

ونهايته قد تعنى نهايتها ..

هذا لو أن وجوده يمكن أن يأتى بجديد ؛ لإنقاذ الأرض من مصيرها الرهيب المحتوم ..

لو ..

وبكل ما تبقّى فى جسده من قوة ، استعدّ (نور) لمواجهة ذلك الوحش ثانية ، وتحرك بمحاذاة الجدار و ...

وفجأة ، لمح تلك الكتلة البرتقالية فى الركن ..

واتسعت عيناه فى شدة ..

إنه نفس الكائن الشبيه بالثعبان ، والذى حاول بعضه قتل (أكرم) ، وسط الأطلال القرمزية(*) ..

هؤلاء العمالقة الأوغاد لم يدخروا جهداً للقضاء عليه ..

لقد وضعوا وحشين فى الحفرة ، التى ألقوه فيها ، ليضمنوا القضاء عليه بأحدهما ، إن لم يكن بالاثنين معاً ..

وامتلأت نفس (نور) بمزيج من الغضب والحنق ، وهو يغمغم :

ـ يا للأوغاد !

(*) راجع قصة (الفجوة السوداء) .. المغامرة رقم (١١٠)

ثم تحرك فى حذر نحو تلك الكتلة البرتقالية ، والحيوان يتابعه ببصره ، ويطلق زمجرة عصبية ، فهتف به (نور) فى صرامة :

- هيا أيها الوغد .. اهجم .. إننى أنتظرك .. هيا .

تراجع الحيوان خطوة حذرة ، وهو يطلق زمجرة غاضبة ، ثم انقض على (نور) مرة أخرى ..

وفى هذه المرة ، كان (نور) ينتظر انقضاضته ويتوقعها ؛ لذا فقد وثب مبتعدًا فى اللحظة الأخيرة ، وهو يهتف :

- فعلتها أيها الوغد .

أطلق الحيوان زمجرة غاضبة ، عندما تفادى (نور) انقضاضته ، ولكن لم يكد يهبط على قوائمه عند الركن ، حتى وثب مذعورًا ، وانطلق منه صوت أشبه بعواء مذعور ..

وفى نفس اللحظة ، وثب الكائن البرتقالى ..

وأطبق بفكيه العريضين على عنق الحيوان ..

وفى هلع وذعر وألم ، راح الحيوان يطلق صرخات رهيبة ، ويضرب جسده بالجدار ، ويتقلب فى عنف ، ويضرب بقوائمه فى الهواء ، فى محاولة للتخلص من ذلك الكائن البرتقالى ، الذى ازداد تشبثًا به ، وأدار لسانه الطويل حول عنقه ، ثم راح يعتصره فى بطء وقوة ..

ولثوان ، راح (نور) يراقب ذلك الصراع الرهيب ، ثم لم يلبث أن وثب يختطف مصباحه اليدوى الصغير ، وهو يغمغم فى توتر :

- رائع .. الوحش سيذهب ضحية ذلك الكائن البرتقالى ،.. كيف يمكننى التخلص من المنتصر بعدها .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انتبه فجأة إلى تلك الفجوة الواسعة ، عند قاعدة الجدار ..

كان ضوء مصباحه خافتًا للغاية ، إلا أنه لمح الفجوة ، وبدا له من الواضح أن ذلك الحيوان هو الذى صنعها بمخالبه ؛ ليصل إلى الحفرة ؛ لأنها لم تكن منتظمة أو متقنة ..

وفى انفعال ، هتف (نور) وهو يتجه نحوها :

- إذن فقد ظلمت هؤلاء العمالقة الأوغاد .. أنت الذى جئت إلى هنا بإرادتك ، وليسوا هم من ألقوك .

كانت الفتحة واسعة إلى حد يكفى لمرور جسده ، وبدا له على ضوء مصباحه اليدوى الخافت ، أنها نهاية نفق قصير ، يمتدّ إلى مترين فحسب ، ثم ينتهى بتجويف واسع ، يأتيه منه صوت أشبه بخرير المياه ..

وفى اهتمام بالغ ، قال (نور) :

- رباه ! .. يبدو أن وصولك إلى هنا كان ضربة حظ بحق أيها الحيوان .. بل هو قدرنا ، ومصيرنا الذى كتبه الخالق (عزّ وجلّ) .. لا ريب في أن رائحتنا هى التى جذبتك إلينا ، دون أن تدرى أن قدومك فيه موتك وحياتنا .

كانت أصوات الصراع قد توقَّفت ، فألقى ضوء مصباحه الخافت داخل الحفرة ، ورأى الحيوان جثة هامدة ، وذلك الكائن البرتقالى ما زال يقبض على عنقه بلسانه وفكيه ، وكأنما يرغب فى التيقن من مصرعه ، قبل أن يبدأ فى التهامه ، فغمغم :

- وما تدرى نفس بأى أرض تموت .

قالها ، ودفع جسده عبر التجويف ، وعقله يدور حول نقطة واحدة ..

تُرى ما مصير (أكرم) ؟! ..

وما الذى يمكن أن يفعله من أجله ، لو أنه استطاع الخروج من هذا الجحيم ؟! ..

كان شديد اللهفة لعبور ذلك النفق ، على أمل أن يقوده إلى شاطئ أمان ، يمكنه منه القيام بأية محاولة جادة ؛ لإنقاذ رفيقه ، أو البحث عن وسيلة لدرء الخطر القادم الذى يهدد عالمه ، وهذا العالم المخيف ..

وبسرعة ، وقبل أن يفرغ الكائن البرتقالى من فريسته ، ويلتفت إليه ، راح (نور) يزحف عبر النفق القصير ، ومصباحه اليدوى يزداد خفوتًا ، وخفوتًا ، مع ضعف مصدر الطاقة داخله ..

ثم بلغ نهاية النفق ..

بلغها وضوء مصباحه يبلغ نهايته ، ويبدو أشبه بذبالة شمعة صغيرة ، فى ليل بهيم ..

وعلى ذلك الضوء الشديد الخفوت ، حاول (نور) أن يلقى نظرة على الفراغ الواسع فى نهاية النفق ، والذى ينقل إليه خرير مياه تجرى فى قلب الجبل ..

وفى حيرة ، تمتم (نور) :

- تُرى أهذا هو النهر الدموى ، الذى يجرى تحت الصحراء ؟!

لم يكد ينطقها ، حتى انهار النفق من تحته مباشرة ، فاختل توازنه ، ووجد نفسه يهوى من ارتفاع شاهق ..

ثم يسقط فى ماء بارد ..

وعميق ..

وغاص (نور) لمترين كاملين فى أعماق الماء ، والظلام يحيط به تمامًا ، قبل أن يضرب الماء بذراعيه ويصعد إلى السطح ..

كان من الواضح أنه قد سقط فى ماء جار ، يتجه بسرعة متوسطة إلى مكان ما ..

وكانت هناك رائحة عجيبة فى المكان ..

رائحة أشبه ببخار ماء ، يمتزج بمعدن مشتعل ..

ووسط الظلام الدامس ، راح (نور) يضرب بذراعيه فى الماء ، على غير هدى ، وقد فقد مصباحه اليدوى مع سقوطه ..

وراحت درجة حرارة الماء ترتفع تدريجيًا ، على نحو أقلقه ، خاصة وأن الرائحة تزايدت أكثر ، وأكثر ..

ثم تناهى إلى مسامعه صوت خفق له قلبه فى عنف ..

صوت مسقط مياه قوى ، وهدير شلال ، يمتزج بفحيح يشبه ذلك الذى تسمعه ، عندما تصب بعض الماء على معدن ساخن ..

وفى الوقت نفسه تضاعفت سرعة جريان الماء ، وتبدد الظلام الدامس بعض الشىء ، بضوء باهت يأتى من بعيد ..

وعلى بصيص الضوء ، شاهد (نور) ما حوله لأول مرة ..

كان بالفعل داخل نهر أحمر ، يجرى بين جدران صخرية عالية ، تكاثفت على قمتها قطرات ماء من البخار المنتشر فى المكان ..

ولم يكن هناك شىء واحد ، يصلح لأن يتعلق به (نور) ، أو يمكن أن يستخدمه ؛ للتخفيف من سرعة اندفاعه نحو مصدر الضوء ، الذى راح يتزايد ، ويتزايد ، ويتزايد ..

ثم اتضحت الرؤية بغتة ..

واتسعت عينا (نور) فى شدة ..

فذلك النهر الأحمر كان يجرى فى سرعة ؛ لينتهى إلى شلال كبير ، يصب بهدير قوى فى مكان ما ..

ومن الناحية المقابلة ، كان الضوء يصدر عن نهر آخر ..

نهر من الحمم الملتهبة ، ينتهى أيضًا بشلال من اللهب ، يصب فى المكان نفسه ..

وكان هذا يعنى أن (نور) سيسقط بعد قليل فى بحيرة يمتزج فيها الماء بالحمم ..

بحيرة تبلغ درجة حرارة المياه فيها ما يكفى ؛ لإنتاج كل هذا القدر من بخار الماء ..

بحيرة فى درجة الغليان ..

* * *

لم يشعر (أكرم) ، فى حياته كلها ، بكل هذا القدر من الألم ، والغضب ، والثورة ..

والعجز ..

فذلك العملاق (مونستار) ظلّ يضربه ويلكمه بمنتهى القوة والقسوة ، وهو مقيّد بتلك الأغلال المعدنية إلى الجدار ، والأميرة (بلوميا) تطلق ضحكاتها السادية ، والشيخ يبتسم فى سخرية وشماتة ..

وأخيرًا ، وبعد أن كاد يفقد وعيه تمامًا ، أشارت الأميرة إلى العملاق ، فتوقّف عن ضرب (أكرم) ، وتراجع إلى ركن الحجرة ، وقبضته الزرقاء ملوثة بدماء (أكرم) الحمراء ، وتقدّمت الأميرة من هذا الأخير ومسحت الدماء من ركن شفتيه بأناملها ، ثم لعقتها بلسانها فى تلذّذ واضح ، قبل أن تقول شيئًا ما ، وعيناها تبرقان على نحو عجيب ، فترجم الشيخ قولها ، قائلاً :

ـ الأميرة تقول : إن دماءك حلوة المذاق ، وتساءل : أكل شعبكم تجرى فى عروقه الدماء نفسها .

شعر (أكرم) بالاشمئزاز ، من هذه العبارة الدموية المقزّزة ، وغمغم فى حدة وألم :

ـ أخبرها أننى ، إذا ما نجحت فى الخروج من هذا المأزق ، سأبذل قصارى جهدى ؛ لتسيل دماؤها القذرة ، حتى تلقى حتفها .

ابتسم الشيخ فى سخرية ، ونقل العبارة إلى الأميرة ، التى تألّقت عيناها أكثر ، وتطلّعت إلى (أكرم) لحظات فى صمت ، ثم اندفعت نحوه بغتة ، وهوت على وجهه بصفعة قوية ، تناثرت معها الدماء من جرح شفتيه ، فهتف فى غضب :

ـ أيتها الحقيرة .. اقسم بكل عزيز لدىّ أن تدفعى ثمن هذه الصفعة غاليًا .. غاليًا جدًا .

نقل إليها الشيخ قوله ، فأمسكت شعره ، وجذبته فى قسوة ، وهى تهتف فى وجهه بعبارة ما ، ترجمها الشيخ ، قائلاً :

ـ من الواضح أنك قد أثرت غضب الأميرة وضيقها إلى أقصى حد ، فهى تقول : إنها تفكر جادة فى إعادتك إلى حفرة النار ، لعل هذا يكون عقابًا كافيًا لك .

ابتسم (أكرم) فى سخرية ، وقال فى تهالك :

ـ قل لها : أن تذهب إلى الجحيم ، فبكل هذا التعب فى كل عظمة وخلية فى جسدى ، سألقى حتفى فور ملامسة الحمم ، ولن أتعذب لحظة واحدة .

التقى حاجبا الشيخ فى ضيق ، وكأنما لايروق له هذا القول ، ولكنه ترجمه للأميرة بكل أمانة ، فشاركته التقاء الحاجبين ، وهى تفكر فى عمق ، قبل أن تلتفت

إلى الشيخ ، وتتحدث إليه طويلاً ، فترجم هو حديثها ، قائلا :

- الأميرة تقول : إنها ستبقى عليك بعض الوقت ، حتى تستعيد نشاطك كله ، ثم تلقى بك فى حفرة النار .

غمغم (أكرم) فى سخرية :

- يا لرقة مشاعرها !

لم يكن بإمكان (بلوميا) أن تفهم حرفًا واحدًا مما نطقه ، إلا أنها أدركت من طريقة نطقه وأسلوبه أنه يسخر منها ، فهوت على وجهه بصفعة أخرى قاسية ، وهى تصرخ فى غضب جنونى ، ثم راحت تهتف بشىء ما ، فى وجهى الحارسين العملاقين ، برقت له عينا الشيخ السادى فى ظفر وشماتة ، فقال (أكرم) بلهجة ساخرة مستفزة :

- لاداعى للترجمة أيها المأفون .. أراهن على أنها كلمات غاضبة بذيئة .. أليس كذلك ؟

تجاهل الشيخ سؤاله تمامًا ، فى حين اندفع العملاقان نحوه ، وحلا أغلاله المعدنية ، ثم كبلا حركته فى قسوة ، ودفعاه أمامهما فى عنف وغلظة ، عبر تلك الممرات الصخرية ، حتى بلغا الحفرة ، والشيخ يتبعهما فى صمت ، وعيناه تتألقان بشماتة ظافرة ، وبينما كان

أحد العملاقين يرفع القضبان الثقيلة من فوق الحفرة ، قال الشيخ فى تشفٍّ :

- الأميرة أمرت بإلقائك فى الحفرة مع زميلك ، ويقتلك فورًا وبلا رحمة ، عند أول محاولة للفرار .

قال (أكرم) فى سخرية :

- ألم أقل لك : إنها رقيقة المشاعر ؟

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انطلقت من حلق العملاق ، الذى يرفع القضبان ، صرخة غاضبة ، وراح يشير إلى داخل الحفرة فى عصبية ، فاندفع الشيخ يلقى نظرة داخلها ، وارتفع حاجباه فى شدة ، قبل أن يعود إلى (أكرم) ، قائلاً فى سخرية شامتة :

- يبدو أن رفيقك قد رحل .

هتف (أكرم) :

- هرب ؟!

قهقه الشيخ ساخرًا ، وهو يجيب :

- بل انتهى فى معدة (بينداروز) :

لم يفهم (أكرم) ما هو (البينداروز) هذا ، حتى جذبه العملاق الآخر نحو الحفرة فى قسوة ، والشيخ يشير داخلها ، قائلاً :

- انظر .

ارتفع حاجبا (أكرم) فى شدة ، ثم عادا يلتقيان فى توتر بالغ ، وهو يحدق فى الكائن البرتقالى ، الذى استقرَ صامتًا ساكنًا فى الركن ، وقد انتفخ منتصفه على نحو عجيب ، يوحى بأنه قد ابتلع على التو جسمًا ضخمًا ، يفوق حجمه وسمكه عشرين مرة على الأقل ..

وبنفس السخرية الشامتة ، قال الشيخ :

ـ انظر ذلك التجويف الواسع هناك .. لاريب فى أن (البينداروز) قد تسلل عبره إلى الحفرة ، وانقضَ على رفيقك وسط الظلام الدامس .. و (البينداروز) له طريقة فريدة ، فى التعامل مع فرائسه .. فهو ينقض على الفريسة ، ويقبض على عنقها بفكيه القويين ، ثم يمدَ لسانه ليحيط بالعنق ، ويعتصره حتى الموت ، وبعدها يتسع فكاه على نحو مدهش ، حتى يبتلع الفريسة كلها ، مهما بلغ حجمها ، ويدفعها بتقلصات جسده ، حتى تصل إلى معدته ، فيجلس صامتًا تمامًا ، حتى يهضمها عن آخرها .

ثم أطلق ضحكة ساخرة ، قبل أن يستطرد :

ـ ومن الواضح أن ذلك الانتفاخ الرهيب فى معدته ، هو جسد رفيقك الـ ...

قبل أن يتمَ الشيخ عبارته ، صرخ (أكرم) فى غضب هادر :

ـ أيها الأوغاد .

ثم اندفع نحو الشيخ ، ودفعه أمامه فى عنف ، وصرخته تمتدَ وتمتدَ ، وتمتزج بصرخة الشيخ ، وصياح الحارسين ، وهو يسقط مع الشيخ داخل الحفرة ، ويرتطمان بأرضيتها فى عنف ..

وتأوَه الشيخ فى ألم مبرح ، وذعر بلا حدود ، وجحظت عيناه ، وازداد وجهه زرقة ، حتى قارب السواد ، و (أكرم) يهتف :

ـ هيا .. ذق شيئًا من العذاب أيها المأفون . تعلَم كيف تكون الآلام ، التى تتلذذ برؤيتها على الآخرين .

كان من الواضح أن الشيخ قد أصيب بكسور فى ذراعيه وحوضه ، من عنف صرخاته وآلامه ، فوثب أحد العملاقين داخل الحفرة ، وجذب (أكرم) من فوقه فى غضب ، وزمجر فى وحشية ، ثم ألقاه بكل قوته ، ليرتطم بالجدار ، ثم يسقط أرضًا ...

أما (البينداروز) ، فلم يتحرك من مكانه قط ..

لقد امتلأت معدته بوجبة دسمة أكثر من المعتاد ، ولم يعد بمقدوره أن يناور ، أو يبتعد ، قبل أن ينتهى من هضمها عن آخرها ..

وفى أعلى الحفرة ، أطلق الحارس الآخر صرخة غاضبة ، وهو يلوَح بالمشعل فى يده ، وعلى ضوئه



ثم اندفع نحو الشيخ ، ودفعه أمامه فى عنف ، وصرخته تمتدّ وتمتدّ ، وتمتزج بصرخة الشيخ ، وصياح الحارسين ..

انقضّ رفيقه على (أكرم) ثانية ، ورفعه فى قوة ، ثم ألقاه عبر الحفرة فى غضب ، فارتطم بالجدار مرة أخرى ، وسقط أرضًا ..

واعتدل الحارس يطلق زمجرة قوية ، ويضرب صدره بقبضتيه الضخمتين ، كغوريلا غاضبة(*) ، فى حين راحت أصابع (أكرم) تعبث بجيبه فى سرعة ، وتخرج منه شيئًا ما ، لم يدرك العملاق ماهيته ، فأطلق صرخة غاضبة أخرى ، وانقضّ على (أكرم) ، وجذبه من قدميه فى عنف ، ثم رفعه إلى أعلى ، وزمجرته ترجّ جدران الحفرة فى قوة ..

وكان من الواضح أنه سيضرب رأسه بالأرض هذه المرة ..

وبكل القوة فى عضلاته الرهيبة ، التى تفوق عضلاتنا بثلاث مرات على الأقل ..

وهذا يعنى أن رأس (أكرم) سيتهشّم مع الضربة .. تمامًا .

* * *

(*) الغوريلا : من القردة العليا الشبيهة بالإنسان ، تستوطن المنطقة الغربية من (إفريقيا) الاستوائية ، وهى أضخم القردة العليا ، وعلى الرغم من ضخامتها وشكلها المخيف ، فهى تتغذى بالمواد النباتية .

٥ - نهر النار ..

اندفع جسد (نور) مع ذلك النهر الأحمر ، نحو الشلال الكبير ، الذى يصبُ مع الحمم فى فجوة واحدة ، تتصاعد منها أبخرة كثيفة للغاية ، توحى بدرجة الحرارة المرتفعة للغاية ، والتى تقارب درجة الغليان(*) ، من جراء امتزاج الماء بالحمم الملتهبة ..

وبكل قوته ، راح (نور) يضرب الماء بذراعيه ، فى محاولة للابتعاد عن مصب المياه ، والنجاة من السقوط فى قلبْ المياه الملتهبة ، ولكن ضرباته كلها راحت هباءً ، مع قوة اندفاع المياه ، والجدران الصخرية العالية ، التى تحيط بها ..

وتزايدت سرعة اندفاعه عبر النهر الأحمر ، على نحو مخيف ، وتعالى هدير الشلال ، حتى كاد يصمّ أذنيه ، مع صوت ذلك الفحيح الرهيب ، لامتزاج الماء والنار ، والأبخرة الكثيفة ، ذات الحرارة العالية ، التى تكاد تشوى جسده شيًا ..

(*) درجة غليان الماء هى مائة درجة مئوية ، تحت الضغط الجوى العادى .

ثم بلغ جسده المصب ..

واندفع فى الفراغ ..

وكان المشهد رهيبًا ..

رهيبًا ..

وإلى أقصى حد ..

فعلى عمق عشرة أمتار من موقع اندفاعه ، كان النهر يصب فى بحيرة هائلة ، ليمتزج بالحمم المتدفقة ، والتى تجعل مياه البحيرة فى حالة غليان دائم ، فتتصاعد منها أبخرة كثيفة ، تعود لتتكثف مرة أخرى على الجدران الصخرية ، لتسيل مع النهر ..

ومع اندفاعه فىَ الهواء ، لم يعد هناك مفرّ من سقوطه فى البحيرة ، وسط الماء المغلى ، و ...

وفجأة ، لمح ذلك الحبل السميك ..

حبل يمتدّ فى الهواء ، على ارتفاع ثمانية أمتار من البحيرة ، بحيث لا يمكن أن تلمحه ، إلا بعد أن تتجاوز نقطة المصب ..

ولقد لمحه (نور) ، وهو يهوى فى الفراغ ..

وجاء رد فعله سريعًا ..

ومدهشًا ..

لقد آمال جسده بسرعة خرافية ؛ ليندفع نحو ذلك الحبل السميك ، وقبض عضلاته كلها ، هو يهبط فوقه ، ويرتطم به فى عنف ..

وكما يحدث لكرة مطاطية مرنة ، ارتطم جسد (نور) بالحبل السميك ، ثم ارتدّ إلى أعلى ، ثم عاود الهبوط ..

وفى هذه المرة تعلّق بالحبل ..

تعلّق به بذراعيه دفعة واحدة فى قوة ، مثلما يتشبّث غريق فى بحر متلاطم ، بآخر أمل له فى النجاة .. بقشة ..

وعلى الرغم من رد الفعل العنيف ، وارتجاجة جسده القوية ، لم يتخل (نور) عن الحبل ، وهو يهتف :

ـ رباه ! .. حمدًا لله .. حمدًا لله .. من الواضح أن ساعتى لم تحن بعد ، على الرغم من كل ما نواجهه ..

كان هدير الشلال رهيبًا ، ويصنع مع ذلك الفحيح صوتًا مخيفًا ، والبخار الساخن يتصاعد بكميات هائلة ، وعلى الرغم من هذا ، فقد تعلّق (نور) بالحبل السميك فى قوة ، وراح يدفع جسده لينزلق فوقه ، فى اتجاه ما بدا له كصخرة هائلة ، تمتدّ من الجدار ، وتصلح للوقوف والاستقرار ..

وفى أعماقه ، راح هتاف يتصاعد ..

مستحيل أن يكون كل هذا مجرّد صدفة !!

مستحيل ! ..

الله (سبحانه وتعالى) يمهّد له سبل النجاة لسبب ما ..

ومن المؤكد أن هذا السبب لا يتعلّق به ..

لا يتعلّق بخيره وحده ..

بل هو أمر فيه خير للكثيرين حتمًا ..

فقط يمهّد الله (سبحانه وتعالى) له السبيل ، ليكون وسيلته (سبحانه) فى توصيل الخير للآخرين ..

أو لإنقاذهم ..

لإنقاذ البشرية كلها ..

هذا هو التفسير الوحيد للمصادفة ! ..

ولنجاته ..

وبسرعة ، بلغ الصخرة الضخمة ، التى ينتهى إليها الحبل السميك ، وألقى جسده فوقها ، وهو يلهث فى شدة ، والعرق يغمر جسده كله فى غزارة ..

ولدقيقة كاملة أو يزيد ، أغلق عينيه ، وحاول أن يسترخى فوق الصخرة ؛ ليستعيد نشاطه ، ويسيطر على جأشه ، ثم لم يلبث أن نهض واقفًا ، وهو يعيد دراسة موقفه كله ..

ولوهلة ، لم يصدق أنه قد نجا من هذا الموقف الرهيب ، ولكن عينيه تتبعتا ذلك الحبل السميك ، ثم ارتفع حاجباه فى دهشة بالغة ، عندما لاحظ أن نهايته مثبتة فى حلقة كبيرة ، تم غرسها فى الجدار الصخرى بوسيلة متقنة للغاية ، تفوق ما يمكن أن يذهب إليه العمالقة .

وفى حيرة ، غمغم (نور) :

ـ عجبًا ! .. هذا الحبل تم وضعه هنا عمدًا ، ولهدف ما .

كان الوهج المنبعث من الحمم خافتًا متراقصًا ، ولكن (نور) راح يفحص الجدار الصخرى على ضوئه فى اهتمام بالغ ، قبل أن يرتفع حاجباه فى دهشة ، وهو يهتف فى انفعال :

ـ رباه ! .. هذا الجدار ليس صخرًا طبيعيًا .. إنه مدخل صناعى لمكان ما .. يا إلهى ! .. أهذا أمر حديث ، أم أنه جزء من تلك الحضارة البائدة ، التى تركت خلفها الأطلال القرمزية ..

وراحت أصابعه تتحسس الجدار الصناعى فى لهفة شديدة ، وشفتاه تتمتمان :

ـ نعم .. إنه باب من المعدن ، وها هى ذى حدوده .. إنه يناسب قومًا فى حجمنا ، وليس فى حجم هؤلاء

العمالقة .. يا إلهى ! .. كل شىء يثبت أنه كانت هناك حضارة أخرى على كوكب الطغاة هذا .. حضارة تشبه حضارتنا إلى حد كبير .. نعم .. بالتأكيد .. هذا الجزء الخشن فى الركن هو جهاز استقبال صوتى ، دون أدنى شك ، وهذا يعنى أن كل ما يحتاج إليه الأمر هو كلمة سر ، يلتقطها جهاز الاستقبال الصوتى هذا ، فيدير رتاجًا خاصًا ، وينفتح الباب مباشرة .. نفس ما حدث فى قصة (على بابا) والأربعين لصًا .. افتح يا سمسم .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يغمغم :

ـ ولكن ما كلمة السر المطلوبة ؟!

كان العقل والمنطق يؤكدان أن التوصل إلى كلمة سر ، قادرة على تشغيل رتاج إلكترونى ، فى كوكب آخر ، يستخدم سكانه لغة لم تعرفها الأرض قط ، أمر مستحيل تمامًا ، ولا يمكن أن تبلغ نسبة نجاحه أكثر من واحد فى كل ألف مليار ..

وعلى الرغم من هذا ، فقد أخذ (نور) يعتصر ذهنه ..

ويعتصره ..

ويعتصره ..

وفى أعماقه ، كان يشعر بأنه من المستحيل أن تتوقف الأمور عند هذا الحد ..

من المستحيل تمامًا ! ..
الأرض يهددها خطـر رهيـب ، والظـروف تتضـافر لوضعه في موقف ، ربما يجعله الشخص الوحيد ، في العالم أجمع ، أو ربما في الكون كله ، الـذي يمكنـه إنقاذها ..
القدر أراد له هذا المصير ..
ولا يمكن أن يتخلى عنه الآن ..
لا يمكن ..
ولكن كيف ؟!
العثور على كلمة السر ، لفتح هذا الباب الصنـاعي ، أمر مستحيل ، بأي مقياس علمي أو منطقي أو إحصائي ..
مستحيل ! ..
مستحيل ! ..
لماذا إذن يشعر في أعماقه أنه قادر على معرفة كلمة السر هذه ؟!
لماذا ؟!
ارتفع صوت الفحيح فجأة ، على نحو يفوق ضعف ما كان عليه ، فالتفت بحركـة حـادة ، في نفس اللحظـة التي بدأ المكان كله يرتج فيها في بطء ..
واتسعت عيناه في ارتياع ..

فقد كان من الواضـح أن مصدر الحمم يمرّ بمرحلـة نشاط مباغت ، سببت هذا الارتجاج ، وضاعفت كمية الحمم ، التي تصب في البحيرة ، ثلاث مرات على الأقل ..
وكان هذا يعني أيضًا مضاعفة كمية البخار السـاخن ، المتصاعد من البحيرة ، بنفس القدر تقريبًا ..
بالإضافة إلى الغازات الأخرى ، التي تتصاعد من الحمم الملتهبة ..
وكل هذا سيؤدي حتمًا إلى نتيجة واحدة ..
ارتفاع درجـة الحـرارة على نحو رهيب ، لابد وأن يؤدي إلى الموت ..
موت المقدّم (نور الدين محمود) ..
في أعماق عالم عجيب ..
ومخيف ..

★ ★ ★

أطلق الحارس العملاق صيحـة انتصـار قويـة ، وهو يرفع (أكرم) من قدميه ، ويستعد لضرب رأسه بالأرض الصخرية ، وتحطيمه بلا رحمة ..
وفي ظفر مماثل ، لوّح رفيقه بالمشعل أعلى الحفرة ، وأطلق زمجرة مخيفة ، وكأنما يعلن تأييده له ..
ولكن (أكرم) مال بجذعه فجأة إلى أعلى ، وهو يقول :

ـ هيا .. افتح فمك القذر أكثر أيها الوغد ، وامنحنى فرصة أكبر لنسف مخك الغبى ..

قالها ، وهو يصوّب مسدسه إلى حلق العملاق مباشرة ..

نعم .. مسدسه ..

ففى المرة الأخيرة ، عندما ألقى العملاق (أكرم) نحو الجدار ، ارتطم به هذا الأخير فى عنف ، ثم سقط على وجهه ، وشعر بشىء ما تحته ..

وانتفض جسده كله فى انفعال ..

إنه مسدسه ..

المسدس الذى فقده ، فى أثناء سقوطه مع (نور) فى قبضة العمالقة ..

وصنع خياله صورة للموقف ..

لقد سقط المسدس عند قدمه ، وتعلّق بالشبكة ، وظلّ فيها حتى ألقاهما العمالقة داخل الحفرة ، فسقط المسدس معهما ، ولكنهما لم يدركا وجوده ، بسبب الظلام الدامس ..

وها هو ذا يعثر عليه مصادفة ..

وفى الوقت المناسب تمامًا ..

وبسرعة ، راحت أصابعه تبحث عن خزانات الرصاصات الإضافية فى جيبه ، وهو يتمنى ألا يكون قد فقدها أيضًا ..

وفى نفس اللحظة ، التى جذبه فيها العملاق من قدميه ، كان قد عثر على واحدة من خزانات الرصاصات ، فانتزع الخزانة الفارغة من كعب مسدسه ، وألقاها بعيدًا ، ودسّ خزانة جديدة فى المسدس ، والعملاق يطلق صيحة انتصاره ، ويرفعه من قدميه ؛ ليضرب رأسه بالأرض ..

وأطلق (أكرم) رصاصات مسدسه ..

ثلاث رصاصات عبرت فم العملاق المفتوح واخترقت حلقه ، ومؤخرة رأسه ، وتجاوزته مع حطام جمجمته ، التى تناثرت على وجه الشيخ وصدره ، فأطلق صرخة مذعورة ، قبل أن يهوى العملاق فوقه بثقله كله ، ويحطم عظامه وعنقه ، ويخرسه إلى الأبد ..

وعلى الرغم من الإرهاق الشديد الذى يعانيه ، وثب (أكرم) واقفًا على قدميه ، وصوّب مسدسه إلى حامل المشعل ، هاتفًا :

ـ هيا أيها الوغد .. الحق برفيقك فى الجحيم .

وانطلقت ثلاث رصاصات أخرى ..

واخترقت عين العملاق الثانى ، وجبهته ، وصدره ..

وهوى العملاق مع مشعله إلى الحفرة ، وسقط فوق ذلك الكائن البرتقالى ، ليسحقه سحقًا ..

ولثوان ، راح (أكرم) يلهث فى شدة ، وعقله يتساءل عما إذا كان أحد هؤلاء العمالقة قد سمع دوى الرصاصات أم لا ..

ولكنه لم يضع وقتًا طويلاً فى التفكير ..

وبكل ما يملك من قوة ، راح يجذب العملاق الثانى ؛ ليلقيه فوق زميله والشيخ ، وهو يقول :

ـ على الأقل ستصبح لكم فائدة أيها الأوغاد .

ثم التفت إلى الكائن البرتقالى ، الذى سحقه العملاق سحقًا ، وشعر بغصة فى حلقه ، وهو يتخيل (نور) فى أعماقه ، ولم يستطع مقاومة دمعة حزن ، انحدرت على وجنته ، وهو يقول فى غضب :

ـ أقسم أن يدفعوا الثمن يا (نور) .. أقسم أن يدفعوا ثمن حياتك غاليًا يا صديقى .. يا أصدق أصدقائى .

ولأول مرة فى حياته كلها ، ترك (أكرم) دموعه تنهمر فى صمت ، دون أن يحاول كبحها أو منعها ..

ربما لأنه وحده ..

أو لأن ما حدث يتجاوز قدرة مشاعره على الاحتمال ..

المهم أنه لم يقاوم دموعه ..

ولم يتوقف فى الوقت نفسه ..

لقد رفع عينيه ، يقيس المسافة بينه وبين القضبان الثقيلة ، التى يبدو جانب منها فى طرف الحفرة ، ثم تراجع حتى التصق بالجدار ، وانطلق يعدو نحو جثث العمالقة ، التى رصها فوق بعضها ، ووثب إلى صدر أحدهما ، ثم دفع جسده بكل قوته ؛ ليقفز إلى أعلى ..

ولكنه لم ينجح فى التعلق بالقضبان ..

وهبط (أكرم) على قدميه ، وتراجع مرة أخرى ملتصقًا بالجدار ، وربت على مسدسه ، ليتأكد من أنه مثبت فى حزامه ، وهو يغمغم :

ـ هيا يا (أكرم) .. الأمر يحتاج إلى دفعة أقوى .. لا تتخاذل بعد أن بلغت هذه المرحلة .. هيا .

وفى هذه المرة ، وعلى الرغم من إرهاقه الشديد ، كانت اندفاعته أكثر قوة ..

وقفزته أكثر ارتفاعًا ..

لذا فقد تعلق بالقضبان المعدنية ، وهو يهتف :

ـ رائع .. لقد فعلتها يا رجل .. فعلتها .

ثم تأرجح بجسده مرتين ، قبل أن يرفع قدميه إلى أعلى ويدور بهما حول طرف القضبان ؛ ليعتليها بحركة بالغة الرشاقة ، ثم يقفز منها إلى خارج الفجوة ، وهو يستعيد مسدسه من حزامه ، ويقول فى حماس :

ـ نجحت يا (أكرم) .. صفعت هؤلاء العمالقة الأوغاد على مؤخراتهم ، ونجوت من حفرتهم اللعينة .

وتلفت حوله بسرعة ، قبل أن يندفع عبر الممرات ، مستطردًا فى حزم :

ـ ومن حسن الحظ أن هؤلاء الملاعين لا يرتدون دروعهم الواقية من الرصاصات داخل قلعتهم .

لم يدر لماذا استعاد عقله ذكرى تلك الأيام العصيبة ، التى أعقبت احتلال الأرض(*) ، وهو يتحرك فى حذر عبر الممرات الصخرية ، ومسدسه مشهور فى يده ، متحفز للانطلاق فى وجه كل من يعترض طريقه ..

ربما لأنه ، فى هذه المرة أيضًا ، يواجه بعض المتوحشين الهمج ، الذين لا يفرقهم عن سابقيهم سوى أنهم يرتدون دروعًا قوية فى بعض الأحيان ..

أو لأنه يتوقع الخطر فى أية لحظة كالسابق ..

ربما ..

المهم أنه راح يتحرك ويتقدم بسرعة ، وهو يغمغم :

ـ لو أننى سعيد الحظ ، فسأجد تلك المتوحشة فى طريقى ، وأنسف رأسها القذر برصاصات مسدسى .

وضم قبضته فى غضب ، مستطردًا :

(*) راجع قصة (رمز القوة) .. المغامرة رقم (٨١) .

ـ وأقسم أن أفرغ فيه خزانة رصاصات كاملة عندئذ ..

لم يكن يدرى إلى أين تقوده هذه الممرات الطويلة المتشابكة ، إلا أنه واصل طريقه عبرها لبعض الوقت ، ثم توقف مغمغمًا فى حنق :

ـ اللعنة ! .. أما من نهاية لتلك الممرات السخيفة ..

لم يكد يتم عبارته ، حتى تناهى إلى مسامعه وقع أقدام ثقيلة تقترب ، من أحد الممرات الجانبية ، فتراجع فى حذر متحفز ، وهو يتمتم :

ـ يبدو أن المواجهة ستحدث بعد قـ ..

قاطعته بغتة صرخة هادرة ، انطلقت من خلفه فاستدار بأقصى سرعته ، ليجد عملاقًا ضخمًا ينقض عليه ، وصيحاته الرهيبة ترج الممر رجًا ..

وبسرعة مدهشة ، رفع (أكرم) مسدسه ، وأطلق النار ..

واخترقت ست رصاصات جسد العملاق ، وهو يندفع نحوه كالثور الهائج ، فأطلق صرخة أخرى متحشرجة ، وواصل اندفاعه ، حتى إن (أكرم) اضطر إلى الالتصاق بجدار الممر بكل قوته ؛ ليتحاشى سقوطه العنيف ..

وفى نفس اللحظة ، التى سقط فيها هذا العملاق ، برز ثلاثة آخرون من الممر الجانبى ، وصرخ أحدهم

فى غضب ، وهو يشير إلى (أكرم) ، الذى انطلق يعدو متراجعًا ، وهو ينتزع الخزانة الفارغة من مسدسه ، ويلقيها خلفه ، ويحشوه بأخرى جديدة ، ثم يستدير لمواجهة العمالقة الثلاثة ، هاتفًا :

– ليس بهذه السهولة أيها الأوغاد .

كان العمالقة الثلاثة يحملون هراواتهم الثقيلة ، ويطاردونه فى وحشية ، فأطلق ثلاث رصاصات نحو أولهم ، ونسف رأسه فى مشهد رهيب ، ولكن الآخرين لم يتوقفا لرؤية ما حدث ، وإنما قفز أحدهم متجاوزًا زميله ، فى حين وطأه الآخر بقدمه بلا مبالاة ، وهما يواصلان مطاردة (أكرم) ..

وبكل قوته ، ألقى أحدهما هراوته نحو (أكرم) ، فانحنى هذا الأخير يتفاداها ، وهو يهتف :

– لن يفلح هذا .

تجاوزته الهراوة ببضعة سنتيمترات ، فى نفس الوقت الذى أطلق هو فيه أربع رصاصات أخرى ، اخترقت كلها صدر صاحبها ، فأطلق خوارًا عجيبًا ، قبل أن يهوى بدوره فاقد الوعى ..

ولم يتوقف العملاق الثالث ، على الرغم من كل هذا ..

لقد وثب متفاديًا جثة رفيقه الثانى ، ودارت هراوته فى الهواء ، وهو يطلق صرخة غاضبة ثائرة ، فتراجع (أكرم) بحركة حادة ، محاولاً تفادى الهراوة الثقيلة ، إلا أن محاولته هذه أفقدته توازنه ، فسقط على ظهره ، وطار مسدسه من يده ؛ لينزلق ثلاثة أمتار كاملة على الممر ..

وحاول (أكرم) أن ينهض ، وأن يقفز لاستعادة مسدسه ، إلا أن العملاق الأخير أطلق صرخة رهيبة ، وهو ينقضّ عليه بكل قوته ووحشيته وجبروته ..

وبكل العنف ، هوى العملاق بهراوته على رأس (أكرم) الأعزل ..

بلا رحمة ..

* * *

امتزج الماء بالنار ، فانبعث صوت رهيب ، مع كميات هائلة من البخار ، ملأت الفراغ كله ، ورفعت درجة حرارته على نحو مخيف ، والتهمت كميات ضخمة من الأكسجين ، حتى كاد (نور) يختنق ، وهو يسعل بشدة ، والعرق الغزير يغمر جسده بأكمله ..

وكان من الواضح أنه لن يحتمل هذا طويلاً ..

سيلقى مصرعه حتمًا ، لو تزايد الأمر ، ولو بمقدار ضئيل ..

وما من سبيل للخروج من هذا الموقف العصيب ..

باستثناء هذا الباب السرى ..

الباب الذى يحتاج إلى كلمة سر غامضة مجهولة ، لا يمكن التوصل إليها ، و ...

« تذكر يا (نور) ... (بشت) .. » .

دوت العبارة بغتة فى عقله ، وهى تطفو من أعماق ذاكرته ، حاملة صوت من أعماقه ذاكرته ، حاملة صوت ولهجة (محمود) ، على النحو نفسه ، الذى سمعه يرددها به فى الحلم ..

(بشت) ..

كلمة لا يدرى لها معنى ، ولكن شيئًا ما فى أعماقه أنبأه بأنها الكلمة المنشودة ..

ومع ارتفاع صوت الفحيح المخيف ، وتضاعف كمية البخار ، لم تكن أمام (نور) فرصة للتفكير فى احتمال آخر ..

لذا ، فقد هتف فى حزم :

- (بشت) .

ولثوان ، خيّل إليه أن الكلمة لا تحمل أى مدلول ، بالنسبة للرتاج الإلكترونى ، ثم لم يلبث الباب أن انفتح بغتة فى صمت ، وغاص فى قلب الجدار الصخرى الطبيعى ..

ومن خلفه بدا مشهد مدهش ..

ممر واسع طويل ، يغمره ضوء هادئ مجهول المصدر ، يبدو وكأنه ينبع من مادة الممر نفسها ..

وعلى الرغم من دهشة (نور) وانبهاره ، إلا أنه لم يضع لحظة واحدة ، وإنما وثب عبر الفتحة إلى الممر ، وهو يكرّر :

- (بشت) ..

ومن خلفه أغلق الباب فى صمت أيضًا ، بعد أن اندفعت عبره كمية كبيرة من البخار الساخن ..

ولثوان ، وقف (نور) يتطلّع إلى الممر فى انبهار ..

إذن فهناك آخرون بالفعل ..

تمامًا كما قال (محمود) فى الحلم ..

كلاّ .. ليس فى الحلم ..

لقد قالها فى أثناء اتصال مباشر ..

نعم ..

لم يعد لديه شك الآن ، فى أن (محمود) على قيد الحياة ، وأنه يتصل بهم اتصالاً مباشرًا بوسيلة ما ..

لم تعد لديه ذرة واحدة من الشك ..

لقد أخبره بأمر الفجوة ، قبل أن تجذبهم إليها ..

وبكلمة السر ، التى أنقذته من موت محقق ..

وبالآخرين ..

أولئك الذين صنعوا مثل هذا الممر ..

وفى حماس ، هتف (نور) :

ـ شكرًا يا (محمود) .. شكرًا يا صديقى .

كم تمنى لحظتها لو يستغرق فى نوم عميق ، حتى يلتقى به ..

ويشكره ..

بل كم تمنى لو أنه وجد وسيلة ما ؛ لإعادته إلى عالمه ..

مهما كان الثمن ..

ولكن ما فائدة عودة (محمود) إلى عالمه ، ما دام هذا العالم مهددًا بالفناء ؟! ..

ما جدوى وجوده ، فى عالم يستعد لمغادرة الوجود ؟! ..

ولكن لا ..

لن يستسلم (نور) قط لهذا المصير ..

لن يهدأ له بال ؛ حتى يجد وسيلة لإنقاذ الأرض ..

أو يهلك دون هذا ..

وعندما أدار عينيه مرة أخرى فى المكان ، انتعش فى قلبه شىء من الأمل ..

إن من صنعوا هذه الجدران المضيئة ليسوا بدائيين ، بأى حال من الأحوال ..

إن لديهم حتمًا حضارة ما ..

أو بقايا حضارة ..

وربما يعنى هذا أن لديهم وسيلة لوقف الخطر ..

ربما ..

المهم أن الساعة لم تحن بعد ..

والأمل لم يضع بعد ..

و ..

قبل أن يتجاوز هذا القدر من أفكاره ، انبعث ذلك الصوت بغتة ، من نهاية الممر الطويل ..

صوت معدنى عجيب ، أشبه بصوت دبابة حربية قديمة تتجه نحوه(*) ..

وانعقد حاجبا (نور) فى توتر ، وهو يتراجع فى حذر ، والصوت يقترب ، ويقترب ، ويقترب ..

ثم ظهر جسم ما فى نهاية الممر ..

(*) الدبابة : مدرعة مسلحة برشاشات ومدافع ، استخدمت فى الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) ، وما زالت تستخدم فى الحروب الحديثة ، بعد أن مرت بتطورات شتى ، وهى تمتاز بخفة الحركة ، وقوة النيران ، والوقاية ، وبقدرتها على السير فى الأراضى الوعرة ، وتوجد منها أنواع برمائية متطورة ..

جسم بيضاوى ، أشبه ببيضة النعامة ، ولكن له عشرة أضعاف حجمها على الأقل ، ويسير على جنازير قوية أشبه بجنازير الدبابة ..

ولوهلة ، توقَّف ذلك الجسم ، وأضىء مصباح ضئيل أعلاه ، انبعث منه ضوء محدود ، قبل أن يعاود السير فى اتجاه (نور) ، الذى تجمَّد فى مكانه ، دون أن تبدر منه أية حركة ، من شأنها إثارة ذلك الشىء أو استفزازه ..

وواصل الجسم الآلى تقدّمه ، حتى صار على مسافة خمسة أمتار من (نور) ، قبل أن ينبعث منه صوت معدنى ، بعبارة لم يفهم هذا الأخير منها حرفًا واحدًا ..

عبارة بلغة أهل (بشتوريا) ..

ولم يدر (نور) ماذا يفعل ..

لقد فهم على الفور أن ذلك الآلى يسأله عن هويته ، أو عن كلمة سر أخرى تتيح له التقدُّم عبر الممر ..

ولكن كيف يجيب ؟! ..

إنه لا يعرف حتى كيف يستخدمون هذه اللغة ..

بل ولا يفهم حرفًا واحدًا منها ..

وفى حذر ، ردَّد الكلمة الوحيدة التى يعرفها :

- (بشت) ..

وكان من الواضح أنها ليست الجواب المنشود هذه المرة ..

لقد استقبلها الآلى ، ولم ترض برنامجه ، فكرَّر عبارته ، التى لم يفهمها (نور) ..

ولم يجد (نور) ما يقوله هذه المرة ..

وإزاء صمته التام ، تراجع الجسم الآلى لمتر آخر ، ثم برزت منه أنبوبة رفيعة ، وانطلق من المصباح الصغير أعلاه شعاع من الضوء المركز ؛ ليسقط على جبهة (نور) تمامًا ، فى حين انبعثت عبارة أخرى غير مفهومة ..

وعلى الرغم من هذا ، فقد أدرك (نور) جيدًا ما سيقدم عليه هذا الآلى ..

وسرى التوتر فى كل خلية من خلاياه ..

لقد فشل فى تحديد هويته ، ولم يعد أمام الآلى سوى الإجراء الحاسم ..

قتله .

وبسرعة ، اندفع (نور) نحو الآلى ، محاولاً تفادى سلاحه الجديد ..

ولكن الآلى كان أكثر سرعة ..

ودقة ..



وبسرعة ، اندفع (نور) نحو الآلى ، محاولاً تفادى سلاحه الجديد .. ولكن الآلى كان أكثر سرعة ..

لذا فقد انطلق سلاحه ، قبل أن يبلغه (نور) ، وأصاب هدفه بمنتهى الدقة ، و ..

وانتفض جسد (نور) فى عنف ، كما لو أصابته صاعقة قوية ..

ثم هوى فى قلب الممر الطويل ..

وبلا حراك .

* * *



٦ - بلا حدود ..

لم يدر (أكرم) كيف نجا من هذه الضربة العنيفة ..

لقد رأى الهراوة الثقيلة تنقضّ على رأسه ، والعملاق من خلفها يطلق صرخة عالية مخيفة ، فأمال رأسه بعيدًا ، ودفع جسده إلى الخلف ، ورأى الهراوة تمرّ أمام عينيه مباشرة ، وسمع صوت اختراقها للهواء ، قبل أن ترتطم بالجدار الصخرى ، وتحطِّم جزءًا منه ، فتناثرت معه بعض الشظايا ، التى أصابت وجهه وصدره ، والعملاق يطلق صرخة غضب قوية ..

ولو يصدّق (أكرم) نفسه ..

لم يصدّق أنه نجا ..

ولكن دهشته وفرحته بنجاته لم تفقداه قدرته على التفكير السليم ..

أو سرعة التصرف ..

وبكل قوته ، وقبل أن يعيد العملاق هراوته ، ركله (أكرم) فى أنفه مباشرة ، قائلاً فى حدة :

- خسرت فرصتك أيها الوغد .

ثم قفز من مكانه ، واندفع محاولاً التقاط مسدسه ..

ولكن العملاق قفز خلفه بدوره ..

وبأصابع كالفولاذ ، قبض العملاق على كاحل (أكرم) ، وانطلقت من حلقه صيحة ظفر ، وهو يجذبه إليه ، ويرفع هراوته ، ليهوى بها محطمًا رأسه ..

ولكن أصابع (أكرم) التقطت مسدسه بصعوبة ، وجذبته إليه بسرعة ؛ فأطبق عليه فى إحكام ، والتفت إلى العملاق ، صارخًا :

- قلت لك : إنك خسرت أيها الوغد ..

ومع صرخته ، انطلقت الرصاصتان المتبقيتان فى خزانة المسدس ..

واخترقتا رأس العملاق ..

وجحظت العينان الدمويتان ، وترنّح الرأس الضخم لحظة ، ثم هوى العملاق كله جثة هامدة ..

فوق ساقى (أكرم) ..

وانطلقت من حلق (أكرم) صيحة ألم عنيفة ، عندما سقط العملاق بجسده الضخم على ساقيه ، وخيّل إليه أنهما تحطّمتا تمامًا ، فهتف :

- اللعنة ! .. هؤلاء الأوغاد ثقيلو الوزن بالفعل .

وراح يجذب ساقيه من تحت العملاق بكل قوته ، وما إن نجح فى هذا حتى راح يتحسسهما فى ألم ، مغمغمًا :

- حمدًا لله .. تصوَّرت لحظة أنهما تحطمتا بحق .

وثنى ركبتيه ليطمئن على سلامتهما ثم نهض فى إرهاق ، وانتزع الخزانة الفارغة ، وألقاها جانبًا ، وهو يقول لنفسه فى حنق :

- كان ينبغى أن أتجاهل تعليمات الأمن ، وأحضر مسدسى الآلى .. إن خزانته تحوى أربعة أضعاف ما تحويه خزانة هذا المسدس على الأقل .

وتحسَّس جيبه ؛ ليلتقط خزانة جديدة ، وهو يستطرد :

- عظيم .. لم يعد لديك سوى ثلاث خزانات فحسب .. أى سبع وعشرين رصاصة .. ينبغى أن تحسن استخدامها على أفضل نحو ممكن ؛ فأنت لا تدرى عدد الأوغاد الذين ستلتقى بهم ، قبل أن تجد وسيلة للخروج من هذا الجحيم .

ودسَّ خزانة الرصاصات الجديدة فى المسدس ، قبل أن يتحرك مرة أخرى فى حذر عبر الممرات الصخرية ، ويغمغم :

- تُرى هل أصيب هؤلاء الأوغاد بالصمم ، حتى إنهم لم يسمعوا دوى كل هذه الرصاصات ، التى انطلقت أم أنهم يتجاهلون هذا عمدًا .

أقلقته الفكرة ، ولكنها لم توقف تقدمه عبر الممرات ، حتى بلغ منطقة ، يتفرَّع عندها الممر الرئيسى إلى ثلاثة ممرات فرعية ..

وتوقَّف (أكرم) عند هذه البقعة ، وهو يسأل نفسه :

- إلى أين ينبغى أن تتجه بالضبط يا (أكرم) .. كل الممرات تبدو متشابهة ، ولكن أيهما يقودك إلى شاطئ النجاة ؟!

قضى بضع لحظات فى تردُّد ، قبل أن ينفجر ضاحكًا ، ويهتف فى عصبية :

- فيمَ ترددك يا رجل ؟! .. من أدراك أنها لا تقودك كلها إلى قلب الجحيم ؟!

ثم تقدَّم فى حزم نحو أحد الممرات ، مستطردًا :

- هيا .. اختر على بركة الله (سبحانه وتعالى) .

ولكنه لم يكد يخطو داخله ، حتى ارتجَّ المكان كله بصيحات قتالية قوية ، وبرز عشرات العمالقة فى نهاية الممر الذى اختاره ، فتراجع بسرعة ، وهو يطلق رصاصاته نحوهم ، ولكن عشرات آخرين ظهروا من

خلفه ، فى الممر الرئيسى ، ومثلهم فى الممر الفرعى الأوسط ..

ولم يعد هناك خيار ..

لقد أطلق (أكرم) رصاصاته على جيش العمالقة الذى يطارده ، وهو يعدو بكل قوته عبر الممر الثالث ..

وكم أحنقه رد فعلهم ..

كان العديد منهم يتساقطون صرعى ، ولكن هذا لم يوقف الآخرين ، أو يفت حتى فى عضدهم ..

لقد واصلوا مطاردته ، متجاهلين من يسقط منهم ، وكأن الموت لا يعنى الكثير بالنسبة لهم ..

ولم يدر (أكرم) كم أطلق من الرصاصات ..

لقد فرغت خزانته الأولى ، والثانية ، وها هو ذا يطلق الآن رصاصات الخزانة الثالثة والأخيرة ..

وفى توتر شديد ، هتف لنفسه :

لا تفقد كل رصاصاتك يا رجل .. ادخر واحدة لتنسف بها رأسك ، إذا ما حتمت الظروف سقوطك فى قبضتهم .

انتهى به الممر إلى قاعة متوسطة ، فقفز داخلها ، وأدار عينيه فيها فى عصبية شديدة ، قبل أن يهتف :

ـ اللعنة ! .. لا يوجد مخرج آخر .. إنها نهاية المطاف .

ثم استدار بكل حنقه وغضبه وعصبيته ، لمواجهة جيش العمالقة ، الذى يطارده فى إلحاح ، و ..

وكانت دهشته بالغة ..

لقد توقف العمالقة بغتة ، كما لو أن حاجزًا خفيًا قد أقيم أمامهم ، ومنعهم من مواصلة المطاردة ..

أو أنهم لا يستطيعون دخول تلك القاعة بالتحديد ..

وانعقد حاجبا (أكرم) ، فى توتر شديد ، وهو يتطلع إلى وجوههم ، التى خلت من أية مشاعر أو انفعالات ، وعيونهم الدموية ، التى تحدق فى وجهه بنظرة عجز عن تفسير معناها ، وهو يقول فى عصبية ، على الرغم من ثقته فى أنهم لن يفهموا حرفًا واحدًا مما يقول :

ـ لماذا لم تواصلوا المطاردة أيها الأوغاد ؟! .. لماذا توقفتم هنا ؟! .. أهذه القاعة تمثل لكم رمزًا مقدسًا أم ماذا ؟!

ظلت العيون الدموية تحدق فيه فى صمت مستفز ، وهو يتراجع داخل القاعة ، ويدير عينيه فيها فى مزيد من التوتر ، و ...

وفجأة ، هبط حاجز من القضبان السميكة ، ليغلق القاعة ، ويسجن (أكرم) داخلها ..

وهنا ..

هنا فقط انفجر العمالقة ضاحكين ..

وأصبح للنظرة المطلّة من عيونهم الدموية معنى واضح ..

السخرية ، والشماتة ..

واحتقن وجه (أكرم) فى شدة ..

وتفجّر فى أعماقه غضب هادر ..

الآن فقط فهم اللعبة كلها ..

وأدرك كيف أوقعوه فى الفخ ..

لقد انتبهوا إلى دوى الرصاصات فى حينه ، وفهموا ما حدث ، وأعدّوا له هذا الفخ المحكم ..

وطوال الوقت ، كان يسير إلى حيث يريدون بالضبط ..

وعندما بلغ مفترق الطرق ، كان عليهم أن يحدّدوا مساره ..

ولقد فعلوا ..

العمالقة الذين طاردوه ، والذين يسخرون منه الآن ، لم يتركوا له سوى سبيل واحد للفرار ..

هذا الطريق ..

وهذه القاعة ..

وسقط هو فى الفخ كالفأر الساذج ..

وأصبح حيثما أرادوا بالضبط ..

ولكن لماذا ؟! ..

لماذا دفعوه إلى هذا المكان بالذات ؟! ..

ما الذى يميّزه عن أى مكان آخر ؟! ..

استفزّت ضحكاتهم الساخرة الشامتة أعصابه بشدة ، فصاح وهو يلوّح بمسدسه فى وجوههم فى غضب :

ـ كفى أيها الأوغاد ، وإلا نسفت رءوسكم البغيضة .. كفى .

ولكن العمالقة لم يبالوا بصياحه أو غضبه ، وواصلوا ضحكاتهم الساخرة ، وهم يلوّحون بسبّاباتهم فى وجهه ..

ثم توقّف كل هذا بغتة ..

وفقدت عيونهم تلك النظرة الساخرة الشامتة ، لتحل محلها نظرة خوف ورهبة ، وهم يتراجعون فى بطء ..

وفى الوقت نفسه ، انطلقت فى المكان ضحكة أخرى ..

ضحكة ميّزها (أكرم) جيدًا ، والتفت إلى مصدرها ، صائحًا :

ـ آه .. هو أنت إذن أيتها اللعينة .

وقع بصره لحظة على الأميرة (بلوميا) ، فى رداء ينافس شعرها الطويل حمرة ونعومة ، وهى تتطلع إليه بنظرة ساخرة شامتة ، عبر فتحة فى سقف القاعة ، فأدار فوهة مسدسه نحوها ، وهو يقول فى حدة :

- كم يسعدنى أن نلتقى ثانية ..

كان يتلهف على إطلاق رصاصاته على رأسها ، إلا أنها تراجعت فى سرعة ، وأغلقت تلك الفتحة ، وضحكتها الساخرة العالية ترجّ القاعة ..

وبكل غضب الدنيا ، صرخ (أكرم) :

- عودى أيتها اللعينة .. عودى .

ومع آخر حرف من صرخته ، انطلقت زمجرة رهيبة فى القاعة ..

زمجرة تختلف تمامًا عما يطلقه العمالقة ..

زمجرة حيوان مفترس ..

وضخم ..

ومع الزمجرة ، انزاح جزء ضخم من جدار القاعة ..

وخفق قلب (أكرم) فى عنف ..

ثم اتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحدق فى ذلك الشىء ، الذى برز من خلف الجزء ..

وكان هذا الشىء رهيبًا ..

ومخيفًا ..

وعجيبًا ..

عجيبًا للغاية ..

* * *

« (نور) .. استيقظ يا (نور) .. استيقظ أيها القائد .. » .

تسلل الهتاف إلى أذنى (نور) ، وهو يستعيد وعيه فى بطء ، فتمتم ممسكًا رأسه ، من فرط الألم والصداع :

- أين أنا ؟! .. ماذا حدث ؟!

بدا له الصوت الأنثوى مألوفًا ، على الرغم من الكلمات الغريبة ، التى استخدمها ، قائلاً فى لهفة :

- أنت بخير هنا ، فى مقر الحاكم (كاتو) ، حاكم (بشتوريا) .

انعقد حاجباه ، وهو يغمغم :

- (كاتو) ؟! .. (بشتوريا) ؟! .. هذا الصوت .. إنه .. إنه .. واستيقظ عقله بغتة ؛ ليهتف :

- (نادية) .. إنه أنت ..

ملأت صورتها وجهه ، بعينيها الدامعتين ، وابتسامتها الحنون ، وهى تقول :

- نعم .. هو أنا أيها القائد .. حمدًا لله على سلامتك .

أدار عينيه فى الوجوه المحيطة به ، فى دهشة ، قبل أن يجلس قائلاً :

- من هؤلاء القوم يا (نادية) ؟!

انعقد حاجبا (آرى) فى صمت ، فى حين أجاب الحاكم بهدوئه ورصانته :

ـ نحن أهل (بشتوريا) يا رجل .. نحن أصحاب تلك الأطلال القرمزية ، التى هبطتم عندها .

وارتفع حاجبا (نور) فى دهشة ، وهو يحدق فى وجه (كاتو) ..

لقد نطق الحاكم عبارته بلغة لم يدرسها (نور) فى حياته كلها ، وعلى الرغم من هذا ، فقد فهم كل حرف منها ، على نحو جعله يهتف :

ـ رباه ! .. إننى أفهمك .

هتفت (نادية) فى حماس :

ـ بالتأكيد يا (نور) .. لقد استخدموا معك تلك التقنية المدهشة ، وأنت غارق فى غيبوبتك ، فلديهم هنا جهاز مدهش ، تنطلق منه أنواع مختلفة من الأشعة ؛ لتؤدى وظائف مختلفة .

أدار (نور) عينيه مرة أخرى فى الوجوه ، قبل أن يسأل فى حذر :

ـ كيف أحضرتمونى إلى هنا ؟!

ابتسم الحاكم ، قائلاً :

ـ بل السؤال هو كيف وصلت أنت إلى هنا ، فلقد ألقى حارسنا الآلى القبض عليك ، عند أحد مداخل (بشتوريا) وأتى بك إلى هنا .

قال (نور) فى توتر :

ـ وما (بشتوريا) هذه ؟

روى له الحاكم فى هدوء نفس القصة ، التى رواها لـ (نادية) من قبل ، فانعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

ـ رباه ! .. إذن فالكوكب يحكمه هؤلاء الطغاة بالفعل .

قال (آرى) فى صرامة :

ـ ليس إلى الأبد ..

التفت إليه (نور) ، قائلاً فى حزم :

ـ بالتأكيد يا رجل .. الطغيان لا يدوم أبدًا ، فدولة الظلم ساعة ، ودولة الحق إلى قيام الساعة .. سينهزم هؤلاء الطغاة حتمًا .. همجيتهم نفسها ستهزمهم .

قال (آرى) بنفس الصرامة :

ـ المهم ألا يطول بنا الانتظار ، حتى يحدث هذا .

هزّ (نور) رأسه ، قائلاً :

ـ ومن يدرى ؟!

ثم أدار عينيه فى المكان ، مستطردًا :

- ولكنها فكرة عبقرية بحق أن تنشئوا مدينتكم تحت قلعة الطغاة مباشرة .. إنه بالتأكيد المكان الوحيد الذى لن يخطر ببالهم قط .

تبادل (آرى) نظرة متوترة مع الحاكم ، قبل أن يسأل هذا الأخير (نور) فى اهتمام مشوب بالقلق :

وكيف أدركت هذا ؟!

ضحكت (نادية) ، ولوّحت بذراعها ، قائلة :

- من الواضح أنك لاتعرف القائد (نور) أيها الحاكم .. إنه عبقرى فى هذا المضمار .

كرّر (آرى) السؤال فى صرامة ، متجاهلاً تعليقها :

- كيف أدركت هذا ؟!

ابتسم (نور) فى سخرية ، وهو يجيب :

- لم يكن الأمر بحاجة إلى الكثير من الذكاء أيها السادة ؛ فمدخل مدينتكم يقع تحت القلعة تمامًا ، والممر يمتدّ فى اتجاه عمقها ، وليس بعيدًا عنه ، ثم إن هذا بالفعل أفضل مكان للاختباء من القط .. تحت أنفه مباشرة .

تبادل (آرى) والحاكم نظرة متوترة أخرى ، ثم قال الأول فى عصبية :

- هل تدرك مدى ما يمكن أن يشكّله الأمر من خطورة ، إذا ما عرف (المولاك) موقع مدينتنا ؟!

أجابه (نور) فى هدوء :

- بالطبع .. لو عرف طغاة مثلهم موقع مدينتكم ، ستكون فى هذا نهايتها .

قال الحاكم فى أسى :

- عظيم .. أرجو أن يعاونك هذا على فهم ، ما سنضطر إليه من إجراءات .

بدا التوتر على وجه (نادية) ، وهى تقول :

- ماذا يعنى هذا ؟!

أجابها (نور) فى حزم ، وهو يتطلّع إلى عينى الحاكم مباشرة :

- يعنى أن الحاكم يفكّر فى التخلّص منا يا (نادية) .

شهقت الفتاة فى ارتياع ، فى حين قال الحاكم فى سرعة :

- ليس إلى هذا الحد أيها القائد (نور) .. إننا مضطرون لاحتجازكما هنا فحسب ، فليس من الممكن أن نجازف بإطلاق سراحكما ، وأنتما تحملان سرًّا يهدّد (بشتوريا) كلها بالدمار .

كان موقفه منطقيًا للغاية ، على الرغم مما يحمله من أضرار لـ (نور) و (نادية) ، ولو أن الأول فى موضعه ، لما اتخذ قرارًا مختلفًا ..

ولكن (نور) شدّ قامته ، وقال فى حزم :

ـ لو أننى فى مكانكم أيها السادة ، لما كان هذا كل ما يقلق ذهنى ، فكوكبكم كله مهدّد بكارثة رهيبة قد تسحقكما معًا .. أنتم و (المولاك) .

أومأ الحاكم برأسه متفهمًا ، وهو يقول :

ـ نعم يا ولدى .. نعم .. لقد رصدنا الأمر منذ بدايته ، وعلماؤنا عاكفون على دراسته طوال الوقت ، ولكنهم لا يجدون حلاً لتفادى وقوع الكارثة .

التقى حاجبا (نور) بشدة ، وقال بانزعاج حقيقى :

ـ لا يجدون حلاً .. رباه ! .. كان لدى أمل كبير فى أن أجد لديكم الحل .

تنهّد الحاكم ، وهو يهزّ رأسه فى أسف ، ولكن (آرى) قال فى حدة :

ـ مهلاً .. من أين أتاك الأمل يا صاح ؟! .. إنك لم تلتق بنا ، ولم تعلم حتى بوجودنا ، حتى هذه اللحظة ؟!

التفت إليه (نور) ، قائلاً :

ـ من قال هذا ؟! .. ألم نلتق فى قلب الصحراء ، عندما خدعنى أحدكم ، وجذبنى مع (أكرم) بعيدًا ، حتى يمكنكم اختطاف (نادية) .

ثم ابتسم فى سخرية ، مستطردًا :

ـ وبالمناسبة ، هل اختفى صاحبكم عبر مدخل سرى آخر ، خلف تلك الصخرة الكبيرة ؟!

أجابه (آرى) ، متجاهلاً الجزء الأخير من العبارة :

ـ هذا لا يمنحك أية فكرة عن مدى ما وصلنا إليه من تقدّم علمى .

قال (نور) :

ـ وماذا عن الأطلال ؟!

أجابه فى حزم :

ـ ربما تشير إلى وجود حضارة سابقة ، ولكنها لا تعنى قط وجود حضارة حالية .

وتدخّل الحاكم ، مضيفًا :

ـ ثم إنك لم تجب عن سؤالنا بعد : كيف استطعت الوصول إلينا ، مع وجود باب سرى ، لا يمكن فتحه إلا باستخدام كلمة سر خاصة ، لا يعرفها سوانا .

ولم يجد (نور) ما يجيب به هذه المرة ..

كيف يمكن أن يشرح لهم كيف توصّل إلى معرفة كلمة السرّ ؟! ..

كيف يمكن إقناعهم بأمر كهذا ؟! ..

كيف ؟! ..

وفى حزم وصرامة ، قال (آرى) ، وهو يتطلع إليه جيدًا :

ـ من الواضح أنك لا تجد ما تجيب به أيها القائد .

أجابه (نور) بسرعة :

ـ ربما لأننى أخشى ألاّ يمكنكم فهم الأمر .

قال (آرى) فى شىء من السخرية :

ـ جربنا .

وتضاعف توتر (نور) وحيرته ..

إنه يدرك جيدًا أنه لو أجابه شخص ما ، على مثل هذا السؤال ، بأنه عرف كلمة السر عبر صديق قديم ، لم يعد ينتمى إلى عالمه ، لاتهمه فورًا ، وبلا تردد بالتلفيق والخداع ..

أو ربما بالسخرية منه ..

أو الجنون ..

ولكنه لن يقنع بالجواب قط ..

فكيف يلقيه على مسامعه ؟! ..

« هل عثرت على جواب مناسب بعد ؟! .. » .

ألقى (آرى) السؤال فى السخرية ، استفزت مشاعر (نور) ، فشد قامته ، وقال فى حزم :

ـ اسمع يا رجل .. سأخبركم بالحقيقة ، على الرغم من غرابتها ، ومن ثقتى بأنكم لن تصدقوها ، و ..

« (نور) أيضًا مقاتل من طراز خاص .. » .

نطقت (نادية) هذه العبارة بغتة ، وبلهجة حازمة واثقة ، أدهشت (نور) بأكثر مما أدهشت الآخرين ، إلا أنه كتم دهشته فى أعماقه ، وهو يلتفت إليها فى بطء ، فتابعت بسرعة :

ـ إنه يمتلك قدرة فوق طبيعية على التنبؤ بالأشياء .

انعقد حاجبا (آرى) فى شك غاضب ، فى حين ارتفع حاجبا الحاكم ، وهو يغمغم فى دهشة :

ـ حقًا ؟! .

شعر (نور) بالامتنان نحو (نادية) ، التى أدركت مدى حيرته ، فمنحته جوابًا يمكن إقناعهم به إلى حد ما ، وقال فى حزم :

ـ هذا صحيح .. إنها موهبة طبيعية ، تمت تنميتها بالتدريب المستمر ، و ..

قاطعه (آرى) فجأة :

ـ ما الذى سيحدث هنا ، بعد ساعة واحدة ؟! .

ابتسم (نور) ، قائلاً :



وصوّب جهازه إلى (نور) ، ثم أطلقه فأحاطت بهذا الأخير هالة وردية ..

- لا يمكنك اختبارى بهذا الأسلوب الساذج يا رجل .. إننى لا أنتزع تنبؤاتى انتزاعًا ، وإنما تختار هى الوقت الذى تتسلل فيه إلى عقلى .

قال (آرى) ساخرًا :

- وهل فعلت هذا بغتة ، وأنت تقف أمام المدخل السرى ، وأخبرتك بكلمة السر ؟!

ثم أشار بيده ، مستطردًا فى صرامة :

لا تجب الآن .

قالها ، وصوّب جهازه إلى (نور) ، ثم أطلقه ، فأحاطت بهذا الأخير هالة وردية ، والشيخ يقول :

- حذار يا ولدى ، فلون هذه الهالة يتحوّل إلى الأزرق ، إذا ما كان جوابك كاذبًا .

هوى قلب (نادية) بين قدميها ، وارتجفت شفتاها على نحو ملحوظ ، انتبه إليه (آرى) جيدًا ، فعقد حاجبيه فى شدة ، فى حين أجاب (نور) فى حزم وثقة :

- اطمئن أيها الحاكم .. لن يتغيّر لونها .

ثم التفت إلى (آرى) ، مستطردًا :

- كلمة السر هذه استقبلها عقلى ، فى ظروف فوق طبيعية ، ولكننى لم أدرك فائدتها ، أو ما يمكن أن تعنيه ، إلا عندما أصبحت أمام مدخلكم السرى تمامًا .

ارتفع حاجبا (نادية) فى دهشة ، عندما بقيت الهالة على لونها ، ولاحظ (آرى) دهشتها ، ولكن ثبات لون الهالة جعله يغمغم فى حنق :

- أنت صادق .. لست أدرى كيف ، ولكنك صادق فيما قلته .

قالها ، وسحب تلك الهالة الوردية ، و (نور) يقول :

- بالتأكيد .. ينبغى أن تدركوا أننى لست عدوًا ، وإنما صديق ، يبذل قصارى جهده لإنقاذ كوكبه وكوكبكم .

تنهد الحاكم ، وهز رأسه ، قائلاً :

- لافائدة يا ولدى .. لافائدة .. علماؤنا بذلوا قصارى جهدهم ، حتى يئسوا من الأمر تمامًا .

سأله (نور) فى توتر .

- ألم يتوصلوا إلى أى شىء ؟!

هز الحاكم رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

- ما توصلوا إليه ليس مجديًا ، ما دمنا لم نعد كما كنا .

سأله (نور) فى اهتمام :

- ماذا تعنى بالضبط ؟!

أجابه فى أسف يائس :

- علماؤنا توصلوا ، منذ ما يقرب من يومين ، إلى أنه من الممكن إغلاق الفجوة ، لو أننا فجرنا فى مركزها قنبلة صوتية .

قال (نور) :

- قنبلة ماذا ؟!

أجابه الرجل :

- قنبلة صوتية .. ربما لم تتوصلوا إليها فى عالمكم ، ولكننا كنا نستطيع صنعها فى الماضى ، قبل أن نفقد معظم وسائل التكنولوجيا المتطورة .

سأله (نور) فى اهتمام :

- وما الذى يمكن أن تفعله القنبلة الصوتية هذه ؟!

أجابه (آرى) هذه المرة ، وفى عصبية ملحوظة :

- يمكنها أن تطلق موجة فوق صوتية (SUPER SONIC)(*) هائلة ، قد لاتكون مسموعة ، ولكنها كافية لتوليد طاقة رهيبة غير محدودة ، قادرة على تحطيم حالة التذبذب المضطرب ، التى تنشأ عنها الفجوة السوداء ، فتلغى مفعولها تمامًا .

سأله (نور) فى انفعال :

(*) الموجة فوق الصوتية : هى الموجة التى تنطلق بسرعة تفوق سرعة الصوت ، وهناك علم يختص بدراسة فوق الصوتيات ، ويتعامل مع كل الترددات التى تزيد على ترددات الصوت العادية ، ويمكن أن يطلق عليها أيضًا اسم (فوق السمعيات) .

- أتعنى أننا لو أطلقنا الموجة فوق الصوتية المطلوبة ، فى مركز الفجوة ، فسيؤدى هذا إلى إغلاقها ، وإنقاذ كوكبنا وكوكبكم من دمار محقق ؟!

أشار (آرى) بيده ، قائلاً :

- من الناحية النظرية فحسب .

قال (نور) فى لهفة :

- ألا توجد وسيلة لنقل الأمر إلى الجانب العملى ؟! ربما كان لديكم جهاز خاص ، يمكن تطويره لإطلاق تلك الموجة المنشودة ، أو لعل إحدى القنابل الصوتية قد نجت من التدمير ، و ...

قاطعه الحاكم فى حزم :

- لا تغرق فى الأحلام والأوهام يا ولدى .

التفت إليه (نور) فى حركة حادة ، فتابع :

- ليست لدينا أية أجهزة تصلح لهذا ، ثم إننا لم نصنع القنبلة الصوتية أبدًا .

قالت (نادية) فى دهشة :

- ولكنك قلت منذ قليل إن ..

- قلت : إننا كنا نستطيع صنع القنبلة الصوتية ، ولكننا لم نفعل قط .. لقد ظلت مجرد فكرة نظرية ، لم يكن

هناك مبرر لتحويلها إلى واقع ملموس ، بعد أن فعلنا ما فعلنا بفضائنا ، وأدركنا خطورة أسلحة الدمار .

اتسعت عينا (نور) فى ارتياع ، وهو يقول :

- إذن فهذا يعنى أن ...

قاطعه الحاكم فى حزم :

- يعنى أنه لا توجد أية وسيلة ، يمكنها أن تنقذ عالمينا فى الوقت المناسب للأسف .

وانتفض قلب (نور) بين ضلوعه ..

فقد كان هذا يعنى فقدان الأمل فى إنقاذ الأرض ..

آخر أمل .

* * *



٧ - البركان ..

« الأمر يتجاوز كل التوقعات .. » .

نطق مدير المرصد الجديد العبارة بصوت مرتجف ، وهو يراجع تقارير الرصد الأخيرة ، مع الدكتور (ناظم) ، الذى بدا شديد التوتر بدوره ، وهو يسأل :

ـ ما الذى توصلتم إليه هذه المرة ؟!

أشار المدير إلى شاشة العرض ، قائلاً :

ـ تلك الفجوة أصابها نشاط عجيب متزايد ، يضاعف قوة جذبها بعجلة تزايدية سريعة (*) ، تفوق كل توقعاتنا .

شحب وجه الدكتور (ناظم) ، وهو يسأله :

ـ أتعنى أن المهلة المتاحة للأرض والقمر قد تناقصت أكثر ؟!

(*) العجلة التزايدية : هى المعدل الذى تتزايد به سرعة جسم ما ، عند تعرضه لعامل خارجى (أو داخلى) ، يتغير أو يتزايد باستمرار ، مع افتراض ثبات كل العوامل الأخرى ، وأكبر مثال لهذا هو سقوط جسم ما فى الفضاء ، تحت تأثير عجلة الجاذبية الأرضية.

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ إنها تتناقص فى كل دقيقة تمضى ، ولا يمكننا حتى تقدير معامل ثابت للنقص ، أو لتزايد سرعة الجذب .. لقد أطلقنا عبارة العجلة التزايدية مجازًا فحسب .

اتسعت عينا الدكتور (ناظم) فى ارتياع ، وهو يتمتم :

ـ رباه ! .. إذن فهى النهاية بحق .

سأله المدير فى توتر :

ـ ألم يتوصل فريق علمائكم لشىء ما ؟!

أشار الدكتور (ناظم) بيده فى يأس ، قائلاً :

ـ بلى .. لقد توصلوا إلى أن موجة فوق صوتية قوية ، فى مركز الفجوة تمامًا ، كفيلة بإحداث خلل فى ذبذبتها ، وإغلاقها تمامًا ، فى غضون دقائق معدودة .

هتف المدير فى لهفة :

ـ عظيم .. هناك حل إذن .

هز الدكتور (ناظم) رأسه فى يأس أكثر ، وهو يقول :

ـ من الناحية النظرية فحسب يا رجل ، ولكن ليس من الناحية العملية ، فوصول جسم قادر على إطلاق

الموجة المناسبة ، إلى قلب الفجوة ، يحتاج إلى يومين على الأقل ، بأسرع وسيلة معروفة .

شحب وجه المدير ، وهو يقول فى عصبية :

ـ وماذا عن طاقات الدفع الصوتية ؟! .. ألا يمكنكم استخدام مدفع صوتى مثلاً ؟!

تنهّد الدكتور (ناظم) ، مجيبًا :

ـ ليت هذا ممكن يا رجل .. الصوت لا يمكن إطلاقه فى خطوط مستقيمة لمسافات طويلة كالليزر .

قال الرجل بسرعة :

ـ وماذا لو تم تحميل موجات الصوت على شعاع من الليزر ؟!

ابتسم الدكتور (ناظم) فى أسى ، وقال :

ـ موجات الصوت لا يمكن تحميلها على شعاع من الليزر يا رجل ، فما بالك بالموجات فوق الصوتية ؟! .. الذى يحدث فعليًا هو أننا نعتمد على تذبذب شعاع الليزر ، عند استقباله للموجات الصوتية ، وعلى قدرتنا على ترجمة هذه التذبذبات ، وتحويلها مرة أخرى إلى موجات صوتية .

انهار المدير على أقرب مقعد إليه ، وهو يقول :

ـ رباه ! .. ليس هناك أمل إذن .

كادت الدموع تسيل من صوت الدكتور (ناظم) ، وهو يقول :

ـ للأسف .

ثم رفع عينيه إلى السماء ، مستطردًا فى مرارة :

ـ هنا ينتهى دور العلم يا رجل ، ويعترف الإنسان بعجزه عن التصدى لغضب الطبيعة ، وينحنى أمام قدرة الله (سبحانه وتعالى) ، مدركًا أن الخلاص بيده وإرادته وحده (عزّ وجلّ) ، وأن ما نحتاج إليه بالفعل هو عفوه ومغفرته ، و ..

وازدرد لعابه فى صعوبة ، قبل أن يضيف بصوت مرتجف :

ـ ومعجزته .

وارتجف جسد مدير المرصد الجديد فى عنف ..

وخوف ..

وخشوع ..

* * *

اتسعت عينا (أكرم) عن آخرهما ، وهو يحدّق فى ذلك الكائن العجيب المخيف ، الذى تقدّم فى خطوات ثقيلة داخل القاعة ، وعيناه الواسعتان تتطلعان إليه بنظرات وحشية غاضبة ..

وبكل دهشته ، هتف (أكرم) :

- مستحيل ! .. لا وجود لمثل هذا الكائن فى الواقع .

هذا لأن الكائن الذى يقف أمامه كان تنينًا ..

نفس ذلك التنين الخرافى ، المنقوش على التحف الصينية القديمة ..

كائن أشبه بسحلية ضخمة ، تسير على أربعة أقدام ، بذيل كبير طويل ، وعنق تنتشر فيه حراشيف كبيرة ، ورأس صغير ، يعلوه قرنان صغيران ، ويتوسطه فك كبير ، تبرز منه أنياب حادة طويلة ..

وتراجع رأس التنين ، ثم اندفع إلى الأمام ؛ ليطلق من حلقه لسانًا من النار ، تفاداه (أكرم) بقفزة خلفية ، جعلته يرتطم بجدار القاعة ، وحرارة النيران تكاد تلفح وجهه ، فهتف :

- رباه ! .. إنه تنين حقيقى بالفعل .

صكت ضحكة (بلوميا) مسامعه من مكان ما ، وانطلقت ضحكات العمالقة الساخرة الشامتة ، فى نفس الوقت الذى أطلق التنين فيه لسانًا آخر من النار ، وثب (أكرم) جانبًا للفرار منه ، ثم ألقى جسده أرضًا ، وهو يهتف :

- ويحتاج إلى رصاصات حقيقية .

وأطلق رصاصتين من مسدسه ، أصابتا جسد التنين ، ثم ارتدتا عنه فى عنف ، حتى إن إحداهما كادت تخترق صدره ، فهتف محنقًا :

- اللعنة ! .. ألا تؤثر الرصاصات فى أى شىء هنا ؟!

كان من حسن حظه أن ذلك الكائن الضخم بطىء الحركة ، يجرّ أقدامه الثقيلة جرًا ، وهو يدور فى المكان ؛ ليطلق لسانًا آخر من النار ..

وانتزع (أكرم) خزانة مسدسه ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول فى توتر شديد :

- رباه ! .. لم تتبقّ لى سوى رصاصة واحدة .

قالها ، وانطلق يعدو ؛ لتفادى لسان اللهب الجديد ، ولكن التنين أدار ذيله الضخم ، ولطمه به فى قوة ، فألقاه نحو الجدار ؛ ليرتطم به فى عنف ، ثم يسقط أرضًا ، وتفلت الخزانة من يده ، لتنزلق بعيدًا ..

وقفز (أكرم) واقفًا على قدميه ، وحاول أن يندفع لاستعادة خزانة الرصاصات ، إلا أن التنين ضربه مرة أخرى بذيله ، فأطاح به بعيدًا ، وضربه بالجدار مرة ثانية .

ثم أطلق لسان النار ..

وفى هذه المرة ، لفحت النيران ذراع (أكرم) ، قبل أن يتدحرج مبتعدًا ، وهو يهتف ساخطًا :

ـ اللعنة ! .. كيف يمكن أن يفلت المرء من شىء كهذا ؟!

تحرك فى سرعة ، متفاديًا ذيل التنين ونيرانه ، ومحاولاً البحث عن وسيلة لاستعادة خزانة الرصاصات الأخيرة ، وقتل ذلك الوحش ..

ولكن التنين تراجع مع حركة (أكرم) ، ووطأ بقدمه خزانة الرصاصات ، فسحقها سحقًا ..

وتفجّر الغضب فى أعماق (أكرم) ..

ليس لأنه فقد خزانة الرصاصات الأخيرة فحسب ، ولكن لأنه ، فى نفس اللحظة ، كان قد توصّل إلى وسيلة القضاء على التنين ..

رصاصة واحدة تخترق عينه ، تكفى لتدمير مخه ، والقضاء عليه على الفور ..

رصاصة واحدة ..

ولكن يا للسخافة ! ..

لم يتوصّل إلى هذه الحقيقة ، إلا بعد أن فقد آخر خزانة رصاصات لديه ..

ومرة أخرى ، أطلق التنين لسان النار ..

ومرة أخرى ، اندفع (أكرم) ، محاولاً تفاديه ،

وانطلقت ضحكة (بلوميا) الساخرة ، وأجابها العمالقة بضحكاتهم البغيضة ، فهتف (أكرم) فى غضب :

ـ أقسم أن أقتلك أيتها اللعينة .. لو أنها آخر رصاصة فى ماسورة مسدسى ، لتركت هذا الوحش حيًا ، وأطلقتها فى ..

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه فى شدة ، قبل أن يهتف فى انفعال :

ـ رباه ! .. آخر رصاصة فى الماسورة !!

أدار التنين ذيله ، فى هذه اللحظة ؛ ليضرب به (أكرم) مرة أخرى ، ولكن هذا الأخير وثب عبر الذيل الضخم ، هاتفًا :

ـ هيا أيها الوغد .. اضرب ضربتك الأخيرة .

وبخفة مدهشة ، تسلّق جسد التنين ، حتى بلغ عنقه ، فارتبك الوحش ، وتحرّك فى عصبية ، وتوقفت ضحكات (بلوميا) وعمالقتها ، و(أكرم) يقول فى حماس :

ـ من سوء حظك أننى تذكرت أن الرصاصة الأخيرة فى الخزانة ، لا يمكن أن تكون آخر رصاصة فى أى مسدس تنطلق رصاصاته طوال الوقت .

ثم وثب يتعلّق برأس التنين ، ومال بمسدسه إلى عينيه ، مستطردًا فى انفعال جارف :

- هناك دائمًا رصاصة مستقرة فى ماسورته ، ومتأهبة للانطلاق ، فور الضغط على الزناد (*) .

صدرت عن التنين حركة عصبية عنيفة ، محاولاً إلقاء (أكرم) عن رأسه ، إلا أن هذا الأخير ضغط زناد مسدسه بلا تردُّد ..

وانطلقت الرصاصة الأخيرة ..

وتفجَّرت عين التنين ، الذى أطلق زمجرة هائلة ، تموج بالألم والذعر ، قبل أن تنسف الرصاصة مخه الصغير ، فيدور جسده حول نفسه ، ثم يهوى جثة هامدة .

ووثب (أكرم) يتعلَّق بنتوءات الصخور ، قبل أن يرتطم التنين بالأرض فى عنف .. وتراجع العمالقة فى رهبة ، وهم يحدقون فى الرجل الذى هزم وحش الأميرة المدلَّل ، فى حين تردَّدت فى المكان صيحة غضب وألم ، أطلقتها (بلوميا) ، فقهقه (أكرم) ضاحكًا ، وهو يلوِّح بقبضته ، هاتفًا :

- كم يروق لى أن أسمع هذا .. كم يسعدنى أن تتذوَّقى طعم العذاب أيتها اللعينة .

(*) حقيقة .

أطلقت (بلوميا) صرخة هادرة أخرى ، قبل أن يهوى جدار من الصخر ، ليُغلق مدخل القاعة تمامًا ، فانعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يهتف :

- ماذا أصابك يا أميرة الملاعين ؟! .. هل قرَّرت سجنى هنا ؟!

ولكن لم يكد يتمّ عبارته ، حتى تصاعدت إلى أنفه رائحة غير طيبة ..

رائحة جعلته يتذكَّر تلك الحفرة ..

حفرة الحمم ..

ثم تدفَّقت الحمم عبر الفتحة الواسعة ، التى أتى منها التنين ..

تدفَّقت لتغمر أرضية القاعة ، وتلتهم جثة الوحش .

واتسعت عينا (أكرم) ..

لقد أصدرت (بلوميا) ضده حكمًا بالإعدام ..

ووضعته موضع التنفيذ ..

لقد حكمت عليه أن يلقى مصرعه وسط قاعة حيواناتها المدلَّل ..

وفى قلب الحمم ..

* * *

تهللت أسارير (نادية) فى سعادة حقيقية ، عندما وجدت (آرى) أمامها ، عند باب الحجرة ، ولم تحاول إخفاء نبرة الفرح واللهفة فى صوتها ، وهى تهتف :

- مرحبًا يا (آرى) .. تفضّل .

دلف الفارس البشتورى إلى حجرتها فى خطوات مترددة ، وتركت هى بابها مفتوحًا كعادتها ، وهى تقول :

- كيف حالك ؟ .. وما سر هذه الزيارة المفاجئة ؟!

التفت يتطلع إليها لحظات فى صمت ، قبل أن يقول :

- أنت تتصورين أننى رجل فظ ، جامد المشاعر ، بلا قلب . أليس كذلك ؟!

هتفت مخلصة :

- مطلقًا .

ثم تابعت فى انفعال :

- أنا واثقة من أنك لست كذلك أبدًا ، ولكن كتفك ينوء بأحمال ثقيلة ، ومسئوليات كفيلة بقصم ظهر أشدّ الرجال ، وكل هذا يجعلك متوترًا ، عصبيًا ، و ...

قاطعها بصوت خافت :

- ليس هذا كل شىء .

حدقت فى وجهه لحظة ، قبل أن تسأله بصوت مرتجف :

- أهناك أسباب أخرى ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، قبل أن يشيح بوجهه ، ويتمتم بصوت متهدّج :

- (سولا) .

رددت وقلبها يخفق فى عنف :

- (سولا) ؟! .. ومن (سولا) ؟!

أشار بيده ، وهو يجيب :

- (سولا) هى ابنة الحاكم (كاتو) ، و ...

وصمت لحظة ، ثم ازدرد لعابه بصوت مسموع ، قبل أن يضيف :

- وخطيبتى .

انطلقت ، على الرغم منها ، شهقة مكتومة من حلقها ، وشعرت بقبضة باردة كالثلج تعتصر قلبها ، وهى تهتف فى ارتياع :

- خطيبتك ؟!

قال بسرعة :

- كانت كذلك .

سألته فى لهفة وقلق :

- ثم ؟!

ازدرد لعابه مرة أخرى ، ثم أجاب بصوت مرتجف ، من فرط الانفعال :

ـ ماتت .

شهقت مرة أخرى ، فتابع بسرعة :

ـ كنا معًا ، فى واحدة من عملياتنا ضد (المولاك) ، عندما ذقنا هزيمة منكرة ، وأصبت أنا إصابة خطيرة ، فدافعت عنى فى استماتة ، حتى وصل رجالنا ، وحملونى فاقد الوعى ، ولكن عمالقة (المولاك) حاولوا قتل فريقنا فى أثناء انسحابه ، وكان هذا يعنى مصرعى حتمًا مع الفريق ، لذا فقد ..

بتر عبارته ، وعجز عن النطق بضع لحظات ، فاتسعت عيناها ، وهى تتمتم :

ـ هل .. هل ضحت بحياتها من أجلك ؟

خيل إليها أنها تلمح بريق الدمع فى عينيه ، وهو يومئ برأسه إيجابًا ، ويقول بصوت شديد التهدج :

ـ نعم .. نسفت نفسها معهم ؛ لتمنعهم من اللحاق بى وقتلى ، مع باقى أفراد الفريق .

اغرورقت عيناها بالدموع ، وهى تقول :

ـ يا لك من مسكين ! .. قلبك يدمى ، ولكنك تخفى نزيفه فى أعماقك ، خلف غلاف من الصلابة والصرامة .

هز رأسه ، وهو يتمتم :

ـ لست أعلم لماذا رويت لك هذا !؟! .. لماذا أنت بالذات ؟!

ارتفع حاجباها فى تأثر ، وهى تقول فى حنان :

ـ أنا أعلم .

التفت إليها ، متمتمًا :

ـ حقًا ؟!

تدفقت مشاعر شتى فى عروقها ، وارتجفت شفتاها ، وهى تهمس :

ـ حقًا يا (آرى) .

نطقتها ، وران على حجرتها صمت تام ، وكلاهما يتطلع إلى الآخر ، وعيناهما تحملان الكثير والكثير ، و ..

« معذرة .. هل أزعجكما ؟! .. » .

نطق (نور) عبارته فى هدوء وخفوت ، وعلى الرغم من هذا ، فقد وثبت (نادية) من مكانها ، والتفتت إليه هاتفة :

ـ يا إلهى ! .. (نور) .. لقد أفزعتنى .

وانعقد حاجبا (آرى) ببعض الضيق ، فقال (نور) فى هدوء :

ـ كان الباب مفتوحًا .

سأله (آرى) فى شىء من الخشونة :

- ماذا تريد أيها القائد (نور) ؟

أجابه (نور) :

- لقد راجعت الخرائط ، التى صنعتموها لقلعة العمالقة .

قال (آرى) فى حدة :

- ومن سمح لك أن تفعل ؟!

تجاهل (نور) عبارته ، وهو يتابع فى حزم :

- ووجدت وسيلة للقضاء عليهم .

ارتفع حاجبا (آرى) فى دهشة ، فى حين هتفت (نادية) :

- حقًا ؟!

أجابها (نور) ، وعيناه معلقتان بـ (آرى) :

- حقًا يا (نادية) .. لقد درست الخريطة جيدًا ، ووجدت وسيلة مضمونة إلى حد كبير .

سأله (آرى) فى شىء من العصبية :

- عجبًا ! .. وكيف لم ننتبه نحن ، طوال هذه السنين إلى تلك الوسيلة ، التى كشفتها أنت فى ساعة واحدة أيها العبقرى ؟!

أجابه (نور) :

- من الواضح أنكم تفكرون على نحو نمطى تقليدى ، أما أنا ، فلأن لدى خبرة سابقة فى مواجهة طغاة كوكب آخر ، إبان احتلال الأرض(*) ، اعتدت التفكير بوسائل غير تقليدية على الإطلاق .

انعقد حاجبا (آرى) أكثر ، وهو يرمقه بنظرة متوترة ، قبل أن يسأله فى حذر :

- وما هذه الوسيلة ؟!

لوّح (نور) بسبابته ، وكأنه يتابع رسمًا وهميًا ، قائلا :

- لو راجعت الخرائط الجيولوجية للمنطقة ، ستجد ممرًا طبيعيًا ، يمتدّ لمسافة طويلة تحت القلعة ، ويرتفع بمحاذاة جدارها الخلفى ، المحفور فى الجبل ؛ حتى يبلغ ذلك البركان خلفها ، وفى هذا الممر تسيل الحمم البركانية التى يحيطون بها قلعتهم ، ويلقون فيها أسراهم ، ولو أننا زرعنا عددًا من القنابل الموقوتة ، فى الجدار الغربى للممر ، وعند نهايته العلوية ، ونقطة اتصاله بالبركان ، فسيؤدى انفجارها إلى سد المسار الطبيعى للحمم ، التى لن تجد سبيلاً آخر ، إلا بعبور القلعة نفسها .

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

ارتفع حاجبا (آرى) فى دهشة بالغة ، وهو يتابع خطة (نور) ..

وخفق قلبه فى قوة ..

إنها خطة رائعة بالفعل ..

فلو تدفقت الحمم الملتهبة داخل القلعة ، فستكون مفاجأة رهيبة للعمالقة ، ترج مشاعرهم ، وتضرب أعصابهم فى مقتل ، فإما أن يلقوا مصرعهم ، قبل أن يستوعبوا الموقف ، أو يضطروا إلى الفرار من قلعتهم ، دون استعدادات مسبقة ، مما يمنح مقاتلى (بشتوريا) فرصة ذهبية لاصطيادهم ، وهم دون دروعهم ، والسيطرة على الموقف كله ..

فرصة نادرة ، لا يمكن أن تتكرر ..

وفى حماس يشف عن طبيعته المخلصة ، هتف (آرى) :

ـ خطة رائعة أيها القائد (نور) :

ثم عاد حاجباه ينعقدان فى قلق وتوتر ، وهو يغمغم :

ـ ولكن ..

سأله (نور) :

ـ ولكن ماذا ؟!

أجابه فى توتر زائد ، وهو يشير بيده ، وكأنه يتابع الرسم الوهمى بدوره :

ـ حتى يمكننا زرع القنابل ، فى المواضع الصحيحة ، لابد أن نعبر ذلك النفق ، إلى جوار الحمم الملتهبة !

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ بالضبط .

هتف (آرى) :

ـ ولكن هذا مستحيل ! .. الحمم تتدفق فى الممر كله تقريبًا ، ولا تترك سوى شريط ضيق ، من العسير عبوره .

قال (نور) فى حماس :

ـ وهذا هو المطلوب بالضبط .

هتف (آرى) فى دهشة مستنكرة :

ـ المطلوب ؟!

أجابه بسرعة :

ـ بالطبع ، فكلما كان الأمر عسيرًا وانتحاريًا ، سيبدو لخصمك أنه من المستحيل التفكير فيه ، مما يمنح عمليتك التأثير المنشود ، ويحقق عامل المفاجأة المطلوب ؛ فلا أحد سيتصور أنه من الممكن أن تفعل هذا .

هتف (آرى) :

- ولكن هذا جنون .

ابتسم (نور) ، قائلاً :

- ألم أقل لك ؟!

انعقد حاجبا (آرى) فى شدة ، فتنهدت (نادية) ، قائلة :

- لا فائدة يا (نور) .. لن يمكنه التضحية برجاله فى مهمة انتحارية كهذه .

التفت إليها (آرى) ، قائلاً فى حدة :

- بالطبع .

أشاحت بوجهها فى أسى ، فتابع فى حزم :

- ولكن هذا لا ينطبق علىَّ .

ارتسمت على شفتى (نور) ابتسامة ، و(نادية) تهتف :

- ماذا تعنى ؟!

أجابها فى حزم حاسم :

- أعنى أننى مسئول عن أرواح رجالى ، ولن أجازف بها فى عمل انتحارى كهذا ؛ لذا فسأقوم به بنفسى .

رددت مبهورة :

- بنفسك ؟!

شد قامته فى اعتداد ، وهو يقول :

- بالطبع .. القائد ينبغى أن يكون قدوة لرجاله ، وأن يقوم عنهم بكل الأدوار المهمة ، ويفتح لهم أبواب النصر .

ثم التفت إلى (نور) مستطردًا :

- انتظرنى أيها القائد (نور) .. سأوقظ الرجال ، وأشرح لهم خطتنا ، ثم ننطلق معًا لتنفيذ الدور الرئيسى .

« سأذهب معكما .. » .

نطقت (نادية) العبارة فى حزم شديد ، فانعقد حاجبا (آرى) فى شدة ، وهو يقول :

- مستحيل ! .

قالت فى عناد :

- بل سأذهب معكما .. لن تقوما بهذه المهمة الانتحارية وحدكما .

انتفض جسد (آرى) من فرط الانفعال ، وهو يقول :

- هذه المهمة لا تصلح للفتيات .

صاحت فى حدة :

- أنا لست فتاة عادية .. أنا مقاتلة فضائية من طراز خاص .

ثم لكمت الجدار بقبضتها ، مستطردة :

- وسأذهب معكما .

احتقن وجهه (آرى) بشدة ، وهو يقول :

- كلاً يا (نادية) .. لن يمكننى احتمال هذا .. ليس مرة ثانية .

ارتفع حاجباها فى تأثر ، وهى تتطلع إلى عينيه مباشرة ، قائلة :

ـ أنا أيضًا لن يمكننى احتمال هذا .. لن أحتمل التفكير فى أنك تقوم بمهمة انتحارية ، وأنا أجلس هنا ساكنة .. لن أحتمل هذا العذاب أبدًا .

صمت (نور) تمامًا ، وهو يراقبهما ، ولاحظ ارتجافة شفتى (آرى) ، قبل أن يقول بصوت خافت :

ـ (نادية) ، وجودك معنا سيربكنى .

هتفت :

ـ بل سيضاعف من قوتك ، لأنك ستذود عنى .

ثم اقتربت منه ، هامسة :

ـ أليس كذلك ؟!

كاد يذوب فى عينيها العسليتين ، وهو يتمتم :

ـ بالتأكيد .

ثم لم يلبث أن شد قامته ثانية ، وأضاف مستعيدًا حزمه وصلابته :

ـ سأوقظ الرجال .

وانطلق ليبدأ خطة جديدة ، لم تكن فى الحسبان ..

خطة تدمير القلعة ..

قلعة الطغاة ..

* * *

« بدأ التأثير على القمر .. » .

نطقها مدير المرصد فى يأس شديد ، وهو يراقب شاشة الرصد ، فسرت فى جسد الدكتور (ناظم) قشعريرة ثلجية ، جعلته يستنشق الهواء فى قوة ، ثم يلفظه مع سعال عنيف ، قبل أن يتمتم :

ـ يا للخسارة !

كانت الشاشة تنقل تلك الاهتزازات الضئيلة للقمر ، والتى لا تبدو للمشاهد العادى ، والمدير يقول :

ـ تأثير جاذبية الفجوة سيحدث خللًا فى جاذبية القمر ، بعد دقائق معدودة ، مما سيؤدى بالتالى إلى خلل فى عمليات المد والجزر (*) ، فتحدث بعض الكوارث البحرية المحدودة ، التى تتزايد شدتها بسرعة ، حتى تنتزع الفجوة القمر من مكانه ، فتثور الطبيعة على سطح الأرض ، مع الاختلال العنيف فى التوازن الجذبى ، وتنتشر العواصف والأعاصير والزلازل فى كل مكان ، ثم .

(*) المد والجزر ظاهرة من ظواهر البحر ، ترجع إلى التأثيرات الجذبية لكل من القمر والشمس ، ولقد عُرفت العلاقة بين القمر ، وارتفاع سطح الماء فى المحيطات ، منذ ألفى سنة على الأقل ، إلا أن التفسير العلمى لم يأت إلا مع قوانين نيوتن للجاذبية ، عام ١٦٨٧ م ، والقمر يجذب كل جسيم من جسيمات الماء على الأرض ، ويتسبب فى تكوم الماء الواقع تحته مباشرة ، ليحدث مد عند هذه النقطة ، ومع دوران الأرض حول محورها يحدث الجزر ، فى الصباح والمساء .

لم يستطع نطق العبارة الأخيرة ، فبتر حديثه دفعة واحدة ، إلا أن الدكتور (ناظم) أكمله مغمغمًا :

ـ ثم تأتى النهاية .

ـ ثم تأتى النهاية .

أومأ مدير المصعد برأسه إيجابًا فى مرارة ، فزفر الدكتور (ناظم) فى عمق ، وهو يغمغم :

ـ يا إلهى ! .. من يتصوَّر أننا نشهد الآن نهاية الأرض ؟!

هزَّ المدير رأسه فى أسف وأسى شديدين ، فنهض الدكتور (ناظم) من مقعده ، ووقف فى مواجهة ركن الحجرة ، قبل أن يرفع يديه إلى رأسه فى خشوع ، فسأله المدير :

ـ ماذا ستفعل !

أجابه الدكتور (ناظم) فى حزم :

ـ سأصلى يا رجل .. هذا ما ينبغى أن يفعله أى رجل مؤمن ، عندما تحين النهاية .. أليس كذلك ؟!

تمتم المدير فى خفوت :

ـ بالطبع .

ثم نهض من مقعده بدوره ، ووقف إلى جواره ، وراح الاثنان يصليان للخالق (عزَّ وجلَّ) فى خشوع .

ودون اتفاق سابق ، راح كل منهما يهتف فى أعماقه بدعاء إلى الله (سبحانه وتعالى) أن يأتى بها .. بالمعجزة ..

★ ★ ★

أطلَّ التوتر واضحًا من عينى الحاكم (كاتو) ، وهو يتطلَّع إلى مقاتلى (بشتوريا) ، الذين اصطفوا فى قلب المدينة ، التى استيقظت كلها ، وامتلأت بالحماس مع كلمات (آرى) ، وهو يقول :

ـ إنها ساعة تاريخية فى حياة (بشتوريا) يا رجال .. ساعة ربما يتحدَّد معها مستقبل كوكبنا كله إلى الأبد .. المطلوب منكم أن تنتظروا وتتأهَّبوا ، وعندما ترون العمالقة يفرُّون من قلعتهم ، نفذوا الخطة رقم ثلاثة .

سأله أحدهم فى اهتمام :

ـ وماذا لو لم يفعلوا ؟!

انعقد حاجباه فى صرامة ، وأجاب :

ـ لو طلع الفجر ، دون أن يحدث شىء ، فسيعنى هذا أن الخطة قد فشلت ، وأن عليكم أن تعودوا إلى هنا بانسحاب منظَّم ، طبقًا لخطة الطوارئ رقم سبعة .

تمتم الحاكم فى توتر :

- كنت أظن أن الهجوم الشامل غير مناسب ، فى هذه الآونة .

التفت إليه (آرى) ، مجيبًا فى حزم :

- الخطة الجديدة تجعله مناسبًا .. بل وناجحًا من الناحية النظرية .

لوّح الحاكم بكفه ، قائلًا :

- وما الداعى للعجلة ؟! .. لقد درس العلماء الموقف ، بعد أن حصلوا على ما لدى القائد (نور) من معلومات ، ووجدوا أنه من المحتمل أن تجذب تلك الفجوة قمرهم بعد أقل من نصف اليوم ، لتضرب به كوكبنا ، وتسحقهما معًا .

قال (نور) فى حزم :

- ديننا يحضنا على أن نعمل لدنيانا وكأننا نعيش أبدًا ، ونعمل لآخرتنا وكأننا نموت غدًا .

وانعقد حاجبا (آرى) فى صرامة ، وهو يقول :

- ولو أن الموت آت لا ريب ، فلم لا نموت أحرارًا ؟

والتفت إلى رجاله ، مستطردًا فى حماس :

- أليس كذلك يا رجال ؟!

هتف الرجال فى آن واحد بحناجرهم القوية ، وقبضاتهم تلوّح فى الهواء :

- بالتأكيد .

كان من الواضح أن الموقف كله لا يروق للحاكم ، أو أنه يمرّ بلحظات توتر بالغة العنف ، حتى أن (نور) سأله فى اهتمام :

- ماذا هناك أيها الحاكم ؟! .. يلوح لى أنه هناك أمر آخر يقلقك كثيرًا ؛ فأنت تعلم بما ستفعله الفجوة منذ ساعات .

تنهّد الحاكم ، قائلًا :

- أنت على حق يا ولدى .. هناك بالفعل مشكلة جديدة.

سأله (نور) فى قلق :

- وما هى ؟!

تنهّد الرجل ثانية ، ولوّح بكفه ، قائلًا :

- علماؤنا التقطوا ذبذبة أخرى فوق طبيعية ، نشأت بغتة فى مدار كوكبنا ، وهى تقلقهم بشدة .

سأله (نور) وقد انتقل إليه قلقه :

- أهى خاصة بالفجوة أيضًا ؟!

هزّ الحاكم (كانو) رأسه نفيًا ، وقال :

- كلا .. إنه خلل مباغت فى الحاجز الزمكانى ، لم يتم تسجيل مثله من قبل قط .

التقى حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يغمغم :

- الحاجز الزمكانى ؟! .. فى أى شىء تستخدمون هذا المصطلح بالضبط ؟!

تطلع إليه الحاكم لحظة ، قبل أن يقول :

- آه .. من الواضح أنكم لم تتوصلوا إلى هذا الجانب العلمى بعد .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يتابع :

- منذ سنوات عديدة ، وخلال أبحاث ما بعد الهزيمة ، توصل أحد علمائنا ، بالمصادفة البحتة ، إلى كشف مجال جديد غير منظور ، ينتشر فى كل مكان ، وأطلق عليه اسم المجال الزمكانى ، والمصطلح يعنى المجال الذى يربط الزمن بالمكان ، ويطلقهما معًا بحرية لامحدودة ، بمعنى أنك لو استطعت عبور الحاجز الوهمى ، الذى يفصل بين عالمنا والمجال الزمكانى ، لصارت طاقاتك بلا حدود ، ولأمكنك أن تنتقل إلى أية نقطة ، عبر المكان أو الزمان ، بمجرد رغبتك فى هذا .

أعاد هذا الحديث إلى (نور) ذكرى أحلامه مع (محمود) ، فسأل فى توتر :

- وهل تمكن علماؤكم من دخول هذا المجال ؟!

هز رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

- مطلقًا .. معادلاتهم تؤكد أن هذا يحتاج إلى طاقة هائلة ، لم تعد متوافرة لدينا ، كما أن المشكلة الحقيقية تكمن فى العودة من هذا المجال إلى العالم الملموس .

قال (نور) فى انفعال :

- هذا أيضًا يحتاج إلى طاقة هائلة .. أليس كذلك ؟!

أجابه الحاكم فى توتر :

- ليست هذه هى المشكلة ، فالعودة لا تحتاج إلى الطاقة ، بقدر ما تحتاج إلى وسيلة اتصال .

انعقد حاجبا (نور) وهو يسأل :

- مثل ماذا ؟!

أجابه بعد تنهيدة عميقة :

- لا أحد يدرى بعد .. ربما تلك الأجهزة التى نستخدمها لرصد الفجوة ، أو طبيعة فضائنا الثائرة ، أو حتى تلك الحمم ، التى تتدفق فى كل مكان فى كوكبنا .. شىء ما استخدمناه ، أو نستخدمه ، صنع وسيلة اتصال مناسبة ، جعلت شيئًا ما داخل المجال الزمكانى ، يبذل قصارى جهده ، فى محاولة عبور الحاجز ، والعودة إلى عالمنا الملموس .

خفق قلب (نور) فى قوة ، وهو يقول :

- أيمكن أن يحدث هذا بالفعل ؟

هزّ الحاكم كتفيه ، قائلا :

ـ ولِم لا ؟! .. من الواضح أن كل الظروف قد تضافرت ، لتصنع وسيلة الاتصال المناسبة .. الفجوة ، والفضاء غير المستقر ، وأجهزتنا ، وكوكبنا المضطرب .. كل العوامل صارت مناسبة للغاية ؛ ليظهر فى مكان ما ، وزمان ما ، لا يمكن تحديدهما أبدًا .

ثم عاد صوته يحمل الكثير من التوتر ، وهو يستطرد :

ـ ولكن المشكلة هى ما ذلك الشىء ، الذى يجاهد لاختراق الحاجز الزمكانى ، والقدوم إلى عالمنا ؟! .. أهو ضيف كريم ، أم وحش مفترس ، لا قبل لنا به ؟!

قال (نور) فى لهفة :

ـ أو هو آدمى ، سقط فى المجال الزمكانى بوسيلة ما ، ويسعى للعودة إلى العالم الملموس .

حدّق الحاكم فى وجهه بدهشة ، مغمغمًا :

ـ آدمى ؟!

هتف (نور) فى حماس :

ـ ولم لا ؟! .. ربما كان آدميًا ، تعرّض لطاقة هائلة ، فى ظروف غير طبيعية ، فضاع وسط نهر الزمن ، و ...

استوقفه الحاكم، وهو يقول فى دهشة :

ـ مهلا أيها القائد (نور) .. هل تتحدث عن تجربة شخصية ؟!

استعاد ذهن (نور) ذكريات مؤلمة ، وهو يغمغم(*) :

ـ هذا صحيح .

تنهّد الحاكم مرة أخرى ، ثم ربّت على كتفه ، قائلاً :

ـ معذرة أيها القائد (نور) ، ولكن ما اتفق عليه علماؤنا ، يخالف ما تتمناه تمامًا .

وتطلّع إلى عينيه مباشرة ، مستطردًا :

ـ فذلك الشىء ، الذى يحاول اختراق الحاجز الزمكانى ليس آدميًا .. ليس كذلك على الإطلاق .

وكانت مفاجأة جديدة لـ (نور) ..

مفاجأة عنيفة ..

ومؤلمة .

* * *

(*) راجع قصة (الزمن = صفر) .. المغامرة رقم (١٠٠) .

٨ - الانتحاريون ..

« يا له من مشهد رهيب !! .. » .

نطقت (نادية) العبارة ، بكل ما تفيض به نفسها من انفعالات ، وهى تتجه مع (نور) و(آرى) إلى تلك البقعة ، التى تتدفق منها الحمم الملتهبة ، فى قلب الجبل ، فسألها الأخير ، وهو يعاونها على عبور منطقة شديدة الوعورة :

- هل تشعرين بالخوف ؟!

أجابته فى ثقة :

- الخوف شعور طبيعى ، لابد أن يعانى منه كل شخص عاقل .. حتى أشجع الشجعان يشعر بالخوف ، ولكنه ينجح فى التغلب عليه ، ولولا هذا ما استحق لقب (شجاع) .

ابتسم قائلا :

- لديك قدرة مدهشة على تبسيط الأمور .

أجابته فى سرعة ، وهى تثب إلى صخرة كبيرة :

- لأنها بسيطة بالفعل .

تنهد (نور) ، وقال فى لهجة جافة ، مشيرا إلى مدخل الممر الطبيعى :

- ربما كانت الأمور كذلك ، فى المرحلة السابقة ، ولكنها ستصبح معقدة ، اعتبارا من هذه النقطة .

تطلع (آرى) و(نادية) إلى المدخل ، والنتوء الضيق فى جداره ، الصالح للسير فى صعوبة ، وقالت (نادية) :

- أنت على حق .. هنا تبدأ الصعوبة .

أومأ (نور) برأسه إيجابا ، ثم وثب إلى صخرة أخرى ، وألصق ظهره بالجدار الصخرى ، وراح يتحرك فى حذر على النتوء ، وهو يحمل معدات التفجير .

وفى خفة ألحق به (آرى) ، ثم عاون (نادية) على الوصول ، وراح الثلاثة يسيرون فى بطء ، على النتوء الضيق .. والحمم تتدفق تحت أقدامهم ، وحرارتها الرهيبة تجعل العرق يغمر أجسادهم بشدة ..

وبدا الممر أمامهم ممتدا إلى مالا نهاية ، فتمتمت (نادية) :

- أنتما واثقان من أننا نستطيع عبوره حتى النقطة المنشودة ؟!

غمغم (نور) :

- هذا ما تؤكده الخرائط الجيولوجية .

تنهد (آرى) ، قائلا :

- هذا صحيح ، ولكن تذكر أن أحدث الخرائط الجيولوجية لدينا ، تم رسمها منذ خمسين عاما على الأقل ، وربما حدثت تغيرات عديدة ، منذ ذلك الحين .

قال (نور) وهو يسير فى حذر :

- بل من المؤكد أنها حدثت ، ولكن السؤال هو : هل ستأتى تلك التغيرات لصالحنا أم ضدنا ؟!

قال (آرى) فى توتر :

- الوسيلة الوحيدة لحسم هذا الأمر ، هى المضى عبر الممر .

غمغم (نور) :

- وهذا ما نفعله .

ولفترة طويلة ، واصل الثلاثة سيرهم فى صمت ، فوق النتوء الضيق ، وعيونهم تلتهب بعرقهم الغزير ، الذى بلل ثيابهم تماما ، وكأنهم خرجوا على الفور من أعماق البحر ، والحرارة تزداد ارتفاعا ، كلما توغلوا فى الممر ..

وبدا لهم الوقت وكأنه لا يمضى أبدا ..

والممر وكأنه بلا نهاية ..

ومع الغازات المتصاعدة من الحمم الملتهبة ، شعر (نور) بصدره يضيق ، وبأنفاسه تتلاحق ، فأخرج من جيبه قناع أكسجين صغير ، ووضعه على أنفه وفمه ، وهو يقول :

- هذه الأقنعة تحوى ما يكفينا لساعة واحدة من الهواء النقى ، لذا فقد ادخرتها للوقت الذى تصبح فيه ضرورية .. حاولا التقاط أنفاسكما فى بطء وعمق ، حتى يكفينا الهواء لأطول وقت ممكن ؛ فنحن لا ندرى ماذا ينتظرنا بعد هذا .

وضعت (نادية) القناع على وجهها ، وهى تسأل :

- ولماذا لم تحضر المزيد من هذه الأقنعة ؟!

أجابها (آرى) :

- لأننا لا نملك المزيد منها بكل بساطة .

صمتت لحظة ، ثم تمتمت :

- آه .. فهمت .

واصلوا السير مرة أخرى فى صمت ، وبدا لهم أن الأمر أشق مما تصوروا ، والحرارة تتزايد رويدا رويدا ، والنتوء يضيق أكثر وأكثر ، حتى صار السير فوقه عسيرا للغاية ..

وفى إرهاق ، تمتم (آرى) :

- لم أكن أتصور أن الأمر بهذه الصعوبة .

تنهد (نور) قائلا :

- ومن الواضح أنه يزداد صعوبة ، كلما تقدمنا .

غمغمت (نادية) :

- ولكن الممر يتسع أكثر

أجابها (نور) ، وهو يواصل السير فوق النتوء الضيق :

- هذا صحيح ، ولكنه يزداد وعورة ، والغازات والأبخرة المتصاعدة تتكاثف أكثر ، حتى إنى أعتقد أن الرؤية ستصبح منعدمة ، بعد عشرين مترا أخرى على الأكثر .

هتف (أرى) :

- عشرون مترا أخرى ؟! .. يا إلهى ! . كم تبقى لنا ، حتى نبلغ المنطقة المنشودة .

أجابه (نور) فى حزم :

- بعد ثلاثين مترا تقريبا ، سنصل إلى نهاية الممر الأفقى ، وسنجد أمامنا ممرا صاعدا ، بزاوية أربعين درجة تقريبا ، يقودنا إلى الجدار الخلفى للقاعة ، و ...

بتر عبارته بغتة ، على نحو جعل (نادية) تسأل فى قلق :

- ماذا حدث ؟!

أشار إلى الأمام ، قائلا :

- النتوء ينتهى هنا .. من الواضح أن عوامل التعرية أدت إلى سقوطه .

سأله (أرى) فى توتر :

- ماذا سنفعل إذن ؟! .. لا يمكننا السير فى قلب الحمم قطعا .

أشار (نور) إلى جزء بارز فى جدار الممر ، قائلا :

- انظر هناك .. النتوء يتصل مرة أخرى ، على بعد خمسة أمتار تقريبا ، ولو أمكننا التعلق بهذا الجزء البارز ، والقفز إلى الجانب الآخر ، سنبلغ بداية النتوء التالى ، وعندئذ يمكننا أن نواصل سيرنا .

تطلع (أرى) إلى الجزء البارز فى الجدار ، ثم إلى النتوء الآخر ، الذى يرتفع ما يقرب من ثلاثة أمتار عن الحمم المتدفقة ، وقال :

- هل تعتقد أنه يمكننا أن نفعل هذا ؟!

أجابه (نور) ، وهو يتطلع إلى الجزء البارز :

- لا يمكننا أبدا إجابة هذا السؤال .

ثم وثب فجأة ، مستطردا :

- إلا بالتجربة .

شهقت (نادية) ، عندما رأته يتعلّق بالجزء البارز من الجدار الصخرى ، ويتأرجح مرتين ، ثم يقفز نحو النتوء الآخر ، الأوسع نسبيًا ، ويستقر فوقه فى صلابة ، ويستدير إليهما ، قائلاً :

- الآن نعم .. أعتقد أنه يمكننا أن نفعل هذا .

شدّ (آرى) قامته ، وقال فى حزم :

- بالتأكيد .

نطقها وربت على يد (نادية) التى تمتمت بصوت متهدج :

- احترس .

ابتسم فى وجهها وربت على يدها ثانية ، ثم وثب بدوره ، وتعلّق بالجزء البارز من الجدار ، وقفز منه إلى النتوء الآخر ، ولم يكد يستقر فوقه ، حتى التفت إلى (نادية) ، هاتفًا فى حماس :

- نعم يا عزيزتى .. يمكنك عمل هذا .. أنت مقاتلة فضائية متميّزة ، وستنجحين بإذن الله .

ارتفع حاجباها فى حنان ، وغمغمت :

- سأفعلها من أجلك .

قالتها ، واستجمعت كل قوتها ..

وقفزت ..

وفى مهارة حقيقية ، تعلّقت بالجزء البارز فى الجدار ، وتأرجحت مرتين ، و(آرى) يهتف :

- رائع يا عزيزتى .. هيا .. بقيت القفزة الأخيرة .. هيا.

ابتسمت (نادية) ، وتأرجحت مرة ثالثة ، ثم ...

ثم ارتج المكان كله بغتة ..

كانت مرحلة نشاط أخرى ، يمرّ بها البركان لثوان معدودة ..

ولكن هذه الثوانى كان لها أثر رهيب .

لقد اختلّ توازن (نادية) ، وهى تبدأ قفزتها ..

ولم تستطع بلوغ النتوء الآخر ..

وأمام عيون (نور) و(آرى) المذعورة ، أطلقت (نادية) صرخة رعب هائلة ، و ..

هوت .. وهوت .. فى قلب الحمم ..

* * *

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وهو يراقب تلك الحمم ، التى ارتفعت ؛ حتى بلغت نصف جثة التنين ، وراحت تواصل ارتفاعها فى بطء ، نحو الجزء الذى يتعلّق به من الجدار الصخرى ..

ولكن ضحكات (بلوميا) توقّفت ، ولم تعد تتردد فى المكان ..



لقد اختل توازن (نادية) ، وهى تبدأ قفزتها .. ولم تستطع بلوغ النتوء الآخر ..

والجدار الصخرى يحجب عنه سخرية العمالقة الآخرين وشماتتهم .

ولكن إلى متى ؟! ..

الحمم ستواصل ارتفاعها ، حتى تشويه حيًا بحرارتها ، قبل أن تلتهم جسده فعليًا ..

مالم يجد مخرجًا ..

وبسرعة ، راح عقله يدرس الموقف ، ويبحث عن مخرج ما ..

ولم يكن أمامه سوى مكان واحد ، لا يدرى حتى ما يمكن أن يجده خلفه ..

المكان الذى أتى منه التنين ..

ودرس (أكرم) الموقف ثانية ..

ثم حسم أمره ..

وقفز ..

قفزة ماهرة مرنة ، جعلته يهبط على الجزء المتبقى من جثة التنين ، التى تصاعدت منها رائحة شواء ، ثم وثب مرة أخرى نحو الجدار المقابل ، وتعلق بجزء بارز منه ، انزلق معه فى خفة ، حتى أصبح داخل القاعة الثانية ، التى أتى منها التنين ..

ولثانية أو ثانيتين ، تعلق (أكـرم) بطرف الصخـرة البارزة ، وهـو يدير عينيه فى المكان الجديد ، الذى تغطى الحمم أرضيته أيضًا ..

ثم توقف بصره عند جزء فى أعلى القاعة ..

نافذة صخرية مستديرة ، تبـدو وكأنهـا مصنوعـة خصيصًا ، ليطل منها البعض على التنين وقتما يشاء .

وأدرك (أكرم) على الفور أن هذه النافذة هى أفضل مخرج من قاعة الجحيم هذه ..

ولكن ما السبيل للوصول إليها ..

تابعت عيناه البروزات الصخرية الطبيعية فى الجدار ، ورسم خطة الحركة فى سرعة ثم وضعها موضع التنفيذ على الفور ، دون أن يضيع لحظة واحدة ، وهو يسعل فى شدة ، مع الغازات المتصاعدة من الحمم ..

وبخفة مدهشة ، وثب (أكرم) من جزء إلى آخر عبر الجدار ، وراح يتسلقه فى مهارة ، اكتسبها من معيشته القاسية إبان فترة الاحتلال ؛ حتى بلغ تلك الفتحة ، فتعلق بها ، ودفع جسده عبرهـا ، وهو يطلق ضحكة ساخرة ظافرة ، هاتفًا :

– اختنقى بضحكتك أيتها اللعينة .. لقد نجوت .

قالها قبل أن يستقر داخل الممر الواسع ، الذى يمتد

من النافذة ، ويتطلع إليه طويلًا ، وهو يلهث فـى قوة ، محاولًا استرداد بعض حيويته ونشاطه ..

ولثوان ، أسبل (أكرم) جفنيـه ، وأسند مؤخـرة رأسه إلى جدار الممر ، وهو يتمتم :

– يـا إلهى ! .. من أيـن أتيت بكـل هـذا النشـاط يا (أكرم) ؟.. إنك لم تذق النوم إلا قليلًا منذ يومين يا رجل ، وتواجه المخاطر بـلا انقطـاع ، وتعرضت لتعذيب رهيب .. من أين كل هذا النشاط إذن ؟!

كان يتحدث إلى نفسه ، كما لو أنه يخاطب رجلًا آخر ، والعجيب أن هذا الحوار الخافت جعله يسترخى فى مكانه ، ويغلق عينيه طويلًا ، و ...

« أكرم » .

تردد الصوت داخله فـى عمق ، فهتف فى دهشة ، وهو ينطلق عبر ممر طويل :

– (محمود) ؟! أهو أنت ؟! أين أنت يا (محمود) ؟! أين أنت ؟!

أتاه صوت (محمود) ، يقول :

– أقرب إليك مما تتصور يا صديقى .. إننى أبذل قصارى جهدى من أجلكما .. من أجلك أنت و(نور) ..

سأله (أكرم) فى لهفة :

- هل ستنضمّ إلينا ؟!

صمت (محمود) طويلا ، وبدا الممر وكأنه يمتلىء بضباب خافت ، فكرر (أكرم) في قلق :

- هل ستنضمّ إلينا يا (محمود) ؟

أجابه (محمود) في عمق :

- سأفعل كل ما يمكنني من أجلكما يا (أكرم) .. من أجل الجميع .

بدا ظل من بعيد ، وسط الضباب ، الذي يتكاثف بسرعة ، فاندفع (أكرم) نحوه ، هاتفا :

- عد يا (محمود) .. لا تذهب .. عد .

ولكن ذلك الظلّ اختفى وسط الضباب ، الذي أحاط به من كل جانب ، فهتف (أكرم) ثانية :

- أين أنت يا (محمود) ؟

خيّل إليه أنه يسمع صوت ماء يجرى من بعيد ، فالتفت إلى مصدر الصوت ، وتجمد في مكانه تماما ، وهو يتمتم :

- (محمود) ..

ولكن فجأة ، بدا له ذلك الماء ، الذى يجرى ناحيته .

وارتفع حاجباه في مزيج من الدهشة والذعر .

فهذا الذى يتدفق بسرعة لم يكن ماء ..

كان جحيما ..

جحيما ملتهبة .. و ..

وانتفض جسد (أكرم) في عنف ..

انتفض وهو يستيقظ من غفوة قصيرة ، واتسعت عيناه بشدة ، وكأنما لا يصدق أنه استسلم للنوم ، ثم هزّ رأسه في عنف ، هاتفا :

- لا يا (أكرم) .. لا تتخاذل الآن .. هيا .. تحرك بسرعة ، لتضرب هؤلاء الأوغاد ، قبل أن يكشفوا نجاتك من (الميكروويف) ، الذي وضعوك فيه .

لم تكن قد تبقت له رصاصة واحدة في مسدسه ، وعلى الرغم من هذا فقد أطبق أصابعه على مقبضه في قوة ، وكأنما يستمد منه الأمان ، وتقدم عبر الممر الواسع في حذر شديد ..

ولم يكن الممر قصيرا ..

كان أطول مما توقع بكثير ، ويمتد دون أية فتحات أخرى ، حتى ينتهي إلى حجرة صغيرة ، يمتد منها ممران آخران ..

وابتسم (أكرم) في سخرية ، وهو ينقل عينيه بين الممرين ، قائلا :

- ترى أي طريق اخترتم لي هذه المرة أيها الأوغاد ؟!

توقف بعض الوقت داخل الحجرة الصغيرة ، وهو يرهف سمعه جيدا ، حتى تناهت إلى مسامعه أصوات مختلطة ، لحديث يدور بين عدة أطراف .. فعقد حاجبيه ، وغمغم :

- عجبا ! .. أهى أصواتهم حقا ، أم أن أذنى تخدعنى !

وتقدم بسرعة عبر الممر الفرعى ، الذى تسللت منه الأصوات ، والذى انتهى به إلى حجرة نصف مستديرة ، تنتهى بنافذة من خشب متهالك ، تطل على قاعة العرشين مباشرة ..

وخفق قلب (أكرم) فى عنف ..

ففى القاعة ، كان (هارلاك) والأمير والأميرة يتحدثون بأصوات مرتفعة ، تقاطعها زمجرة غاضبة مرة ، أو مواء عصبى مرة أخرى ، والحراس العمالقة صامتون جامدون ، وكأن الأمر لا يعنيهم ، أو أنهم أصيبوا بصمم أبدى ..

وكان من الواضح أنه هناك أمر ما ، يثير قلق الأميرين وقائد فرسانهم ..

أمر يستحق أن يجتمعوا ويتناقشوا بكل الحدة ، فى مثل هذه الساعة المتأخرة ..

وعلى الرغم من أن (أكرم) ، لا يفهم كلمة واحدة

من حديثهم ، فقد مال إلى الأمام ، والتصق بالنافذة الزجاجية ، وهو يرهف سمعه على نحو غريزى ، و ..

وفجأة ، انهارت النافذة الخشبية المتهالكة تحت ثقله ، وأطلقت فرقعة عنيفة فى القاعة .

ثم انهارت دفعة واحدة ..

ومع انهيارها المباغت ، اختل توازن (أكرم) ، وسقط من ارتفاع ثلاثة أمتار ، داخل قاعة العرش ..

وقبل أن يستعيد توازنه ، أو ينهض من مكانه ، كانت رءوس حراب الحراس العمالقة فوق جسده .

وكانت الأميرة (بلوميا) تطلق صيحتها الحادة الرفيعة ، الشبيهة بصوت قط يستعد لخوض معركة شرسة ، ومخالبها تبرز من أطراف أصابعها ، وتبدو حادة هذه المرة أكثر من المعتاد ..

حادة على نحو مخيف ..

* * *

بدا التوتر واضحا ملموسا ، على ملامح الحاكم (كاتو) ، وهو يسير داخل مقره ، فى تلك الساعة المتأخرة من الليل ، وعقله يراجع تفاصيل الموقف كله مرات ومرات ، وكأنما تفرغت كل خلايا مخه للتفكير فيه ..

كان يعلم أنها لحظة مصيرية فى حياة (بشتوريا) كلها ..

ويعلم أيضا أن تلك الحياة ستنتهى قريبا ..

قريبا جدا ..

فطبقا لحسابات علماء (بشتوريا) ، ولكل المعلومات التى قدمها (نور) ، لن يمضى يوم آخر ، إلا ويأتى نهاية الكوكب كله ..

وستكون نهاية رهيبة ..

وعنيفة ..

والكل عاجز عن منع الكارثة ، على الرغم من معرفتهم بالسبيل إلى هذا ..

الكل عاجز ..

وآسف ..

ويائس ..

وياله من قدر ! ..

بعد أجيال وأجيال من الكفاح ، تتوصل (بشتوريا) إلى وسيلة لهزيمة أعدائها ، واستعادة مكانتها ، فى نفس الوقت الذى تحين فيه نهايتها !!

ولكن (أروى) على حق ..

مادام الموت آت لا ريب ، فلنمت أحرارا ..

« سيدى الحاكم :: » :

انتزعه صوت كبير علماء (بشتوريا) من أفكاره ، فالتفت إليه بسرعة ، هاتفا فى انفعال :

= هل من جديد ؟!

أجابه كبير العلماء فى توتر زائد :

= تلك الذبذبة ، عند الحاجز الزمكانى .. لقد تضاعفت على نحو عجيب .

قال الحاكم فى قلق :

= ولكن هذا ما كنا نتوقعه .. أليس كذلك ؟

أومأ كبير العلماء برأسه موافقا ، وقال :

= ولكننا استخدمنا موجة خاصة ، لرسم ذلك الشىء ، الذى يحاول عبور الحاجز إلى عالمنا .

هتف الحاكم فى دهشة :

= حقا ؟!

أشار كبير العلماء بيده ، مغمغما :

= هل ترغب فى رؤيته ؟!

أجابه الحاكم ، وهو يتحرك بخطى سريعة :

= بالتأكيد ..

واندفع الاثنان عبر شوارع (بشتوريا) الساهرة ، حتى بلغا المركز العلمى للمدينة ، فأشار كبير العلماء

إلى شاشة داكنة ، ارتسمت عليها صورة ما، وهو يقول بصوت مضطرب :

ـ ها هوذا !

حدق الحاكم فى الصورة على الشاشة ، قبل أن يهتف فى ارتياع :

ـ رباه !

قال كبير العلماء متوترًا :

ـ بعض الزملاء يعتقدون أن الفجوة البيضاء ونشاطها الزائد ، هما السبب المباشر فى صنع وسيلة الاتصال ، التي تسمح بعبور الحاجز الزمكانى ، والبعض الآخر يؤكد أن نشاط أجهزتنا هو السبب ، بينما يصرّ فريق ثالث على أن النشاطين معًا هما الـ ...

قاطعه الحاكم بلهجة صارمة آمرة :

ـ أوقفوا كل الأجهزة .

كادت عينا كبير العلماء تجحظان من فرط الدهشة ، وهو يقول :

ـ ماذا ؟!

كرّر الحاكم فى صرامة أكثر :

ـ أوقفوا كل الأجهزة ، سنتوقف عن رصد ما يحدث فى الحاجز الزمكانى ، فربما كان هذا هو الاتصال اللازم ، لعبور هذا الشىء إلى عالمنا .

رفع كبير العلماء حاجبيه ، قبل أن يقول :

ـ كما تأمر أيها الحاكم .

واندفع لإبلاغ الأمر لزملائه ، فى حين انعقد حاجبا الحاكم فى شدة ، وهو يحدق فى الشاشة ، التى تنقل صورة ذلك الشىء ، الذى يكاد يعبر الحاجز إلى عالمهم المادى ..

وخفق قلبه فى عنف ..

فقد كان من الواضح أن هذا الشىء غير آدمى ..

غير آدمى على الإطلاق ..

* * *

كل شىء حدث فى أقل من ثانية واحدة ..

ارتج المكان مع النشاط الزائد المباغت للبركان ، واختلّ توازن (نادية) ، وأطلقت صرختها الرهيبة ، و ...

وهوت فى قلب الحمم ..

وقبل أن تبلغ تلك الثانية نهايتها ، قفز (آرى) أيضًا ..

قفز على نحو انتحارى مدهش والتقط معصم (نادية) ، قبل أن تهوى تمامًا ..

ولكن ثقل جسدها أخلّ بتوازنه أيضًا ..

وضرب (آرو) الهواء بذراعه اليسرى في عنف ، محاولاً منع جسده من السقوط ، وهو يتشبث بـ (نادية) بكل قوته ، بيده اليمنى .

وصرخت (نادية) :

ـ اتركني يا (آرو) .. اتركني وإلا سقطنا معاً .

هتف بكل حزم وصرامة الدنيا :

ـ مستحيل !!

ولكن جسده مال بزاوية حادة ، كادت تدفع مركز ثقله خارج النتوء البارز(*) ، لولا أن أمسك به (نور) في قوة ، قائلاً :

ـ تماسك يا رجل ، ولن يسقط أحد .

(*) مركز الثقل : يمكن اعتبار أية قطعة من المادة ، بصرف النظر عن شكلها ، مكونة من عدد لا محدود من الجسيمات تؤثر عليها قوة الجاذبية ، ومن ثم فإن وزن قطعة المادة ، يمكن اعتباره محصلة لمجموعة القوى المتوازية ، وهذه المحصلة تؤثر بطول خط ، يتوقف اتجاهه على شكل الجسم وموضعه ، وتعرف النقطة الواقعة على هذا الخط ، والمشتركة لجميع اتجاهاته المحتملة ، باسم (مركز الثقل) .

كان يلصق ظهره بالجدار ، بكل ما يملك من قوة ، حتى لا يختل توازنه بدوره ، ويهوى ثلاثتهم في قلب الجحيم ..

وبكل قوته ، جذب (آرو) (نادية) ، ورفعها إلى النتوء ، وتعاونت هي معه ، بكل مرونتها وخبرتها ، حتى أصبحت إلى جواره ، فلهثت هاتفة :

ـ أنا مدينة لك بحياتي .

ربت على كتفها في حنان وارتياح ، وهو يغمغم :

ـ لا يمكنني أن أتصور الحياة بدونك .

تنحنح (نور) في حرج ، وهو يقول :

ـ دعونا نواصل سيرنا ، فالوقت يمضي بسرعة ، والهواء سينفد بعد قليل .

سأله (آرو) في اهتمام ، وهم يواصلون السير على النتوء الصخري :

ـ هل تعتقد أن الهواء سيكفي ، حتى تنفذ الخطة ؟!

ألقى (نور) بنظرة على ساعة يده ، قبل أن يجيب :

ـ هذا يتوقف على سرعة إنجازنا للأمور .

واصلوا السير لعدة دقائق أخرى ، حتى بدا لهم ذلك النفق شبه الرأسي ، و ..

وفجأة ، ارتج المكان كله ثانية ..

ولكن على نحو أكثر عنفا ..

والتصقت (نادية) بالجدار بكل قوتها ، وهى تهتف :

- يا إلهى ! .. إنه نشاط زائد للغاية هذه المرة .. أخشى أن ينفجر البركان ، أو ..

قبل أن تتمَّ عبارتها ، ارتج المكان ثانية ، ثم ارتفع هدير عنيف عبر النفق ، فهتف (آرى) فى انزعاج :

- إنه انهيار صخرى .

ومع آخر حروف كلماته ، ظهر سيل من الصخور ، وهو يتدحرج فى قوة ، عبر النفق شبه الرأسى ، دافعا أمامه كميات هائلة من الحمم ، ومولِّدا أطنانا من الدخان والغازات ..

وصاح (تور) بكل قوته :

- التصقا بالجدار .. أسرعا .

كان الهدير يصمّ الآذان ، والدخان يغمر الممر من غازات سامة كثيفة ، والحمم تتطاير فى عنف ، وهى تجري بسرعة زائدة عبر الممر .

باختصار ، لقد تحوَّل المكان إلى جحيم حقيقي ..

وعلى الرغم من التدريبات القاسية ، التى تلقتها منذ حداثتها ، أطلق الموقف أنوثة (نادية) من عقالها ، فانطلقت تصرخ فى رعب شديد ، إزاء الأحداث العنيفة الرهيبة ..

وخُيِّل للثلاثة أن درجات الحرارة قد ارتفعت ألف مرة ، فى الثوانى الأخيرة .

ثم فجأة ، انهار ذلك الجزء من النتوء ، تحت قدمى (آرى) ، الذى شهق فى قوة ، وهو يفقد توازنه بغتة .

وقفزت (نادية) ، محاولة إنقاذه ، ولكن يدها ارتطمت بقناع الهواء الصغير على وجهه ، فطار عنه فى عنف ، وسقط وسط الحمم ، التى التهمته فى لحظة واحدة بينما سقط (آرى) نفسه فوق الصخور المنهارة ، وارتطم بها فى عنف ..

ومع الصرخة التالية ، التى انطلقت من حلق (نادية) ، حاملة كل ذعرها ، وخوفها ، وارتياعها ، اختفى جسد (آرى) تحت أطنان من الدخان الكثيف والغازات السامة ..

وبلا قناع واق .





٩ - العاجز ..

لم يكد (آرى) يسقط فوق الصخور المنهارة ، حتى وثبت (نادية) خلفه ، وهى تهتف باسمه فى لوعة وارتياع :

وبلا تردد ، قفز (نور) خلفها ، وانحنى يجذب جسد (آرى) ، هاتفا :

- لن يحتمل البقاء طويلا ، دون قناع واق .

انتزعت قناعها عن وجهها ، وأسرعت تضعه على وجه (آرى) ، قائلة :

- سيحصل على قناع واق .

هتف (نور) :

- وماذا عنك ؟

أجابته فى حزم :

- يمكننى الامتناع عن التنفس .. لقد تدربت على هذا .

صاح (نور) ، وهو يجذب (آرى) بعيدا ، دون أن يدرى إلى أين يذهب به ، وسط هذا الجحيم الثائر :

- ليس إلى الأبد .

قالت فى صرامة :

- فليكن .. لن يعود هذا القناع إلى وجهى ، طالما يحتاج هو إليه .

كان (نور) يدرك أنه ما من فائدة من مجادلتها ؛ فاكتفى بجذب (آرى) الفاقد الوعى ، إلى جانب النفق ، وهو يقول فى توتر :

- الانهيار يسد الجزء الجاف فى الممر ، ولم يعد بإمكاننا زرع القنابل فى الموضع المنشود .

هتفت :

- هل تعنى أن الخطة قد فشلت ؟

أجابها فى مرارة :

- بالتأكيد .. لقد عاندنا الـ ..

ثم بتر عبارته بغتة ، هاتفا :

- رباه ! .. هناك مدخل جانبى .

لم تر ذلك المدخل ، الذى يتحدث عنه ، مع الدخان الكثيف ، فتركته يقودها إليه ، وهى تتعاون معه فى حمل (آرى) ، حتى وجدت نفسها بغتة داخل نفق جانبى بالفعل ، فهتفت :

- رباه ! .. لم يكن هناك وجود لمثل هذا النفق ، فى الخرائط الجيولوجية .

أجابها وهو يتطلع فى اهتمام إلى النفق ، الذى تقل كثافة الدخان فيه كثيرًا عن النفق الرئيسى :

ـ كل شىء يمكن أن يتغير ، خلال نصف قرن من الزمان .

سعلت فى قوة ، قبل أن تقول :

ـ بالتأكيد ، ولكننى أعتقد أن هذا النفق الفرعى هنا ، منذ فترة طويلة ، ولكن موقعه جعل رؤيته عسيرة ، بالنسبة للرسامين الجيولوجيين .

أضاء (نور) مصباحا يدويًا صغيرًا ، منحه إياه البشتوريون ؛ ليفحص أعماق ذلك النفق الفرعى ، وهو يقول :

ـ إنه عميق ، ويمتدّ إلى مسافة كبيرة .. تُرى إلى أين يقودنا ؟!

غمغمت (نادية) ، وهى تتعاون معه فى حمل (آرى) إلى داخل النفق ، بعيدًا عن النفق الرئيسى وحرارة الحمم :

ـ أعتقد أنه يمتدّ أسفل القلعة ، أو بمحاذاة جدارها الشمالى .

صمت (نور) لحظة ، وهو يعيد فحص النفق ، ثم لم يلبث أن غمغم :

ـ فليكن .. من الواضح أنه ليس أمامنا سوى أن نقطعه حتى آخره ، ولنأمل أن يقودنا إلى النجاة .

راحا يتقدمان عبر النفق ، وهما يحملان (آرى) ، حتى تأوّه هذا الأخير ، وغمغم :

ـ يا إلهى ! .. ماذا حدث ؟! .. إننى أشعر بصداع رهيب .

أجابه (نور) :

ـ حمدًا لله على سلامتك يارجل .

اعتدل (آرى) ، وتطلّع حوله ، قائلا فى دهشة متوترة :

ـ رباه ! .. أين نحن ؟!

ترقرقت عينا (نادية) بالدموع ، وهى تقول :

ـ حمدًا لله على سلامتك يا (آرى) .. لقد نجوت بإذن الله (سبحانه وتعالى) .

اتسعت عيناه فى ارتياع ، وهو يحدّق فى وجهها ، قبل أن يهتف :

ـ أنت لا ترتدين قناعًا واقيًا ، وهذا القناع الذى أرتديه أنا .. إنه ..

قاطعه (نور) بسرعة ، قبل أن تجيب هى :

ـ لا بأس .. إننا لم نعد نحتاج إلى الأقنعة الواقية .



اتسعت عيناه في ارتياع ، وهو يحدق في وجهها قبل أن يهتف :
ـ أنت لا ترتدين قناعًا واقيًا ..

قالها ، وانتزع قناعه عن وجهه ، فارتفع حاجبا (آرى) في تأثر ، وهو يقول لـ (نادية) :

ـ أنت أعطيتني قناعك .. أليس كذلك ؟!

تضرج وجهها بحمرة الخجل ، وخفضت عينيها دون أن تجيب ، فأمسك كفيها بيديه ، وقال متأثرًا :

ـ (نادية) .. إنني ..

قاطعه بغتة صوت (نور) ، وهو يقول :

ـ معذرة يا رفاق .. يؤسفني بحق أن أقاطعكما ، ولكنني أعتقد أنه هناك شيء ينبغي أن ترياه .

التفتا إليه في حرج ، ثم اتجه (آرى) نحوه ، قائلًا :

ـ وما هذا الشيء ؟

أشار (نور) إلى نقطة ينبعث منها ضوء متراقص ، وقال :

ـ أعتقد أن هذا المكان يطل على مكان ما داخل القلعة .

هتف (آرى) :

ـ حقًا ؟!

اتجه (نور) نحو تلك البقعة مباشرة ، وهو يغمغم :

ـ بالتأكيد .. من الواضح أن هذا الضوء ، الذي ينفذ عبر الفتحة ، هو نيران مشاعل متراقصة ، أو

بتر عبارته بغتة ، وهو يتطلع عبر الفتحة ، وانطلقت من حلقه شهقة مكتومة ، أثارت دهشة (آرى) و(نادية) وقلقهما ، عندما وقع بصره على ما يحدث خلفها ..

فقد كانت الفتحة تطل على قاعة العرش بتماثيلها الضخمة ، وقد بدا داخلها الأمير والأميرة ، وقائد فرسانهما ، وخمسة من الحراس العمالقة الأشداء ، الذين يدفعون شخصا ما أمامهم ..

وكان هذا الشخص هو (أكرم) ..

أما المكان الذى يدفعونه نحوه ، بكل العنف والقسوة ، فقد كان تلك الحفرة المخيفة ..

حفرة الحسم ..

* * *

امتقع وجه الدكتور (ناظم) ، وهو يراجع التقارير الأخيرة ، فى حجرة القائد الأعلى ، وقال بصوت أجش ، يموج بكل انفعالات الدنيا :

ـ لقد بدأت النهاية بالفعل .

أومأ القائد الأعلى برأسه إيجابا فى مرارة ، وهو يقول :

ـ نعم للأسف .. البحار والمحيطات بدأت ثورتها ، والهزات الأرضية تتزايد ، فى كل أنحاء العالم ، والطقس غير مستقر على الإطلاق .. واهتزازات القمر تتضاعف وتتضاعف .

زفر الدكتور (ناظم) ، وقال فى ألم :

ـ سبع دقائق على الأكثر ، وينهار القمر ، ومع انهياره ستقفز تلك العوامل الى ذروتها ، و ...

لم يستطع إكمال عبارته ، فزفر مرة أخرى ، وهز رأسه فى قوة ، قبل أن يغمغم :

ـ من يصدق أننا نشهد نهاية العالم .

تنهد القائد الأعلى ، قائلا :

ـ ومن كان يتصور أن تأتى بهذا الشكل .

جلس الدكتور (ناظم) على أقرب مقعد إليه ، وهو يقول :

ـ هل تعلم .. لقد وضعنا فى معاملنا عشرات التصورات للنهاية .. افترضنا أن يقضى العالم على نفسه بأسلحة الدمار الشامل ، التى يسعى لتطويرها فى كل يوم ، أو أن يؤدى اتساع ثقب الأوزون إليها تدريجيا ، أو حتى أن يتم غزو فضائى آخر ، إلا أننا لم نتخيل هذه النهاية السريعة قط .

لوّح القائد بيده ، قائلاً :

- لا أحد يدري قط متى وكيف تأتي النهاية .

غمغم الدكتور (ناظم) :

- بالتأكيد ..

وفي صمت تام ، راح الرجلان يراجعان التقارير الجديدة ..

أمطار ، وعواصف ، وزلازل ، وبراكين ، وكوارث ..

وكلها تنبئ بقرب النهاية ..

نهاية الأرض ..

* * *

« أعطني قنبلة محدودة وفتيل تفجير .. »

نطق (نور) العبارة في حزم وصرامة شديدين ، وبلهجة آمرة لا تقبل الجدل ، فارتفع حاجبا (نادية) في دهشة ، في حين سأله (آري) متوترًا :

- ما الذي يدور في ذهنك أيها القائد (نور) ؟

أجابه (نور) في عصبية ، لا تخلو من الحزم :

- وما الذي تتصوّره ؟! .. سأنسف جزءًا من هذا الجدار اللعين ، وأقفز داخل القاعة ، في محاولة لإنقاذ (أكرم) .

هتف (آري) :

- مستحيل ! .. هذا انتحار .. ألا تدرك قوة هؤلاء العمالقة ؟!

أجابه (نور) ، وهو ينتزع فتيل التفجير من جعبته عنوة :

- لن أتخلّى عن (أكرم) أبدًا .

حاول (آري) أن يمنعه من دفع الفتيل داخل الفجوة الصغيرة ، وهو يقول في حدة :

- إنهم خمسة من العمالقة ، بالإضافة إلى أقوى وأشرس ثلاثة في عالم (المولاك) كله .. الأمير (مولون) ، و(بلوميا) ، و(هارلاك) .. ونحن لا نملك سوى أسلحة بسيطة ، قد تكفي لقتل الحراس الخمسة ، ولكن ثق في أن الانفجار سيدفع جيشًا من هؤلاء العمالقة إلى قاعة العرش .. أنت لا تدرك قدسية هذه القاعة بالنسبة لهم .

كرّر (نور) في صرامة شديدة :

- لن أتخلّى عن (أكرم) قط .

سألته (نادية) بصوت مرتجف :

- حتى وأنت تدرك استحالة إنقاذه .

انعقد حاجبا (نور) في شدة ، وهو ينتزع قنبلة من جعبته ، ويثبت زنادها في حزامه ، قائلاً :

- لو لم أستطع إنقاذه من الموت ، فسأعفيه من عذاب النار على الأقل .

شهقت فى ارتياع ، وهى تتراجع هاتفة .

- يا إلهى ! .. (نور) .. هل تعنى ؟ ..

أشعل فتيل التفجير ، وتراجع معهما ، مجيبًا فى حزم :

- نعم .. أعنى .

ومع آخر حروف كلماته ، دوى الانفجار ..

انفجار محدود مكتوم ، نسف جزءًا من الجدار ، فاندفع (نور) عبره ، ووثب إلى القاعة ، مطلقًا صيحة قتالية ، جعلت (أكرم) يهتف :

- يا إلهى ! .. (نور) .

وتراجع العمالقة الخمسة فى حركة عنيفة ، فى حين قفزت (بلوميا) من مكانها ، وهى تطلق مواءً عصبيًا عاليًا ، ورفع (هارلاك) هراوته ، وهو يندفع نحو (نور) وهبَّ الأمير من مقعده فى حدة ، و ..

وألقى (نور) قنبلته ..

وفى نفس اللحظة ، التى انفجرت فيها القنبلة ، بالقرب من العرشين المزدوجين ، انحنى (أكرم) متفاديًا رماح العمالقة ، ودار على عقبيه ، ولكم أقربهم إليه فى عينه مباشرة ، وهو يهتف :

- كم اشتقت لهذا أيها الأوغاد .

ووثبت (نادية) مع (آرى) عبر الفجوة إلى القاعة ، وراح الأخير يطلق نيران مسدسه المحدود نحو الحراس ، الذين انقضوا عليهما ، وهم يطلقون صرخات قتالية هادرة غاضبة ، ويلوّحون بهراواتهم فى الهواء ..

وصرخت (بلوميا) صرخات رهيبة ، وهى تلوّح بقبضتها ، و(هارلاك) يهاجم بكل قوته وشراسته ..

وانفتحت خمسة أبواب ضخمة فى القاعة ، إثر صرخات (بلوميا) ، واندفع منها أكثر من ثلاثين عملاقًا ، وكلهم يطلقون صرخاتهم المخيفة ، ويلوّحون بهراواتهم وأسلحتهم ، فهتف (آرى) ، وهو يطلق سلاحه نحو أحدهم :

- رباه ! .. كنت أعلم أن هذا سيحدث .. كنت أعلم .

وفى نفس الوقت ، وثبت (نادية) تركل عملاقًا فى معدته ، ولكنها ارتدت فى عنف ، كما لو أنها ركلت جدارًا من الصلب ، فى حين انقضَّ عليها عملاق آخر ، فأطلق عليه (آرى) نيرانه ، وهو يهتف بها :

- اهربى يا (نادية) .. إننا لن ننتصر هنا حتمًا .. اهربى .

صاحت به ، وهى تطلق نيران سلاحها على العملاق الذى يهاجمها :

- محال .. إما أن ننجو معا أو نلقى حتفنا معا .

فى الوقت ذاته ، كان (نور) يلقى قنبلة ثانية ، نحو بعض العمالقة ، فيطيح بهم فى عنف ، ولكن قبل أن يسقطوا أرضا ، برز عشرة آخرون من الأبواب المفتوحة ، فقفز (أكرم) نحوه ، وركل أحد العمالقة فى مؤخرة عنقه ، هاتفا :

- أشكرك على مبادرتك لإنقاذى يا صديقى ، ولكننى فى كل لحظة تمضى ، أزداد يقينا من أنها لم تكن سوى ضرب من الحماقة .

هتف به (نور) ، وهو ينتزع سلاحه ؛ ليواجه عملاقا آخر :

- لم أكن لأتخلى عنك قط .

نطقها وهو يطلق النار على العملاق ، وعينه تلمح (آرى) ، الذى تكالب عليه العمالقة من كل صوب ، وهو يقاتل لحماية (نادية) منهم ..

وأدرك (نور) أن المعركة خاسرة لا ريب ..

وأن القتال بهذه الوسيلة ، لن ينتهى لصالحهم أبدا .

إلا إذا ..

وعندما بلغ بتفكيره هذه النقطة ، تراجع فى حركة سريعة ، وهتف بـ (أكرم) :

- الأمير يا (أكرم) .

فهم (أكرم) ما يقصده (نور) بالضبط ، فوثب متفاديا انقضاضة أحد العمالقة ، فى حين اندفع (نور) نحو الأمير مباشرة ، وبقفزة ماهرة ، ركل (أكرم) الحارس الذى يحمى الأمير ، فى نفس اللحظة التى انقضّ فيها (نور) على هذا الأخير ، وأحاط عنقه بذراعه ، وألصق فوهة سلاحه برأسه ، صائحا بكل قوته :

- توقفوا وإلا قتلت أميركم بلا رحمة .

ولم تكد صيحته تدوى فى القاعة ، وعلى الرغم من أن أحدا لم يفهم حرفا واحدا منها ، فقد توقفت الحركة بغتة ، وتعلقت كل العيون بـ (نور) والأمير ..

واحتقن وجه الأمير فى شدة ، وهو يقول عبارة ما ، فلهث (آرى) هاتفا :

- إنه يطالبهم بالاستسلام يا (نور) .

سأل (أكرم) فى دهشة :

- من هذا الرجل يا (نور) ؟ .. وماذا يقول ؟!

أجابه (نور) فى انفعال :

- إنه صديق يا (أكرم) . ومن الواضح أنه يفهم لغة هؤلاء الأوغاد ، وأن مبادرتنا أتت ثمارها بالفعل ، فالأمير يطالب رجاله بالاستسلام ، خوفا على حياته .

نقل (أكرم) بصره فى حذر ، بين الغضب المرتسم على وجه (بلوميا) ، وانعقاد حاجبى (هارلاك) ، الذى يمسك هراوته فى وضع متحفز ، وقال :

- السؤال هو : هل يعنى لهم هذا شيئا ؟! .. وهل سيطيعون أوامره حقًا ؟!

غمغم (نور) ، فى لهجة لم يختف ما بها من قلق :

- إنه أميرهم .. أليس كذلك ؟

لم يكد يتم عبارته ، حتى تحدثت (بلوميا) بشىء من العصبية ، وهى تشير إلى (آرى) ، الذى احتقن وجهه فى شدة ، وغمغم :

- يا إلهى ! .. تلك اللعينة تقول : إنهم كشفوا خطتنا منذ البداية أيها القائد (نور) ، وأنها تعلم أن رجالى يقبعون خارج القلعة ، فى انتظار شىء ما ، ولكنها أمرت رجالها بمحاصرتهم سرًا ، وبإشارة واحدة من يدها ، ستحدث مذبحة حقيقية ، يلقى خلالها كل رجالى مصرعهم .

بدا التوتر على وجهى (نور) و(نادية) ، فى حين نقل (أكرم) بصره بين وجوههم فى توتر ، وهو يقول :

- ما هذه اللغة يا (نور) ؟!.. ما الذى يقوله هذا الرجل !

لم يجب (نور) سؤاله ، وهو يقول لـ (آرى) فى توتر :

- أخبرها أننا سنقتل الأمير ، لو مست شعرة واحدة من رجالك.

نقل (آرى) العبارة إلى (بلوميا) ، التى أطلقت ضحكة مجلجلة ، تراقصت لها خصلات شعرها النارى ، قبل أن تهتف بكلمة ما ، ثم تدور حول نفسها ، وتلقى شيئا نحو الأمير بكل قوتها ..

وقبل أن يستوعب أحدهم شيئا ، انطلقت من حلق الأمير حشرجة قوية ، وجحظت عيناه فى شدة ، وقد انغرس جسم صلب حاد فى جبهته ، وغاص لعشرة سنتيمترات على الأقل ..

وفى اللحظة نفسها تقريبا ، انقض عملاقان على (أكرم) ، وكبلا حركته ، تماما ، وهو يصرخ :

- أيتها المتوحشة الحقيرة .

وانقض (هارلاك) على (نور) ، وأطاح بسلاحه ، بضربة قوية من هراوته . فى حين تكالب عدد من العمالقة على (نادية) و(آرى) . على الرغم من طلقات سلاح هذا الأخير ، ولمقاومته العنيفة للأولى ..

وتواصلت ضحكات (بلوميا) السادية الساخرة الظافرة ، حتى سيطر عمالقتها تماما على الموقف ، فواجهت الجميع ، وهى تتحدث بعينين تلتمعان ظفرا ، فترجم (آرى) حديثها ، وهو يقول فى مرارة :

ـ تلك الحقيرة تقول : إنها لم تكن لتضيع فرصة نادرة ، للقضاء على جيش المقاومة البشتورى كله ، لتبقى فقط على حياة الأمير .

تمتم (نور) فى سخط :

ـ كان ينبغى أن نتوقع هذا .

أما (أكرم) ، فقال فى حدة ، دون أن يفهم ما قاله الآخرون :

ـ ألم أقل لك إنها حماقة كبيرة يا صديقى ؟

نقلت (بلوميا) بصرها بينهم فى سخرية ، وقال (هارلاك) شيئا ما ، وهو يشير إلى (نور) ، فأومأت برأسها إيجابا ، وتحدثت بدورها ، فشحب وجه (آرى) بشدة ، وهتف :

ـ يا إلهى ! .. مستحيل !

سأله (نور) فى توتر :

ـ ماذا قالت ؟

أجابه (آرى) بصوت يموج بالغضب والانفعال :

ـ هؤلاء الأوغاد يتهمونك بأنك المسئول عن مصرع أميرهم ، و(هارلاك) يقول : إنه لولا ما فعلته ، لما كانت (بلوميا) مضطرة لقتل الأمير ، لذا فقد .. قد ..

قال (نور) فى صرامة :

ـ هات ما لديك يا رجل .

ازدرد (آرى) لعابه فى توتر ، قبل أن يجيب :

ـ لقد أصدرت تلك اللعينة حكما بإعدامك .

شهقت (نادية) فى ذعر ، وهتف (أكرم) محنقا :

ـ هلا أخبرنى أحدكم ماذا يحدث هنا ؟

أطلقت (بلوميا) ضحكة ساخرة أخرى ، ثم أشارت إلى رجالها ، هاتفة بعبارة صامتة ، فجذبوا (نور) فى قسوة نحو منتصف القاعة ..

واتسعت عينا (أكرم) فى ارتياع ، وهو يهتف :

ـ رباه ! .. لا .. ليس حفرة الجحيم .

قاوم (نور) فى عنف ، وكذلك فعل (أكرم) ، و(آرى) و(نادية) ..

ولكن العمالقة كانوا يكبلون الجميع بقوة رهيبة ، تفوق قوة البشر العاديين بثلاث مرات على الأقل ، ويدفعون (نور) نحو حفرة النار فى عنف وقسوة ، لا تجدى معهما أية مقاومة ..

وتوقف الحراس عند الحفرة ، واتسعت عينا (نور) وهو يحدق فى الحمم الملتهبة ، التى تجرى فى أعماقها ، واستعادت ذاكرته مشهد سقوط (واتسن) فى قلبها ، والرمح مغروس فى صدره ، وتمتم :

- يا إلهى ! .. كان (أكرم) على حق عندئذ .. إنها وسيلة موت بشعة .. بشعة للغاية .

وصرخ (أكرم) فى ثورة ومرارة ، وهو يواصل مقاومته فى استماتة :

- لا أيها الأوغاد .. ليس (نور) .. ليس (نور) .

ولكن الأميرة (بلوميا) أشارت بيدها فى صرامة ، وعيناها تتألقان بذلك البريق الدموى السادى ..

وبلا تردد ، دفع العمالقة (نور) إلى الحفرة ..

وضرب (نور) الهواء بذراعيه فى قوة ، محاولا التشبث بأى شيء ..

أى شيء ..

ولكن جسده لم يلبث أن هوى فى الفراغ ، من ارتفاع عشرين مترا ..

نحو الحمم مباشرة ..

وبلا أمل فى النجاة ..

بلا أدنى أمل .

* * *



١٠ - المعجزة ..

طبقا لعجلة الجاذبية الأرضية ، لن يستغرق سقوط شخص ما ، من ارتفاع عشرين مترا ، إلى قاع حفرة الحمم الملتهبة إلا ما يزيد قليلا على ثانيتين(*) .

ولكن من الطبيعي أن يصاب هذا الشخص بكم من الرعب ، لم يشهد مثله في عامين كاملين من الفزع المتصل ..

وعندما هوى (نور) في الحفرة الرهيبة ، وعلى الرغم من شجاعته ، ارتجف قلبه داخل صدره في عنف ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وسرى في عروقه رعب لا مثيل له ..

إنه ليس الموت نفسه ..

ولكنها وسيلة الموت ..

الحمم الملتهبة ..

النار ، التي اختارها الله سبحانه وتعالى لعقاب الكفار والملحدين والعصاة من عبيده ..

(*) عجلة الجاذبية الأرضية : ٩٧١ سم / ث / ث .

النار ، التي ترتجف لها أقوى وأشجع القلوب ..

وكان السقوط فيها يعني الموت بلا رحمة ..

وبلا أمل ..

« (س - ١٨) في خدمتك يا سيدي .. » .

انطلقت العبارة بغتة ، في قلب الحفرة ، فانتفض جسد (نور) في عنف ، وهو يهوي في الفراغ ، واتسعت عيناه في ذهول ، و ...

وفي اللحظة التالية مباشرة ، حدث أمر مذهل ..

برز (س - ١٨) ..(*) .

ذلك المقاتل الأطلنطي الآلي الأخير ، برز من العدم ، كما لو أنه يأتي من عالم آخر ، أو يولد من قلب الفراغ .

وبسرعة مذهلة ، اندفع نحو سيده (نور) ، والتقطه من وسطه ، وارتفع به إلى أعلى ، و(نور) يهتف في مزيج من الفرح واللهفة والسعادة :

- (س - ١٨) .. يا إلهي ! .. إنها معجزة .

وفي الثانية التالية مباشرة ، خرج به من الحفرة ، فصرخت (بلوميا) في رعب ، وتراجعت في ذعر ، وشهقت (نادية) شهقة قوية ، واتسعت عينا (آري) في ذهول ، في حين صرخ (أكرم) بسعادة الدنيا كلها :

(*) راجع قصة (المقاتل الأخير) .. المغامرة رقم (٤٧) .

- (س - ١٨) .. لقد نجونا يا رفاق .

واندفع العمالقة نحو (س - ١٨) ، وهم يطلقون صيحاتهم المخيفة ، فهتف به (نور) :

- هؤلاء هم الأعداء يا (س - ١٨) .

وقف المقاتل الاطلنطى ثانيا ، وهو يقول عبارته الوحيدة :

- (س - ١٨) فى خدمتك يا سيدى .

وفرد يديه فى وجوههم ، ثم أطلق أشعته ..

وانسحق العمالقة فى لحظة واحدة ، مع الأشعة المدمرة الرهيبة ، فتراجع (هالارك) مذعورًا ، فى حين هتفت (بلوميا) بعبارة ما ، وهى تعدو مبتعدة ..

وبرز عمالقة آخرون ، وآخرون ..

وانطلقت أسلحة (س - ١٨) تحصد الجميع بلا رحمة .

وفى ذهول ، هتف (آرى) :

- ما هذا الشىء بالضبط !

أجابه (نور) فى سعادة تامة :

- ملاكنا الحارس يا صديق ، الذى يظهر دائمًا ، عندما تتعقد الأمور ، ونصبح فى مسيس الحاجة إليه ..

اتسعت عينا (بلوميا) فى رعب هائل ، إزاء هذا

المشهد الرهيب ، وأدركت أن هذا القادم الجديد يقلب الموازين كلها رأسا على عقب ، وأن قدراته الهائلة هذه قادرة على تدمير عمالقة (المولاك) كلهم فى دقائق معدودة ..

.. إلا إذا ..

وبقفزة ، مدهشة ، أشبه بقفزة قط ماهر رشيق ، وثبت عبر القاعة ؛ لتهبط خلف (نادية) ، مباشرة ، وتحيط عنقها بذراعها ، ثم تبرز مخالبها الحادة ، صارخة بعبارة ما ..

ومرة أخرى تجمد الموقف ..

وفى ارتياع ، هتف (آرى) :

- يا إلهى ! .. تلك الحقيرة ستقتل (نادية) ، لو واصل رجلكم الآلى قتل رجالها :

لم يفهم (أكرم) ما قاله (آرى) ، ولكنه اختطف سلاح (نور) الملقى أرضًا ، وصوبه إلى (بلوميا) ، هاتفا :

- آه .. كم تمنيت أن تأتى هذه اللحظة .

أمسك (نور) يده ، قائلا فى حزم :

- مهلا يا صديقى .. إنك مجهد للغاية ، وربما تخطئ التصويب .



وثبتْ عبر القاعة ، لتهبط خلف (نادية) مباشرة ، وتحيط عنقها بذراعيها ، ثم تبرز مخالبها الحادة ..

هتف (أكرم) فى حدة :

ـ هذه اللعينة تستحق القتل يا (نور) .. هل نسيت ما فعلته بـ (أوتو) ، و(خالد) ، و(واتسن) .. وما فعلته بى شخصيًا ؟!.. أتتصوَّر أنها تستحق الحياة ، بعد كل هذا ؟!

صمت (نور) ، وهو يتطلَّع إلى (بلوميا) ، التى بدت أشبه بالشيطان ، ببشرتها الزرقاء ، وشعرها الملتهب ، وعينيها الدمويتين ، اللتين يطلّ منهما شر ووحشية الدنيا كلها ، ومخالبها الحادة ، التى تتأهب لتمزيق عنق (نادية) ، ثم قال فى حزم وانقضاب :

ـ كلا .

ثم التفت إلى (س ـ ١٨) ، مستطردًا بلهجة آمرة حازمة :

ـ عليك بها .

اعتدل (س ـ ١٨) ، مرددًا العبارة الوحيدة ، المسجَّلة بكل لغات الدنيا فى برنامجه :

ـ (س ـ ١٨) فى خدمتك يا سيِّدى .

لم تفهم (بلوميا) ما قاله (نور) ، وما أجاب به (س ـ ١٨) ، إلا أنها أدركت أن هذا كله ضدها ، فأطلقت مواء عصبيًا ، قبل أن تصرخ بعبارة ما ، وتغرس

مخالبها فى عنق (نادية) ، فهتف (آرى) فى ارتياع :

ـ مهلا أيها القائد (نور) .. مهلا .

أشار (نور) إلى (س ـ ١٨) بالتوقُف، وهو يسأل :

ـ ماذا قالت ؟

أجابه (آرى) ، وهو يتحرك فى عصبية :

ـ لقد غرست مخالبها فى عنق (نادية) بالفعل ، وتقول : إنه حتى ولو نجح رجلكم الآلى فى إصابتها ، أو نسف رأسها ، فسيكون لديها ما يكفى من الوقت ، لتنتزع وريدها العنقى بمخالبها ، قبل أن تلقى مصرعها .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهتف (أكرم) فى حنق :

ـ يا للعينة !

زمجرت (بلوميا) مرة أخرى فى ظفر ، وجذبت (نادية) فى عنف ، نحو منتصف القاعة ، وهى تتحدث فى صرامة ، و(آرى) يتابعها فى توتر شديد ، فسأله (نور) فى قلق :

ـ ألن تترجم ما قالته ؟

أجابه (آرى) فى توتر شديد :

ـ إنها تطالبنا بالتراجع مع الآلى ، وتسليم أنفسنا لعمالقتها ، وإلا مزقت عنق (نادية) .

سأله (نور) :

ـ وما قولك ؟!

عضّ (آرى) شفتيه فى مرارة ، وهو يقول :

ـ لست أدرى أيها القائد (نور) .. لست أدرى .. لا يمكننى المجازفة بحياة (نادية) .. رباه ! .. لست أدرى .

أطلقت (بلوميا) ضحكة ساخرة أخرى ، وكأنها تفهم ما قاله (آرى) ، وهى تجذب (نادية) نحو حفرة النار ، وهذه الأخيرة تقول فى حزم :

ـ اقتلوا هذه المتوحشة .. لا تبالوا بى .. اقتلوها .. إنها تستحق هذا .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يغمغم :

ـ نعم .. إنها تستحق هذا .

ثم التفت إلى (س ـ ١٨) ، وقال :

ـ هذه المخالب تهددنا بالفشل يا (س ـ ١٨) .

لم يكد يتم عبارته ، حتى انطلق من عينى (س ـ ١٨) شعاعان من الليزر ، نحو معصم (بلوميا) مباشرة ..

وصرخت الأميرة السادية فى ذعر وألم ، عندما بتر الشعاعان يدها ، وانتزعاها من جسدها فى مشهد بشع ،

وتدفق من موضع البتر سائل أزرق كالحبر . وهى تتراجع صارخة بعبارة ما . فهتف (أكرم) . وهو يصوب مسدسه نحوها :

- أشكرك يا (س - ١٨) .

كان الجميع يتصورون أنه سيطلق النار على رأس (بلوميا) مباشرة ولكنه لم يفعل .

* * *

لقد رآها تتراجع فى ألم وثورة . ملوحة بيدها التى بتر معصمها . وذلك السائل الأزرق البشع يتدفق منها فى غزارة . والعمالقة يحدقون فيها ذاهلين مذعورين .

وكأنما لا يصدقون أن أميرتهم قد أصابها ما أصابها .

فقال فى لهجة حملت مقت الدنيا كلها :

- اذهبى إلى الجحيم أيتها اللعينة .

ثم أطلق سلاحه عند موضع قدميها . مستطردا فى بغض :

- الجحيم الحقيقى .

أصابت أشعة السلاح الأرض . تحت قدمى الأميرة مباشرة . ونسفتها فى عنف . فاختل توازن (بلوميا) .

وهوت ..

هوت فى حفرة النار . التى ألقت فيها المئات . طوال حياتها الوحشية ..

ولكنها تشبثت بالحافة فى اللحظة الأخيرة بيدها الوحيدة . التى برزت مخالبها . لتنغرس فى الحافه ..

وصرخت (بلوميا) ..

صرخت تستنجد برجالها ..

أو حتى بأعدائها ..

ولكن أحدا لم يحرك ساكنا للعجب !

العمالقة خشوا أن يهبوا لنجدتها . فيتصدى لهم (س - ١٨) بأسلحته المدمرة . التى سحقت العشرات من إخوانهم أمام عيونهم منذ قليل ..

و(نور) ورفاقه لم يحاولوا التدخل لإنقاذها . على الرغم من مشاعر (نور) المرهفة . وكراهيته الغريزية للقتل والتدمير ..

كانوا وكأنهم قد اتفقوا جميعا على أمر واحد ..

أنها تستحق الموت ..

الشخص الوحيد الذى تحرك كان (أرى) . الذى اندفع نحو (نادية) . وانتزع المخالب مع اليد من عنقها فى حرص . ثم احتواها بين ذراعيه . متمتما :

- انتهى كل شىء والحمد لله .. انتهى كل شىء .

ومع آخر حروف عبارته ، انطلقت صرخة (بلوميا) ترج قاعة العرش ، عندما انهار الجزء الذى تتشبث به ، فهوى معها إلى أعماق الحمم الملتهبة ..

ومن موضع سقوطها ، ارتفع لسان من اللهب عاليًا ، وكأنه يعلن الهزيمة ..

هزيمة طغاة الكوكب الدموى ..

★ ★ ★

« من يصدق هذا ؟! .. »

نطق الحاكم (كاتو) بالعبارة فى سعادة وحماس ، وهو يقف مع (نور) و(أكرم) ، و(نادية) ، و(آرى) ، فى قلب (بشتوريا) ، قبل أن يستطرد فى فرح واضح ، محدثًا شعبه الذى شملته السعادة :

ـ لقد استعدنا الكوكب .. وضعنا أقدامنا على أول الطريق ، لإعادة بناء حضارتنا المفقودة ، ورب ضارة نافعة ، فلولا تلك الكارثة ، التى أتت بالقائد (نور) ورفاقه إلى عالمنا ، لما أمكننا تحقيق هذا النصر .. والمدهش أننا رصدنا محاولة رجلهم الآلى لعبور الحاجز الزمكانى إلى عالمنا ، ولكن هذا أصابنا بفزع شديد ؛ فلم نتصور قط أن هذا الوجه البشع ، يمكن أن يحمل لنا كل هذا الخير ، وأن يكون وسيلتنا للقضاء على الطغاة .

انطلق الجميع يهتفون ويهللون فى سعادة ، فقال (نور) :

ـ أتعشم ألا تكرروا أخطاء الماضى ، التى قادتكم إلى كل هذا ، وأن يكون الخير والعدل هما هدفكم فى المستقبل ، خاصة وأن الخطر لم يزل بعد ، فلقد نجح (هارلاك) ، وعدد كبير من عمالقته فى الفرار ، والاختباء فى قلب الجبل ، والله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، ما الذى يمكنهم فعله فى المستقبل !

أومأ الحاكم برأسه متفهمًا ، وهو يقول :

ـ اطمئن أيها القائد (نور) .. وما عانيناه منذ هزيمتنا ، يمنعنا من الوقوع فى أخطاء جديدة .

ثم سأله فى اهتمام :

ـ ولكن قل لى : هل يستطيع رجلكم الآلى إغلاق الفجوة بالفعل ؟!

صمت (نور) لحظة ، وهو يتطلع إلى (س ـ ١٨) ، الذى يقف صامتًا جامدًا فى الركن ، قبل أن يجيب :

ـ حتى الآن ، لم يعجز (س ـ ١٨) عن القيام بأى عمل أسندته إليه .

ثم تهدج صوته ، وهو يضيف فى أسى :

ـ فيما عدا استعادة (محمود) .

تطلع (أكرم) إلى (س ـ ١٨) بدوره ، قبل أن يسأل :

ـ قل لى يا (نور) : لماذا لم يعد (س ـ ١٨) بزميلنا (محمود) ؟!

تنهد (نور) مجيبًا :

ـ ليتنى أستطيع سؤاله عن هذا يا صديقى .. وليته يستطيع الجواب .

ربت الحاكم على كتف (نور) ، وهو يقول :

ـ أيها القائد (نور) .. بخصوص عودتكم إلى عالمكم ، أعتقد أن لدينا وسيلة لهذا .

سأله (نور) فى اهتمام .

ـ وما هى ؟!

ابتسم الحاكم ، مجيبًا :

ـ سترى بنفسك .

لم تمض دقائق معدودة على هذا القول ، حتى كان (نور) و(أكرم) و(نادية) يحدقون فى دهشة ، فى مركبة فضائية صغيرة ، تضيع داخل كهف صخرى واسع ، فى قلب الجبل ، والحاكم يشير إليها ، قائلاً :

ـ هذه آخر مركبة فضائية سليمة لدينا ، منذ انهيار حضارتنا ، ولكن المشكلة أن ما يحويه خزانها من

وقود فضائى لن يكفى لقطع ألف كيلو متر فحسب فى الفضاء .

تنهد (نور) فى ارتياح ، وهو يقول :

ـ إنه يكفينا للهبوط على الأرض .

سأله (أكرم) :

ـ وماذا عن الوصول إليها ؟!

ابتسم (نور) ، قائلاً :

ـ ليست هذه هى المشكلة الوحيدة يا صديقى ، فالطاقة الهائلة ، التى تنطلق من الفجوة ، مع قوة الدفع الرهيبة ، ستجعل اقترابنا منها أشبه بالمستحيل ، فما بالك بعبورها إلى الجانب الآخر ، ومقاومة قوة جذبها الخرافية للابتعاد عنها ؟!

اتسعت عينا (أكرم) ، وهو يقول :

ـ يا إلهى ! .. وكيف سيمكننا التغلب على كل هذا يا(نور) .

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ وهل لدينا سواه ؟!

صفقت (نادية) بكفيها فى جذل كالأطفال ، هاتفة :

ـ (س ـ ١٨) .

أشار إليها (نور) بسبابته ، قائلاً :

ـ بالضبط .. إنه الوحيد القادر على التصدى لكل هذا ودفع ثلاثتنا إلى الأرض ، ثم ..

تنحنحت (نادية) تقاطعه ، قبل أن تقول فى حرج :

ـ معذرة أيها القائد (نور) ، ولكننى لن أعود معكما .

هتف (أكرم) فى دهشة :

ـ لماذا ؟!

أما (نور) ، فقد نقل بصره بينها وبين (آرى) ، قبل أن يسألها :

ـ أأنت واثقة من قرارك ؟!

أومأت برأسها إيجابًا فى حرج ، وهى تتمتم :

ـ إعادة بناء (بشتوريا) سيحتاج إلى جهد هائل ، و(آرى) سيحتاج إلىّ بجانبه حتمًا .

أومأ (أكرم) برأسه ، مغمغمًا فى تأثُّر :

ـ آه .. فهمت .

ثم استطرد بسرعة ، قبل أن تغلبه مشاعره :

ـ والآن دعونا لا نضع المزيد من الوقت .. الأرض لن تنتظر طويلاً .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ بالتأكيد يا (أكرم) .. بالتأكيد .

ثم التفت إلى (س ـ ١٨) ، قائلا :

ـ (س ـ ١٨) .. هل تدرك مهمتك جيدًا ؟

أجابه الآلى بعبارته الوحيدة :

ـ (س ـ ١٨) فى خدمتك يا سيدى .

وبعد دقائق من نطقه لعبارته ، كان ينطلق فى فضاء الكوكب ، حاملاً المركبة الفضائية الصغيرة ، وبداخلها (نور) و(أكرم) ..

وكانت قوة الدفع عند الفجوة رهيبة ..

رهيبة بحق ..

وفى عنف ، راحت المركبة ترتجف ، حتى إن (أكرم) هتف ، وهو يغلق عينيه فى قوة ، مع الضوء المبهر ، الذى تقذفه الفجوة من هذا الجانب :

ـ لن يفلح يا (نور) .. لن يمكنه مقاومة هذا الدفع الرهيب .

هتف (نور) :

ـ لابد أن يحاول يا (أكرم) .. إنه أملنا الأخير .

كانت مؤشرات الطاقة فى جسم (س ـ ١٨) تنخفض بسرعة ، مع الجهد الهائل الذى يبذله ، لمقاومة قوة الدفع الجبارة ، ولكن أجهزته القوية ساعدته على أن يمضى فى طريقه ، ويمضى ، ويمضى .

حتى تجاوز الفجوة ..

وأمام عينى (نور) و(أكرم) ، راح الضوء المنبعث منها يخفت ويخفت ، حتى أحاط بهما ظلام دامس ، فهتف (نور) فى سعادة :

ـ لقد تجاوزناها بالفعل .. (س ـ ١٨) نجح يا رجل .. نجح

كان (س ـ ١٨) يدرك أن ما حدث . على الرغم من الجهد الهائل المبذول فيه ، ليس سوى الخطوة الأولى فى الخطة . لذا فقد استنفر قدرا هائلا من طاقته ، ودفع المركبة الفضائية أمامه ، بكل ما يملك من قوة ، مبتعدا عن الفجوة السوداء ، ثم دفعها فى عنف ، لتمضى وحدها فى المسار المحدود ، الذى يقودها إلى الأرض مباشرة ..

وأشعل (نور) محركات المركبة ، فى اللحظة نفسها ، للحصول على قوة دفع أكبر ، وهو يهتف :

ـ الفجوة يا (س ـ ١٨) .. أطلق تلك الموجة فوق الصوتية ، لإغلاق الفجوة .

انطلق (س ـ ١٨) عائدا إلى مركز الفجوة بأقصى سرعة ، ولم يكد يبلغه ، حتى دار حول نفسه ، مقاوما قوة الجذب الرهيبة ، التى كادت تستعيد المركبة الفضائية إليها ..

ثم أطلق صيحة هائلة ..

صيحة غير مسموعة ، على الرغم من القوة الخرافية لتموجاتها ، ولكنها كانت كافية لتتألق حواف الفجوة بشدة ، ثم تنكمش بسرعة هائلة ..

وفقد (س ـ ١٨) مع الصيحة كل مخزون طاقته ..

فقدها دفعة واحدة ، بعد الجهد الهائل الذى بذله فى الفترة الأخيرة ..

ومع نفاد مخزون الطاقة ، جذبت الفجوة جسمه إليها ، قبل أن تواصل انكماشها بسرعة ..

وصرخ (نور) :

ـ لا .. لا يا (س ـ ١٨) .. عد إلينا .

ولكن الفجوة الرهيبة واصلت انكماشها بنفس السرعة ، معلنة ضياع (س ـ ١٨) إلى الأبد ، فى ذلك العالم الآخر ..

ومعلنة فى الوقت ذاته أن نهاية الأرض قد تأجلت إلى أجل غير مسمى .

وأن خطر الفجوة السوداء قد زال هذه المرة ..

وإلى الأبد ..

* * *

« (نور) و(أكرم) بخير والحمد لله ، وهما فى طريقهما للعودة سالمين .. » .

نطق (محمود) هذه العبارة فى ارتياح تام ، وبصوت هادئ عميق ، من خلال حلم (رمزى) ، الذى رأى نفسه يسبح فى الفضاء إلى جواره ، ويسأله :

- وماذا عن الأرض ؟!

أجابه (محمود) بابتسامة هادئة :

- لقد نجت هذه المرة أيضًا يا صديقى .. ألم تعلم أن الظواهر الطبيعية كلها قد تراجعت ، مع عودة توازن الجاذبية ؟! .. إنها ليست النهاية .. الأرض مازالت بخير والحمد لله .

مدّ (رمزى) يده إليه ، قائلا فى تأثر :

- وماذا عنك أنت يا صديقى .. ألن تعود إلينا ؟!

ارتسم الحزن على وجه (محمود) ، وهو يبتعد فى بطء ، مجيبا :

- فات الأوان يا صديقى .. كانت هناك فرصة واحدة للعودة ، فى ذلك العالم الآخر ، ولكننى أدركت أن عودتى لن تفيد (نور) و(أكرم) .. لن تفيد أى مخلوق .. لذا فقد تركت الفرصة لـ (س ــ ١٨) ، وأمرته بالعودة لإنقاذ الجميع .

وترقرقت عيناه بالدمع ، وهو يستطرد :

- صحيح أننى سأظل وحيدًا هنا إلى الأبد ، ولكننى لست نادما على قرارى يا صديقى .. لقد فعلت الصواب ، وبذلت نفسى مرة أخرى ، فى سبيل من أحب .. فى سبيلكم جميعًا .

حاول (رمزى) أن يسبح ليصل إليه ، وهو يتمتم :

- لا يا (محمود) .. لا سنجد وسيلة حتمًا لاستعادتك .. مادام (س ــ ١٨) قد عاد ، فهناك بالتأكيد وسيلة لعودتك .

هزّ (محمود) رأسه نفيًا ، وراح جسده يبتعد أكثر وأكثر فى الفراغ ، وصوته يزداد خفوتا ، وهو يقول :

- فات الأوان يا صديقى .. الطاقة التى أعادت (س ـ ١٨) ، هى كل ما كان لدى من طاقة ، حتى إننى لن أستطيع زيارتكم فى أحلامكم بعد الآن .. الوداع يا (رمزى) .. الوداع يا رفاق .. الوداع .

صاح (رمزى) ، وهو يمدّ يده أكثر وأكثر :

- لا يا (محمود) .. لا تذهب .. أرجوك .. سنبذل قصارى جهدنا لاستعادتك .. لا تذهب يا (محمود) .

تردد صوته خافتا ضعيفا ، في أعماق الحلم ، وهو يتمتم :

ـ فات الأوان يا صديقي .. فات الأوان ..

قالها ، وجسده يغوص في أعماق العدم ، في رحلة أخيرة بلا عودة .

ويبتعد ..

ويبتعد ..

ويبتعد ..

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع ٣٢١٥

كوكب الطغاة

• ما مصير (نور) ورفاقه .. في ذلك العالم الجديد .. الذي يحكمه العمالقة ؟!

• كيف يمكن أن يتدخل (محمود) .. لإنقاذ (نور) و (أكرم) .. في ذلك الكوكب الدموي ؟!

• ترى هل يجد (نور) ورفاقه وسيلة لإنقاذ الأرض .. أم ينتهي أمرهم على (كوكب الطغاة) ؟!

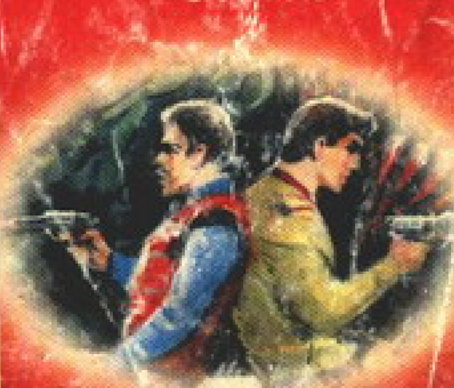
• اقرأ التفاصيل المثيرة .. وقاتل مع (نور) ورفاقه .. من أجل الأرض .



د. نبيل فاروق

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

111



العدد القادم : بطعمة الموت

الثمن في مصر ٢٠٠
وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم .